النحو العربي
عند أبي إسحاق الزجاج
(مرتباً على أبواب ألفية ابن مالك)

جمعه ورتبه وعلق عليه
أ . د / عبد العظيم فتحي خليل الشاعر
أستاذ اللغويات
بكلية اللغة العربية بالقاهرة
جامعة الأزهر الشريف

2007

رقم الإيداع 2007/19957

النحو العربي عند أبي إسحاق الزجاج

تأليف: د. عبد العظيم فتحي خليل الشاعر

23 شارع الفريق محمد ابراهيم - متفرع من مكرم عبيد – مدينة نصر القاهرة ج.م.ع
تليفون : 2725312-2725376- 6706912 (02)
فاكس : 6706912(02)

مقدمة

الحمد لله الذي ألهم الإنسان وسائل البيان ، وميز العرب بأوضح بيان وأفصح لسان ، وكفل للعربية رقيها حتى نزل بها القرآن ، أحمده على نعمتي الإسلام والإيمان ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الذي هو أفصح العرب لسانا وأبلغهم بيانا ، المصطفى لتبليغ رسالة لا يقوم بها إلا من سمت بلاغته واكتملت فصاحته .

وبعد

فإن خير الدراسات العربية وأعلاها وأنبلها وأسماها ، ما كان موصولا بكتاب الله عز وجل ، إذ هو أشرف الكتب قدرا وأصدقها لسانا ، وأفصحها بيانا ، والدراسة إنما تشرف بشرف موضوعها ومرماها .

ولا شك أن القرآن الكريم هو أول أصل من أصول النحو العربي ، وأن خدمة هذا الكتاب من أول الأهداف التي يتطلع إليها من استنار قلبه بنور الإيمان .

ولهذا عني كثير من العلماء في مختلف العصور بتناول أسلوبه بالدراسات النحوية والعربية ، فتنورت دراساتهم بأنواره ، وتعطرت بنفحات شذى أسراره ، إذ هو في مضمار الفصاحة والبلاغة يعتلي الذروة ، ويتربع على القمة ، وهو المرجع الصادق الذي يرجع إليه العلماء لمعرفة الصواب والخطأ في قواعدهم وقضاياهم .

وقد كانت ثمرة الجهود النحوية في هذا المجال تلك الدراسات المتصلة بالنحو القرآني ، وإذا كان الفراء ـ وهو أحد أئمة النحو الكوفي ـ قد تناول القرآن الكريم بالتوجيه في كتابه (معاني القرآن) راسما فيه خطوط المذهب الكوفي وموضحا ملامحه، فإن أبا إسحاق الزجاج ـ وهو أحد أئمة النحو البصري ـ قد تناوله بالتوجيه في كتاب له بنفس الاسم راسما فيه خطوط المذهب البصري وموضحا ملامحه ، ويعد كتابه في ذلك صورة صادقة وافية لقواعد البصريين .

ولم يؤثر عن الزجاج كتاب آخر يقرر فيه أحكام النحو إلا كتابه ما ينصرف وما لا ينصرف ، وهو خاص بالأسماء الممنوعة من الصرف ، وإن كان قد استطرد فيه إلى أبواب نحوية أخرى قليلة .

ولما كانت آراء الزجاج المتداولة في كتب النحو ينقصها شيء من الدقة مع حاجة الباحثين إلى توثيقها من كتبه راودتني فكرة استخلاص ما تحدّث عنه الزجاج من أحكام النحو وقواعده في كتابيه المذكورين ، وتقسيم ما ورد من ذلك في فصول نحوية مرتبة بحسب الترتيب المشهور بين النحويين في هذا العصر ، وهو ترتيب ألفية ابن مالك وشروحها ، فجاءت هذه القواعد والتوجيهات في اثنين وأربعين فصلا تبدأ بفصل الكلام وما يتألف منه ، وتنتهي بفصل كنايات العدد ، وذلك يسهل للباحثين معرفة رأيه ومذهبه في كل مسألة بالرجوع إلى الفصل الذي تورد فيه .

ويجدر بي أن أنبه على جملة أمور :

أولها : أن علاقتي بالزجاج بدأت منذ أن شرعت في إعداد رسالتي للدكتوراه بعنوان (النحو القرآني بين الزجاج وأبي علي الفارسي) ، وذلك منذ بداية عام ١٩٧٥م ولم يكن معاني الزجاج قد طبع في ذلك الوقت فاعتمدت على نقل مسائل الزجاج النحوية وتوجيهاته من نسخ المعاني المخطوطة .

الثاني : أنني اعتمدت هنا كثيرا في نقل عبارات الزجاج على النسخ المخطوطة من معانيه ، لكني أحلت القراء إلى النسخة المطبوعة تيسيرا عليهم ، وذلك يفسر وجود بعض الاختلاف في العبارة بين ما أثبته هنا وبين المثبت في النسخة المطبوعة .

الثالث : أنني أردت أن يكون الكتاب صورة لنحو الزجاج بغض النظر عن أثره في اللاحقين أو تأثره بالسابقين ، فلهذا لم أثقل الكتاب بكثير من المناقشات التي أوردتها في رسالتي المذكورة ، ولم أستثن من ذلك إلا ما يتعلق ببيان بعض القراءات أو الرد على الزجاج في تخطئته لها .

هذا ، وسأقدم لهذه الفصول بمدخل يشتمل على ثلاثة أمور وهي :

١ـ التعريف بأبي إسحاق الزجاج .

٢ـ التعريف بكتابه (معاني القرآن وإعرابه) .

٣ـ التعريف بكتابه (ما ينصرف وما لا ينصرف) .

وبالله التوفيق

مدخل

أولا : التعريف بالزجاج :

الزجاج علم من أعلام اللغة العربية الذين ازدهرت بهم محافلها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع ، وصفه أكثر من ترجموا له بأنه من أهل الدين والفضل وحسن الاعتقاد وجميل المذهب[1] .

واسمه : إبراهيم بن السري بن سهل ، وكنيته أبو إسحاق ، ويلقب بالزجاج لأنه كان يحترف خراطة الزجاج قبل أن يتعلم النحو ، وهو يقول في ذلك : " كنت أخرط الزجاج فاشتهيت النحو فلزمت المبرد لتعلمه ، وكان لا يعلم مجانا ولا يعلم بأجرة إلا على قدرها فقال لي : أي شيء صناعتك ؟ ... فقلت : أخرط الزجاج ، وكسبي في كل يوم درهم ودانقان أو درهم ونصف ، وأريد أن تبالغ في تعليمي وأن أعطيك كل يوم درهما ، وأشرط لك أن أعطيك إياه أبدا إلى أن يفرق الموت بيننا استغنيت عن التعليم أو احتجت إليه ، فلزمته وكنت أخدمه في أموره ومع ذلك أعطيه الدرهم ونصحني في ذلك حتى استقللت [2] .

وقد لقب بالزجاج نحوي آخر اسمه أحمد بن بكران بن الحسين وكنيته أبو بكر ، وترجم له ياقوت [3] وغيره ، وقال ياقوت في ترجمته : " كتب عنه علي بن محمد الأزدي في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة " ا.هـ ولا نعلم لهذا العالم أثرا نحويا .

مولد الزجاج ونشأته ووفاته :

ليس لدينا ـ مما كتبه المؤرخون ـ بيان عن المكان الذي ولد فيه الزجاج والبيئة التي قضى فيها أيامه الأولى ، ولا نعرف متى بدأ يتلقى مبادئ القراءة والكتابة ، ولا أين كان ذلك ، وأول ما نعرفه عن نشأته أنه كان في حداثته يتلقى العلم عن ثعلب في بغداد،

---

(١) انظر ترجمته في الفهرست /٩٠ ، ٩١ ، وبغية الوعاة ٤١١/١ ، وإنباه الرواة ١٥٩/١ ، ومعجم الأدباء ١٣٠/١ ، ووفيات الأعيان ٣١/١-٣٣ .

(٢) بغية الوعاة وإنباه الرواة ومعجم الأدباء كما سبق ونزهة الألباء /٢٤٤ .

(٣) معجم الأدباء ٢٣٦/٢ .

ويبدو أنه قضى ما بعد ذلك من عمره كله في بغداد باستثناء فترة وجيزة قضاها بين بني مارقة معلما لأولادهم ، وكانوا يسكنون قريبا من نهر الصراة بالعراق، وقد أفاد ياقوت [١] أنه كان ينزل بالجانب الغربي من بغداد بالموضع المعروف بالدويرة.

ويمكن التعرف على سنة مولده بالتحقق من سنة وفاته وسنه عند الوفاة ، وفي السنة التي توفي فيها أقوال أشهرها أنها سنة ٣١١هـ أو سنة ٣١٦هـ ، وفي سنه عند الوفاة قولان : أولهما : أنه توفي وقد أناف على الثمانين [٢] ، والثاني : ما روي من أنه لما حضرته الوفاة سئل عن سنه فعقد لهم سبعين [٣] .

ونحن نرجح أنه توفي سنة ٣١١هـ وقد أناف على الثمانين ، وهذا يقتضي أن مولده كان بالتقريب سنة ٢٣٠هـ ، ويدعونا إلى هذا الترجيح تلك الحادثة التي رواها القفطي وغيره [٤] : لما قتل المتوكل بـ(سر من رأى) رحل المبرد إلى بغداد فقدم بلدا لا عهد له بأهله فاختل وأدركته الحاجة فتوخى شهود صلاة الجماعة فلما قضيت الصلاة أقبل على بعض من حضره وسأله أن يفاتحه السؤال ليتسبب له القول ، فلم يكن عند من حضره علم ، فلما رأى ذلك رفع صوته وطفق يفسر يوهم بذلك أنه قد سئل فصارت حوله حلقة عظيمة ، فتشوف أحمد بن يحيى ثعلب إلى الحلقة ، وكان كثيرا ما يرد الجامع قوم خراسانيون من ذوي النظر فيتكلمون ويجتمع الناس حولهم فإذا أبصر بهم ثعلب أرسل من تلاميذه من يفاتشهم [٥] فإذا انقطعوا عن الجواب انفض الناس عنهم فلما نظر ثعلب إلى من حول أبي العباس أمر إبراهيم بن السري الزجاج وابن الخياط ـ وقيل ابن الحائك ـ بالنهوض وقال لهما : فضا حلقة هذا الرجل ، ونهض معهما من حضر من أصحابه ، فلما صاروا بين يديه قال له إبراهيم بن السري : أتأذن ـ أعزك الله ـ في المفاتشة ؟ فقال له المبرد : سل عما أحببت ، فسأله عن مسألة فأجابه بجواب أقنعه ... الخ ما روي ، وفيها أن الزجاج ناقش المبرد في أربع عشرة مسألة .

---

(١) المصدر السابق ١/١٤٧ .

(٢) إنباه الرواة ١/١٦٣ ، ووفيات الأعيان ١/٣٢ ، وطبقات الزبيدي /١٢٢ .

(٣) بغية الوعاة ١/٤١٣ .

(٤) إنباه الرواة ٣/٢٤٩ ، ٢٥٠ ، وطبقات الزبيدي /١١٨ ، ١١٩ .

(٥) في اللسان (فتش) : الفتش والتفتيش : الطلب والبحث ، وفتشت الشيء فتشا وفتشته تفتيشا مثله.

فهذه الحادثة تفيد أن الزجاج عندما التقى بالمبرد في بغداد كان ناضج الفكر قادرا على الجدل والمناظرة ، ولذلك يستبعد القول بأن عمره كان سبعين عاما عند وفاته مع كونه توفي سنة ٣١١هـ أو سنة ٣١٦هـ ؛ إذ مقتضى ذلك أن مولده كان سنة ٢٤١هـ أو سنة ٢٤٦هـ ، وهذا معناه أنه كان عند قدوم المبرد إلى بغداد ـ بعد مقتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ ـ طفلا لا يتصور أنه يتلقى عن ثعلب فضلا عن أن يوجه لمناظرة المبرد وفض حلقته ، فإذا ثبت أنه توفي وقد أناف على الثمانين فمعنى ذلك أنه ولد بالتقريب إما سنة ٢٣٠هـ وإما سنة ٢٣٥هـ ، والتاريخ الأول أقرب لجو تلك الحادثة وملابساتها إذ يكون سنه عند قدوم المبرد إلى بغداد سبعة عشر من الأعوام أو ما يزيد قليلا ، ويمكننا بعد هذا الاكتفاء بالقول بأنه توفي سنة ٣١١هـ كما اكتفى به ياقوت [١] والسيوطي [٢] ؛ لأن الزيادة على الثمانين تتحقق به فلا حاجة إلى القول بغيره، وقد ذكر كل من أبي الفداء[٣] وابن الأثير [٤] وفاة الزجاج ضمن حوادث تلك السنة ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من الشهر [٥] .

صفاته وأخلاقه :

حرص كثير من العلماء ـ كما ذكرنا ـ على وصف الزجاج بحسن العقيدة وجمال المذهب ، ولم يشذ عن ذلك إلا أبو حيان [٦] الذي وصفه بأنه معتزلي ، وهو زعم خاطئ ؛ فقد رأيت في كتابه (معاني القرآن) شواهد كثيرة تشهد بقوة إيمانه وثبات عقيدته وأخذه بمذهب أهل السنة ورفضه لما سواه ، ومن ذلك ما قاله عند توجيه قوله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [٧] فقد قال [٨] : " أعلم عز وجل أنه يدرك الأبصار ، وفي هذا الإعلام دليل أن خلقه لا يدركون الأبصار ، أي : لا يعرفون كيف حقيقة البصر ، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر بعينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه ، فأعلم أن خلقا من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه ولا يحيطون بعلمه فكيف به عز وجل ؟ ... فالأبصار لا تحيط به ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [٩]، فأما ما جاء من الأخبار في الرؤية وصح عن رسول الله فغير مدفوع ، وليس في هذه الآية دليل على دفعه ؛ لأن معنى هذه الآية معنى إدراك الشيء والإحاطة بحقيقته ، وهذا

(١) معجم الأدباء ١/١٣٠ . (٢) بغية الوعاة ١/٤١٣ . (٣) البداية والنهاية ١١/١٤٩ .
(٤) الكامل ٦/١٧٦ . (٥) إنباه الرواة ١/١٦٣ . (٦) انظر البحر المحيط ٥/٤٧٧ .
(٧) الأنعام /١٠٣ . (٨) معانيه ٢/٣٠٦ . (٩) الأنعام /١٠٣ .

مذهب أهل السنة والعلم والحديث " ، وجاء أيضا في توجيهه لقوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (١) " الحسنى : الجنة ، و(زيادة) في التفسير النظر إلى وجه الله جل وعز ، ويجوز أن يكون الزيادة تضعيف الحسنات .... والقول في النظر إلى وجه الله كثير في التفسير ، وهو مروي بالأسانيد الصحاح لا يشك في ذلك " (٢) .

وقد تناقل المؤرخون أن آخر ما تلفظ به الزجاج وهو على فراش الموت : " اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل " (٣) ، وهذا يدل على اعتزازه بهذا الإمام .

ومن صفات الزجاج الواضحة في (معاني القرآن) توقيره للقرآن الكريم ، فهو يربأ به أن يجوز فيه كل ما يجوز في الكلام من أوجه الإعراب، وملاك ذلك عنده أنه "لا يتخير لكتاب الله عز وجل إلا اللفظ الأفضل والأجزل " (٤) ، وكثيرا ما نهى عن القراءة بأوجه سائغة في اللغة إلا بعد التثبت من ورودها في القراءة لأن القراءة سنة متبعة .

ومنها حرصه على تنبيه القارئ والدارس إلى الفوائد الأخروية التي تثقل ميزان الحسنات وتبلغ المؤمن رفيع الدرجات ، ومن شواهد ذلك قوله عن الدعاء الوارد في قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (٥) : " روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل قال في كل فصل من هذا الدعاء : (فعلت) أي استجبت ، فهو من الدعاء الذي ينبغي أن يحفظ وأن يدعى به كثيرا " (٦) ، وقوله عند تفسير قوله تعالى : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (٧) : " روي عن ابن عمر أنه اشترى جارية كان هويَها ، فلما ملكها أعتقها ولم يصب منها ، فقيل له : أعتقتها بعد أن كنت هويتها ولم تصب منها ؟ فتلا هذه الآية : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وفعل ابن عمر هذا ينبغي أن يقتدي به الناس في أن لا يضنوا بجليل ما يملكونه في التقرب به إلى الله تعالى " (٨) ، وهذا وغيره يدل على استقامته في نفسه وإنابته وإيثاره الآخرة .

ومن الصفات التي تحمد للزجاج حبه للعلم ، وحكايته مع المبرد التي تقدمت تدل هي وغيرها على شدة حرصه في طلب العلم إذ كان ينفق فيه ضعف ما كان يحتجز

---

(١) يونس /٢٦ . (٢) معانيه ١٥/٣ . (٣) انظر معجم الأدباء ١٣٠/١، وبغية الوعاة ٤١٣/١.

(٤) معانيه ٨/١ . (٥) البقرة /٢٨٦. (٦) معانيه ٤٥٢/١.

(٧) آل عمران /٩٢. (٨) معانيه ٤٥٢/١.

لقوته وعيشه ، وهو يفسر به دعوة الله ورسوله في قوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (١) فيقول : " أي : لما يكون سببا للحياة وهو العلم " (٢) .

ومنها الاعتراف بالفضل لأهله ، ولهذا ترك حلقة ثعلب ولزم حلقة المبرد بعد أن تبين له فضل المبرد وسعة علمه ، وهو في المعاني يشيد بالسلف ويعترف بفضلهم ويصفهم بأنهم القدوة (٣) ويعتمد كثيرا على أقوالهم في التفسير والتأويل .

جهوده العلمية ومكانته :

الزجاج شخصية علمية لها وزنها ومكانتها في مجال اللغة والنحو وغيرهما من علوم العربية ، وهو أستاذ لنخبة ممتازة من علماء العربية الذين حملوا لواءها ووضعوا لبنات كثيرة في صرحها الشامخ ، وهو قبل ذلك وبعده صاحب المؤلفات الجيدة التي أشاد بفضلها العلماء .

ويستفاد من الروايات أنه بدأ دراسته النحوية بدراسة النحو الكوفي في حلقة ثعلب، واجتهد في هذه الدراسة حتى أصبح جديرا بأن يختاره شيخه لمناظرة منافسه المبرد ، وقد سبق أن ذكرنا أنه لما ذهب لمناظرة المبرد كان قد أتم السابعة عشرة أو جاوزها بقليل ، وذلك يعني أن نضجه العلمي كان مبكرا .

ثم كان التقاء الزجاج بالمبرد عندما ذهب لفض حلقته بإيعاز من شيخه ثعلب ، فلما لقي عنده علما وفضلا فارق مجلس ثعلب وتتلمذ على يديه ، وظل ملازما له حتى برع من بين أصحابه وانتهت إليه رئاسة النحويين البصريين بعد وفاته ، وسبقت تلك الرئاسة إرهاصات تشير إلى وقوعها منها أن المبرد كان يراه أهلا للتدريس والتصدر ، فلما طلب منه معلم لأبناء بعض بني مارقة أسماه لهم وأحاله عليهم (٤) ، وكذلك عندما طلب منه مؤدب للقاسم قصر معرفته على الزجاج (٥) ، وعندما طلب المعتضد من يفسر كتاب (جامع النطق) قال المبرد:"إنه كتاب طويل يحتاج إلى تعب وشغل ... وإن دفعتموه إلى صاحبي إبراهيم بن السري رجوت أن يفي بذلك " (٦) .

(١) الأنفال /٢٤ . (٢) معاني الزجاج٢/٤٥٢. (٣) المصدر نفسه ٢/١٤٣ .

(٤) إنباه الرواة١/١٦٣ومعجم الأدباء ١/١٣١. (٥) انظر إنباه الرواة١/١٧٠ومعجم الأدباء ١/١٣٢.

(٦) الفهرست /٩٠ ، ومعجم الأدباء ١/١٤٩ .

وكان المبرد لا يقرئ أحدا كتاب سيبويه حتى يقرأه على الزجاج أولا [١] ، وعندما قصد مبرمان ابن كيسان ليقرأ عليه الكتاب امتنع وقال له : اذهب به إلى أهله يعني الزجاج [٢] ، وذلك وغيره يدل على تمكن الزجاج من الكتاب وأنه أتقنه ووعاه.

وقد اعترضه أبو علي [٣] في حكايته عن سيبويه قولين في اشتقاق لفظ الجلالة ، ووصف ما حكاه بأنه سهو وغلط ، ورد عليه ابن خالويه بأنه قد صح القولان عن سيبويه ، ولا ينكر أنْ تكون الحكاية قد ثبتت عند الزجاج برواية له عن سيبويه من غير جهة كتابه، فلا يكون حينئذ سهوا وغلطا ، وتبين أن سيبويه ذكر الاشتقاقين في الكتاب [٤] ، وذلك يدل على تمكن الزجاج منه وأن أبا علي كان في بعض نقده للزجاج متحاملا عليه .

وكما تتلمذ الزجاج على كتاب سيبويه تتلمذ على مؤلفات غيره من المتقدمين كالأخفش وقطرب وأبي عبيدة والفراء ، ولم يقتصر علمه على الجانب اللغوي والنحوي بل كان على قدم في المعارف الدينية ، وفي معانيه ما يشهد بتضلعه من علم الفقه [٥] وأنه شدا الكثير مما يشمله علم التفسير ، وهو يذكر في المعاني أقوالا لابن عباس وابن مسعود والشعبي وغيرهم من مفسري الصحابة والتابعين ، وكلامه في توجيه قوله تعالى : ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [٦] يوحي بسعة اطلاعه على ما تقدمه من مؤلفات العلماء في تفسير القرآن .

وقد روي عن الزجاج شعر قليل [٧] وهذا يدل على أنه كانت لديه ملكة نظمه ، وقد قويت هذه الملكة بما كان عنده من بصر بالعروض [٨] ورواية للأشعار والأخبار .

شيوخه :

المشهور عند الباحثين منهم شيخان هما ثعلب والمبرد .

(أ) أما ثعلب فهو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار مولى بني شيبان ، ولد ببغداد سنة ٢٠٠هـ وكانت له رئاسة الكوفيين من طبقته ، وله مؤلفات كثيرة منها :

---

(١) طبقات الزبيدي /١١٩ ، وإنباه الرواة ٣/٢٥٠ .

(٢) طبقات الزبيدي /١٧١ . (٣) انظر المسألة الأولى في الإغفال ١/٣٨-٧٢ .

(٤) انظر فهارس كتاب سيبويه ودراسة له /١٤ ، ١٥ .

(٥) انظر معانيه ١/٢٩٢-٢٩٤ ، ٢٩٦-٢٩٩ ، ٢/٢٥ ، ٥٨ ، ١٠٦ ، ٤٥٨-٤٦٠ .

(٦) انظر معانيه ١/٣٣٦ ، ٣٣٧ . (٧) معجم الأدباء ١/١٤٧ ، وإنباه الرواة ١/١٦٣ .

(٨) معانيه ٢/٢٢٥ .

اختلاف النحويين ، وما ينصرف وما لا ينصرف ، والفصيح ، وهو الذي نقده الزجاج فأورد عليه عشرة مآخذ ، ومنها : معاني القرآن ، وإعراب القرآن ، وغريب القرآن، والوقف والابتداء، وكتاب القراءات، توفي ببغداد سنة ٢٩١هـ [(١)].

(ب) وأما المبرد فهو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، ولد بالبصرة سنة ٢١٠هـ وانتهت إليه رئاسة البصريين ، وكانت بينه وبين ثعلب منافسة أشرنا إليها فيما سبق ، ومن مؤلفاته المقتضب ، وشرح شواهد سيبويه والرد عليه ، وطبقات النحويين البصريين وأخبارهم ، والكامل ، ونسب له السيوطي وابن النديم معاني القرآن وإعراب القرآن ، ونسب له القفطي وابن النديم أيضا احتجاج القراءة ، وكتاب الحروف ، ومعاني القرآن إلى طه ، وكتاب ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه في القرآن ، توفي ببغداد سنة ٢٨٥هـ [(٢)] .

هذا ، وقد رأيت في معاني الزجاج ما هو صريح في أن الزجاج تلقى عن إسماعيل ابن إسحاق القاضي المتوفى سنة ٢٨٢هـ كقوله : " هذا سمعته من إسماعيل بن إسحاق القاضي رحمه الله " [(٣)] ، وقوله : " أخبرني إسماعيل بن إسحاق " [(٤)]، وجاء في مقدمة كتاب سيبويه رواية عنه يقول فيها : " حدثني القاضي إسماعيل بن إسحاق "[(٥)]، وكان إسماعيل هذا من أعلام القضاة ببغداد ، واسمه إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي ، وكنيته أبو إسحاق ، وأصله من البصرة وبها نشأ ، وكان مولده سنة ٢٠٠هـ ، ومن مؤلفاته : كتاب القراءات ، وكتاب أحكام القرآن ، وكتاب معاني القرآن وإعرابه خمسة وعشرون جزءا ، ويذكر أن هذا الكتاب ابتدأه أبو عبيد القاسم بن سلام وبلغ فيه إلى الحج والأنبياء ثم تركه تنفيذا لأمر الإمام أحمد بن حنبل فأخذه إسماعيل وزاد فيه زيادة وانتهى إلى حيث انتهى أبو عبيد [(٦)] .

---

(١) انظر ترجمته في إنباه الرواة ١/١٣٨-١٥١، ومعجم الأدباء ٥/١٠٢-١٤٦ ، وبغية الوعاة ١/٣٩٦-٣٩٨ ، ووفيات الأعيان ١/٨٤-٨٧ .

(٢) انظر ترجمته في بغية الوعاة ١/٢٦٩-٢٧١ وإنباه الرواة ٣/٢٤١-٢٥٣ والفهرست /٨٧ ، ٨٨ .

(٣) معاني الزجاج ١/٩٦ .

(٤) المصدر السابق ١/١٩٧ .

(٥) مقدمة الكتاب ١/٧(هارون) .

(٦) انظر معجم الأدباء ٦/١٢٩ ، وبغية الوعاة ١/٤٤٣ .

تلاميذه :

تلقى العلم على الزجاج طائفة من النابهين أشهرهم :

١ـ **ابن ولاد** : وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد ولاد النحوي التميمي المصري المتوفى سنة ٣٣٢هـ خرج إلى العراق ، وسمع من أبي إسحاق الزجاج وطبقته ، ورجع إلى مصر وأقام بها يفيد ويصنف إلى أن توفي بها ، وكان ممن أتقن الكتاب على الزجاج وفهمه ، وكان أبو إسحاق يسأله عن مسائل فيستنبط لها أجوبة يستفيدها أبو إسحاق منه ، وقد كان أملى كتابا في معاني القرآن وتوفي ولم يخرج منه إلا بعض سورة البقرة [(١)] .

٢ـ **الزجاجي** : وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق الملقب بالزجاجي لملازمته للزجاج ، وهو وأبو علي من أشهر تلاميذ الزجاج ، ولذا اقتصر على ذكرهما بعض المؤرخين كأبي الفداء [(٢)] وابن خلكان [(٣)] ، قدم بغداد فقرأ على الزجاج ، وسمع أيضا من ابن السراج والأخفش ، وسكن دمشق وانتفع الناس بعلمه ، وله مؤلفات أشهرها كتاب الجمل والأمالي الصغرى والوسطى والكبرى ، توفي سنة ٣٣٧هـ وقيل سنة ٣٣٩ هـ وقيل سنة ٣٤٠هـ [(٤)] .

٣ـ **ابن النحاس** : وهو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس النحوي المصري ، رحل إلى العراق وسمع من الزجاج وأخذ عنه النحو ، كما تلقى عن الأخفش الصغير ونفطويه وابن الأنباري وغيرهم ، وله مصنفات منها : إعراب القرآن ، روى فيه كثيرا عن الزجاج ، وينسب إليه أيضا كتاب (معاني القرآن) ، قال القفطي : " وهما كتابان جليلان أغنيا عما صنف قبلهما في معناهما " ، وذكر له ابن خلكان كتاب تفسير القرآن الكريم ، ومن مؤلفاته أيضا : كتاب المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين ، توفي بمصر سنة ٣٣٧هـ وقيل سنة ٣٣٨هـ [(٥)] .

٤ـ **مبرمان** : وهو أبو بكر محمد بن علي بن إسحاق العسكري ، سمع من المبرد وأكثر من الأخذ عن الزجـاج وكان إماما في النحـو قيّما به ، ومن مؤلفاته : شـواهد سيبويه ،

---

(١) إنباه الرواة ٩٩/١ ، وبغية الوعاة ٣٨٦/١ .
(٢) البداية والنهاية ٤٩/١١ .
(٣) وفيات الأعيان ٣٣/١ .
(٤) إنباه الرواة ١٦٠/٢ وبغية الوعاة ٣٦٢/١ ونزهة الألباء /٣٠٦ ووفيات الأعيان ٣١٧/٢ .
(٥) إنباه الرواة١٠١/١ وطبقات الزبيدي/٢٣٩.

وشرح كتاب سيبويه ولم يتم، وشرح كتاب الأخفش، توفي سنة ٣٤٥هـ [١] .

٥ـ **أبو علي الفارسي** : وهو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ، ورد بغداد فأخذ النحو عن الزجاج وغيره ، ثم طار صيته في الأقطار الإسلامية ورفع من شأن المذهب البصري فاتصل بملوكها ، ونال الزلفى عند سيف الدولة الحمداني ، ثم عند عضد الدولة البويهي ، وكان ذا شخصية مستقلة في تناوله للنحو مع كونه يصرح في مؤلفاته بانتمائه إلى البصريين ، وله مصنفات عديدة أهمها : كتاب الحجة في علل القراءات السبع ، وكتاب الإيضاح الذي شرحه الشيخ عبد القاهر الجرجاني في (المقتصد) ، والمسائل الحلبيات ، والمسائل البغداديات ، والمسائل الشيرازيات ، والإغفال ، والتذكرة ، والتكملة ، وقد توفي بعد حياة حافلة بالدراسة والتأليف ببغداد سنة ٣٧٧هـ عن نيف وتسعين سنة.

٦ـ **الرماني** : وهو أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرماني النحوي المتكلم ، ولد ببغداد سنة ٢٩٦هـ ونشأ بالرمان بمدينة واسط ثم وفد إلى بغداد فأخذ عنه الزجاج وابن دريد وابن السراج وغيرهم ، كان إماما في علم العربية مع ميل إلى الفلسفة لاعتزاله ، وظهر ذلك في دراسته وتأليفه ، وكان أهل عصره يقولون : النحويون في زماننا ثلاثة : واحد لا يفهم كلامه وهو الرماني ، وواحد يفهم بعض كلامه وهو أبو علي الفارسي ، وواحد يفهم جميع كلامه بلا أستاذ وهو السيرافي ، ومن مؤلفات الرماني : شرح كتاب سيبويه ، وشرح مقتضب المبرد ، وشرح أصول ابن السراج ، وتفسير القرآن المجيد ، وإعجاز القرآن ، والألفات في القرآن ، وشرح معاني الزجاج ، توفي سنة ٣٨٢هـ وقيل سنة ٣٨٤هـ [٢] .

هل كان ابن السراج من تلاميذ الزجاج ؟

عد بعض الباحثين المعاصرين [٣] أبا بكر بن السراج من تلاميذ الزجاج ، وهذا خطأ منه ، ولم يصرح أحد من المؤرخين بذلك ولا أشار إليه ، فابن السراج ليس من تلاميذ الزجـاج ، بل هو من طـبقته ونظيره في التلقي عن المـبرد والتدريس لأبي علي الفارسي،

(١) بغية الوعاة ١/١٧٥ والوفيات ١/٨٢ ومعجم الأدباء ١٨/٢٥٤-٢٥٧ .

(٢) بغية الوعاة ٢/١٨٠ ومعجم الأدباء ١٤/٧٣ ووفيات الأعيان ٢/٤٦١ .

(٣) انظر مقدمة (ما ينصرف وما لا ينصرف) ص١٨ تحقيق هدى قراعة .

ولعل الذي أوقع الباحث في هذ الخطأ ما ذكره في ترجمته لابن السراج من أنه سئل عن مسألة بحضرة الزجاج فأخطأ في جوابها فوبخه الزجاج وقال : مثلك يخطئ في هذه المسألة ؟ وهذا الذي ذكره الباحث صحيح أورده ابن النديم [١] والسيوطي [٢] ، وسياق الحكاية التي ورد فيها ذلك يشعر بأن الزجاج وابن السراج كانا ندين ونظيرين وصديقين تجمعهما التلمذة على شيخهما المبرد والتنافس ، وقد وقعت هذه الحادثة بعد انقطاع ابن السراج عن دراسة النحو واشتغاله بالموسيقى ، وكانت في مجلس ود يجمع الصديقين ، فقد جاء فيما أثبته ابن النديم قول ابن درستويه : " ورأيت ابن السراج يوما وقد حضر عند الزجاج مسلما عليه بعد موت المبرد فسأل رجل الزجاج عن مسألة فقال لابن السراج : أجبه يا أبا بكر فأجابه فأخطأ فانتهره الزجاج ، وجاء فيما أثبته هو والسيوطي أن الزجاج قال له : والله لو كنت في منزلي لضربتك ولكن المجلس لا يحتمل ذلك ، وما زلنا نشبهك في الذكاء بالحسن بن رجاء ، فقال له ابن السراج : قد ضربتني يا أبا إسحاق وكان علم الموسيقى قد شغلني . على أنا وجدنا في كلام ابن السراج مما نقله أبو علي عنه نقولا عن الزجاج ، وصدر ابن السراج بعضها بقوله :" قال بعض أصحابنا " ، ولو كان الزجاج شيخا له لما عبر بذلك .

مؤلفات الزجاج :

أتحف الزجاج المكتبة العربية بمؤلفات عديدة في اللغة والنحو وسائر علوم العربية، ومن هذه المؤلفات ما هو موجود بين أيدينا ، ومنها ما فقد ولم يعثر عليه إلا أنه ظل مسجلا في كتب التراجم وغيرها [٣] ، ومن مؤلفاته الموجودة بين أيدينا :

١ـ كتاب (معاني القرآن) وهو أشهر مؤلفاته ، وسيأتي التعريف به .

٢ـ كتاب (ما ينصرف وما لا ينصرف) ، وهو محقق مطبوع ، وسيأتي التعريف به.

٣ـ كتاب (فعلت وأفعلت) وهو مطبوع .

٤ـ كتاب (خلق الإنسان) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية .

٥ـ (المؤاخذات على فصيح ثعلب) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ، ونقله ياقوت

---

(١) الفهرست /٩٢ .   (٢) بغية الوعاة ١/١٠٩ ، ١١٠ .

(٣) انظر الفهرست /٩١ ومعجم الأدباء ١/١٥١ وإنباه الرواة ١/١٦٥ ووفيات الأعيان ١/٣٢ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/١٧١ والمغني ١/١٢٠ ومشكل إعراب القرآن لمكي ١/٧ والخزانة١/٢٥ ، ٢٦ .

في معجم الأدباء [١] .

هذا ، وذكر بروكلمان [٢] أن للزجاج كتابا يسمى (الإبانة والتفهيم عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم) ، وذكر أنه موجود في مكتبة جوتا برقم ٧٢٧ ، وذكر أيضا صاحب كتاب (أبو علي الفارسي) أن أبا علي روى ذلك الكتاب عن الزجاج [٣] .

ثانيا : التعريف بكتاب (معاني القرآن) للزجاج :

يعد كتاب (معاني القرآن) أهم كتب الزجاج وأكثرها فائدة ، ولهذا اقتصر على ذكره دون سائر كتب الزجاج بعض المؤرخين كأبي الفداء [٤] وابن الأثير [٥] ، ويرى بعض الباحثين [٦] أن اسمه الكامل هو (معاني القرآن وإعرابه) ، وفي تقديم الزجاج لهذا الكتاب ما يفيد أنه في (إعراب القرآن ومعانيه) [٧] ، ورأيت في كلام الزجاج ما يؤيد ذلك كما سيأتي في بيان دواعي تأليفه .

وهو صورة دقيقة لمذهب الزجاج النحوي وثقافته العربية ، وتعبير عن مدرسة البصرة النحوية وترسيخ لمصطلحاتها وأصولها وحديث عن أئمتها السابقين ، ونقاش ورد في كثير من الأحيان لآراء أئمة الكوفة [٨] .

ويستفاد مما أورده ياقوت [٩] أن الزجاج استغرق في تأليفه نحو ستة عشر عاما ، وأنه فرغ من تأليفه قبل وفاته بنحو عشرة أعوام ، فقد بدأ بإملائه في صفر سنة ٢٨٥هـ وأتمه في ربيع الأول سنة ٣٠١هـ ، وهذا التاريخ يرشدنا إلى الحقائق التالية :

١ـ أن هذا الكتاب مؤلف بعد مضي أكثر من قرن على بداية التأليف في معاني القرآن، إذ أن أقدم من نسبت إليه كتب الطبقات هذا النوع من التأليف هو أبو جعفر الرؤاسي الذي كان أستاذا للكسائي المتوفى سنة ١٨٩هـ في عهد الخليفة الرشيد (ت سنة ١٩٣هـ) ، كذلك نسبت تلك الكتب ليونس بن حبيب البصري

---

(١) انظر ج١ ص١٣٩-١٤٣ . (٢) تاريخ الأدب العربي ١٧٢/٢ .

(٣) أبو علي الفارسي/٩٢، ١١٨، ١١٩. (٤) البداية والنهاية ١٤٨/١١ . (٥) الكامل ١٧٦/٦ .

(٦) هو محقق المعاني، انظر ص ج من المقدمة بالجزء الأول من معاني القرآن وإعرابه للزجاج .

(٧) انظر الورقة الأولى بالنسخة ٤٦٧ تفسير طلعت ومعاني الزجاج المطبوع ١/١ .

(٨) انظر النحو وكتب التفسير ٢٥٠/١ (رسالة) . (٩) معجم الأدباء ١٥١/١ .

أنه ألف معاني القرآن وقد كان معاصرا للرؤاسي وتوفي بالبصرة سنة ١٨٢هـ .

٢ـ أنه ألف عندما كانت العصبية بين مدرستي البصرة والكوفة آخذة في الاضمحلال، وبعد أن استقرت المدرسة البصرية ووضحت معالمها وتمكنت مصطلحاتها وارتفع شأن أئمتها وتعددت مؤلفاتهم ، وهو يعد بحق مرآة صادقة للفترة التي ألف فيها.

٣ـ أنه ألف في أواخر حياة الزجاج في وقت كان فيه إماما للمدرسة البصرية بعد وفاة أستاذه المبرد سنة ٢٨٥هـ وتصدر فيه للتدريس لأبي علي الفارسي وأضرابه ، وقد كان لذلك أثره البين في الإجادة والإتقان لا سيما إذا تذكرنا أن حياة الزجاج امتدت في أزهى عصور الازدهار العلمي الحافلة بالإنتاج الجيد، وأنه سبق بالتأليف في هذا المجال من علماء مدرستي البصرة والكوفة.

٤ـ أنه ألف في وقت ظهرت فيه الحاجة الملحة إلى تحديد القراءات القرآنية وتمييزها وضبط مسائلها وتحري القول فيها ، واتجه العلماء إلى تحقيق ذلك كما فعل معاصره شيخ القراء ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤هـ [١] ، وقد ألف في ذلك كتاب السبعة وكتابا آخر في القراءات الشاذة ، والزجاج ـ كما يبدو ـ سار في هذا الاتجاه كما سار فيه الفراء وغيره قبله ، فجاء كتابه معنيا بذكر القراءات والاحتجاج لها وإن لم يكن معنيًّا باستقصائها .

دواعي تأليفه :

لم يذكر الزجاج في الكلمة القصيرة التي قدم بها الكتاب شيئا من الأسباب التي دعته إلى تأليفه ، لكنه أفاد في تلك الكلمة وفي بعض كلامه أن مقصده الأول هو إعراب القرآن وخدمته من الجانب اللغوي والنحوي ، ويلي ذلك من المقاصد التفسير وبيان المعاني ، فهو يقول : " وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير لأن كتاب الله ينبغي أن يتبين ، ألا ترى أن الله يقول : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [٢] فحضضنا على التدبر والنظر ، ولكنه لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة أو ما يوافق ما نقله أهل العلم " [٣] ، ويقول في موضع آخر : " وهذا الباب فيه صعوبة ، إلا أن كتابنا هذا يتضمن شرح الإعراب والمعاني ، فلا بد من استقصائها على حسب ما يعلم " [٤] .

---

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء ٥/٦٥-٧٣ . (٢) النساء /٨٢ والقتال /٢٤ .
(٣) معانيه ١/١٦١ ، ١٦٢ . (٤) معانيه ١/١٨٦ .

ويلحظ أن المقصود بالإعراب عند الزجاج معناه الواسع ، فهو يشمل كل ما يحتاج إليه النص من بيان لغوي ونحوي ، بل إنه يتجاوز ذلك إلى الغوص في مسائل الخلاف النحوية وتقرير أدلتها ، ويدخل في ذلك أيضا توجيه القراءات والاحتجاج لها والموقف منها تأييدًا ونقدًا [1] .

ويتبين لمطالع الكتاب والمتأمل فيه أن الزجاج قصد بتأليفه أيضا إلى أمرين :

أولهما : نشر المذهب البصري وبسط أصوله وقواعده، مع الاجتهاد والنظر المستقل .

والآخر : تعقب المذهب الكوفي وبيان أوجه القصور والخطأ فيه ، لا سيما أنه درس هذا المذهب على يد أستاذه ثعلب وعرف ما فيه من ثغرات .

ولم يقتصر على ما تقدم من الأهداف التي تخدم علم العربية وإنما قصد أيضا إلى الدفاع عن الإسلام والدعوة إليه وتثبيت دعائمه ، فهو يؤكد كثيرا أن كتابه الأول وهو القرآن الكريم وحي من عند الله تعالى ، وأن ما ورد فيه من أخبار السابقين يصدق ذلك ويؤكده كما يؤكد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان أميا لم يطلع على كتب السابقين [2] ، وتقدم حديثنا عن توقير الزجاج للقرآن وحرصه على تنبيه القارئ إلى الفوائد الأخروية التي تثقل ميزان الحسنات وتبلغ بالمرء رفيع الدرجات [3] ، ومن مظاهر حرصه على ذلك في نفسه اختياره للقراءة بإثبات الياء في قوله تعالى : ﴿**اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**﴾ [4] ؛ لأنه ـ كما يقول ـ أقوى في العربية وأجزل في اللفظ وأتم للثواب ؛ لأن القارئ يجازى على كل ما يقرؤه في كتاب الله بكل حرف حسنة [5] .

وصف نسخ المعاني وبيان أهميته :

ظل هذا الكتاب في قائمة المخطوطات حتى عام ١٩٧٢م عندما اتجه الدكتور/ عبد الجليل عبده شلبي لتحقيقه وطبعه فأخرج منه جزءين :

الجزء الأول: يبدأ بالفاتحة وينتهي بآخر سورة آل عمران،وقد تم طبعه سنة ١٩٧٣م.

والثاني : يبدأ بأول سورة النساء وينتهي بآخر سورة التوبة ، وتم طبعه سنة ١٩٧٤م.

ثم أخرجه بعد ذلك كاملا حيث طبع ببيروت عام ١٩٨٨م بمطابع عالم الكتب .

---

(١) النحو وكتب التفسير ٢٥٣/١ (رسالة) .

(٢) انظر المعاني ٧٦/١ ، ١٢٢، ١٥٤، ٣١٨، ٣٣٧، ٤٢٧، ٨٧/٢، ١٧٩.

(٣) انظر ما تقدم (٤) البقرة /٤٠. (٥) معانيه ٨٩/١ .

وفي دار الكتب المصرية منه نسختان مخطوطتان :

أولاهما : برقم ٤٦٧ تفسير طلعت، وتقع في ٢٥٠ ورقة تبدأ بسورة الفاتحة وتنتهي بتوجيه قوله تعالى:﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾في سورة الأنعام[1].

والثانية : برقم ١١١ تفسير م وتقع في ٢١٢ ورقة وتبدأ بأول سورة النساء وتنتهي بتوجيه قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ في سورة هود[2].

وفي معهد إحياء المخطوطات بمصر سبع نسخ مخطوطة مصورة بالميكروفيلم ، وهي النسخ من ٢٤٦ إلى ٢٥٢ تفسير ، وتشمل القرآن الكريم كله بمجموعها .

ويبدو أن الزجاج أملى هذا الكتاب ودرسه غير مرة ، ويبرز هذا الاحتمال أن بعض نسخه ـ كما قال محققه ـ يختلف عن سائرها بتقديم بعض العناصر أو الآيات وتغيير كثير من الألفاظ والعبارة ، ويبدو ـ كما قال أيضا ـ أن الكتاب تدوول كثيرا، ويدل على ذلك اختلاف كتابة النسخ التي وصلت إلينا ، ولقد كان مثار نشاط فكري وعلمي منذ تأليفه ، فكان الزجاج يدرسه لتلاميذه ومنهم ابو علي الفارسي الذي استوعبه ثم ألف كتابا في الاستدراك عليه وهو الإغفال أو المسائل المصلحة في معاني الزجاج ، ورد ابن خالويه نقد أبي علي في كتاب ألفه سماه : (الهاذور) ، ودفع ذلك أبا علي إلى تأليف نقض الهاذور يرد فيه على ابن خالويه ، ولم يقتصر تأثير معاني الزجاج على ذلك بل كان له أثر ظاهر ملموس في كتب التفسير وإعراب القرآن التي جاءت بعد عصر الزجاج وأبي علي .

ثالثا : التعريف بكتاب (ما ينصرف وما لا ينصرف) للزجاج :

الباعث على تاليفه ، وما يشتمل عليه من أبواب :

الذي يبدو من تقديم الزجاج لكتابه هذا أن باعثه على تأليفه هو شرح قول سيبويه : " التنوين علامة الأمكن عندهم والأخف عليهم " ، فهو يقول بعد أن ذكر عبارة سيبويه تلك: " وهذا موضع من الكتاب في شرحه شرح أصل المعرب كله، وذلك أن في قوله :

(١) آية ١٤ .

(٢) آية ٩٤ .

" علامة للأمكن عندهم " فائدة ليست في قوله : " علامة للمتمكن " ... إلى أن يقول : " إلا أن بعض المتمكنة أشد تمكنا من بعض ، فأعلمك أن التنوين علامة لأمكن الأشياء عندهم ، وقد يكون متمكن لا تنوين فيه فيترك التنوين في المتمكن الذي هو ثقيل عندهم ، وذلك كل ما لا ينصرف غير منون ليفصل به بين المستوفى التمكن وبين الناقص التمكن " .

ثم يشرع بعد ذلك في تعليل امتناع الخفض فيما لا ينصرف ، ولماذا أبدل من الكسر الفتح ، ثم في بيان ما يدخل الاسم من تفريع يخرجه من أصل التمكن ، ويذكر جهات التفريع على سبيل الإجمال ، ثم يفصل القول فيها في سائر الكتاب .

والكتاب يشتمل على تسعة وثلاثين بابا تغطي أحكام ما لا ينصرف ، إلا أن بعض هذه الأبواب يمكن عدها من قبيل الاستطراد ، وإن كانت لا تخلو من حكم يتعلق بها في باب ما لا ينصرف ، ومنها : باب ذكر الأسماء المبهمة ، وباب الظروف المبهمة ، وباب الألقاب ، وباب الاسمين اللذين ضم أحدهما إلى الآخر فجعلا اسمًا واحدًا ، وباب الحكاية بالتسمية .

نهج الزجاج فيه :

ذكرت محققة كتاب (ما ينصرف وما لا ينصرف) جملة أمور تبين نهجه في ذلك الكتاب تتلخص فيما يلي [1] :

أولا : أنه يورد في كتابه ذلك آراء النحويين في المسألة التي يبحثها مع تيسير وشرح لما غمض من كلامهم ، وإذا أراد تصويب شيء منه تأدب في عرض ذلك التصويب .

ثانيا : أنه كثيرا ما يستحسن بعض الآراء ، ويختار ما يراه صوابا ، فتبدو شخصيته النحوية متميزة ، وذلك حيث يقول مثلاً : "وهذا القول هو الذي أختار" ، أو "كلاهما عندي مذهب" ، أو "فهذا إجماعهم، والذي أراه ..." ، فهو يصدر في اختياره عن اقتناع بالرأي الذي يختاره .

ثالثا : أنه قد ينفرد برأي في المسألة فيعلل لذلك ، كما في مسألة إيجابه منع صرف العلم الثلاثي الساكن الوسط [1] .

رابعا : أن الكتاب تبدو فيه ظاهرة تفصيل المجمل وتصنيفه من خلال طريقة عرض

(١) انظر مقدمة المحققة ص٢٧ ، ٢٨ .

الزجاج لمفردات مسائله وجزئياتها .

خامسا : أن هذا الكتاب تبدو فيه ظاهرة اهتمامه بالاشتقاق ، إذ أورد كلمة الاشتقاق اثنتين وعشرين مرة على الرغم من صغر حجمه ، كما أنه أكثر فيه من شرح الكلمات الغريبة أو المبهمة .

ويمكن أن نضيف إلى ذلك عناية الزجاج بالاستشهاد لمسائل هذا الكتاب ، فقد ورد فيه أربعة وعشرون شاهدا من القرآن الكريم ، وأربعة وسبعون شاهدا من الشعر العربي الفصيح .

ما يؤخذ عليه :

هذا ، ويؤخذ على الزجاج في كتابه هذا أمران :

الأول : أنه في بعض نقوله عن الكتاب لا يذكر نص سيبويه ، وإنما ينقل عن كتاب سيبويه بالمعنى دون النص مع أنه يصدر ذلك بلفظ " قال سيبويه " .

والثاني : أنه أحيانا يكتفي بالنقل عن سيبويه دون تعليق أو شرح أو تعقيب ، وهذا كثير .

وإليك نموذجا يدل على أنه ينقل عن كتاب سيبويه أحيانا بالمعنى دون النص ، فهو يقول : " قال سيبويه : وسألت الخليل عن المران ، فقال : إن سميت رجلا مرانا صرفته ؛ لأن مرانا فُعَال من المرونة ـ وهو اللين ـ فالنون فيه من نفس الكلمة ، ومن بنى (مران) من الشيء المر لم يصرفه في المعرفة وصرفه في النكرة " ، والنص الوارد في الكتاب : " وسألت الخليل عن رجل يسمى (مرّانا) فقال : أصرفه ؛ لأن المرّان إنما سمي للينه ، فهو فُعَّال كما يسمى الحمّاض لحموضته ، وإنما المرانة اللين " .

(١) انظر ما لا ينصرف ص٥٠ .

الفصل الأول

الكلمة والكلام والكلم

معنى الكلمة :

ذكر الزُّجَّاج في توجيه قوله تعالى : ﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ (١) أنَّ الكلمة قد تُطلَق ويُراد بها الكلام ، وهذا نصُّ عبارته :

" معنى (السواء) معنى عدل ، ومعنى (كلمة) : كلام فيه شرح وقصَّة وإن طال ، وكذلك يقول العرب للقصيدة : كلمة .

يُروى أنَّ حسَّان بن ثابت الأنصاري كان إذا قيل له : أنشد ، قال : هل أنشدت كلمة الحويدرة ؟ (٢) يعني قصيدته الَّتي أوَّلُها :

بكرتْ سميَّة بكرةً فتمتَّعي (٣) ... " (٤) .

تنوين العوض :

ذكر الزجاج في كتاب ما ينصرف تنوين العوض في نحو جوارٍ ، وذلك في باب عنوانه : باب الياءات والواوات اللاتي هن لامات في ما ينصرف وما لا ينصرف ، ومما ورد في هذا الباب قوله : " اعلم أن جميع هذا الباب إذا لم ينصرف مثاله من الصحيح فذلك المثال من المعتل مصروف في الرفع والجر ، وذلك نحو (قواضٍ) و(دواعٍ) ، وكذلك (عذارٍ) و(صحارٍ) .

فإذا كان في حال النصب امتنع من الصرف فقلت : رأيت قواضيَ ودواعيَ ، وهؤلاء

---

(١) آل عمران /٦٤ .

(٢) الحويدرة : شاعر جاهلي مضري من قيس عيلان غلب عليه هذا اللقب ، انظر : الأغاني ٧٣/٣ .

(٣) عجزه : وغدت غدوَّ مفارقٍ لم تربعِ ، انظر : الخزانة ٤٣٧/٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤٢٤/١ ، ٤٢٥ .

عذارٍ وصحارٍ مصروف ، ورأيت صحاريَ وعذاريَ غير مصروف .

قال سيبويه [1] : " إن التنوين دخل هذا الباب عوضًا من الياء " ، يريد حركة الياء فيما أحسب .

وقال محمد بن يزيد : التنوين عندي عوض من حركة الياء لا غير ، وذلك أن الياء كان يجب أن تكون في هذا الباب ساكنة غير محذوفة .

الأصل في هذا عند النحويين : جواريٌ بضمة وتنوين ، ثم يحذف التنوين لأنه لا ينصرف فيبقى : جواريُ يا هذا ، بضمة الياء ، ثم تحذف الضمة لثقلها مع الياء فيبقى (جواري) بإسكان الياء ، ثم تدخل التنوينة عوضًا من الضمة فيصير (جواريْن) ، فتحذف الياء لسكونها وسكون التنوين ، فيبقى (جوارٍ) " [2] .

ثم قال في آخر هذا الباب : " وقال سيبويه [3] : ما كان مثل عذارى ومدارى وصحارى فإنك تمنعه الصرف ولا تنون ؛ لأن الياء انقلبت ألفًا فلم يجز أن تقول عذارًا، ومدارًا فتأتي بالنون عوضًا ؛ لأن الألف انقلبت من الياء وثبتت الألف فلم تأت بالتنوين عوضًا من الياء .

ومن قال إن التنوين عوض من الحركة أيضًا لم يلزمه أن يدخل التنوين في (عذارَى) و(مدارَى) ؛ لأن الحركة لم تثبت قط مع هذه الألف ، لأن الألف لا تكون إلا ساكنة ، والحركات كلها تدخل الياء ، فلذلك صار التنوين عوضًا من الحركة فيما كان من هذا الباب بالياء وامتنع مما لفظه الألف " [4] .

وتحدث الزَّجَّاج عن هذا التنوين في توجيه قوله تعالى : ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [5] فقال : " زعم سيبويه والخليل أنَّ النون هنا عوض من الياء ؛ لأن (غواشي) لا تنصرف { والأصل فيها غواشي بالياء والضمّ ، إلاَّ أنَّ الضَّمَّة تُحذف لثقلها في الياء فيبقى (غواشي) بسكون الياء } [6] فإذا ذهبت الضمَّة أدخلت النون عوضًا منها ، كذلك فسَّر أصحاب سيبويه ، فكأنَّ سيبويه يذهب إلى أنَّ النون عوض عن ذهاب حركة الياء ، والياء سقطت لسكونها وسكون النون ، فإذا وقفت فالاختيار أن تقف بغير ياء فتقول : غواش ؛ لتدلَّ على أنَّ الياء كانت تُحذف في الوصل ، وبعض

(١) انظر الكتاب ٣/٣١٠ . (٢) ما ينصرف ص١١٢ . (٣) انظر الكتاب ١/٣٠٩ ، ٣١٠ .
(٤) ما ينصرف ص١١٥ . (٥) الأعراف /٤١ .
(٦) كذا من الإغفال ، وهو أولى ممَّا ورد في المطبوع .

العرب إذا وقف قال : غواشـي ، بإثبات الياء ، ولا أرى ذلك في القرآن ؛ لأنَّ الياء محذوفةٌ في المصحف ، والكتاب على الوقف " [1] .

تنوين التنكير :

تحدَّث الزَّجَّاج عن تنوين التنكير في موضعين :

الأوَّل : في توجيه قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [2] فقال : " في قوله (أف) سبع لغات : الكسر بغير تنوين وبتنوين ، والضمّ بتنوين وبغيره ، وكذلك الفتح، وفيه لغة سابعة لا تجوز في القراءة وهي (أفي) بياء ، فأمَّا الكسر فلالتقاء الساكنين ، و(أف) غير متمكّن بمنزلة الأصوات ، فإذا لم ينوَّن فهو معرفة ، وإذا نُوِّن فهو نكرة بمنزلة (غاقٍ غاقٍ) في الصوت ، والفتح لالتقاء الساكنين أيضًا ، والضمُّ لأنَّ قبله مضموم حسنٌ أيضا ، والتنوين فيه كلّه على جهة النكرة " [3] .

والثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [4] فقال : " فأمَّا الكسر بغير تنوين فلالتقاء الساكنين ، وهما الفاءان في قولك (أَف) ، وإنَّما أصل الكلمة السكون لأنَّها بمنزلة الأصوات ، وحذف التنوين لأنَّها معرفة لا يجب إعرابها ، وتفسيرها : النتن لكم ، ومن نوَّن جعله نكرة بمنزلة (تبًّا لكم) وكسر لأنَّ أصل التقاء الساكنين الكسر ، ولأنَّ أكثر الأصوات مبنيٌّ على الكسر نحو غاقِ وجير ... ويجوز الفتح لالتقاء الساكنين لثقل التضعيف والكسر ، ويجوز الضمُّ لضمَّة الألف كما قالوا : ردَّ يا هذا وردُّ وردِّ بالكسر ، ومن نوَّن مع الضمّ فبمنزلة التنوين مع الكسر " [5] .

وفي كتابه (ما ينصرف ...) عقد بابا للحديث عن المركبات ، وتحدث فيه عن نحو عمرويه وسيبويه وغيرهما مما يلحقه تنوين التنكير فقال : " ومن هـذا الباب الأصوات التي تجعل وما قبلها اسمًا واحدًا، نحـو (عمرويه) و(سيبويه) ، فزعم سيبويه [6] أن هذا الأخير أعجمي بني مع ما قبله فحط درجة عن (خمسة عشر) فكسر آخره لالتقاء الساكنين ، وهو غير منون ، فإذا أردت النكرة نونته فقلت : هذا عمرويهِ وعمرويهٍ آخر ،

---

(1) معانيه ٢/٣٣٨ ، ٣٣٩ . (2) الإسراء /٢٣ . (3) معانيه ٣/٢٣٤ . (4) الأنبياء /٦٧ .
(5) معانيه ٣/٣٩٨ . (6) انظر الكتاب ٣/٣٠١ ، ٣٠٢.

وهذا زيلويهٍ يا هذا ؛ لأن (زيلويهٍ) نكرة ، وزعم أن هذا كقولهم (عاءٍ وحاءٍ) في الزجر، قال : قال الخليل : كأنك إذا قلت (عاء وحاء) غير منون فقد قلت (الاتّباعَ) ، وإذا قلت (عاءٍ وحاءٍ) فقد قلت : اتباعًا " [1] .

مجيء الأمر بلفظ الخبر :

ذكر ذلك الزَّجَّاج في توجيه قوله تعالى : ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾ [2] ، حيث قال : " قُرِئت على ضربين : (لا تضارُّ والدة) برفع الراء على معنى (لا تكلَّف نفس) على الخبر الّذي فيه معنى الأمر ، ومن قرأ (لا تضارَّ والدة) بفتح الراء فالموضع موضع جزم على النهي ... " [3] .

أمر الواحد بلفظ الاثنين :

ذكر ذلك الزَّجَّاج في توجيه قوله تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [4] فقال : " قوله عزّ وجلّ : (ألقيا) الوجه عندي ـ والله أعلم ـ أن يكون أمرًا للملكين ؛ لأنَّ (ألقيا) للاثنين ، وقال بعض النحويين : إنَّ العرب تأمر الواحد بلفظ الاثنين فتقول : قوما ، واضربا زيدًا يا رجل ، ورووا أنَّ الحَجَّاج كان يقول : يا حرسي اضربا عنقه ، وقالوا : إنّما قيل ذلك ؛ لأنَّ أكثر ما تتكلّم به العرب فيمن تأمره بلفظ الاثنين نحو :

خليليَّ مرَّا بي على أمِّ جندبِ ... ... [5]

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ... ... [6]

وقال أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد : هذا فعل مثنى توكيدًا ، كأنه لمَّا قال : ألقيا ، ناب عن قوله : ألقِ ألقِ ، وكذلك عنده : قفا ، معناه : قف قف ، فناب عن فعلين فثنّي ، وهذا قول صالح ، وأنا أعتقد أنّه أمر الاثنين والله أعلم " [7] .

---

(١) ما ينصرف ص١٠٨. (٢) البقرة /٢٣٣ . (٣) معانيه١/٣١٣. (٤) سورة ق /٢٤ .

(٥) صدر بيت من الطويل لامرئ القيس ، وعجزه كما في مختارات الشعر الجاهلي ص٢٩ : * نقضّي لبانات الفؤاد المعذَّبِ * وكذلك الرواية في ديوانه ص٤١ .

(٦) صدر معلّقة امرئ القيس ، وعجزه : * بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ * ، ديوانه ص١١٠ .

(٧) معانيه ٥/٤٥ ، ٤٦ .

مجيء الاسم المفرد دالاً على الكثرة ، والجمع مرادًا به المفرد :

ذكر ذلك الزَّجَّاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [1] ، حيث قال : " (فنادته الملائكة) و(فناداه الملائكة) الوجهان جميعًا جائزان ؛ لأنَّ الجماعة يلحقها اسم التأنيث ؛ لأنَّ معناها معنى جماعة ، ويجوز أن يعبِّر عنها بلفظ التذكير كما يُقال جمع الملائكة ، ويجوز أن تقول : نادته الملائكة وإنَّما ناداه جبرائيل وحده لأنَّ المعنى : أتاه النداء من هذا الجنس ، كما تقول : ركب فلان في السفن وإنَّما ركب سفينة واحدة، تريد بذلك : جعل ركوبه في هذا الجنس " [2] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [3] : " المعنى : ويولون الأدبار ... وكذا المعنى في ﴿جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [4] : وأنهار ، والاسم الواحد يدلُّ على الجميع فيجتزأ به من الجميع ، وأنشد سيبويه والخليل :

بها جيف الحسرى فأمَّا عظامها فبيضٌ وأمَّا جلدها فصليبُ [5]

يريد : وأما جلودها ، وأنشد :

*** في حلقكم عظم وقد شجينا *** [6]

المعنى : في حلوقكم عظام ، وكما قال :

كلوا في نصف بطنكم تعفُّوا فإنَّ زمانكم زمنٌ خميص [7]

المعنى : كلوا في بعض بطونكم " [8] .

مجيء الجمع مرادًا به المثنَّى :

ذكر ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ [9] ، وهذا نصّه : " قال جميع أهل اللغة إنَّ الأخوين جماعة ؛ لأنَّك إذا جمعت واحدًا إلى واحد

---

(1) آل عمران /٣٩ . (٢) معانيه ١/٤٠٥ . (٣) القمر /٤٥ . (٤) القمر /٥٤ .

(٥) البيت من الطويل ، وهو لعلقمة بن عبدة كما في ديوانه ص٢٦ ، وشعراء النصرانية ١/٥٠٣ ، وانظر : الكتاب ١/٢٠٩ ، والمقتضب ٢/١٧٣ ، وكتاب الشعر ص٣٠١.

(٦) من مشطور الرجز ، للمسيّب بن زيد مناة الغنوي ، وانظره في ابن يعيش ٦/٢٢ .

(٧) البيت من الوافر، ويروى صدره في الكتاب١/٢١٠ :... في بعض بطنكم ... وانظره في الخزانة٧/٥٥٩ .

(٨) معانيه ٥/٩٢ ، ٩٣ . (٩) النساء /١١ .

فهما جماعة ، ويقال لهما : إخوة ، وحكى سيبويه [1] أنَّ العرب تقول : قد وضعا رحالهما ، يريدون : رحليهما ، وما كان الشيء منه واحدًا فتثنيته جمع ؛ لأنَّ الأصل هو الجمع ، قال الله تعالى : ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[2] " [3] .

(١) الكتاب ٢/٤٩ .

(٢) التحريم /٤ .

(٣) معانيه ٢/٢٢ .

الفصل الثاني
المعرب والمبني

تقدير حركة الإعراب في الاسم المقصور :

ذكره الزَّجَّاج في توجيه قوله تعالى :﴿ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [1] حيث قال : " (ذكرى) تكون نصبًا وتكون رفعًا ، إلاَّ أنَّ الإعراب لا يظهر فيها ؛ لأنَّ آخرها ألف مقصورة ... " [2] .

أحكام حركة الإعراب :

لا يجيز الزَّجَّاج تغيير حركة الإعراب الَّتي يستحقُّها المعرب بحركة أخرى ، وقد قرَّر ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [3] ، حيث قال : " قرأت القرَّاء : (للملائكةِ اسجدوا) بالكسر ، وقرأ أبو جعفر المدني وحده : (للملائكةُ اسجدوا) بالضمّ ، وأبو جعفر من جلَّة أهل المدينة ، وأهل الثبت في القراءة ، إلاَّ أنه غلط في هذا الحرف ؛ لأنَّ الملائكة في موضع خفض ، فلا يجوز أن يُرفع المخفوض ، ولكنَّه شبَّه تاء التأنيث بألف الوصل ؛ لأنَّك إذا ابتدأت قلت : أُسجدوا ، وليس ينبغي أن يُقرأ القرآن بتوهُّم غير الصواب " [4] .

وقد تحدَّث عن حذف حركة الإعراب في غير جزم في ثلاثة مواضع :

الأوّل : في توجيه قوله تعالى : ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ [5] ، حيث أثبت الآية بقراءة كسر الهمزة في (بارئكم) ، وقال : " وروي عن أبي عمرو بن العلاء أنَّه قرأ: (إلى بارئكم) بإسكان الهمز ، وهذا رواه سيبويه [6] باختلاس الكسرة ، وأحسب أنَّ الرواية الصحيحة

---

(1) الشعراء /٢٠٩ .
(2) معانيه ١٠٢/٤ ، ١٠٣ .
(3) البقرة /٣٤ .
(4) معانيه ١١١/١ ، ١١٢ .
(5) البقرة /٥٤ .
(6) انظر : الكتاب ٢٠٢/٤ .

ما روى سيبويه ؛ فإنّه أضبط لما روي عن أبي عمرو ، والإعراب أشبه بالرواية عن أبي عمرو ؛ لأنَّ حذف الكسرة في مثل هذا وحذف الضمّ إنّما يأتي باضطرار من الشعر ، أنشد سيبويه وزعم أنّه مما يجوز في الشعر خاصّة :

* إذا اعوججنَ قلت صاحبْ قوم * [1]

بإسكان الباء ، وأنشد أيضًا :

فاليوم أشربْ غير مستحقبٍ إثمًا من الله ولا واغل [2]

فالكلام الصحيح أن تقول : يا صاحبُ أقبل ، أو يا صاحبِ أقبل ، ولا وجه للإسكان، وكذلك : فاليوم أشربُ يا هذا ، وروى غير سيبويه هذه الأبيات على الاستقامة وما ينبغي أن يكون في الكلام والشعر ، رووا : (فاليوم فاشرب غير مستحقب ...)، ورووا أيضًا: (فاليوم أسقى غير مستحقب ...)، ولم يكن سيبويه ليروي إلا ما سمع ، إلاّ أنّ الّذي سمعه هؤلاء هو الثابت في اللغة ، وقد ذكر سيبويه أنّ القياس غير الّذي روى ، ولا ينبغي أن يُقرأ إلاّ (إلى بارِئكم) بالكسر، وكذلك (عند بارِئكم) [3] ..." [4] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [5]، حيث قال : " القراءة بضمّ الميم ، ويجوز إسكانها ـ على بُعد ـ لكثرة الحركات ، وثقل الضمّة بعد الكسرة ، وسيبويه والخليل لا يجيزان إسكان حرف الإعراب إلاّ في الاضطرار ، فأمّا ما رُوي عن أبي عمرو من الإسكان فلم يُضبط ذلك عنه ، والّذي رواه عنه سيبويه أنّه كان يخفّف الحركات ويختلسها ، وهذا هو الوجه " [6] .

الثالث : في توجيه قوله تعالى :﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ﴾ [7] ، حيث قال : " وقرأ حمزة (ومكر السَّيِّئْ) موقوفا ، وهذا عند النحويين الحذّاق بالنحو لحن لا يجوز ، إنّما يجوز في الشعر في الاضطرار ، أنشدوا :

* إذا اعوججنَ قلت صاحبْ قوم *

---

(١) من مشطور الرجز ، وهو للعجاج بديوانه ص٦٤ ، ومن شواهد الكتاب ٢٠٢/٣ ، ونسبه محقق الكتاب إلى أبي نخيلة ، وانظره في اللسان (عوم) .

(٢) من السريع ، لامرئ القيس ، ديوانه ص١٣٤ ، وانظره في الكتاب ٢٠٤/٤ ، والخصائص ٣١/٢.

(٣) البقرة /٥٤ . (٤) معانيه ١٣٦/١ ، ١٣٧ . (٥) هود /٢٨ .

(٦) معانيه ٤٨/٣ . (٧) فاطر /٤٣ .

والأصل : يريد : يا صاحبُ قوم ، ولكنّه حذف مضطرا ، وكان الضمّ بعد الكسر والكسر بعد الكسر مستثقلا ، وأنشدوا أيضا :

اليوم أشربْ غير مستحقبٍ إثمًا من الله ولا واغل

وهذان البيتان أنشدهما جميع النحويين المذكورين ، وزعموا كلهم أنّ هذا من الاضطرار في الشعر ، ولا يجوز مثله في كتاب الله ، وأنشدناهما أبو العبّاس محمّد بن يزيد رحمه الله :

* إذا اعوججنَ قلت صاح قوم *

وهذا جيّد بالغ ، وأنشدنا :

فاليوم فاشربْ غير مستحقبٍ ... ...

وأمّا ما يُروى عن أبي عمرو بن العلاء (إلى بارئكم) فإنّما هو أن يختلس الكسر اختلاسا ، ولا يجزم (بارئكم) ، وهذا ـ أعني جزم (بارئكم) ـ إنّما رواه عن أبي عمرو مَن لا يضبط النحو كضبط سيبويه والخليل ، ورواية سيبويه باختلاس الكسر ، كأنّه يقلّل صوته عند الكسر " [1] .

الأسماء المعربة بعلامات فرعيّة :

أولاً : المُثنّى

تحدّث الزّجّاج عن إعراب المثنّى في توجيه قوله تعالى :﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [2] فذكر أنّ قراءة أبي عمرو وعيسى بن عمر : (إنّ هذين لساحران) بتشديد النون ونصب هذين ، وذكر في الاحتجاج لقراءة أهل المدينة والأئمة في القراءة (إنّ هذان) بتشديد إن والرفع في هذان أنّ أبا عبيدة حكى عن أبي الخطّاب ـ وهو رأس من رؤساء الرواة ـ أنّها لغة لكنانة ، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد ، يقولون : أمامي الزيدان ، ورأيت الزيدان ، ومررت بالزيدان ، وهؤلاء ينشدون :

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغًا لناباه الشجاع لصمّما [3]

(١) معانيه ٢٧٤/٤ : ٢٧٦ .
(٢) طه /٦٣ .
(٣) البيت من الطويل ، وقائله المتلمّس كما في الأصمعيات ص ٢٤٦ ، والرواية فيها: "... مساغا لنابيه ... " ، وانظر : شرح التسهيل لابن مالك ٦٦/١ .

وهـؤلاء يقولـون : ضربته بين أذناه ، ومن يشتري الخفّان ؟ وكذلك روى أهل الكوفة أنه لغـة لبني الحارث بن كعب ، ثم نقل عن الفرّاء [1] أنّه قال في (هذان) إنّهم زادوا فيها الـنون فـي التثنية ، وتركوها على حالها في الرفع والنصب والجر كما فعلوا في (الّذي) فقالوا : (الّذين) في الرفع والنصب والجر ...

وفي اختياره لتوجيه قراءة أهل المدينة يقول : " والّذي عندي ـ والله أعلم ، وكنت عرضته على عالمنا محمّد بن يزيد، وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن يزيد فقبلاه، وذكرا أنّه أجود ما سمعاه في هذا ـ أنّ (إنّ) وقعت موضع (نعم) ، وأنّ اللام وقعت موقعها [2] ، وأنّ المعنى : نعم هذان لهما ساحران ، والّذي يلي هذا في الجودة مذهب بني كنانة في ترك ألف التثنية على هيئة واحدة ؛ لأنّ حقّ الألف أن تدلّ على الاثنين ، وكان حقّها أن تتغيّر كما تتغيّر ألف رحا وعصا ، ولكن نقلها إلى الياء في الخفض والنصب أبين وأفصل بين المرفوع والمنصوب والمجرور " [3] .

وقد وجّه تثنية الأيدي في قوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [4] وذكر في معرض ذلك أصـل الـتثنية والغـرض مـنها فـقال : " قـيل : (أيديـهـما) يعـني به أيمانهما ،وفي قراءة ابن مسعود : (والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم) ، قال بعض النحـويين : إنّما جـعلت تثنية ما في الإنسـان منه واحـد جمعا لأنّ أكـثر أعضائه فيه منه اثنان ، فحمل ما كان فيه الواحد على مثل ذلك ، قال : لأنّ للإنسان عينين فإذا ثنّيت قلت: عيونهما، فجعلت (قلوبكما)[5]و(ظهورهما)[6] في القرآن، وكذلك (أيديهما)، وهذا خطأ ؛ إنّما ينبغي أن يفصّل بين ما في الشيء منه واحد وبين ما في الشيء منه اثنان.

وقـال قـوم : إنّمـا فعلنا ذلك للفصل بين ما في الشيء منه واحد وبين ما في الشيء منه اثنان ، فجعل ما في الشيء منه واحد تثنيته جمعًا نحو قول الله عز وجل :

---

(١) معاني الفراء ٢/١٨٤ .
(٢) أي فهي لام الابتداء .
(٣) انظر المسألة كلّها في معانيه ٣/٣٦١ : ٣٦٤ .
(٤) المائدة /٣٨ .
(٥) التحريم /٤ ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ .
(٦) الأنعام /١٤٦ ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ .

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [1] ، قال أبو إسحاق : وحقيقة هذا الباب أنّ كلّ ما كان في الشيء منه واحد لم يثنّ ولفظ به على لفظ الجمع ؛ لأنّ الإضافة تبيّنه، فإذا قلت : أشبعت بطونهما دل على أن للاثنين بطنين فقط ، وأصل التثنية الجمع ؛ لأنك إذا ثنّيت الواحد فقد جمعت واحداً إلى واحد ، وكان الأصل أن يقال : اثنا رجل ، ولكن رجلان يدلّ على جنس الشيء وعدده ، فالتثنية يُحتاج إليها للاختصار ، فإذا لم يكن اختصار ردَّ الشيء إلى أصله ، وأصله الجمع ، فإذا قلت : قلوبهما فالتثنية في (هما) قد أغنتك عن تثنية قلب ، فصار الاختصار ههنا ترك تثنية قلب ، وإن ثنّي ما كان في الشيء منه واحد فذلك جائز عند النحويين ، قال الشاعر :

* ظهراهما مثل ظهور الترسين * [2]

فجاء بالتثنية والجمع في بيت واحد ، وحكى سيبويه [3] أنّه قد يجمع المفرد والّذي ليس من شيء إذا أردت به التثنية،وحكى عن العرب :وضعا رحالهما ، يريد: رحلي راحلتهما " [4] .

وفي توجيه الأبوين في قوله تعالى : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ ﴾ [5] يقول : " الأصل في (أم) أن يقال : أبة ، ولكن استغني عنها بـ(أم) ، و(أبوان) تثنية أب وأبة ، وكذلك لو ثنّيت ابنًا وابنة ولم تخف اللبس قلت : ابنان " [6] .

ويذكر أنّ حركة نون المثنّى هي الكسر فيقول في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ [7] : " إذا ثنّيت القنو قلت: قنوانِ يا هذا، بكسر النون " [8] .

ثانيًا : جمع التصحيح لِمُذكّر

أشار الزّجّاج إلى كيفية جمع التصحيح لمذكّر ، وما يجمع هذا الجمع في توجيه

---

(1) التحريم / ٤ .

(2) من مشطور السريع ، وينسب إلى خطام المجاشعي ، والترس : ما يتّقى به الضرب من السلاح ، وانظر : الكتاب ٤٨/٢ ، والخزانة ٥٤٤/٧ ، ٥٥٠ .

(3) الكتاب ٤٩/٢ . (4) معانيه ١٧٢/٢ ، ١٧٣ . (5) النساء / ١١ .

(6) معانيه ٢٣/٢ . (7) الأنعام/ ٩٩ . (8) معانيه ٢٧٥/٢ .

قوله تعالى : ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [1] فقال : " أمّا (ساجدين) فحقيقته فعل كل ما يعقل ، وجمعه وجمع ضميره [2] بالواو والنون في الرفع والياء والنون في النصب والجرّ، فإذا وصف غير الناس والجنّ والملائكة بأنّه يعبد ويتكلم فقد دخل في المميّز ، وصار الإخبار عنه كالإخبار عنهم ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [3] ، وقوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [4]، وقال : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [5] ، فالواو والنون دخلتا لما وصفنا من دخولهم في التمييز ، والألف والتاء كالواو والنون لكل مؤنث،وكل موات لا يعقل غير المميزين ، فإذا جعل الله عز وجل غير المميزة كالمميزة كذلك تكون أفعالها والإنباء عنها"[6] .

وقد فرق بين نون جمع المذكر ونون المثنى في توجيه قوله تعالى : ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [7] فقال :"قوله عز وجل (العالمين) معناه : كل ما خلق الله ، كما قال : ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [8]،وهو جمع (عالَم)، تقول : هؤلاء عالَمون ، ورأيت عالَمين ، ولا واحد لـ(عالم) من لفظه ؛ لأنّ عالما جمع لأشياء مختلفة ، وإن جعل (عالم) لواحد منها صار جمعًا لأشياء متفقة ، والنون فتحت في (العالمين) لأنّها نون الجماعة ، وزعم سيبويه [9] أنّها فتحت ليفرّق بينها وبين نون الاثنين ، تقول : هذان عالمانِ يا هذا ، فتكسر نون الاثنين لالتقاء الساكنين ... وكذلك نون الجماعة فتحت لالتقاء الساكنين ، ولم تكسر لثقل الكسرة بعد الواو والياء ، ألا ترى أنّك تقول : سوف أفعل فتفتح الفاء من سوف لالتقاء الساكنين ، ولم تكسر لثقل الكسرة بعد الواو،وكذلك تقول:أين زيد فتفتح النون لالتقاء الساكنين بعد الياء"[10].

وتناول الجمع في (ثبة وعضة) وهما من باب (سنة) فقال في توجيه قوله تعالى : ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ [11]: " الثبات : الجماعات المتفرّقة ، واحدها ثبة ، قال زهير بن أبي سلمى :

وقد أغدو على ثبة كرام ... نشاوى واجدين لما نشاءُ [12]

---

(1) يوسف /٤ . (2) كذا في المعاني ، ولعلّها مصحّفة عن (مثله) . (3) النمل /١٨ .
(4) الأنبياء /٦٣ . (5) يس /٤٠ . (6) معانيه ٣/٩١ . (7) الفاتحة /٢ .
(8) الأنعام /١٦٤ . (9) الكتاب ١/١٨ . (10) معانيه ١/٤٦ . (11) النساء /٧١ .
(12) من بحر الوافر ، ونشاوى : سكارى ، انظر ديوان زهير ص١١ ، ومختارات الشعر الجاهلي ص٣٠٦ ، ولسان العرب (ثبا) .

قال سيبويه [1] : ثبة تجمع ثبون وثبين في الرفع والنصب والجرّ ، وإنّما جمعت بالواو والنون وكذلك عزة وعضة كقوله عز وجل : ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [2] ؛ لأنّ الواو والنون جعلتا عوضًا من حذف آخر الكلمة ، وثبة التي هي الجماعة محذوف آخرها تصغّر : ثبيّة ، وثبة الحوض : وسطه حيث يثوب الماء إليه ، تصغّر (ثويبة) [3] ؛ لأنّ هذا محذوفة منه عين الفعل ، وإنّما اشتقت (ثبة) الجماعة من ثبيت على الرجل : إذا أثنيت عليه في حياته ، وتأويله أنّك جمعت ذكر محاسنه " [4] .

ويشير إلى أنّ (عليون) ملحق بجمع المذكر السالم في إعرابه فيقول في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [5] : " إعراب هذا الاسم كإعراب الجميع ؛ لأنّه على لفظ الجمع ،كما تقول : هذه قنسرون ،ورأيت قنسرين،وقال بعض النحويين [6] : هذا جمع لما لا يحد واحده نحو : ثلاثون وأربعون ، فـ(ثلاثون) كأن لفظه لفظ جمع ثلاث ، وقال : كذلك قول الشاعر :

قد شربت إلا دهيدهينا

قليِّصاتٍ وأبيكرينا [7]

يعني أن الإبل قد شربت إلا جمع الدهداه ، والدهداه : حاشية الإبل وصغارها ، فكأن قليصات وأبيكرين ودهيدهين جمع ليس واحده محدودًا معلوم العدد ، والقول الأول أكثر أقوال النحويين وأبينها " [8] .

ومما يتصل بهذا الموضع أن الزجّاج خطّأ الحسن في قراءته : (وما تنزلت به الشياطون) [9] وقال : " هو غلط عند النحويين ، ولو كان يجوز في النحو والمصحف على خلافه لم يجز عندي القراءة به " [10] .

---

(1) الكتاب ٥٩٨/٣ . (2) الحجر /٩١ . (3) في المعاني المطبوع : ثويبة ، وهو خطأ .

(4) معانيه ٧٥/٢ . (5) المطففين /١٩ . (6) هو الفراء ، انظر : معانيه ٢٤٧/٣ .

(7) البيتان من مشطور الرجز ، ولم ينسبا لقائل ، وروى الأول في معاني الفراء ٢٤٧/٣ : * قد رويت ... * ، والبكر من الإبل بمنزلة الفتى من الناس ، والقلوص بمنزلة الجارية ، وانظر : الخزانة ٥٠/٨ : ٥٥ .

(8) معانيه ٣٠٠/٥ . (9) الشعراء /٢١٠ . (10) معاني القرآن وإعرابه ١٠٣/٤ .

وهذه القراءة نسبت أيضا إلى الأعمش وابن السميقع [١] ، وقد تبع الزجّاج في تغليطها الفراء قبله [٢] ، وكذلك غلّطها أبو حاتم والنحاس والمهدوي [٣] ، واتجه إلى تصحيحها بعض العلماء ومنهم النضر بن شميل ويونس بن حبيب وعثمان بن جني ، ثم قيل في توجيهها : لما كان آخر الشياطين كآخر يبرين وفلسطين ، وقد قيل فيهما يبرون وفلسطون أجري فيه نحو ما أجري فيهما .

وقيل : وجهها أن بناء المبالغة من شاط بمعنى احترق : شيّاط ، وجمعه الشياطون فخففت الياء ، وقد روي التشديد وقرئ به [٤] .

ثالثًا : جَمع التصحيح لِمُؤنّث

أشار الزجاج في توجيه قوله تعالى :﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [٥] إلى أنّ جمع المؤنث السالم يعرب في النصب كإعرابه في الجر فقال : " جنات : في موضع نصب بـ(أن) ، إلا أنّ التاء تاء جماعة المؤنث هي في الخفض والنصب على صورة واحدة كما أن ياء الجمع في النصب والخفض على صورة واحدة ، تقول : رأيت الزيدين ، ومررت بالزيدين ، ورأيت الهندات ، ورغبت في الهندات " [٦] .

وأجاز في (عرفات) المسمى به مفرد وجهين من الإعراب ، فقال في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ...﴾ [٧] : " القراءة والوجه الكسر والتنوين ، و(عرفات) اسم لمكان واحد ، ولفظه لفظ الجمع ، والوجه فيه الصرف عند جميع النحويين ؛ لأنّه بمنزلة الزيدين يستوي نصبه وجرّه ، وليس بمنزلة هاء التأنيث ، وقد يجوز منعه من الصرف إذا كان اسمًا لواحد إلا أنّه لا يكون إلا مكسورا وإن أسقطت التنوين ، قال امرؤ القيس :

تنورتها من أذرعاتٍ وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظر عالي [٨]

---

(١) انظر : روح المعاني ١٣٢/١٩ ، ١٣٣ .
(٢) انظر : معاني الفراء ٢٨٥/٢ .
(٣) و(٤) انظر : روح المعاني ١٣٢/١٩ ، ١٣٣ .
(٥) البقرة /٢٥ .
(٦) معانيه ١٠١/١ ، ١٠٢ .
(٧) البقرة /١٩٨ .
(٨) البيت من الطويل ، وتنورتها : نظرت إلى نارها ، وانظر ديوان امرئ القيس ص٣١ ، والكتاب ٢٣٣/٣ ، والخزانة ٥٦/١ : ٥٩ ، وفيها يروي البغدادي فتح التاء من (أذرعات) ، وفي شرح الأشموني للألفية ٩٤/١ أن الفتح ممنوع عند البصريين جائز عند الكوفيين .

فهذا أكثر الرواية ، وقد أنشد بالكسر بغير تنوين ، وأما الفتح فخطأ ؛ لأنّ نصب الجمع وفتحه كسر " [1] .

حكم الفعل في الإعراب والبناء :

أولاً : الإعراب

يقرر الزجاج أنّ المضارع الصحيح الآخر يجزم بالسكون ، فإن كان مضعفا وأدغم مثلاه كان الجزم مقدّرا ، وقد جاء ذلك في توجيه قوله تعالى :﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ...﴾ [2] حيث قال : " يرتدد جزم بالشرط ، والتضعيف يظهر مع الجزم لسكون الحرف الثاني ، وهو أكثر في اللغة " [3] .

وقال في توجيه قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾ [4] :" فيها من العربية ثلاثة أوجه : من يرتددْ ، ومن يرتدَّ بفتح الدال ، ومن يرتدِّ منكم بكسر الدال ، ولا يجوز في القراءة الكسر ؛ لأنّه لم يرو أنّه قرئ به ، وأما (من يرتدد) فهو الأصل ؛ لأنّ التضعيف إذا سكن الثاني من المضعفين ظهر التضعيف ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ﴾ [5] ، ولو قرئت : (إن يمسُّكم قرح) كان صوابا ؛ ولكن لا تقرأن به لمخالفته المصحف ، ولأن القراءة سنة ، وقد ثبت عن نافع وأهل الشام (يرتدد) بدالين ، وموضع (يرتدَّ) جزم ، والأصل كما قلنا يرتدد ، وأدغمت الدال الأولى في الثانية ، وحركت الثانية بالفتح لالتقاء الساكنين ... " [6] .

وذكر في توجيه قوله تعالى : ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ [7] علامة جزم الفعل المعتلّ الآخر حيث قال : " حذف الياء جائز في الأسماء خاصّة ، ولا يجوز في الأفعال ؛ لأنّ حذف الياء في الفعل دليل الجزم ، وحذف الياء في الأسماء واقع إذا لم يكن الألف واللام نحو : مهتدٍ ، ومقتد ، فأدخلت الألف واللام ، وترك الحذف على ما كان عليه ، ودلّت الكسرة على الياء " [8] .

---

(١) معانيه ١/٢٧٢ ، ٢٧٣ . (٢) البقرة /٢١٧ . (٣) معانيه ١/٢٩٠ .

(٤) المائدة /٥٤ . (٥) آل عمران /١٤٠ . (٦) معانيه ٢/١٨٢ .

(٧) الكهف /١٧ . (٨) معانيه ٣/٢٧٤ .

وفي توجيه قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ (١) أشار إلى أنّ الأمثلة الخمسة تجزم بحذف النون ، فقال : " تولوا جزم بأينماً ، والجواب : (فثم وجه الله) ، وعلامة الجزم في (تولوا) سقوط النون " (٢) .

كما ذكر في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ (٣) أن علامة الجزم في (تلبسوا) سقوط النون ، وعلامة النصب في (تكتموا) سقوطها (٤) .

ثانيًا : البناء

يقرّر الزجاج أن كل فعل ماض مبني على الفتح ، قال في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٥) : " فأمّا إعراب (قيل) فآخره مبني على الفتح ، وكذلك كل فعل ماض مبني على الفتح ... " (٦) .

ويقرّر أنّ فعل الأمر مجزوم ، ويفرق بين الأمر والدعاء في توجيه قوله تعالى : ﴿ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ ﴾ (٧) فيقول : " أكثر القراءة على : (فأمتعُهُ قليلا ثم أضطرُّه) على الإخبار ،وقد قرئ أيضا :(فأمتعْه ثم اضطرَّه) على الدعاء (٨) ، ولفظ الدعاء كلفظ الأمر مجزوم ، إلا أنّه استعظم أن يقال : أمر ، فمسألتك مَن فوقك نحو : أعطني واغفر لي دعاء ومسألة ، ومسألتك مَن دونك أمر كقولك لغلامك : افعل كذا وكذا ، والراء مفتوحة في قوله : (ثمَّ اضطرَّه) لسكونها وسكون الراء الّتي قبلها ، الأصل : ثمَّ اضطررْه ، ويجوز (ثم اضطرِّه) ، ولا أعلم أحدًا قرأ بها " (٩) .

ويشير إلى أن الأمر من المعتل اللام يقتضي حذف حرف العلة ، وقد جاء ذلك في باب حروف التهجّي في أول كتابه حيث قال : " فأما (ص) فقرأ الحسن : صادِ والقرآن فكسر الدال ، فقال أهل اللغة : معناه : صادِ القرآن بعملك أي تعمّدْه ، وسقطت الياء للأمر ، ويجوز أن تكون كسرت الدال لالتقاء الساكنين إذا نويت الوصل ... " (١٠) .

---

(١) البقرة /١١٥ . (٢) معانيه ١٩٧/١ . (٣) البقرة /٤٢ .
(٤) معانيه ١٢٤/١ . (٥) البقرة /١١ . (٦) معانيه ٨٧/١ .
(٧) البقرة /١٢٦ . (٨) وهي قراءة غير متواترة تنسب لابن عبّاس ومجاهد ، انظر : روح المعاني ٣٢٨/١ . (٩) معانيه ٢٠٧/١ ، ٢٠٨ . (١٠) معانيه ٦٣/١ ، ٦٤ .

ويذكر حكم المضارع إذا اتصلت به نون التوكيد في أربعة مواضع :
الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ (١) فيقول : " وإعراب (إما) في هذا الموضع إعراب حروف الشرط والجزاء ، إلا أن الجزاء إذا جاء في الفعل معه النون الثقيلة أو الخفيفة لزمتها (ما) ومعنى لزومها إياها معنى التوكيد ، وكذلك معنى دخول النون في الشرط التوكيد ، والأبلغ فيما يؤمر العباد به التوكيد عليهم فيه ، وفتح ما قبل النون في قوله : (يأتينكم) لسكون الياء وسكون النون الأولى " (٢) .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ (٣) حيث قال : " اختلف النحويون في فتح هذه الواو ، فقال سيبويه : إنها مفتوحة لالتقاء الساكنين ، وقال غيره من أصحابه إنها مبنية على الفتح ، وقد قال سيبويه في لام يفعل ؛ لأنها مع ذلك قد تُبنى على الفتحة ، فالذين قالوا من أصحابه إنها مبنية على الفتح غير خارجين من قول له ، وكلا القولين جائز " (٤) .

الثالث : في توجيه قوله تعالى : ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ (٥) ، حيث قال : " هذه النون دخلت مع لام القسم ، وضمت الواو لسكونها وسكون النون ، ويقال للواحد من المذكرين : لتبلَيَن يا رجلُ ، وللاثنين : لتبليانِّ يا رجلان ، ولجماعة الرجال : لتبلوُن ، وتفتح الياء في لتبليَنَّ في قول سيبويه لسكونها وسكون النون ، وفي قول غيره تبنى على الفتح لضم النون إليها كما يبنى ما قبل هاء التأنيث ، ويقال للمرأة لتبلين يا امرأة ، وللمرأتين لتبليانِّ يا امرأتان ، ولجماعة النساء لتبلينان يا نسوة ، زيدت الألف لاجتماع النونات " (٦) .

الرابع : في توجيه قوله تعالى : ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾ (٧) حيث قال : " هذه اللام لام القسم ، واللام مفتوحة لالتقاء الساكنين في قول بعضهم : اغزون يا رجل ، فأما لام (لتبلون) فزعم سيبويه أنها مبنية على الفتح ،وقد أحكمنا شرح هذا قبل هذا الموضع " (٨).

---

(١) البقرة /٣٨ . (٢) معانيه ١١٧/١ . (٣) البقرة /١٥٥ . (٤) معانيه ٢٣٠/١ .
(٥) آل عمران /١٨٦ . (٦) معانيه ٤٩٥/١ ، ٤٩٦ . (٧) المائدة /٩٤ . (٨) معانيه ٢٠٦/٢ .

وقد أشـار في توجيه قوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾ [1] إلى حكم المضـارع إذا اتصل به ضمير النسوة فقال : " موضع (أن يعفون) نصب بأن ، إلا ان جماعة المؤنث في الفعل المضارع تستوي في الرفع والنصب والجزم " [2] ، وهذا إشارة إلى بناء المضارع المتصل بتلك النون .

حروف التهجي مبنية على الوقف (في أوائل السور) :

ذكر ذلك الزجاج في موضعين :

الأول : في باب عقده في أول المعاني سماه (باب حروف التهجي) بمناسبة توجيه قوله تعالى ﴿الم . ذَلِكَ الكِتَابُ﴾ [3] ، وفيه يقول : " هي الألف ، والباء ، والتاء ، والثاء ، وسـائر ما في القـرآن منها ، فإجـماع النحـويين أن هذه الحـروف مبنية على الوقـف لا تعرب ، ومعنى قولنا (مبنية على الوقف) أنك تقدر أن تسكت على كل حرف منها ، فالنطق : ألفْ . لامْ . ميمْ . ذلك ، والدليل على أنك تقدر السكت عليها جمعك بين ساكنين في قولك : لامْ ، وفي قولك : ميمْ ، والدليل على ان حروف الهجاء مبنية على السكت كما بني العدد على السكت أنك تقول فيها بالوقف مع الجمع بين ساكنين ، كما تقول إذا عددت : واحدْ . اثنانْ . ثلاثهْ . أربعهْ . ولولا أنك تقدر السكت لقلت : ثلاثة بالتاء كما تقول : ثلاثة يا هذا ، فتصير الهاء تاء مع التنوين واتصال الكلام ، وحقها من الإعراب أن تكون سواكن الأواخر ، وزعم سيبويه [4] أنك أردت أن المعجم حروف يُحكى بها ما في الأسماء المؤلفة من الحروف ، فجرى مجرى ما يُحكى به نحو : غاق وغاق يا فتى ، إنما حكى صوت الغراب ، والدليل أيضا على أنها موقوفة قول الشاعر :

أقبلت من عند زياد كالخرف
تخـط رجـلاي بخـط مختلف
تكـتبان في الطـريق لام ألف [5]

كأنه قال : لامْ ألف بسـكون لام ، ولكنه ألقى حـركـة هـمزة ألف على المـيم ففتحـها ،

---

(1) البقرة/٢٣٧. (2) معانيه١/٣١٩. (3) البقرة/ ١، ٢. (4) انظر:الكتاب ٣/٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(5) الأبيات من مشـطور الرجز ، لأبي النجم العجلي . انظر : الكتاب ٣/٢٦٦ ، والخصائص ٣/٢٩٧ ، والخزانة ١/٩٩ : ١٠٣ .

قال أبو إسحاق : وشرح هذه الحروف وتفسيرها أنها ليست تجرى مجرى الأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة التي يجب لها الإعراب ، وإنما هي تقطيع الاسم المؤلف الّذي لا يجب الإعراب فيه إلا مع كماله ، فقولك جعفر لا يجب أن تعرب منه الجيم ، ولا العين ، ولا الفاء ، ولا الراء دون تكميل الاسم ، فإنما هي حكايات وضعت على هذه الحروف ، فإن أجريتها مجرى الأسماء وحدثت عنها قلت : هذه كاف حسنة ، وهذا كاف حسن ، وكذلك سائر حروف المعجم ، فمن قال : هذه كاف أنث لمعنى الكلمة ، ومن ذكر فلمعنى الحرف ، والإعراب وقع فيها لأنك تخرجها من باب الحكاية ، قال الشاعر :

* كافا وميما وسينا طاسما * [1]

وقال أيضا :

* كما بينت كاف تلوح وميمها * [2]

ذكر (طاسما) لأنه جعله صفة للسين ، وجعل السين في معنى الحروف ، وقال : تلوح فأنث الكاف ذهب بها مذهب الكلمة ، قال الشاعر يهجو النحويين :

إذا اجتمعوا على ألف وواو ... وياء لاح بينهمُ جدالُ [3] " [4]

الموضع الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿المص﴾ [5] في أول الأعراف حيث قال : " إن قال قائل : قد تقول : ألف ، با ، تا ، ثا ثمانية وعشرون حرفا ، وإنما ذكرت أربعة فمن أين جاز ذلك ؟ قيل : قد صار اسم هذه ألف با تا ثا كما أنك تقول : الحمد سبع آيات ، فالحمد اسم لجملة السورة ... وهذه الحروف ـ كما وصفنا ـ حروف هجاء مبنية على الوقف " [6] .

---

(١) من مشطور الرجز ، ولا يعلم قائله ، انظر : الكتاب ٣/٢٦٠ .

(٢) عجز بيت من الطويل ينسب للراعي ، وصدره : * أهاجتك آيات أبان قديمها * ، انظر : الكتاب ٣/٢٦٠ ، والمقتضب ١/٣٧ ، واللسان (كوف) .

(٣) البيت من الوافر ، ويستشهد به النحويون على أن أسماء حروف المعجم تعرب إذا ركبت وإن كان بناؤها أصليا ، وانظر : الخزانة ١/١١٠ : ١١٣ .

(٤) معانيه ١/٥٩ : ٦١ ، وانظر نحو ذلك في كتاب (ما ينصرف ...) ص٦٧ .

(٥) الأعراف /١ .   (٦) معانيه ٢/٣١٤ .

وذكر في كتابه (ما ينصرف) أن حروف المعجم والتهجي إذا جعلتها أسماء أعربتها ومددت المقصور فقلت : ألفُ وباءُ وتاءُ وزايُ ، ومن قال زيْ قال : زيٌّ ، فإذا قلت : لاء فتقديرها فَعَلٌ ؛ لأنها قد صارت اسمًا [1] .

بعض الاسم لا يعرب :

قرر ذلك الزجاج هنا في حديثه عن حروف التهجي ، وكذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [2] ، وسيأتي في فصل المفعول فيه .

الحرف الواحد لا حظ له في الإعراب :

قرر الزجاج ذلك هنا في حديثه عن حروف التهجي ، وكذلك في توجيه البسملة ، وسيأتي في فصل حروف الجر .

كل ما كان على حرفين فآخره ساكن لا غير :

قرر ذلك الزجاج بقوله : " فأما (من) و(عن) و(أو) و(إذ) و(لو) وجميع ما كان على حرفين فآخره ساكن لا غير " [3] .

كل ما كان على ثلاثة أحرف فآخره ساكن إذا تحرك ما قبله :

قرر ذلك الزجاج بقوله : " وأما ما كان على ثلاثة فآخره ساكن إذا تحرك ما قبله نحو نعم وأجل وبلى ، فإذا كان قبل آخره ساكن حرك لالتقاء الساكنين " [4] .

أحكام بعض المركبات المبنية :

عقد الزجاج في كتابه (ما ينصرف ...) بابا للحديث عن بعض المركبات المبنية ، ومن هذه المركبات ما هو علم ، ومنها ما هو عدد ، ومنها ما يدخل في الأحوال أو الظروف ، وسأذكر هنا النوع الأخير ، فأقول :

تحدث عن قول العرب : لا آتيك حيرى دهر ، فنقل عن سيبويه أنه بإسكان الياء ، وأن بعض العرب يفتحها ، وتأويله : لا آتيك ما حار الدهر ، أي ما رجع الليل والنهار، ثم ذكر أنه لم يستعمل إلا بالإضافة ، وأن الأصل فيه فتح الياء ، وهذه الياء مخففة من ياء النسب ؛ لأنهم يقولون : لا آتيك حيريَّ دهر [5] .

(1) ما ينصرف ص٦٧ . (2) البقرة /٦٠ . (3) ما ينصرف ص٦٤ .
(4) المصدر السابق ص٦٥ . (5) ما ينصرف ص١٠٣ ، ١٠٤ .

وتحدث عن (بادي بدا) و(أيادي سبا) فذكر أنهما مبنيان بمنزلة خمسة عشر ، والاسم الثاني فيهما في موضع خفض ، ولكن بني مع الأول لأنهما جعلا اسما واحدا ، قال : " وإن شئت أضفت (أيادي سبا) و(بادي بدا) فجعلت الثاني في موضع خفض " فيقال: بادي بدٍ ، وأنشد سيبويه لأبي نخيلة :

وقد علتني كبرة بادي بدى ورثية تنهض في تشددي [1] [2]

ثم نقل عن سيبويه والخليل تعليل سكون الياء في صدر المركب فقال:" قال سيبويه[3] : وسألت الخليل عن هذه الياءات في نحو : قالي قلا وبادي بدا لم ألزمت السكون ؟ فقال : لأن هذه الياءات شبهت بالياءات في نحو قوله :

*** سوى مساحيهن تقطيط الحقق *** [4]

فإن الحركة حذفت استخفافا " [5] .

وتحدث في هذا الباب عن مركبات أخرى مثل كفةَ كفةَ فقال : " ومثل هذا الباب : لقيته كفةَ كفةَ يا هذا ، وصباحَ مساءَ يا هذا ، وهو جاري بيتَ بيتَ يا هذا ، ولقيته يومَ يومَ ، فالثاني في موضع خفض لأن معناها الإضافة ، وإن شئت أضفت الأول إلى الثاني فقلت : لقيته كفةَ كفةٍ ، وصباحَ مساءٍ ، وهو جاري بيتَ بيتٍ ، وزعم سيبويه والخليل[6] أن هذه بنيت كما بنيت خمسة عشر ، وإنما تبنى عنده في موضع الظروف والحال ؛ لأنها عدلت عن الواو فصارت بمنزلة خمسة عشر " [7] .

قلت : وقوله : " لأنها عدلت عن الواو " ، إشارة إلى أن الأصل في هذه المركبات عطف عجزها على صدرها بالواو ، والأصل مثلا كفة وكفة وصباحا ومساء ، ثم عدل عن العطف .

وذكر من المركبات المبنية في هذا الباب : (حيصَ بيصَ) وهي الداهية التي إذا وقع فيها لم يجد مخلصا من ضيق المخرج ، واستشهد له بقول أمية بن أبي عائذ الهذلي :

---

(١) من مشطور الرجز ، انظر: الكتاب ٣٠٥/٣ ، والرثية : انحلال الركب والمفاصل .

(٢) ما ينصرف ص١٠٤ . (٣) الكتاب ٣٠٥/٣ ، ٣٠٦ .

(٤) من مشطور الرجز ، لرؤبة ، والمساحي : حوافر الأتن ، والتقطيط : قطع الشيء وتسويته ، والحقق جمع حُقّة : أوعية من الخشب أو العاج يوضع فيها الطيب ، انظر الكتاب ٣٠٦/٣ .

(٥) ما ينصرف ص١٠٨ ، ١٠٩. (٦) انظر الكتاب٣٠٢/٣ ، ٣٠٣. (٧) ما ينصرف ص١٠٥ ، ١٠٦.

قد كنت خراجا ولوجا صيرفا   لم تلتحصني حيص بيص لحاص [1]

قال : ومثل (حيص بيص) (شغر بغر) ، تقول : (ذهبوا شغرَ بغرَ) أي : ذهبوا متفرقين ، ومثل ذلك (أخول أخول) وإنما معناه : شيئا بعد شيء ، ومثل ذلك (بين بين يا هذا) ، تقول:ذهبوا بين بين يا هذا،أي ذهب هؤلاء بين هؤلاء، وهؤلاء بين هؤلاء، قال الشاعر :

نحمي حقيقتنا وبعـ   ـض القوم يسقط بين بينا [2] "[3]

قال : " ومن هذا الباب (الخازباز) وفيه لغات حكاهن سيبويه [4] ، فمنها : (الخازِبازِ) يجعله بمنزلة الأصوات ، ويكسر لالتقاء الساكنين ، وزعم سيبويه أنه ذباب يكون في الروض ، وزعم بعضهم أنه داء يكون عن قرص الذباب ، فمنهم من يقول:(الخازِبازِ) كما وصفنا ، ومنهم من يقول : (الخازَبازُ) ويجعله بمنزلة (حضرموت) ، وأنشد :

* وجُنَّ الخازَبازُ به جنونا * [5]

وبعضهم يقول : (الخزباز) يجعله بمنزلة (سربال) ويعربه ، وأنشد :

مثل الكلاب تهرُّ عند درابها   ورمت لهازمها من الخزباز [6]

ومنهم من يقول : (الخازباء) يجعله بمنزلة القاصعاء " [7] .

من الأسماء المبنية ما يكون معدولاً على (فعالِ) :

ذكر الزجاج في كتابه (ما ينصرف) أن ما جاء من الأسماء معدولاً على (فعال) منه ما يكون غيرمعرب ، بل هو مبني على الكسر دائما ، وهو ما كان اسمًا للأمر ، نحو : دراكِ ، ونزال ، ومناع ، وتراكِ ، وكذلك ما كان معناه المصدر نحو قول الشاعر :

وذكرت من لبن المحلق شربة   والخيل تعدو بالصعيد بداد [8]

أي بددا ، وقول المتلمس :

جماد لها جماد ولا تقولي   طوال الدهر ما ذكرت حماد [9]

(1) مـــن بحر الكامل ، من شواهد الكتاب ٢٩٨/٣ ، وابن يعـيش ١١٥/٤ ، وتلتحصني : تثبطني ، و(لحاص) اسم للداهية .

(2) من مجزوء الكامل لعبيد بن الأبرص ، انظر : ابن يعيش ١١٧/٤ .

(3) ما ينصرف ص١٠٥ ، ١٠٦.

(4) انظر الكتاب ٢٩٩/٣ ، ٣٠٠ .

(5) عجز بيت من الوافر لابن أحمر صدره: * تفقأ فوقه القلع السواري * وهو من شواهد الكتاب ٣٠١/٣ ، وانظر كتا ب الشعر لأبي علي الفارسي ص٣٤ .

(6) من بحر الكامل ، ومن شواهد الكتاب ٣٠٠/٣ .

(7) ما ينصرف ص١٠٦ ، ١٠٧ .

(8) من بحر الكامل ، للنابغة الجعدي ، من شواهد الكتاب ٢٧٥/٣ .

(9) من بحر الوافر ، من شواهد الكتاب ٢٧٦/٣ .

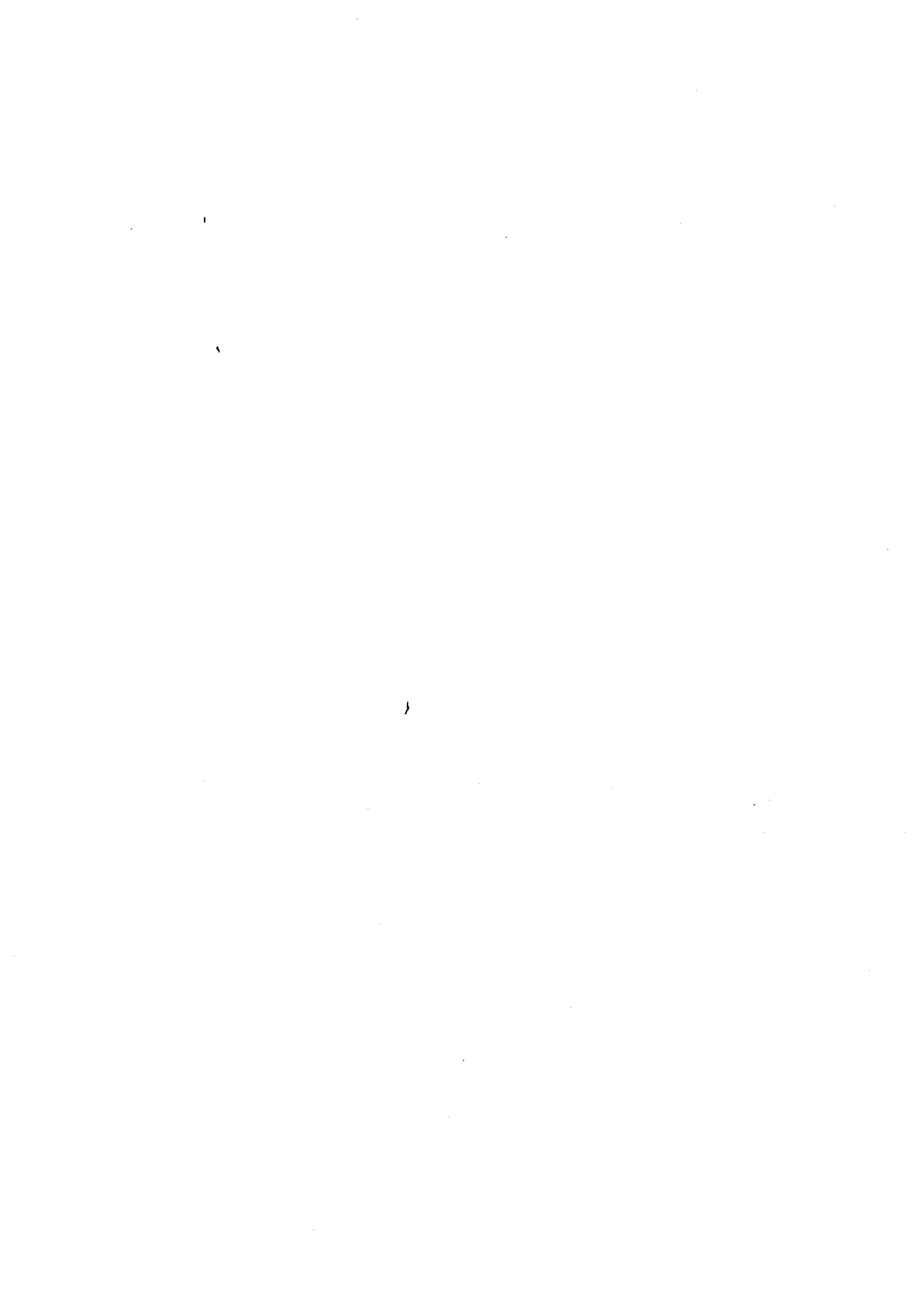
يصف الخمر فيقول : جمودا لها جمودا ، أي لا يكون فيها خير ، ويقال : فلان جامد الفضل : لا خير عنده ، ولا تقولي : حماد ، أي لا تقولي : حمدا لها ، وكذلك الصفات نحو قولهم للضبع : جعار وهو معدول من الجاعرة ، وقثام : معدول عن القاثمة لأنها تقثم التراب أي تثيره ، ومثله قول الشاعر :

ما أرجي بالعيش بعد ندامى قد أراهم سقوا بكأس حلاق [1]

ومثله قولهم للمرأة : يا فساق ، ويا خباث [2] .

(١) من بحر الخفيف ، لمهلهل ، من شواهد الكتاب ٣/٢٧٤ .

(٢) ما ينصرف ص٧٢ : ٧٤ .



الفصل الثالث

النكرة والمعرفة

أولاً : المضمر

ضمير المتكلم :

تكلم الزَّجَّاج عن حركة ياء المتكلم في مواضع منها :

- توجيه قوله تعالى : ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (١) حيث قال : " وفي قوله: (نعمتي التي أنعمت عليكم) وجهان : أجودهما فتح الياء لأن الذي بعدها ساكن وهو لام المعرفة فاستعمالها كثير في الكلام فاختير فتح الياء معها لالتقاء الساكنين ، ولأن الياء لو لم يكن بعدها ساكن كان فتحها أقوى في اللغة ، ويجوز أن تحذف الياء في اللفظ لالتقاء الساكنين فتقرأ (نعمت التي أنعمت) ، والاختيار إثبات الياء وفتحها لأنه أقوى في العربية وأجزل في اللفظ وأتم للثواب ؛ لأن القارئ يجازى على كل ما يقرؤه في كتاب الله بكل حرف حسنة ، فإن إثباته أوجه في اللغة فينبغي إثباته لما وصفنا .

فأما قوله عز وجل : ﴿هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ (٢) فلم يكثر القراء فتح هذه الياء ، وقال أكثرهم بفتحها مع الألف واللام ، ولعمري إن اللام المعرفة أكثر في الاستعمال ، ولكني أقول : الاختيار (أخِيَ اشدد) بفتح الياء لالتقاء الساكنين كما فتحوا مع اللام ؛ لأن اجتماع ساكنين مع اللام وغيرها معنى واحد ، وإن حذفت فالحذف جائز حسن ، إلا أن الأحسن ما وصفنا " (٣) .

- توجيه قوله تعالى : ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ (٤) وفيه يقول : " و(بيتي) الأجود فيه فتح الياء ، وإن شئت سكنتها " (٥) .

---

(١) البقرة / ٤٠ ، ٤٧ .   (٢) طه / ٣٠ ، ٣١ .   (٣) معانيه ١/١٢٠ .
(٤) البقرة / ١٢٥ .   (٥) معانيه ١/٢٠٧ .

- توجيه قوله تعالى : ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لله﴾ [1] ، وفيه يقول : " إن شئت أسكنت الياء من (وجهي) وإن شئت فتحتها فقلت : (أسلمت وجهيَ لله) ، وقد فسر أمر هذه الياء فيما سلف " [2] .
- توجيه قوله تعالى : ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ [3] وفيه أطلق عليها ياء الإضافة ، وذكر أنها تقتضي كسر ما قبلها ، وسيأتي نصه في ذلك في هذا الفصل .
- توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله﴾ [4] وفيه أطلق عليها أيضا ياء الإضافة ، وقرر جواز إسكانها إذا تحرك ما قبلها فقالَ : " ومحياي ومماتي : الياء ياء الإضافة ، فتحت لأن أصلها الفتح ، ويجوز إسكانها إذا كان ما قبلها متحركا ، يجوز : (مماتي) وإن شئت قرأت (مماتيَ لله) بفتح الياء ، وإن شئت أسكنت ، فأما ياء (محياي) فلا بد من فتحها لأن قبلها ساكن " [5] .

وتكلم الزجاج عن ياء المتكلم وغيرها في توجيهه لقوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ ...﴾ [6] فقال : " قرئت (بمصرخيَّ) بفتح الياء ، هكذا قرأه الناس ، وقرأ حمزة والأعمش : (بمصرخيِّ) بكسر الياء ، وهذه عند جميع النحويين رديئة مرذولة لا وجه لها إلا وجيه ضعيف ذكره بعض النحويين ، وذلك أن ياء الإضافة إذا لم يكن قبلها ساكن حركت إلى الفتح ، تقول : هذا غلاميَ قد جاء ، وذلك إن الاسم المضمر لما كان على حرف واحد وقد منع الإعراب حرك بأخف الحركات كما تقول : هو قام فتفتح الواو،وتقول : أنا قمت فتفتح النون ، ولا يجوز إسكان الياء لثقل الياء الّتي قبلها ، فإذا كان قبل الياء ساكن حركت إلى الفتح لا غير ؛ لأن أصلها أن تحرك ولا ساكن قبلها ، فإذا كان قبلها ساكن صارت حركتها لازمة لالتقاء الساكنين ، ومن أجاز (بمصرخيِّ) بالكسر لزمه أن يقول : (هي عصايِ أتوكأ عليها) [7] ، وأجاز الفراء [8] على وجه ضعيف الكسر ؛ لأن أصل التقاء الساكنين الكسر ، وأنشد :

قال لها هل لك يا تا فيِّ
قالت له ما أنت بالمرضيِّ [9]

(1) آل عمران / ٢٠ . (2) معانيه ٣٨٨/١ . (3) البقرة / ٣٨ . (4) الأنعام / ١٦٢ .
(5) معانيه ٣١١/٢ . (6) إبراهيم / ٢٢ . (7) طه / ١٨ . (8) معاني الفراء ٧٦/٢ .
(9) البيتان من مشطور الرجز للأغلب العجلي ، في معاني الفراء ٧٦/٢ .

وهذا الشعر لا يلتفت إليه ، وعمل مثل هذا سهل ، وليس يعرف قائل هذا الشعر من العرب ، ولا هو مما يحتج به في كتاب الله " [1] .

وقال في قوله تعالى : ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[2] : " إن شئت حركت الياء وإن شئت أسكنتها " [3] .

وتحدث عن حذف تلك الياء وإثباتها والغرض من زيادة نون الوقاية في توجيه قوله تعالى : ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لله وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [4] فقال : " لك حذف الياء وإثباتها ، والأحب إلي في هذا اتباع المصحف ؛ لأن اتباعه سنة ومخالفته بدعة ، وما حذف من هذه الياءات نحو :(من اتبعن) (لئن أخرتنِ إلى يوم القيامة) [5]ونحو : (فيقول ربي أكرمن) [6] (فيقول ربي أهانن) [7] فهو على ضربين مع النون ، فإذا كان رأس آية فأهل اللغة يسمون أواخر الآي الفواصل فيجيزون حذف الياءات كما يجيزونه في قوافي الشعر، كما قال الأعشى :

ومن شانئ كاسف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن
وهل يمنعني ارتيادي البلا د من حذر الموت أن يأتين [8]

المعنى: أن يأتيني وأنكرني ، فإذا لم يكن آخر قافية أو آخر آية فالأكثر إثبات الياء ، وحذفها جيد بالغ أيضا بخاصة مع النونات ، إلا أن أصل (اتبعني) : اتبعي ، ولكن النون زيدت لتسلم فتحة العين ، فالكسرة مع النون تنوب عن الياء ، فإذا لم تكن النون نحو : غلامي وصاحبي فالأجود إثباتها ، وحذفها مع غير النون أقل منه في النون إلا أنه جائز ، تقول : هذا غلامِ قد جاء ، والأجود : هذا غلاميَ قد جاء ، وغلاميْ قد جاء بفتح الياء وإسكانها ، وحذفها جائز لأن الكسرة دالة عليها " [9] .

وتحدث عن حذف تلك الياء في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[10] فقال : " حذفت الياء ، وأصله (فارهبوني) لأنها فاصلة ـ ومعنى فاصلة : رأس آية ـ ليكون

---

(1) معانيه ٣/١٥٩ ، ١٦٠ . (2) إبراهيم /٣١ . (3) معانيه ٣/١٦٢ . (4) آل عمران /٢٠ .
(5) الإسراء /٦٢ . (6) الفجر /١٥ . (7) الفجر /١٦ .
(8) البيتان من المتقارب من قصيدة له ، وقد رويا في الكتاب ٤/١٨٧ بعكس هذا الترتيب ، وهما في ديوان الأعشى (ص١٥ ، ١٩) كرواية الكتاب ، وبينهما فرق بجملة أبيات .
(9) معانيه ١/٣٨٩ . (10) البقرة /٤٠ .

النظم على لفظ متّسق ، ويسمي أهل اللغة رؤوس الآي الفواصل ، وأواخر الأبيات القوافي " [1] .

وتكلم عن حركة ما قبلها في توجيه قوله تعالى : ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ [2] فأورد الآية بلفظ (عصاي) بياء مفتوحة بعد ألف ، وقال : " وقرئت (عصيَّ) و(عصايْ) أجود، و(عصيَّ) لغة هذيل ، والأصل في ياء الإضافة أن يكسر ما قبلها ، فتقول : هذا حجري فتكسر الراء وهي في موضع ضم ، وكذلك (رأيت حجري) فإذا جاءت بعد الألف المقصورة لم تكسرها؛لأن الألف لا تحرك ، وكذلك إذا جاءت بعد ألف الرفع ، تقول : هما غلاماي ، وبعد ياء النصب في قولك : رأيت غلاميَّ ، وبعد كل ياء قبلها كسرة : هذا قاضيَّ ، ومسلميَّ فجعلت هذيل من كسر الألف تغييرها إلى الياء ، وليس أحد من النحويين إلا وقد حكى هذه اللغة ، قال أبو ذؤيب :

سبقوا هويَّ وأعنقوا لهواهم   فتخرموا ولكل جنب مصرع [3] " [4]

وتكلم عن الضمير (نحن) وعن واو الجماعة في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [5] فقال : " (نحن) مبنية على الضم ؛ لأن (نحن) يدل على الجماعة ، وجماعة المضمرين يدل عليهم - إذا ثنيت الواحد من لفظه - الميم والواو نحو : فعلوا وأنتم ، فالواو من جنس الضمة ، فلم يكن بد من حركة (نحن) فحركت بالضم ؛ لأن الضم من الواو، ألا ترى أن واو الجماعة إذا حركت لالتقاء الساكنين ضمت ، نحو: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ﴾ [6] وقد حركها بعضهم بالكسر نحو : اشتروِا الضلالة ؛ لأن اجتماع الساكنين يوجب كسر الأول إذا كانا من كلمتين ، والقراءة المجمع عليها (اشتروُا الضلالة) بالضم، وقد رويت (اشتروَا الضلالة) بالفتح ، وهو شاذ جدا" [7] .

ما وضع لمخاطب :

تحدث الزجاج عن الضمير (إياك) في توجيهه لقوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [8] فقال : " إياك نصب بوقوع الفعل عليه ، وموضع الكاف في (إياك) خفض بإضافة (إيا) إليها ، و(إيا) اسم للمضمر المنصوب ، إلا أنه يضاف إلى سائر المضمرات نحو قولك : إياك

(١) معانيه ١٢١/١ . (٢) طه/١٨ . (٣) من الكامل ، ديوان الهذليين ٢/١ ، وابن يعيش ٣٣/٣ .
(٤) معانيه ٣٥٤/٣ . (٥) البقرة/ ١٤ . (٦) البقرة/ ١٦ . (٧) معانيه ٨٩/١ . (٨) الفاتحة/ ٥ .

ضربت ، وإياه حدثت ، ولو قلت : (إيا زيد حدثت) كان قبيحا لأنه خص به المضمر،وقد روي عن بعض العرب ـ رواه الخليل ـ إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب . ومن قال : إن (إياك) بكماله الاسم قيل له : لم نر اسما للمضمر للمظهر يضاف ، وإنما يتغير آخره ويبقى ما قبل آخره على لفظ واحد ، والدليل على إضافته قول العرب : إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب يا هذا ، وإجراؤهم الهاء في (إياه) مجراها في عصاه " [١] .

قلت : والظاهر من كلامه أنه يحذو حذو الخليل [٢] في أن (يا) مضمر أضيف إلى ما بعده ، وجاء في الإغفال لأبي علي الفارسي نقلا عن الزجاج " إلا أنه ظاهر يضاف إلى المضمرات " ، ولهذا عارض قوله في المسألة الثانية من الإغفال [٣] .

وذكر في توجيه قوله تعالى:﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[٤] أنه كثر في القرآن الكريم (عليهِم) و(عليهُم) ولم يكثر (عليهمي)و(عليهمو) لأن الضمة التي على الهاء في (عليهُم) للميم ، فهي أقوى في الثبوت ، ثم قال : " ألا ترى أن هذه الضمة تأتي على الميم في كل ما لحقته الميم نحو : عليكُمُ وبكُمُ ومنكُمُ ، ولا يجوز في عليكُم : عليكِم بالكسر ؛ لأن الكاف حاجز حصين بين الياء والميم فلا تقلب كسرة ، وقد روي عن بعض العرب : عليكِمِ وبكِمِ بكسر الكاف ، ولا يلتفت لهذه الرواية ، وأنشدوا :

وإن قال مولاهم على جل حادث من الدهر ردوا بعض أحلامكِم ردوا [٥]

بكسر الكاف ، وهذه لغة شاذة ، والرواية الصحيحة : فضل أحلامكُم ، وعلى الشذوذ أنشد ذلك سيبويه " [٦] .

ما وضع للغائب :

تحدث الزجاج عن الاستعمالات الجائزة في (عليهم) وفي نحو : ضربته ، ومررت به ، وعليه مال،في توجيه قوله تعالى:﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[٧] فقال :"ولك في (عليهم) ضم الهاء وكسرها، تقول: الذين أنعمت عليهُم وعليهِم، وعلى هاتين اللغتين معظم القراء، ويجوز:

---

(١) معانيه ٤٨/١ ، ٤٩ .
(٢) انظر الكتاب ٢٧٩/١ .
(٣) الإغفال ٧٤/١ وما بعدها .
(٤) الفاتحة /٧ .
(٥) البيت من الطويل وينسب للحطيئة ، وهو من شواهد الكتاب ١٩٧/٤ ، وانظر ديوان الحطيئة ص١٤٠ .
(٦) معانيه ٥٢/١ .
(٧) الفاتحة /٧ .

عليهمو بالواو ، والأصل في هذه الهاء في قولك : ضربتهُ يا فتى ، ومررت بهِ يا فتى ، ومررت بهِ يا فتى أن يتكلم بها في الوصل بواو ، فإذا وقفت قلت : ضربتهْ ومررت بهْ ، وزعم سيبويه[1] أن الواو زيدت على الهاء في المذكر كما زيدت الألف في المؤنث في قولك : ضربتها ومررت بها ؛ ليستوي المذكر والمؤنث في باب الزيادة .

والقول في هذه الواو عند أصحاب سيبويه والخليل أنها إنما زيدت لخفاء الهاء ، وذلك أن الهاء تخرج من أقصى الحلق، والواو بعد الهاء أخرجتها من الخفاء إلى الإبانة ، فلهذا زيدت ، وتسقط في الوقف كما تسقط الضمة والكسرة في قولك : أتاني زيد ، ومررت بزيد ، إلا أنها واو وصل فلا تثبت لئلا يلتبس الوصل بالأصل ، فإذا قلت : مررت بهو يا فتى فإن شئت قلت : مررت بهي فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها أعني الباء المنكسرة .

فإن قال قائل : بين الكسرة والواو الهاء ، قيل : الهاء ليست بحاجز حصين ، فكأن الكسرة تلي الواو ، ولو كانت الهاء حاجزًا حصينًا ما زيدت الواو عليها ، وقد قرئ : (فخسفنا بهي وبدارهي الأرض) [2] ، و(بهو وبدارهو الأرض) من قراءة أهل الحجاز [3] .

فإن قلت : فلان عليه مال فلك فيه أربعة أوجه : إن شئت كسرت الهاء وإن شئت أثبت الياء، وكذلك في الضم إن شئت ضممت الهاء وإن شئت أثبت الواو ، فقلت : عليه وعليهي ، وعليهُ وعليهو مال .

فأما قوله عز وجل : ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ [4] وقوله : ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾[5] فالقراءة بالكسر بغير ياء في عليه ، وهي أجود هذه الأربعة ، ولا ينبغي أن يقرأ بما يجوز إلا أن تثبت به رواية صحيحة أو يقرأ به كثير من القراء ، ومن قال : عليهُ مال بالضم فالأصل فيه عليهو مال ، ولكن حذف الواو لسكونها وسكون الياء واجتماع ثلاثة أحرف متجانسة ، وترك الضمة لتدل على الواو .

ومن قال : عليهو فإنما أثبت الواو على الأصل ، ويجعل الهاء حاجزًا ، وهذا أضعف الوجوه ؛ لأن الهاء ليست بحاجز حصين .

---

(١) الكتاب ١٨٩/٤ . (٢) القصص /٨١. (٣) انظر : الكتاب ١٩٥/٤.
(٤) الأعراف /١٧٦. (٥) آل عمران /٧٥.

ومن قال: عليه مال فإنما قدر:عليهي مال ، فقلب الواو ياء للياء التي قبلها ثم حذف الياء لسكونها وسكون الياء التي قبلها كما قلبت الواو في قوله : مررت به يا فتى .

ومن قال : عليهي مال فالحجة في إثبات الياء كالحجة في إثبات الواو ، ألا ترى أن (عليهي مال) أجود من (عليهو مال) ؟

وأجود اللغات ما في القرآن وهو (عليه قائما) والذي يليه في الجودة : عليهُ مال بالضم ، ثم يلي هذا : عليهي مال ، ثم عليهو مال بإثبات الواو وهي أردأ الأربعة .

فأما قولهم :(عليهم) فأصل الهاء فيما وصفنا أن تكون معها ضمة ، إلا أن الواو قد سقطت ،وإنما تكسر الهاء للياء التي قبلها ، وإنما يكون ما قبل ميم الإضمار مضموما، فإنما أتت هذه الضمة لميم الإضمار وقلبت كسرة للياء .

وإنما كثر (عليهم) في القرآن و(عليهُم) ولم يكثر (عليهمي) و(عليهمو) لأن الضمة التي على الهاء في (عليهُم) للميم فهي أقوى في الثبوت ، ألا ترى أن هذه الضمة تأتي على الميم في كل ما لحقته الميم ، نحو : عليكُمُ وبكُمُ ومنكُمُ ، ولا يجوز في (عليكم) عليكِم بالكسر ؛ لأن الكاف حاجز حصين بين الياء والميم فلا تقلب كسرة ، وقد روي عن بعض العرب : عليكِم وبكِم بكسر الكاف ، ولا يُلتفت إلى هذه الرواية ، وأنشدوا :

وإن قال مولاهم على جل حادث   من الدهر ردوا بعض أحلامكِم ردوا [١]

بكسر الكاف ، وهذه لغة شاذة ، والرواية الصحيحة : فضل أحلامكُم ، وعلى الشذوذ ذلك أنشد سيبويه .

فأما (عليهمو) فأصل الجمع أن يكون بواو ، ولكن الميم استغني بها عن الواو ، والواو تثقل على ألسنتهم حتى إنه ليس في أسمائهم اسم آخره واو قبلها حركة ، فلذلك حذفت الواو ، فأما من قرأ (عليهمو ولا الضالين) فقليل، ولا ينبغي أن يقرأ إلا بالكثير، وإن كان قد قرأ به قوم فهو أقل من الحذف بكثير في لغة العرب " [٢] .

وتحدث عن الأوجه الجائزة في هاء الغائب في نحو (فيه) عند توجيه قوله تعالى : ﴿فِيهِ هُدًى﴾ [٣] فقال : " في قوله (فيه) أربعة أوجه ، القراءة منها على وجه واحد ، ولا ينبغي أن يتجاوز إلى غيره ، وهو (فيه هدى) بكسر الهاء ، ويجوز في الكلام وفي القراءة لو كان قرئ به : (فيهو هدى) بإثبات الواو ، و(فيهي هدى) بإثبات الياء، وقد شرحنا هذه الأوجه في إعراب الحمد " [٤] .

(١) تقدم تخريجه .   (٢) معانيه ١/٥٠ : ٥٣ .   (٣) البقرة /٢ .   (٤) معانيه ٦٩/١.

وتحدث عن حركة واو الجماعة في توجيه قوله تعالى : ﴿ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ ﴾ [1] فقال : " واو الجماعة إذا حركت لالتقاء الساكنين ضمت نحو : (اشتروُا الضلالة) وقد حركها بعضهم إلى الكسر فقال : (اشتروِا الضلالة) لأن اجتماع الساكنين يوجب كسر الأول إذا كانا من كلمتين ، والقراءة المجمع عليها : (اشتروُا الضلالة) بالضم ، وقد رويت : (اشتروَا الضلالة) بالفتح ، وهو شاذ جدا " [2] .

وتحدث عنها أيضا في توجيه قوله تعالى : ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ ﴾ [3] فقال : " بضم الواو لسكونها وسكون اللام ،واختير الضم مع الواو هنا لأن الواو أصل حركتها الرفع ؛ لأنها تنوب عن أسماء مرفوعة ،وقد قرئت (فتمنوا الموت) بكسر الواو لالتقاء الساكنين [4] ؛ لأن الساكنين إذا التقيا في كلمتين كسر الأول مثل : قلِ الحق ، فتكسر اللام من قلْ لسكون لام الحق " [5] .

وتحدث الزجاج عن إسكان الهاء والياء من (هي) والواو من (هو) في توجيه قوله تعالى : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ ﴾ [6] فقال : " بإسكان الهاء ؛ لأن الفاء مع هي قد جعلت الكلمة بمنزلة (فخِذ) فتحذف الكسرة استثقالا ، وقد روى بعض النحويين أنه يجوز في (هي) الإسكان في الياء من (هي) ، ولا أعلم أحدًا قرأ بها ، وهي عندي لا يجوز إسكانها ولا إسكان الواو في (هو) لا يجوز (هو ربكم) ، وقد روى الإسكان بعض النحويين ، وهو رديء لأن كل مضمر فحركته ـ إذا انفرد ـ الفتح ، نحو (أنا ربكم) فكما لا تسكن نون أنا لا تسكن هذه الواو " [7] .

وتحدث عن إسكان الهاء المتصلة بفعل في موضع الجزم عند توجيه قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ [8] فقال : " اتفق أبو عمرو وعاصم والأعمش وحمزة على إسكان الهاء من (يؤده) ، وكذلك كل ما أشبه هذا من القرآن اتفقوا على إسكان الهاء فيه نحو:(يصلِهْ جهنم)[9] و(نؤتِهْ منها)[10] و(نولِّهْ ما تولى)[11] إلا حرفا حكي عن أبي عمرو ، حكى أبو عبيدة عن أبي عمرو أنه كسر في (ألقِهِ

---

(1) البقرة /١٦ . (2) معانيه ٨٩/١ . (3) الجمعة /٦ .

(4) هي قراءة غير متواترة تنسب إلى ابن السميقع وابن يعمر وابن أبي إسحاق ، انظر : روح المعاني ٩٦/٢٨.

(5) معانيه ١٧٢/٥. (6) البقرة/٧٤. (7) معانيه ١٥٧/١ . (8) آل عمران/٧٥.

(9) النساء /١١٥ . (10) آل عمران/١٤٥ ، والشورى/٢٠. (11) النساء /١١٥ .

إليهم)[١] ، ولا فصل بين هذا الحرف وسائر الحروف التي جزمها ، أما الحكاية عن أبي عمرو فيه وفي غيره فغلط ، كان أبو عمرو يختلس الكسرة ، وهذا كما غلط عليه في (بارئكم)[٢] ، حكى القراء عنه أنه كان يجزم الهمزة في (بارئكم) ، وحكى سيبويه عنه - وهو في هذا أضبط من غيره - أنه كان يكسر كسرا خفيا .

وأما نافع وقراء أهل المدينة فأشبعوا هذه الحروف فكسروا وأثبتوا الياءات مثل (يؤدهي إليك) .

وهذا الذي حكي عن هؤلاء غلط بين لا ينبغي أن يقرأ به ؛ لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم ولا تسكن في الوصل ، إنما تسكن في الوقف ، وفي هذه الحروف أربعة أوجه : يجوز إثبات الياء ، ويجوز حذفها تقول : (يؤدهِ إليك) بالكسر ، ويجوز (يؤدهو إليك) بالضم بإثبات الواو بعد الهاء ، ويجوز حذف الواو وضم الهاء ، فأما الوقف فلا وجه له؛ لأن الهاء حرف خفي بين في الوصل بالواو في التذكير ، قال سيبويه[٣]: " دخلت الواو في التذكير كما دخلت الألف في التأنيث نحو : ضربته ،ضربتها ". قال أصحابه : اختيرت الواو لأنها من طرف الشفتين ، والهاء من الحلق ، فأبانت الواو الهاء ، وإنما تحذف الياء لعلة تقلب الواو إليها ، فإذا حذفت الياء بقيت الكسرة ، فأما في الوقف فلا يجوز البتة " [٤] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ [٥] : " فيها أوجه : يجوز فيها : (نولهي) بإثبات الياء ، ويجوز (نولهو) بإثبات الواو ، ويجوز (نولهِ) بكسر الهاء ، فأما (نولهْ) بإسكان الهاء و(نصلهْ جهنم) فلا يجوز إسكان الهاء ؛ لأن الهاء حقها أن يكون معها ياء ،وأما حذف الياء فضعيف فيها ، ولا يجوز حذف الياء ولا تبقى الكسرة التي تدل عليها "[٦] .

ضمير العاقل وضمير غير العاقل :

جاء حديث الزجاج عن ذلك في خمسة مواضع :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ [٧] حيث قال : " كل ما يعقل يقال لجماعتهم :هم ،و(هم) يقال للناس، ويقال للملائكة ، ويقال للجن ، ويقال

(١) النمل /٢٨ . (٢) انظر ما تقدم ص ٧ ،٨. (٣) الكتاب ١٨٩/٤ . (٤) معانيه١/٤٣١ :٤٣٣.
(٥) النساء /١١٥ . (٦) معانيه ١٠٧/٢ . (٧) البقرة /٣١ .

للجان ، ويقال للشياطين ، فكل مميز في الإضمار (هم) هذا مذهب أهل اللغة "[1].

الثاني: في توجيه قوله تعالى : ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[2] حيث قال :" قيل : (يسبحون) كما قيل لما يعقل لأن هذه الأشياء وصفت بالعقل كما يوصف ما يعقل ، كما قالت العرب في رواية جميع النحويين : أكلوني البراغيث ،لما وصفت بالأكل قيل: أكلوني ، قال الشاعر :

شربت بها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا [3] "[4]

الثالث : في توجيه قوله تعالى : ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [5] قال : " قالوا للأصنام (يذكرهم) لأنهم جعلوها في عبادتهم إياها بمنزلة ما يعقل " [6] .

الرابع : في توجيه قوله تعالى :﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ [7] حيث قال : " دابة : اسم لكل حيوان من مميز وغيره ، فلما كان لما يعقل ولما لا يعقل غلب ما يعقل فقيل : منهم ، ولو كان لما لا يعقل لقيل: منها أو منهن ، ثم قال: (من يمشي على بطنه) فقال : (من) وأصل (من) لما يعقل ؛ لأنه لما خلط الجماعة فقيل (منهم) جعلت العبارة بـ(من) "[8] .

الخامس : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [9] قال : " قد قال : الليل والنهار والشمس والقمر ، وهي مذكرة ، وَقال : (خلقهن) ، والهاء والنون تدل على التأنيث ففيها وجهان : أحدهما أن ضمير غير ما يعقل على لفظ التأنيث، تقول: هذه كباشك فسقها، وإن شئت فسقهن ، وإنما يكون (خلقهم) لما يعقل لا غيره .
ويجوز أن يكون خلقهن راجعا على معنى الآيات ، كأنه قال : ومن آياته هذه الأشياء ، واسجدوا لله الذي خلقهن " [10] .

اتصال الضمير بـ(إلى) و(على) :

تحدث الزجاج عن اتصال ياء المتكلم بإلى وعلى في توجيه قوله تعالى : ﴿فَمَنْ تَبِعَ

(١) معانيه ١/١١١ . (٢) الأنبياء /٢٠ .
(٣) البيت من الطويل ، وهو للنابغة الجعدي ، والشاهد فيه تذكير بنات نعش والتعبير عنها بواو الجماعة الذي جعل لما يعقل تنزيلا لها منزلة من يعقل ، وانظر : الكتاب ٢/٤٧ .
(٤) معانيه ٣/٣٩٦ . (٥) الأنبياء /٦٠ . (٦) معانيه ٣/٣٩٦ . (٧) النور /٤٥ .
(٨) معانيه ٤/٥٠ . (٩) فصلت /٣٧ . (١٠) معانيه ٤/٣٨٧.

هُدَايَ﴾ [١] فقال : " الأكثر في القراءة والرواية عن العرب : (هدايَ فلا خوف) فالياء في (هداي) فتحت لأنها أتت بعد ساكن ، وأصلها الحركة التي هي الفتح ، فالأصل أن تقول : هذا غلاميَ قد جاء بفتح الياء ؛ لأنها حرف في موضع اسم مضمر منع الإعراب فألزم الحركة كما ألزمت (هو) وحذف الحركة جائز ؛لأن الياء من حروف المد واللين ، فلما سكن ما قبلها لم يكن بد من تحريكها فجعل حظها ما كان لها في الأصل من الحركة وهو الفتح .

ومن العرب من يقول : هديّ وعصيّ ، فمن قرأ بهذه القراءة فإنما قلبت الألف إلى الياء للياء التي بعدها إلا أن شأن ياء الإضافة أن يكسر ما قبلها فجعل بدل كسر ما قبلها ـ إذ كانت الألف لا يكسر ما قبلها ولا تكسر هي ـ قلبها ياء .

وطيء تقول في هدى وعصا وأفعى وما أشبه هذا في الوقف : هُدَيْ وعصَيْ وأفعَيْ بغير إضافة ، وأنشد أبو الحسن الأخفش وغيره من النحويين :

تبشري بالرفه والماء الرويْ وفرج منك قريب قد أتيْ [٢]

وبعض العرب يجري ما يجريه في الوقف في الوصل مجراه في الوقف ، وليس هذا الوجه الجيد ، وزعم سيبويه أن الذين أبدلوا من الألف الياء أبدلوها في الوقف ليكون أبين لها ، وحكى أيضا أن قوما يقولون في الوقف : حبلوْ وأفعوْ [٣] ، وإنما يحكي أهل اللغة والعلم بها ما فيها ليتميز الجيد المستقيم المطرد من غيره ، ويجتنب غير الجيد ، فالباب في هذه الأشياء أن ينطق بها في الوصل والوقف بألف ، فليس إليك أن تقلب الشيء لعلة ثم تنطق به على أصله والعلة لم تزل ، فالقراءة التي ينبغي أن تلزم هي (هدايَ فلا خوف) إلا أن تثبت برواية صحيحة (هديّ) فيقرأ بها ، ووجهه في القياس ما وصفنا .

فأما قوله (هذا صراط علي مستقيم) [٤] وقوله : (ثم إلي مرجعكم) [٥] فلا يجوز أن يقرأ(هذا صراط علاي) ولا(ثم إلاي مرجعكم)؛لأن الأصل كان في هذا:إلاي وعلاي ، ولكن الألف أبدلت منها مع المضمرات الياء للفصل بين ما آخره مما يجب أن يعرب ويتمكن ، وما آخره مما لا يجب أن يعرب فقلبت هذه الألف ياء لهذه العلة " [٦] .

---

(١) البقرة /٣٨ .
(٢) البيتان من مشطور الرجز للشماخ في ديوانه ص٣٧٧ ، وانظرهما في المنصف ١٦٠/١ واللسان (روي) .
(٣) الكتاب ١٨١/٤ . (٤) الحجر /٤١.
(٥) آل عمران /٥٥. (٦) معانيه ١١٨/١ ، ١١٩ .

بيان مرجع الضمير :

من أمثلة ذلك عند الزجاج ما جاء في توجيه قوله تعالى : ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ﴾ [1] حيث قال : " جاز أن يكون (فأنفخ فيه) للفظ الطين ، وقال في موضع آخر : (فتنفخ فيها فتكون طيرًا بإذني) [2] للفظ الهيئة " [3] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾[4] : "معنى (عليها) على الأرض ، ودل الإضمار على الأرض لأن الدواب إنما هي في الأرض " [5] .

ضمير القصة والحديث :

تعرض الزجاج للحديث عنه في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ [6] وقد أورده برفع (مثقال) وقال : " وتقرأ (مثقالَ حبة من خردل) ... فأما رفع (مثقال) مع تأنيث (تك) فلأن (مثقال حبة من خردل) راجع إلى معنى خردلة ، فهو بمنزلة : إن تك حبة من خردل ... ومن قرأ (إنها إن تك مثقالَ حبة) بالنصب فعلى معنى إنّ التي سألتني عنها إن تك مثقال حبة ، وعلى معنى : إن فعلة الإنسان وإن صغرت يأت بها الله ، ويجوز (إنها إن تك) بالتاء (مثقالَ حبة من خردل) على معنى: إن القصة كما تقول : إنها هند قائمة ، ولو قلت : إنها زيد قائم لجاز ، إلا أن النحويين يختارون ذلك مع المذكر،ويجيزون مع المؤنث التأنيث والتذكير،يقولون:إنه هند قائمة،وإنها أمة الله قائمة،فيجيزون الوجهين ، فأما (إنها إن تك مثقال حبة من خردل) عند من لا يجيز : إنها زيد قائم ، فيجوز عنده هذا لأن معناه التأنيث يرد إلى الحبة من الخردل " [7] .

ومن فوائد الزجاج في هذا الشأن ما جاء في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ [8] حيث يقول : " هذا كناية عن أحدهم الذي جرى ذكره كأنه قال : وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره ، ويصلح أن تكون (هو) كناية عما جرى ذكره من طول العمر فيكون (وما تعميره بمزحزحه من العذاب)، ثم جعل (أن يعمر)

(١) آل عمران /٤٩. (٢) المائدة /١١٠ . (٣) معانيه ٤١٣/١ . (٤) النحل /٦١ .
(٥) معانيه ٢٠٦/٣. (٦) لقمان /١٦ . (٧) معانيه١٩٧/٤، ١٩٨. (٨) البقرة/٩٦.

مبينا عن (هو) كأنه قال : ذلك الذي ليس بمزحزحه أن يعمر ، وقد قال قوم إن (هو) لمجهول ، وهذا عند قوم لا يصلح في (ما) إذا جاء في خبرها الباء مع الجملة ، لا يجيز البصريون : ما هو قائما زيد ، يريدون : ما الأمر قائما زيد ، ولا كان هو قائما زيد ، يريدون : كان الأمر قائما زيد ، وكذلك لا يجيزون :ما هو بقائم زيد، يريدون : ما الأمر " [1] .

ضمير الفصل :

تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾[2] فقال:" قال أهل العربية : المعنى: لا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيرا لهم ، ودل (يبخلون) على البخل ، و(هو) ههنا فصل وهو الذي يسميه الكوفيون العماد ، وقد فسرناه إلا أنا أغفلنا فيه شيئا نذكره ههنا ، زعم سيبويه [3] أن هو وهما وهم وأنا وأنت ونحن وهي ، وسائر هذه الأشياء إنما تكون فصولا مع الأفعال التي تحتاج إلى اسم وخبر ، ولم يذكر سيبويه الفصل مع المبتدأ والخبر ، ولو تأول متأول أن ذكره الفصل ههنا يدل على أنه جائز في المبتدأ والخبر كان ذلك غير ممتنع " [4] .

وقوله "وقد فسرناه" يشير به إلى ما ذكره في توجيه قوله تعالى :﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [5] حيث قال : " هم : دخلت فصلا ، وإن شئت كانت تكريرا للاسم كما تقول:زيد هو العالم فترفع زيدا بالابتداء وترفع (هو) ابتداء ثانيا، وترفع (العالم) خبرا لهو ، وتجعل هو والعالم خبرا لزيد ، فكذلك قوله :(أولئك هم المفلحون)، وإن شئت جعلت (هو) فصلا ، وترفع زيدا والعالم على الابتداء وخبره .

والفصل هو الذي يسميه الكوفيون عمادا ، وسيبويه[6] يقول : إن الفصل لا يصلح إلا مع الأفعال التي لا تتم نحو : كان زيد هو العالم ، وظننت زيدا هو العالم ، وقال سيبويه : دخل الفصل في قوله عز وجل : (تجدوه عند الله هو خيرا)[7] وفي قوله : (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم)[8] وفي قوله: (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق) [9] وفي قوله : (وإذ قالوا اللهم إن

(١) معانيه١/١٧٨، ١٧٩.
(٢) آل عمران/١٨٠.
(٣) الكتاب ٢/٣٨٧ .
(٤) معانيه ١/٤٩٢ ، ٤٩٣ .
(٥) البقرة /٥ .
(٦) انظر : الكتاب ٢/٣٨٧ ، ٣٨٩ .
(٧) المزمل /٢٠ .
(٨) آل عمران /١٨٠.
(٩) سبأ/٦ .

كان هذا هو الحق من عندك)[1] وما أشبه هذا مما ذكر الله عز وجل ، وكذلك لك في الكلام في الابتداء والخبر ، وفي قولك : كان زيد هو العالم ذكر هو وأنت وأنا ونحن ، دخلت إعلاما بأن الخبر مضمون ، وأن الكلام لم يتم ، وموضع دخولها إذا كان الخبر معرفة أو ما أشبه المعرفة ، وأن (هو) بمنزلة (ما) اللغو في قوله عز وجل : (فبما رحمة من الله لنت لهم)[2] فإنما دخولها مؤكدة "[3] .

وقد تحدث عن ضمير الفصل أيضا في موضعين آخرين :

الأول : في توجيه قوله تعالى :﴿هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[4] حيث قال : " القراءة بالرفع في (أطهر) وقد رويت عن الحسن (هن أطهرَ لكم) وعن عيسى بن عمر ، وذكر سيبويه[5] أن ابن مروان لحن في هذه فنصبها ، وليس يجيز أحد من البصريين وأصحابهم نصب (أطهر) ويجيزها غيرهم ،والذين يجيزونها يجعلون (هن) في هذا بمنزلتها في كان، فإذا قالوا (هؤلاء بناتي هن أطهرُ لكم) أجازوا (هن أطهرُ لكم) كما يجيزون : (كان زيد هو أطهرُ من عمرو ، و(هذا) ليس بمنزلة (كان) إنما يجوز أن يقع (هو) وتثنيتها وجمعها عمادا فيما لا يتم الكلام إلا به نحو :كان زيد أخاك؛ لأنهم إنما أدخلوا (هو) ليعلموا أن الخبر لا بد منه وأنه ليس بصفة للأول ، وباب (هذا) يتم الكلام بخبره ، إذا قلت هذا زيد فهو كلام تام .

ولو جاز هذا لجاز : جاء زيد هو أنبلَ من عمرو ، وإجماع النحويين الكوفيين والبصريين أنه لا يجوز : قدم زيد هو أنبلَ منك حتى يرفعوا فيقولوا هو أنبلُ منك ... "[6] .

والثاني: في توجيه قوله تعالى : ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾[7] حيث قال : "موضع (أربى) رفع ، المعنى : أن تكون أمة هي أكثر من أمة ، وزعم الفراء[8] أن موضع (أربى) نصب ، و(هي) عماد ، وهذا خطأ ، (هي) لا تدخل عمادا ولا فصلا مع النكرات ، وشبهه بقوله : (تجدوه عند الله هو خيرا) ، و(تجدوه) الهاء فيه معرفة ، و(أمة) نكرة " [9] .

(1) الأنفال /٣٢ . (2) آل عمران /١٥٩ . (3) معانيه١/٧٤، ٧٥.
(4) هود /٧٨ . (5) الكتاب ٣٩٦/٢ ، ٣٩٧ . (6) معانيه ٣ /٦٧ ، ٦٨ .
(7) النحل /٩٢ . (8) معاني الفراء ١١٣/٢ . (9) معاني الزجاج ٢٠٦/٣ .

ثانيًا : العلم

حكم الاسم مع اللقب والكنية :

لـم يتعرض الزجاج لذلك في معانيه ، لكنه أفرد لذلك بابًا في كتابه (ما ينصرف ...) عنوانه : باب الألقاب ، وفيه يقول :"اعلم أن الألقاب تجري مجرى ما يعرِّف الأسماء ، والأسماء تعرف بالصفات ، كقولك : جاءني زيدٌ الطويل ، وتعرف بالإضافة ، كقولك : جاءنـي زيدُ عمرٍو وغلامُ بكرٍ ، فإذا لقبت مفردًا بمفرد أضفت الاسم إلى اللقب فقلت : هـذا زيدُ قفّةٍ وسعيدُ كرزٍ ، وإن كان اللقب مضافًا قلت : هذا زيدٌ رأسُ الجمل ، وهذا عمرُو وجهُ الفيل ، فإذا كان اللقب مفردًا فهو مضاف لا غير ، وإذا كان مضافًا فهو صفة لا غيـر ، قـال سـيبويه والخلـيل [1]:جـرت الألقـاب مجـرى التـسمية ، فالاسـم المفـرد والمـضاف كنيـته تابعـة له ، تقول : جاءني محمدٌ أبو عبدِ اللهِ ، وجاءني عبدُ اللهِ أبو محمـدٍ ؛ فقـد جـرى فـي كلام العرب أن يكون للرجل اسمان : إما أن يكون أحدهما مـضافًا ، نحـو : زيدٌ أبو عبدِ اللهِ ، فـ(أبو عبد الله) مضاف ، و(زيد) مفرد ، أو يكون الاسمان مضافين ، نحو : عبدُ الله أبو محمد ، وعبد الرزاق أبو فلان ، فكل واحد تابع لـصاحبه كالـنعت ، وليس للعرب في أسمائها أن يكون للرجل اسمان مفردان ، نحو أن يكـون لـه زيد عمروٌ ، فلما وقع اللقب مفردًا والاسم مفرد فأردت أن تعرف الاسم باللقب أضـفته فقلـت : هذا زيدُ كرزٍ إذا كان لقبه كرزًا ، فهذا كلام العرب ، ويجوز أن تجعل اللقب بدلاً من الاسم ، فتقول :هذا زيدٌ قفّةٌ يا هذا ، وهذا قياس وليس من كلام العرب، إنمـا تقـول العـرب : هـذا قيسُ قفةٍ ، وسعيدُ كرزٍ ، فإن قال قائل : فهلا أضفت الاسم إلـى لقـبه إذا كان مضافًا فقلت : هذا زيدُ رأسِ الجمل ؟ فإن ذلك لا يجوز ، ولو جاز هذا لقلت : هذا زيدُ أبي عبد الله ، وأبو عبد الله كنية ؛ لأن المضاف معرف فهو صفة للاسـم كالظـريف ، ولـو جـاز هذا لقلت : هذا زيدُ الظريفِ ، فكنت تضيف الاسم إلى نفسه ، وذلك خطأ في قول جميع النحويين [2] .

حكم العلم المركب تركيبا مزجيا :

تحدث عنه الزجاج في كتاب ما ينصرف فقال :

هذا باب الاسمين اللذين ضم أحدهما إلى الآخر فجعلا اسمًا واحدًا

---

(١) الكتاب ٣/٢٩٥ .

(٢) ما ينصرف ص١٠٠ ، ١٠١ .

" وذلك نحو (حضرموت) و(بعلبك) ، فهذه الأسماء على ضربين : فأحد الضربين وهو أكثرهما أن تعرب آخر الاسم الثاني ويجعلا جميعا بمنزلة اسم واحد ويفتح آخر الاسم الأول ، ويمنع جملة الاسم الصرف ، وإنما منع الصرف لأنه معرفة ، وأنهما اسمان جعلا اسمًا واحدًا، وليس ذلك في الأسماء التي تدل على النوع نحو : رجل ، وفرس ، فلما خرج عن بنية أصول الأسماء وجعل معرفة منع الصرف كما منع (حمزة) و(طلحة) الصرف ؛ لأنك ضممت الهاء إلى (طلحٍ) و(حمزٍ) ، فتقول : هذه حضرموتُ وبعلبكُّ يا هذا ، وإن شئت أضفت الاسم الأول إلى الثاني فقلت : هذا بعلُبكٍّ وحضرُموتٍ ، فتجريهما مجرى (سعيدُ كرزٍ) ... وكذلك (هذه رامَ هرمزُ يا هذا) بضم الزاي ومنع الصرف، وإن شئت أضفت فقلت : (هذه رامُ هرمزَ يا هذا) وفتحت (هرمزَ) وهو في موضع جر لأن (هرمز) أعجمي لا ينصرف .

فأما (معديكربُ) ففيه لغات : من العرب من يقول :(هذا معديكربُ يا هذا) فيرفع (كربًا) لأنه آخر الاسم ، ومنهم من يقول (هذا معديكربٍ) فيضيف ويصرف ، ومنهم من يقول (هذا معديكربَ) فيضيف (معدي) إلى (كرب) ولا يصرف (كرب) ، قال سيبويه[1]: يجعل (كربًا) اسمًا لمؤنث . وعلى هذا القول والإضافة تقول : رأيت معديكربٍ ، ورأيت معديكربَ ، ويجوز الإسكان وهو أكثر الكلام .

العرب تقول :رأيت معديكربَ يا هذا ، فيفتحون (كربَ) لأن الاسم في موضع نصب، كما يقولون : رأيت حضرموتَ يا هذا ، وكذلك قولهم في الإضافة : رأيت معديكربَ يا هذا ، يختارون الإسكان لأن الياء قد جرت في الرفع والجر على الإسكان فأتبعوه النصب، وهذا مذهب سيبويه والخليل[2] وكلام العرب، وفتح الياء قياس في الإضافة ... ولم يحك الفتح في معديكرب ، لم يجز : رأيت معديَكرب ، وإنما أجزته قياسا "[3] .

حكم العلم المركب تركيبا إسناديا :

تحدث عنه الزجاج في كتاب ما ينصرف فقال : هذا باب الحكاية بالتسمية

" اعلم أنك إذا سميت رجلاً (ضرب زيدًا) أو (قام زيدٌ) فهو على هيئة واحدة في الرفع والنصب والجر ، تقول : هذا قام زيدٌ ، ورأيت قام زيدٌ ، ومررت بقام زيدٌ ، ومثل ذلك قول العرب : هذا تأبط شرًا ، وهذا برقَ نحرهُ ، اسم كل واحد منهما محكي على كل حال ، ومثل ذلك : بني شـاب قرناها ، وروى هذه الأسـماء جميع النحويين وخبروا

(١) الكتاب ٢٩٦/٣ .　　(٢) الكتاب ٢٩٦/٣ ، ٢٩٧ .　　(٣) ما ينصرف ص١٠٢ : ١٠٤.

فيها أنها على هيئة واحدة وأن العرب كذلك تتكلم ، وأنشد :

إن لها مركّنًا إرزبّا

كأنّه جبهة ذرا حبّا [1]

وأنشد :

كذبتم وبيتِ اللهِ لا تنكحونها   بني شاب قرناها تصرُّ وتحلبُ [2]

فهذه الأسماء في الرواية كذلك ، والحجة فيها أنها أسماء عمل بعضها في بعض ، وذلك أن (تأبط شرًّا) : (تأبط) فعل ماض رفع المضمر فيه ، ونصب (شرًّا) بوقوع الفعل عليه ، وكذلك (برق نحره) ارتفع بفعله ، فلما دخل العامل على كلام قد عمل بعضه في بعض ، عملَ العاملِ في المعنى ، كأنك قلت في (برق نحره) : رأيت رجلاً يقال له برق نحره ، ورأيت رجلاً يقال له تأبّط شرًّا ، فلا يجوز أن يعمل فيما عمل بعضه في بعض ، وإن قال قائل : هلا جعلته بمنزلة (حضرموت) و(بعلبك)؟ قيل له:(بعلبك) و(حضرموت) اسمان ضم أحدهما إلى الآخر فجعلا اسمًا واحدًا، كما ضمت هاء التأنيث إلى (قائم) حيث قلت (قائمة) فلا يعمل أحدهما في الآخر ، وإنما هما اسم واحد بمنزلة اسم طُوّل بزيادة نحو (عنتريسٍ) و(مرمريسٍ) .

وقال سيبويه [3]: من قال أغير هذا في التسمية لزمه أن يغير اسم الرجل إذا سُمي بـ(يا دار ميّة بالعلياء فالسندِ) ، وكذلك إن طولت الحديث كان أقبح . فإذا ثنيت الرجل يسمى (تأبط شرًّا) و(برق نحره) أو (قام زيدٌ) لم تلحق هذا الاسمِ علامة للتثنية ؛ لأن الاسم أشياء قد عمل بعضها في بعض ، وألف التثنية إنما تلحق لفظًا واحدًا فتجعله يدل على اثنين ، نحو قولك (رجلٌ) و(رجلانِ) ، فتقول في تثنيته : هذان ذوا برق نحره، وصاحبا برق نحره ، أو كلاهما برق نحره ، فتثني ما يدل على أنهما اثنان ؛ إذ لم تلحقهما علامة التثنية ، وكذلك تصنع في الجمع .

وإذا كان اسم الرجل (زيدٌ أخوك) أو (قام زيدٌ) لم يمكنك تصغيره أيضًا كما لم يمكنك تثنيته ولا جمعه ، فإنما تقول : هذا برق نحره الصغيرُ .

قال سيبويه[4] : ومثل (برق نحره) قوله : بدأت بالحمد لله رب العالمين ، ومثله :

(١) من مشطور الرجز أو السريع لرجل من بني طهية ، وانظره في الكتاب ٣/٣٢٦ والمقتضب ٤/٩ وشرح ابن يعيش ١/٢٨ .

(٢) من الطويل ، لبشر بن أبي خازم أو الطرماح ، من شواهد الكتاب ٢/٨٥ ، ٣/٣٢٦ .

(٣) الكتاب ٣/٣٢٦ .   (٤) المصدر السابق .

وجدنا في كتاب بني تميمٍ " أحقُّ الخيل بالركض المعارُ " [1]

فالمعنى أنه وجد هذا اللفظ كذلك ، كأنه قال : وجدنا في كتاب بني تميم معنى صفته: " أحقُّ الخيل بالركض المعارُ " .

وكذلك إن سميت رجلاً (خيرًا منك) قلت : هذا خيرُ منك قد جاء ، ومررتُ بخيرٍ منك ، وإذا سميت به امرأة فهو منون أيضًا ، تقول : هذه خيرُ منك قد جاءت ، فتنونه ؛ لأن (خيرًا) بعض الاسم ، وإذا ناديته قلت : يا خيرًا من زيد ، فالتنوين في وسط الاسم، فلذلك لم يحذف فيما لا ينصرف وفي النداء ،وكذلك لا يحذف في النفي إذا كان نكرة، تقول : لا خيرًا منك في الدار .

وإذا سميت رجلاً (عاقلةً لبيبةً) قلت : هذا عاقلةٌ لبيبةٌ قد جاء ، ولو سميته بـ(عاقلة) وحدها قلت : هذا عاقلةُ قد جاء ، وإنما نونت في الأول لأنك حكيت النكرة وطال الاسم ، ومنعت التنوين إذا سميته بـ(عاقلة) وحدها لأن الاسم قصر وصار معرفة ، وإن شئت نونته وهو معرفة تقصد إلى حكاية نكرته ، فتقول: هذا عاقلةٌ قد جاء ، كأنك قلت: هذا اسمه امرأةٌ عاقلةٌ .

وإذا سميت رجلاً (وزيدًا) فلا بد من أن يكون قبل التسمية به : إما معطوفًا على منصوب أو مرفوع أو مخفوض ، فإن كان على جهة من هذه الجهات تركته في الرفع والنصب والجر على لفظ واحد ، لو سميته (وزيدًا) فكان على قولك : ضربت عمْرًا وزيدًا قلت : جاءني وزيدًا ، ومررت بوزيدًا ، ورأيت وزيدًا ؛ لأنك كأنك سميته بقولك: وضربت زيدًا ، لا يصلح إلا ذلك ؛ لأنه كلام عمل بعضه في بعض ، وكل كلام عمل بعضه في بعض فعلى لفظ واحد في الحكاية .

وإن سميت رجلاً (زيدُ وعمرُو) قلت : جاءني زيدُ وعمرُو ، ورأيت زيدًا وعمْرًا ، ومررت بزيدٍ وعمرٍو ،أعربته وصرفته لأنك لفظت باسم بعد اسم ،فهو كتسميتك بالأسماء معقودة في لفظة واحدة ، إذا قلت في تسمية رجل سميته (زيدَين) قلت : هذا زيدان ، ورأيت زيدَين ، وكذلك إذا سميته بجمع قلت : هذا زيدون ، ورأيت زيدِين ، فجمعه على عقدة واحدة وتفريقه معنى واحد .

فإن قال قائل : فأنت تجيز : هذا زيدونٌ قد جاء ، ورأيت زيدينًا ، ومررت بزيدِين ؟ قيل له:فهذا أجود ألا يتغير (زيدُ وعَمرُو) في التسمية ، وإن ناديته قلت : يا زيدًا وعَمرًا

(1) من الوافر ، وهو لبشر بن أبي خازم ، وانظر الكتاب ٣٢٧/٣ ، والمقتضب ١٠/٤ .

أقبل،فتنونه لطول الاسم وترده إلى أصل النداء وهو النصب ، فعلى هذا مجرى الأسماء.

قال سيبويه[1] : وإذا سميت رجلاً (مِن زيدٍ) و(عن زيدٍ) لم تحكه وقلت : هذا مِنُ زيدٍ ، وعنُ زيدٍ ؛ لأن (من) مضافة إلى (زيد) ، فلو سميت بـ(من) وحدها لأعربتها ، فإضافتها كإضافة الاسم المضاف .

قال أبو إسحاق : وهو عندي تجوز فيه الحكاية ؛ لأن سيبويه والخليل وجميع النحويين قد أجمعوا على أنهم إذا سـموا رجلاً (بزيد) أو (لزيد) أو (كزيد) حكوه، فعلى حكاية (بزيد) و(لزيد) يجوز أن تحكيَ (مِن زيد) .

فإن قال قائل:(مِن زيدٍ) يجوز الوقوف عليه ، والباء لا يجوز الوقوف عليها . قيل له: أليس إنما جازت حكاية (بزيد) لأن الكلام قد عمل بعضه في بعض ؟ فإنه قائل: بلى، فيقال له : فكذلك (مِن) . فإن قال : فهل يجوز إذا سميت به مفردًا أن تحكيها؟ قيل له: لا يجوز ذلك ؛ لأنه ليس بكلام عمل بعضه في بعض . فإن قال : فهل تجيز في (بزيدٍ) و(لزيدٍ) ألا تحكيه؟ قيل له: لا يجوز ذلك والباء على لفظها .

ويلزم سيبويه والخليل أن يجيزا ألا يحكيا ، وأن يجعلا الباء اسمًا على حياله ويضيفوا فيقولوا : باءُ زيدٍ ، ولاءُ زيدٍ في (لزيدٍ) ؛ وذلك لأنهما زعما أنهما إذا سميا رجلاً (في زيدٍ) قالا : هذا فيُّ زيدٍ قد جاء ؛ لأن الاسم لا يكون على حرفين الثاني حرف لين ، فزادوا عليه حتى بلغ ثلاثة أحرف ، فكذلك لا يجوز أن يكون اسم على حرف واحد ، فيلزم أن يقولوا: هذا بِيُّ زيدٍ في (بزيدٍ) و(لِيُّ) زيدٍ ؛ لأن اللام والباء مكسورتان .

قال أبو إسحاق : وأما الذي قلته أنا فهو (باءُ زيدٍ) فإنما نطقت بالاسم المستعمل عبارة عن الباء ، والأقيس إذا لم يحك (بِيُّ زيدٍ) ، وفي الكاف (كاءُ زيدٍ) على كل حال في (كزيدٍ) إذا لم يحك ، فإذا حكيت فالوجه الحكاية فيما كان على حرف .

وإذا سميت رجلاً (عمَّ) من قولك : عمَّ تسأل ؟ قلت : هذا عمٌّ قد جاء ، ومررت بعمٍّ يا هذا ، لا تغير ، وأنت تريد حكاية الاستفهام ، فإن أضفت (عن) إلى (ما) قلت : هذا عنْ ماءٍ قد جاء ؛ لأن (ما) إذا صارت اسمًا مدَّت .

وإذا سميت رجلاً (إمَّا) من قولك : إما أن تقوم وإما أن تقعد ، حكيت فقلت: هذا إما قد جاء ، ورأيت إمَّا ؛ لأنه (إن) ضمت إليه (ما) ، الدليل على ذلك قول الشاعر:

---

(١) الكتاب ٣٢٩/٢ ، ٣٣٠ .

لقد كذبتْكَ نفسك فاكذِبَنْها   فإنْ جزعًا وإنْ إجمالَ صبرِ [(١)]

المعنى : فإما أن تجزع وإما أن تصبر ، ولا يجوز إلا الحكاية ؛ لأنك تقصد أن تذكر الحرفين اللذين ضمَّ أحدهما إلى الآخر .

وكذلك إذا سميته (إمَّا) في قولك : إمَّا تعرضنَّ عنِّي أكرمْك ، فهي (إنْ) التي ضمت إليها (ما) ، فليس فيها إلا الحكاية .

وإن سميت رجلاً (أمَّا) التي في قولك: أما زيدٌ فقائم ، لم تحك ؛ لأن (أمَّا) فَعْلا ، إن شئت جعلت ألفها للتأنيث فلم تصرف ، وإن شئت جعلت ألفها ملحقة فلم تصرف في المعرفة وصرفت في النكرة ، كما فعلت في (أَرْطَى) .

وإذا سميت رجلاً (إلاَّ) التي للاستثناء لم تحك أيضًا ؛ لأنها على تقدير (فِعْلَى) ، فإن شئت جعلت ألفها للتأنيث بمنزلة (دفْلَى) فلم تصرفها في معرفة ولا نكرة ، وإن شئت جعلتها بمنزلة (معْزى) فصرفتها في النكرة .

وإذا سميت رجلاً (أما) أو (ألا) التي تقع في الاستفهام في قولك : ألا تفعل ؟ وأما تفعل؟ حكيت لا غير ؛لأنهما شيئان: ألف ضمت إليها (لا) ، وألف ضمت إليها (ما).

فإن سميت رجلاً (أما) أو (ألا) في قولك : أما إنك قائم ، وألا إنك قائم ، أعربت ولم تحك ؛ لأن (ألا) حرف كان للابتداء على حياله على وزن (عصا) و(رحى) ، فإن ثنيته اخترت في تثنيته الواو ؛ لأنه حرف لم يستعملْ بالإمالة فتجوز فيه الياء .

وإذا سميت رجلاً(كأنَّ) أو (كذا) أو (كذلك) حكيت لا غير على مذهب سيبويه[(٢)]؛ لأن الكاف ضمت إلى (أنَّ) ، وكذلك ضمت الكاف إلى (ذا) .

وكذلك إذا سميت رجلاً (هذا) حكيت ؛ لأنها (ها) ضم إليها (ذا) ... وإذا سميت رجلاً (لعلَّ) حكيت لا غير ؛ لأنها (علَّ) دخلت عليها اللام للتوكيد ، قال الشاعر :

* يا أبتا علَّك أو عساكا[(٣)]* " [(٤)]

التسمية بالفعل تقتضي قطع همزة الوصل :

قرر ذلك الزجاج في كتاب (ما ينصرف) فقال : " إذا سميت رجلاً (اضرب) أو (استضرب) أو (احرنجم) ـ ومعنى احرنجم:اجتمع ـ فإنك تقطع الألف فتقول:هذا إضرب قد جاء ، وتمنعه الصرف؛ لأنه على وزن الفعل وهو معرفة ... وإنما قطعت الألف لأنك

(١) من الوافر ، لدريد بن الصمة ، وانظره في الكتاب ١/٢٦٦ .   (٢) الكتاب ٣/٣٣٢ .
(٣) من مشطور الرجز ، وهو لرؤبة ، ديوانه ص١٨١ ، وانظره في الكتاب ٢/٣٧٥ ، والمقتضب ٣/٧١ .
(٤) ما ينصرف /١٢٣ : ١٣٠ .

نقلت الأفعال إلى الأسماء ،وأصل ألفات الوصل للأفعال ، فلما أخرجتها إلى الأسماء أخرجتها إلى باب غير ألفات الوصل ، فإن سميته (استخراج) أو (استضراب) وصلت الألف ؛لأن هذه الألف كانت في المصدر موصولة كما كانت في الفعل موصولة ، فنقلت اسمًا فيه ألف وصل من معنى إلى معنى ، وكلا المعنيين اسمان ، فتركت الألف على حالها ، وإذا سميت رجلاً (ابن) وصلت ألفه أيضا فقلت : هذا ابن قد جاء ، وصرفت هذه الأسماء كلها ـ أعني استفعال وانفعال وافتعال ـ لأنها ليست على وزن الفعل"[1] .

ولا تقطع همزة الفعل إذا كان من جملة ، فهو يقول : " وإذا سميت رجلاً (اضرب) الذي فيه ضمير تركت ألفه موصولة ، ووقفت آخره في الرفع والنصب والجر ، وكذلك كل كلام عمل بعضه في بعض، تقول : هذا (اضربْ) قد جاء ، تلفظ بالضاد بعد الذال، سقطت ألف (اضرب) للوصل ، وسقطت ألف (هذا) لسكون الضاد وبقي موقوفا ؛ لأنه قدر مع المضمر ، كأنك قلت : اضرب أنت "[2] .

إعراب ما سمي به من الفعل المسند إلى ألف التثنية وواو الجماعة :

عقد الزجاج لذلك بابا في كتابه ما ينصرف ، عنوانه : باب تثنية الأفعال وجمعها إذا سميت بها رجلا ، وفيه يقول : "زعم سيبويه والخليل ويونس [3] أنك إذا سميت رجلا بـ(ضربا) من قولك : ضربا الزيدان قلت : هذا ضربانِ قد جاء ، ورأيت ضربين ، وإنما ألحقته النون لأن تثنية الأسماء تلحقها النون ، وإنما سميته بلفظ مثنى فلا بد في لفظ تثنية الأسماء من النون ، وجعلت إعرابه وإن كان واحدا إعراب الاثنين لأن لفظك لفظ الاثنين حكاية للتثنية .

وإن شئت قلت : هذا ضربانُ قد جاء فجعلت الألف والنون فيها بمنزلتها في النقران والجولان ، فلم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة كما تفعل بـ(عثمان) .

وقالوا كلهم : إذا سميت رجلا (ضربوا) في هذا القول قلت : هذا ضربونَ قد جاء، ورأيت ضربين ، ومررت بضربين ، تلحق النونَ كما ألحقتها مع الألف ؛ لأن لفظ الجمع في الأسماء لا يكون إلا بالنون كما لم تكن التثنية إلا بالنون ، وجعلته كالجمع في الإعراب،كما قال الله جل وعز:﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾[4]، قالوا :فإن جعلته معرب الآخر بمنزلة قولك:هذه سنينٌ قلت : هذا ضربينٌ قد جاء، ورأيت

(١) ماينصرف ص١٩ . (٢) السابق . (٣) الكتاب ٣/٢٠٩ ، ٢١٠. (٤) المطففين /١٨ ، ١٩ .

ضـربينا قد جاء ، ومررت بضربين ، فهذا إجماعهم ، والذي أراه أن الواو ثبوتها جائز، وأنهم قد غلطوا في قلبهم هذا الباب إلى الياء دون الواو،وكان ينبغي أن يقولوا:إنه على ضـربين : مـن قال سِنينٌ قال : ضربينٌ ، ومن اعتد بزيادة الواو والنون قال : هذا ضربون قـد جـاء ، مـثل زيـتون ، ومررت بضربين ، ولا أعلم أحدا قال هذا إلا محمد بن يزيد رحمه الله فإنه أنبأنا بهذا القياس " [1] .

ما يحكى من الأعلام :

ذكـر الـزجاج أن مـا سمي به من الجمل يكون على لفظ واحد على سبيل الحكاية ، وقد تقدم حديثه عن ذلك في باب الحكاية بالتسمية ، وقال في موضع آخر من كتاب ما ينصـرف : " إذا سـميت رجلا (ضربا) أو (ضربوا) والألـف للضـمير فلا اخـتلاف بين جميع النحويين أنه حكاية على لفظ واحد في الرفع والنصب والجر ، تقول : هذا ضربا، ورأيت ضربا ، ومررت بضربا " [2] .

ويـدخل في هذا الموضوع ما يحكى من أسماء السور ، وقد تحدث عنه الزجاج في بـاب أسماء السور ، وفي ذلك يقول : " تقول إذا أردت اسم السورة : هذه تبة يا هذا، فإذا وقفت قلت : هذه تبهْ ؛ لأن تاء التأنيث في الفعل إذا صارت في الاسم صارت هاء، وكذلك تقول : هذه إقتربه ، فتقف بالهاء وتقطع الألف ؛ لأنك قد أخرجتها من الأفعال إلـى الأسـماء ، وإن أردت الحكايـة قلـت : هـذه اقتربت الساعة وتبت يدا أبي لهب ، وكذلك إن أضمرت الساعة قلت : هذه اقتربتْ وهذه تبتْ ؛ لأنك كنيت عن اليدين ، إلا أن هـذا لا ينبغـي أن يستعمل ؛ لأنه لا يعلم بـ(تبت) اسم السورة ، ولكن الذي يجوز : هذه تبهْ وهذه تبت إذا قصدت إلى الحكاية وأنك ترفع بها " [3] .

ثـم ذكر الحكاية في نون وقاف وصاد ، وأنها تكون بإسكان آخرها فتقول : هذه نونْ يا هذا موقوفة ، فحكيت الحرف على ما كان يلفظ به في السورة .

ثـم قـال :" فإذا قلت : هذه يا أيها المدثر ، أو هذه سأل سائل ، أو هذه والفجر ، وكـل كـلام عمـل بعـضه في بعض فهو حكاية لا غير لا تغيره عن لفظه في السورة ، فإذا قلت : هذه سبحَ فإن جعلته اسما للسـورة قلت : هذه سبحُ يا هذا ، وإن أردت الحكاية فالأجـود أن تقول : هذه سبح لله ما في السماوات ، فحكيت الكلام على ما عمل بعضه في بعض " [4] .

---

(١) ما ينصرف ص٢٢ ،٢٣. (٢) المصدر السابق ص٢٣. (٣) السابق ص٦١. (٤) السابق ص٦٢.

ثـم ذكـر ما يجوز في طس ويس وطسم وكهيعص وطه فقال : " إذا قلت : هذه طس ويـس فالأجـود أن تقـول : هذه طاسينُ وياسينُ ولا تصرف ، وتجريهما مجرى الأسماء الأعجمـية نحـو : هابـيل وقابـيل ، قال سيبويه[1] : وإن شئت أسكنت إذا أردت حكاية الحرف ، فإذا قلت : هذه طسم فالأجود أن تفتح آخر سين وتضم آخر ميم فتقول : هذه طـسينَ مـيمَ فـتجعل (طـسين) اسـما و(مـيم) اسما وتضم أحدهما إلى الآخر فتجريهما مجـرى حضرموت وبعلبك ، وإن شئت أسكنت كما أسكنت في السورة ، فأما (كهيعص) فلـيس فـيها إلا الحكايـة تقـول : هـذه كهيعص ؛ لأنه لا يجوز أن تجعل خمسة أشياء اسـما واحـدا ، فـإذا قلـت : هـذه طـه فهي على ضربين : إن شئت حكيت ، وإن شئت جعلـته اسـما للـسورة فلـم تصرف ، والحكاية في هذا والإعراب سواء لأن آخره ألف ، فالتقدير فيها إذا كانت معربة أنها في موضع رفع " [2] .

ما يغير لجعله علما :

تقدمت هنا أمثلة لذلك ، ومما يدخل فيه قول الزجاج: " إن سميت رجلا (ضَرَبَتْ) مـن قولك : ضربت هند جعلت التاء في الوقف هاء ؛ لأنك قد أخرجته من باب الأفعال إلـى بـاب الأسماء ، وكذلك (هنت) و(منت) إنما كانت نونهما مسكنة لأنها في الكناية فـي (هـنت) وفـي الاسـتفهام فـي (مـنت)، فلمـا سمیت بهما أخرجتهما من باب الكناية والاسـتفهام كما أخرجت (ضربت) من باب الأفعال إلى باب الأسماء فصارت التاء هاء في الوقف ، وفتحت ما قبلها لأنها صارت مثل تاء حمزة وثمرة " [3] .

وكـذلك مـا نقله عن سيبويه [4] من قوله : " إذا سميت رجلا (ذو) قلت : هذا ذَوًى قد جاء " ثم قال : " فحكم أن أصل (ذو) فَعَل ، وكان الخليل يقول : هذا ذوٌ فاعلم، يذهب الخليل إلى أن أصله فَعْل بتسكين العين " [5] .

وذكـر أن مـا آخـره حرف لين من الحروف عند استعماله في التسمية لا بد من زيادة حرف مثل آخره ، فيقال : لوٌّ ، وأوٌّ ، وفيٌّ ، ومن ذلك قول الشاعر :

ألام على لوٍّ ولو كنت عالمًا ... بأذناب لوٍّ لم تفتني أوائلُهْ [6]

قال : وإنما كرهوا أن يتركوا ما كان على حرفين الثاني حـرف لين على لفظه ويحركـوه

---

(١) الكتاب ٢٥٨/٣. (٢) ما ينصرف ص٦٢ ، ٦٣. (٣) السابق ص٤٢.

(٤) الكتاب ٢٣٣/٢. (٥) ما ينصرف ص٦٨ ، ٦٩ .

(٦) من بحر الطويل ، وهو من شواهد الكتاب ٢٦٢/٣ ، والمقتضب ٣٥/١ ، وابن يعيش ٣١/٦ .

لأنه يلحقه التنوين ولا تثبت الحركة فيه ، لو قلت : هذه فٍ فاعلم ، تريد فيٌّ فاعلم فتسقط الضمة لثقلها وثقل الياء ، وتسقط الياء لسكونها وسكون التنوين ، فيبقى الاسم على حرف واحد فتجحف به ، فلذلك قالوا : هذه فيٌّ فاعلم ولوٌّ فاعلم [١] .

وعن لفظ (فو) إذا جعل علما ، ينقل الزجاج عن سيبويه [٢] قوله : " سألت الخليل عن (فو) إذا سميت به رجلا فقال:قد كفتنا العرب مئونة ذلك فقالوا حين أفردوه (فمٌ) " ثم يقول الزجاج : " إلا أن الوجه عندي إذا سميت رجلا (فو) أن تقول : هذا فوهٌ ؛ لأن جمعه أفواه ، وأفواه جمع فوه مثل أثواب جمع ثوب " [٣] .

ومما نقله عن سيبويه في ذلك أيضا : " قال الخليل: إذا سميت رجلاً (يغزو) - ولم يكن في قول الخليل ويونس إلا (يغزي) بالياء - فأما الخليل فينون ويقول : هذا يغزٍ ، كما ترى ، وأما يونس فيقول : هذا يغزي بغير تنوين ، وقال الخليل : لا ينبغي أن يكون في قول يونس إلا هكذا ؛ لأنه ليس في كلام العرب في الأسماء واو قبلها ضمة ، ألا ترى أنك تقول : هذه أدلي زيدٍ ، جمع (دلوٍ) ، والأصل : هذه أدلُو زيد ، ومثل ذلك قول الشاعر :

لا صبر حتى تلحقي بعنْس

أهل الرياط البيض والقلنسي [٤]

يريد جمع قَلَنْسُوَة " [٥] .

قال سيبويه [٦] : " وإذا سميت رجلاً (عِهْ) من قولك : عه كلامًا فتقول : هذا وَعٍ قد جاء ، قال : لأن الياء كانت سقطت للأمر ، والاسم لا يكون على حرفين أحدهما ياء ، فلذلك ردت الواو فقلت : هذا وَعٍ " .

قال [٧] : " وإذا سميت رجلاً بـ(رَهْ) من قولك : رَهْ زيدًا قلت : هذا رأٍ قد جاء ، كقولك (رَعًا) ، رجعت الألف لأنها ذهبت للأمر ، وعادت الهمزة مفتوحة لأن الأصل (يرأى) ، وبقيت الراء مفتوحة كما كانت في (رَهْ) ليعلم ما رد كان كذلك أصله .

قال [٨] : " وإذا سميت رجلاً (قُلْ) أو (بِعْ) أو (خَفْ) أو (أقِمْ)لم يجز أن تقول إلا: هذا قُولٌ فاعلم وبِيعٌ وخافٌ وهذا أقيمُ قد جاء " .

(١) ما ينصرف ص٦٥ ، ٦٦ . (٢) الكتاب ٣/٢٦٤ . (٣) ما ينصرف ص٦٦ ، ٦٧ .
(٤) من مشطور الرجز أو السريع ، ومن شواهد الكتاب ٣/٣١٧ . (٥) انظر : الكتاب ٣/٣١٦ .
(٦) الكتاب ٣/٣١٨ . (٧) الكتاب ٣/٣١٨ . (٨) الكتاب ٣/٣١٩ .

قال : " وذلك أن هذه المحذوفات سقطت من قولك (بِعْ) و(قُلْ) لالتقاء الساكنين ، الأصل : بِيعْ يا هذا بسكون الياء والعين ، وكذلك الأصل : خافْ يا هذا بالسكون ، فحذفت لالتقاء الساكنين ، ألا ترى أنك تقول للاثنين : قولا وبِيعا وخافا ، فتظهر الواو والياء والألف لمَّا تحرك ما بعدهن " .

وقال [1] : " لو سميت رجلاً (اِعْضَضْ) لقلت : هذا أَعَضُّ يا هذا قد جاء ، تدغم لأن الضادين قد تحركتا ، وتقطع ألف الوصل لأنك نقلتها من الفعل إلى الاسم ، فلذلك لم تسقط كما سقطت في قولك (عَضَّ) ؛ لأنها في الأسماء تصير ألف قطع فلا تسقط لتحرك ما بعدها إذا كانت ألف قطع " [2] .

وقال أيضًا:"وإذا سميت رجلاً (اللائي) أو(اللاتي) فهو على وزن (قاضٍ) و(شاءٍ) ، تقول : هذا لاءٍ ولات قد جاء ، وشاءٍ .

وإذا سميت رجلاً بـ(أولي) من قوله عز وجل : ﴿نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ﴾[3] قلت : هذا أُلُونَ قد جاء ، ورأيت أُلِينَ .

وإذا سميت بـ(ذوي) من قولك : هؤلاء ذوو مال قلت : هذا ذَوُون قد جاء ، ورأيت ذوين ، قال الشاعر :

ولا أعني بذلك أسفليكم   ولكني أخصُّ به الذوينا [4] " [5]

حذف التنوين من العلم المتبوع بلفظ (ابن) :

تناول ذلك الزجاج في معانيه في توجيه قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾[6] فقال : " قرئت (عزيرٌ) بالتنوين وبغير تنوين ، والوجه إثبات التنوين ؛ لأن ابنا خَبر ، وإنما يحذف التنوين في الصفة نحو قولك : جاءني زيد بن عمرو فيحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وأن (ابنا) مضاف إلى علم ، وأن النعت والمنعوت كالشيء الواحد، فإذا كان خبرا فالتنوين ، وقد يجوز حذف التنوين على ضعف لالتقاء الساكنين ، وقد قرئت : (قل هو الله أحدُ الله الصمد)[7] بحذف التنوين ، فتحذف النون لسكونها وسكون الباء في قوله : (عزير بن الله) ، وفيه وجه آخرأن يكون الخبر محذوفا فيكون معناها : عزير بن الله معبودنا ، فيكون (ابن) نعتا ، ولا اختلاف بين النحويين أن إثبات

---

(1) الكتاب ٣/٣١٩ .   (2) ما ينصرف ص١١٥ ، ١١٦ .   (3) النمل /٣٣.

(4) البيت من الوافر، وهو للكميت ، من شواهد الكتاب ٣/٢٨٢ .

(5) ما ينصرف /٨٦ .   (6) التوبة /٣٠ .   (7) الإخلاص /١ ، ٢ .

التنوين أجود " [١] .

ثالثًا : اسم الإشارة

تحدث الزجاج عنه في كتابه (ما ينصرف) تحت عنوان (هذا باب ذكر الأسماء المبهمة) حيث تكلم عن بعض أسماء الإشارة وبعض الأسماء الموصولة ، كما تحدث عنه في مواضع من معانيه ، وسأثبت أولا ما كتبه في كتابه المذكور ثم أتبع ذلك بما ورد في المعاني .

تعليل بنائه ، وتفصيل القول فيه :

قال في كتابه (ما ينصرف) [٢]: هذا باب ذكر الأسماء المبهمة ، نحو قولك : (هذا) و(الذي) و(هاتان) و(هؤلاء) و(هؤلا) مقصور وممدود ، و(ذلك) و(تلك) و(هذه) و(هذي) و(اللاتي) و(اللائي) جمع التي .

زعم سيبويه والخليل[٣] أن هذه الأسماء لما كثرت في كلامهم وكانت مبهمة تقع على كل شيء تركوا إعرابها، وتفسير قول الخليل (تقع على كل شيء) يعني أنها تحدث - وإن كانت أسماء - في كل شيء معنى كما تحدث حروف المعاني ، ونحن نشرحها حرفًا حرفًا إن شاء الله .

فمنها قولك: ذا زيدٌ ،اسم لما أشرت إليه بحضرتك ، وكل ما قلت له (ذا) فقد دخله معنى الإشارة ، فلذلك منع الإعراب .

فإذا تراخى الشيء عنك فأشرت إليه قلت : (ذاك) ، منه (ذا) للشخص الذي تشير إليه ، والكاف للمخاطب ، مفتوحة إن كان ذكرًا ، و(ذاكِ زيدُ يا مرأةُ) ، فالكاف للمؤنث مكسورة لتفصل بين خطاب المذكر والمؤنث .

وأكثر كلام العرب (ذِلكَ) فتزاد اللام توكيدًا وتكثيرًا للاسم ، وتكسر اللام من : ذلِك يا هذا ، لأن تقديرها السكون ؛ لأنها آخر الاسم لأن الكاف للمخاطب ، فكسرت لالتقاء الساكنين ، ولا أعلم أحدًا ذكر لم كسرت هذه اللام غيري ، و(الكاف)إذا قلت: ذاك زيدٌ لا موضع لها من الإعراب ، والكاف في الكلام موضعها أن تقع للمنصوب أو للمجرور .

قال سيبويه [٤] : لو كان موضعها نصبًا لقلت : ذاك نفسَه زيدٌ ، بفتح السين ، ولا يجوز أن يكون منصوبًا بغير ناصب .

---

(١) معاني الزجاج٢/٤٤٢. (٢) ما ينصرف من٧٩ : ٨٣. (٣) الكتاب٣/٢٨٠ ، ٢٨١. (٤) الكتاب١/٢٤٥ .

فإن قال قائل : فموضعها خفض ، فذلك مستحيل من جهتين :
- إحداهما أنك إذا ثنيت قلت : ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ﴾[1] ، والنون لا تكون مع الإضافة .
- ويستحيل من أن (ذا) لا يجوز أن يكون مضافًا، من قبل أن كل إضافة يعرف فيها الاسم الثاني الأوّلَ ، تقول : هذا غلام زيدٍ ، أو صاحبُ الثيابِ ، فتعرف الثيابُ الصاحبَ ويعرف زيدُ الغلامَ كما تعرف الألف واللام إذا قلت : هذا الغلامُ ، وهذا الصاحبُ ، فالإضافة لا تدخل إلا في نكرة ؛ لأن معناها التعريف ، فإذا كان الاسم معرفة لم تضفه .

فإن قلت : ما بالي أقول : هذا زيدك ، فأدخل الإضافة في (زيد) و(زيد) معرفة ؟ فالجواب في هذا : أنه لو كان معرفة لم تحتج إلى إضافته ، وإنما أضفته لئلا يلتبس بزيد غيره ، ألا ترى أنه إذا كان معرفة لا تدخله الألف واللام ، فإذا ثنيته صار جنسًا فقلت : جاءني الزيدان ، فواحد (الزيدان) : (الزيد) لا غير .

فإن قال قائل : زيد المعرفة واحد ما هو ؟ قيل : لا واحد شيء هو ، إنما شرط المعرفة ألا يشركها شيء إذا كانت علمًا نحو (زيد) و(عمرو) ، وإنما سمي بالمعرفة على أنه لا ثاني لها .

فالإضافة لا تصلح في (هذا) لأنك لا تنكره ولا تقول (الهذا) ولا (الهذان) إنما تقول: هذا ، وتقول : هذان ، فالإشارة معرفة ؛ لأن قولك : هذا زيدٌ كقولك : الحاضر زيدٌ ، فالإشارة قد نابت عن الألف واللام ، فإذا جمعت فقلت : هؤلاء إخوتك ، فهذا الجمع ليس من لفظ (ذا) ولا (هذا) ، وكان ينبغي أن تقول : هاذون ، ولكنه لم يجز لأن هذه الأسماء المبهمة تخالف غير المبهمة ، فكما كان إعرابها غير إعرابها وتصغيرها غير تصغيرها ، فتصغير (هذا) : (هاذيًا) ، وتصغير (ذاك) : (ذَيَّاكَ) ، وتصغير (رجُل) : (رُجَيل) ، فتصغير غير المبهمة بضم أولها وياء التصغير ثالثة ، وتصغير المبهمة بزيادة ألف آخرها وترك أولها على حاله ، تقول في تصغير (الذي) : (اللذَيّا) ، و(اللّتي) : (اللّتيّا) ، قال العجاج :

بعد اللتيّا واللتيّا والّتي
إذا علتها أنفسٌ تردّتِ[2]

---

(1) القصص /٣٢ .
(٢) من مشطور الرجز ، من شواهد الكتاب ٣٤٧/٢ ، وابن يعيش ١٤٠/٥ .

وبعضهم ينشد : (اللُّتيًّا) [1] ، وليس بثبت .

فلما كان تصغيرها غير تصغير المبهمة وإعرابها غير إعرابها وجب أن يكون جمعها غير جمع التي ليست مبهمة ، فصار جمعها من غير لفظ واحدها ، وكذلك تثنية المبهمة التي في آخرها لين ، تقول في تثنية (هذا) : هذان ، فتحذف ألف (هذا) لسكونها وسكون ألف التثنية ، ولو لم يكن الاسم مبهما لقلبت الألف ياءً أو واوًا ولم تحذفها لالتقاء الساكنين ، نحو قولك في (رحى) : رَحَيَانِ ، ولم تقل : رحانِ ؛ لتفصل في قولك (هذانِ) بين المبهمة وغيرها .

فأما من قال في (ذانكَ) : ذانِّكَ فإنه يزيد نونًا كما زاد اللام في (ذلك) .

فأما من قال : هذانِ في تثنية (هذا) لم يجز أن يقول : هذانِّ بالتشديد ، لا يجوز (هذانِّ خصمان) ؛ لأن (هذا) ليست فيه زيادة كاللام في (ذلك) .

فأما (تلك) فهي تأنيث (ذلك) إنما هي تاء زيدت عليها اللام ، وكذلك (تا) وهي تأنيث (ذا) بمنزلة (هذا) ، وتقول : تيك هندُ ، وتلك هندُ ، فإذا ثنيت قلت : تانك ، وإذا جمعت قلت : أولئك فاستوى الذكر والأنثى ، وكذلك (هذه) و(هاتا) و(هاتان) جمعه (هؤلاء) يستوي الذكر والأنثى .

فأما كسرهم الهمزة في (هؤلاءِ يا هذا) و(أولئك) فإنما هو لسكونها وسكون الألف ، وإن شئت قصرت فقلت : أولاك .

والمؤنث تقول فيه : هذه ، والأصل : هاذي أَمَةُ الله ، ولكن الهاء بدل من الياء وهي مكسورة يثبت فيها الياء في الوصل فتقول : هذهي أمة الله ، وذهي أمة الله ، فإذا وقفت قلت : هذهْ ، وذهْ بغير ياء .

وزعم الخليل وسيبويه [2] أنها مشبهة بهاء الإضمار ، نحو : بِهِي يا فتى ، وزعم أن بعض العرب يسكن هذه الهاء فيقول : هذهْ أَمة الله ، فإذا سميت رجلاً (ذا) قلت : قد جاء ذاءٌ فاعلم ، تعربه لأنه قد خرج عن الإبهام وصار كقولك : هذا ماءٌ فاعلم ، فإذا سميته بـ(هذا) حكيته فقلت : جاءني هذا ، ورأيت هذا ، ومررت بهذا ، وإنما حكيته لأنك ضممت (ها) إلى (ذا) فصارا شيئين : إشارة واسما مبهما ، فحكيت كما تحكي ما يعمل بعضه في بعض .

وإن سميت رجلاً (ذِهْ) قلت: هذا ذِهٌ فاعلم، أعربته وصرفته لأنه قد خرج إلى التمكن

---

(1) أي بضم اللام المشددة .

(2) الكتاب ٤/١٩٨ .

وزال عن الإبهام ، وإذا سميت به امرأة لم تصرفها وقلت : جاءتني ذِهِ يا فتى ، ومن نون (هندًا) وصرف قال : جاءت ذِهُ يا فتى .

وهذا بيان ما ورد في المعاني عن أسماء الإشارة :

اسم الإشارة (هذا) :

تكلم الزجاج عن اسم الإشارة (هذا) في توجيه قوله تعالى :﴿ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾[1] من خلال إعرابه (شيخا) فقال :" القراءة النصب ، وكذلك هي في المصحف المجمع عليه، وهو منصوب على الحال ، والحال ههنا نصبها من لطيف النحو وغامضه ، وذلك أنك إذا قلت : هذا زيد قائما فإن كنت تقصد أن تخبر من لم يعرف زيدا أنه زيد لم يجز أن تقول : هذا زيد قائما ؛ لأنه يكون زيدا ما دام قائما ، فإذا زال عنه القيام فليس بزيد ، وإنما تقول ذاك للذي يعرف زيدا : هذا زيد قائما ، فيعمل في الحال التنبيه ، والمعنى : انتبه لزيد في حال قيامه ، وأشير لك إلى زيد في حال قيامه ؛ لأن (هذا) إشارة إلى ما حضر ، فالنصب الوجه كما ذكرنا ، ويجوز الرفع ... "[2] .

وذكر اسم استعمال (هذا) على سبيل الحكاية في توجيه قوله تعالى : ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[3] فقال : " هذا موضع فيه لطف ، وذلك أنه قيل في الغائب ، والمعنى: فوجد فيها رجلين أحدهما من شيعته وأحدهما من عدوه ، وقيل فيهما هذا وهذا على جهة الحكاية للحضرة ، أي فوجد فيها رجلين إذا نظر إليهما الناظر قال : هذا من شيعته وهذا من عدوه "[4] .

وتكلم عن الفصل ببين (ها) واسم الإشارة بضمير أو بظاهر في توجيه قوله تعالى : ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾[5] فقال : " قال بعض النحويين[6] : العرب إذا جاءت إلى اسم مكني قد وصف بـ(هذا) جعلته بين (ها) و(ذا) ، فيقول القائل : أين أنت ؟ فيقول المجيب : ها أنذا ، قال : وذلك إذا أرادوا جهة التقريب ، قال : فإنما فعلوا ذلك ليفصلوا بين التقريب وغيره ، ومعنى التقريب عنده أنك لا تقصد الخبر عن هذا الاسم فتقول : هذا زيد ، والقول في هذا عندنا أن الاستعمال في المضمر أكثر فقط ، أعني أن يفصل بين (ها) و(ذا) ؛ لأن التنبيه أن يلي المضمر أبين ، فإن قال قائل : ها زيد ذا

(١) هود /٧٢ .
(٢) معانيه ٣/٦٣ ، ٦٤ .
(٣) القصص /١٥ .
(٤) معانيه ٤/١٣٦ .
(٥) آل عمران /١١٩ .
(٦) هو الفراء ، انظر : معانيه ١/٢٣١ .

وهذا زيد جاز ، لا اختلاف بين الناس في ذلك ، وهذا ـ عندنا ـ على ضربين :

ـ جائز أن يكون (أولاء) في معنى الذين ، كأنه قيل : ها أنتم الذين تحبونهم ولا يحبونكم .

ـ وجائز أن يكون (تحبونهم) منصوبة على الحال ، و(أنتم) ابتداء ، و(أولاء) الخبر ، المعنى : انظروا إلى أنفسكم محبين لهم ، نهوا في حال محبتهم إياهم ، ولم يشرحوا لم كسرت (أولاء) و(أولاء) أصلها السكون ؛ لأنها للإشارة ، ولكن الهمزة كسرت لسكونها وسكون الألف " [1] .

وقد صرح بأن (أولاء) مبني على الكسر في توجيه قوله تعالى : ﴿هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾ [2] حيث قال : " (أولاء) مبني على الكسر ، و(على أثري) من صلة (أولاء) ، ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر ، كأنه قال : هم على أثري هم هؤلاء ، والأجود أن يكون صلة " [3] .

اسم الإشارة (ذلك) :

تحدث الزجاج عن (ذلك) في مواضع كثيرة من معانيه ، وفيما يلي نقل حديثه عنه :

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [4] : " زعم الأخفش وأبو عبيدة أن معناه : هذا الكتاب ، قال الشاعر :

أقول له والرمح يأطر متنه … تأمل خفافا إنني أنا ذلكا [5]

قال : المعنى : إنني أنا هذا .

وقال غيرهما من النحويين : إن معناه : القرآن ذلك الكتاب الذي وعدوا به على لسان موسى وعيسى ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [6] ، وكذلك قوله : ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [7] ، فالمعنى : هذا ذلك الكتاب ، ويجوز أن يكون قوله : (ألم) ذلك الكتاب ، فيقال : (ذلك) للشيء الذي قد جرى ذكره ، فإن شئت قلت فيه : هذا ، وإن شئت قلت فيه : ذلك ، كقولك : أنفقت ثلاثة وثلاثة فذلك ستة ، وإن شئت قلت : هذا ستة ... فجائز أن المعنى:تلك علامات الكتاب ، أي القرآن متكلم به

(١) معانيه ١/٤٦٢ ، ٤٦٣ . (٢) طه /٨٤ . (٣) معانيه ٣/٣٧٠ ، ٣٧١ . (٤) البقرة /٢ .

(٥) البيت من الطويل ، وقائله خفاف بن ندبة الصحابي ، ويستشهد به النحويون على مجيء اسم الإشارة الذي للبعيد محل الذي للقريب لتعظيم المشار إليه،وانظر البيت في:الشعر والشعراء١/٣٤٢، والخزانة٥/٤٣٨ -٤٤٣ .

(٦) البقرة /٨٩ . (٧) البقرة /١٤٦ .

بحروف العرب التي نعقلها ... وموضع (ذلك) رفع ؛ لأنه خبر ابتداء على قول من قال : هذا القرآن ذلك الكتاب ، و(الكتاب) رفع يسميه النحويون عطف البيان ، نحو قولك : هذا الرجل أخوك ، فـ(الرجل) عطف بيان ، أي يبين من الذي أشرت إليه ، والاسم من (ذلك) (ذا) ، والكاف زيدت للمخاطبة ، ولا حظ لها في الإعراب ، قال سيبويه [1] : لو كان لها حظ في الإعراب لقلت : ذاك نفسِك [2] زيد ، وهذا خطأ ، لا يجوز إلا هذاك نفسه زيد ، وكذلك (ذانك) يشهد أن الكاف لا موضع لها ، لو كان لها موضع لكان جرا بالإضافة ، والنون لا تدخل مع الإضافة ، واللام تزاد مع (ذلك) للتوكيد ـ أعني توكيد الاسم ـ لأنها إذا زيدت أسقطت معها (ها) ، تقول : ذلك الحق ، وذاك الحق ، وهذاك الحق ، ويقبح هذلك الحق ؛ لأن اللام قد أكدت معنى الإشارة ، وكسرت اللام لالتقاء الساكنين ـ أعني الألف من (ذا) واللام التي بعدها ـ وكان ينبغي أن تكون ساكنة ولكنها كسرت لما قلناه ، وكذلك يجب أن يكون موضع (ذلك) رفعا فيمن جعل (ذلك) خبرا عن (الم) " [3] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [4] : " ومعنى (بين ذلك) بين الفارض والبكر ، وبين الصغيرة والكبيرة ، وإنما جاز (بين ذلك) و(بين) لا يكون إلا مع اثنين أو أكثر ؛ لأن (ذلك) ينوب عن الجمل فتقول : ظننت زيدًا قائمًا ؟ فيقول القائل : ظننت ذلك " [5] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [6] :" وإنما جاز (ذلك) وهؤلاء الجماعة مخاطبون ، ولم يقل (ذلكم) ـ ولو قال (ذلكم) كان جيدا ـ وإنما جاز أن تقول للجماعة بعد ذلك وبعد ذلكم ؛ لأن الجماعة تؤدي عن لفظها الجميع والفريق ، فالخطاب في لفظ واحد ومعنى جماعة " [7] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [8] : " (ذلك) : الكاف فيه للمخاطبة ، واللام في (ذلك) كسرت لالتقاء الساكنين ، ولم يذكر الكوفيون كسر هذه اللام في شيء من كتبهم ولا عرفوه ، وهذه من الأشياء التي كان ينبغي أن يتكلموا

---

(١) الكتاب ٢٤٥/١ .
(٢) في معاني الزجاج المطبوع : نفسه .
(٣) معانيه ٦٧/١ ، ٦٨ .
(٤) البقرة /٦٨ .
(٥) معانيه ١٥٠/١ .
(٦) البقرة /٧٤ .
(٧) معانيه ١٥٥/١ ، ١٥٦ .
(٨) المائدة /٧٨ .

فيها ؛ إذ كان ذلك إشـارة إلى كل متراخ عنك ، إلا أن تركهم الكـلام أعـود عليهم من تكلمهم ؛ إذ كان أول ما نطقوا به في فعل قد نقض سـائر العربية ، وقد بينا ذلك قديما " [1] .

هذا ، وقد اهتم الزجاج في مواضع من معانيه ببيان موضع اسم الإشارة (ذلك) من الإعراب كما فعل في توجيه قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [2] وقد تقدم [3] ، وكما في توجيه قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ﴾ [4] حيث قال : " (ذلك) مرفوع بالابتداء ، وإن شئت على خبر الابتداء ، كأنه قال : أمري ذلك " [5] .

اسم الإشارة (ذانك) :

تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ﴾ [6] فقال : " يقرأ بتخفيف النون وتشديدها (فذانّك) ، وكأن (ذانّك) تثنية ذلك ، و(ذانِك) تثنية (ذاك) جعل بدل اللام في (ذلك) تشديد النون في (ذانك) " [7] .

اسم الإشارة (تلك) :

تناوله الزجاج بالحديث في موضعين :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ ...﴾ [8] حيث قال : " (الرسل) : صفة لـ(تلك) كقولك : أولئك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ،إلا أنه قيل :(تلك) للجماعة، وخبر الابتداء (فضلنا بعضهم على بعض) " [9] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [10] حيث قال : " (تلك) اسم مبهم يجري مجرى (التي) ، ويتوصل كما تتوصل (التي) ، المعنى : ما التي بيمينك يا موسى " [11] .

وتحدث عن اسم الإشارة (تلكم) وعن (هذا) و(هؤلاء) في توجيه قوله تعالى : ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ﴾ [12] فقال : " إنما قال : (تلكم) لأنهم وعدوا بها في الدنيا ، فكأنه قيل : هذه تلكـم التي وعدتم بها ، وجـائز أن يكـون عاينوها فقـيل لهم مـن قـبل

---

(1) معانيه ٢/١٩٨ . (2) البقرة /٢ . (3) انظر ص٥٢ . (4) يوسف /٥٢ .
(5) معانيه ٣/١١٥ . (6) القصص /٣٢ . (7) معانيه ٤/١٤٣ . (8) البقرة /٢٥٣ .
(9) معانيه ١/٣٣٣ . (10) طه /١٧ . (11) معانيه٣/٣٥٣ ، ٣٥٤. (12) الأعراف/٤٣.

دخولها إشارة إلى ما يرونه : تلكم الجنة ، كما تقول لما تراه : ذلك الرجل أخوك ، ولو قلت : هذا الرجل - لأنه يراك - جائز ؛ لأن هذا وهؤلاء لما قرب منك ، وذاك وتلك لما بعد عنك رأيته أو لم تره " [1] .

اسم الإشارة (أولئك) :

ذكر الزجاج أنه مبني في توجيه قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [2] حيث قال : " موضع (أولئك) رفع بالابتداء ، والخبر (على هدى من ربهم) إلا أن (أولئك) لا يعرب لأنه اسم للإشارة ، وكسرت الهمزة فيه لالتقاء الساكنين " [3] .

ما يشار به إلى المكان :

(ثم) تناوله الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [4] فقال : " (ثم) موضعه نصب ، ولكنه مبني على الفتح ، لا يجوز أن تقول : ثمًّا زَيد ، وإنما بني على الفتح لالتقاء الساكنين ، و(ثم) في المكان إشارة بمنزلة : هناك زيد ، فإذا أردت المكان القريب قلت : هنا زيد ، وإذا أردت المكان المتراخي عنك قلت : ثم زيد ، وهناك زيد ، وإنما منعت (ثم) الإعراب لإبهامها ، ولا أعلم أحدا شرح هذا الشرح لأنه غير موجود في كتبهم " [5] .

(هنالك) تناوله الزجاج في توجيه قوله تعالى:﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾[6] فقال:" (هنالك) في موضع نصب ؛ لأنه ظرف يقع من المكان والأحوال أحوال الزمان ، والمعنى في ذلك المكان من الزمان ومن الحال دعا زكريا ربه ، كما تقول : هنا قلت كذا وكذا ، ومن هنالك قلت كذا وكذا ، أي من ذلك الوجه وتلك الجهة ، وهذا في غير المكان على المثل جرى ، وكسر لام (هنالك) وقع لالتقاء الساكنين ؛ لأن (هنالك) إشارة إلى مكان متراخ أو حال من أحوال الزمان نسبتها إلى المكان ...و(هنالك) لا يجب أن يعرف في رفع ولا جر ؛ لأنه في الإشارة إلى المكان بمنزلة الإشارة في (هذا) و(ذاك) إلى سائر الأشياء ، فهو مضارع للحروف التي جاءت لمعنى " [7] .

وقوع اسم الإشارة موقع الموصول :

أقر الزجاج ذلك في مواضع من معانيه ، وتقدم هنا تجويزه ذلك في (أولاء) من قوله

(1) معانيه ٣٤٠/٢ . (2) البقرة /٥ . (3) معانيه ٧٤/١ . (4) البقرة /١١٥ .
(5) معانيه ١٩٧/١ . (6) آل عمران /٣٨ . (7) معانيه ٤٠٤/١ .

تعالى : ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ [1] ، واختياره له في (تلك) من قوله تعالى : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [2] ، وقد اختاره في (هؤلاء) في موضعين :

الأول: في توجيه قوله تعالى :﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[3] حيث قال : " (هؤلاء) في معنى (الذين) ، و(تقتلون) صلة لـ(هؤلاء) كقولك : ثم أنتم الذين تقتلون أنفسكم ، ومثله ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[4] " [5] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى :﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾[6] حيث قال :" معنى قوله (ها أنتم) ها : للتنبيه ، وأعيدت في (أولاء) ، والمعنى - والله أعلم - ها أنتم الذين جادلتم ؛ لأن (هؤلاء) و(هذا) يكونان في الإشارة للمخاطبين بمنزلة (الذين) و(الذي) ، نحو قول الشاعر :

... ... وهذا تحملين طليق [7]

أي : والذي تحملينه طليق " [8] .

وأجاز أن تكون (ذلك) بمعنى (الذي) في ثلاثة مواضع :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾[9] حيث قال : " أي الأخبار التي قصصناها عليك في زكريا ويحيى ومريم وعيسى من أنباء الغيب ، أي من أخبار ما غاب عنك " [10] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ﴾ [11] حيث قال : " يصلح أن تكون (ذلك) في معنى (الذي) ، ويكون (نتلوه) صلة ، فيكون المعنى : الذي نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ، فيكون (ذلك) ابتداء ، والخبر (من الآيات)" [12] .

الثالث : في توجيه قوله تعالى : ﴿يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ [13] حيث أجاز كون

---

(1) آل عمران /119 ، انظر ص51 .   (2) طه /19 ، انظر ص54 .   (3) البقرة /85 .

(4) طه /19 .   (5) معانيه 167/1 .   (6) النساء /109 .

(7) هذا بعض بيت من بحر الطويل ليزيد بن مفرغ ، وهو بتمامه :

عدس ما لعباد عليك إمارة   أمنت وهذا تحملين طليق

وانظره في : ابن يعيش 16/2 ، 23/4 ، 79 ، واللسان (عدس) .

(8) معانيه 102/2 .   (9) آل عمران /144 .   (10) معانيه410/1.

(11) آل عمران /58 .   (12) معانيه 421/1 ، 422 .   (13) الحج /13 .

(ذلك) في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ﴾[1] في تأويل (الذي) ، وذلك أنه ذكر ثلاثة أوجه للآية السابقة ثم قال :" وفيها وجه رابع وهو الذي أغفله الناس : أن (ذلك) في موضع نصب بوقوع (يدعو) عليه ، ويكون (ذلك) في تأويل (الذي) ، ويكون المعنى: الذي هو الضلال البعيد يدعو ، ويكون (لمن ضره أقرب من نفعه) مستأنفا ، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[2] في معنى : ما التي ، ومثله قول الشاعر :

عدس ما لعباد عليك إمارة ... أمنت وهذا تحملين طليق [3] "[4]

رابعًا : الموصول

تحدث الزجاج في كتاب (ما ينصرف ..) عن بعض الأسماء الموصولة ، كما تناثر حديثه حول الموصولات في مواضع من معانيه ، وسأبدأ هنا بما جاء في كتاب (ما ينصرف ..) ثم أعرض ما جاء في معانيه .

اللغات في (الذي) وتثنيته وجمعه [5] :

قال في كتابه المذكور:" فأما (الذي) ففيه لغات: أجودها إثبات الياء ساكنة خفيفة، وعليها القرآن، تقول: هذا الذي قال ذاك ، وبعض العرب يشدد الياء ، قال الشاعر :

وليس المال فاعلمه بمال ... وإن أغناك إلا للّذيِّ

يريد به العلاء فيصطفيه ... لأقرب أقربيه وللقصيِّ [6]

ومن العرب من يحذف الياء فيقول : هذا اللذْ قال ذاك ، بإسكان الذال وحذف الياء ، قال الشاعر :

كاللذْ تزبّى زُبيةً فاصطيدا [7]

ومنهم من يقول : هذا الّذِ قال ذاك ، على حذف الياء وترك الكسرة في الذال تدل على الياء ، وهذه اللغات سوى الأولى شواذ .

قال سيبويه [8] : إذا سميت رجلاً (الذي) قلت : هذا لَذٍ قال ذاك ، تحذف الألف ويبقى الاسم على وزن (عَم) . وهذا كما قال ؛ لأن الألف واللام دخلتا للعهد ، وذلك أنك إذا قلت : هذا الذي قال ذاك فهو كقولك : هذا القائل ذاك، فأدخلت الألف واللام

---

(١) الحج /١٢ . (٢) طه /١٩ . (٣) تقدم هذا البيت هنا . (٤) معانيه ٣/٤١٥ .
(٥) ما ينصرف ص٨٣ : ٨٦ . (٦) من بحر الوافر ، انظر : همع الهوامع ١/٨٢ .
(٧) من مشطور الرجز أو السريع ، وينسب لرجل من هذيل ، انظر ابن يعيش ٣/١٤٠. (٨) الكتاب ٣/٢٨١ .

لأنك عهدته قائلاً ذاك .

فإذا ثنيت (الذي) قلت : هما اللذان قالا ذاك ، وكنت منعت (الذي) الإعراب ؛ لأنه اسم مبهم ، وهو أيضًا محتاج إلى الصلة ، فلما ثنيته حذفت الياء فقلت : اللذان ، ولم تقل : اللذِيان كما تقول : العَمِيان ؛ لأن هذه الياء لا تدخلها حركة ولا هي في موضع ما يحرك ، فحذفت لالتقاء الساكنين ليفصل بينها وبين الياء التي تدخلها الحركة كما حذفت ألف (ذا) حين قلت (ذانِ) لالتقاء الساكنين لتفصل بينها وبين ألف (رحى) وما أشبهها .

ومن العرب من يقول : اللّذانّ قالا ذاك ، وهذه لغة ليست بالجيدة ، ومنهم من يقول: هما اللذا قالا ذاك فيحذف النون ، قال الشاعر :

أبني كليبٍ إن عمَّيَّ اللذا ... قتلا الملوك وفكّكا الأغلالا [1]

فمن قال : اللذانّ بتشديد النون فكأنه يجعلها عوضًا من حذف الياء ، ومَن حذف النون في التثنية فكأنه حذفها لطول الاسم ، كما يحذف الياء لطول الاسم إذا قال : هو اللذْ قال ذاك .

فإن قال قائل : فما بالك أعربت في التثنية فقلت : جاءني اللذانِ قالا ذاك ، ورأيت اللذَين قالا ذاك ؟ فالجواب في هذا : أن إعراب التثنية ليس بحركة وإنما هو كالبنية ، وأن البنية لا تختلف فتكون على ضربين ، والواحد يختلف ، فلذلك جازت فيه البنية والإعراب ، والتثنية دليلها دليل الإعراب ، فلا يجوز أن يبطل إعرابها فيبطل دليلها ، فإن جمعت قلت : هؤلاء الذين قالوا ذاك ، ورأيت الذين قالوا ذاك ، فيستوي في الرفع والنصب والجر ؛ لأن الجمع يكون على ضروب ، وهذه الياء عندي والنون التي في (الذين) كالياء والنون في (سنين) ، فبني آخره على الفتح لالتقاء الساكنين ، ومنعته الإعراب في الجمع كما منعت في الواحد .

ولغة شاذة يقولون : هم الذُون قالوا ذاك ، فهذا على قياس (اللذان) ، وهو شاذ ، وإذا سميت رجلاً (الّذي) قلت : هذا لَذٍ فاعلم لا غير ، وكذلك إن سميته (التي) قلت: لَتٍ ؛ لأن الألف واللام دخلتا لعهد الفعل ، تقول : هذا الذي قام ، فكأنك قلت : هذا القائم ، وإذا سميت رجلاً (اللائي) أو (اللاتي) فهو على وزن قاض وشاء ، تقول : هذا لاءٍ ولاتٍ قد جاء ، وشاءٍ " .

(١) من بحر الكامل ، للأخطل ، من شواهد الكتاب ١/١٨٦ .

الموصول الحرفي (أنْ) :

يهتم الزجاج ببيان الموقع الإعرابي للموصول الحرفي (أنْ) ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في توجيه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [1] حيث قال : " موضع (أن) نصب ، أي : تعتدوا لأن صدوكم عن المسجد الحرام ، فموضع (أن) الأولى نصب مفعول به ، المعنى : لا يكسبنكم بغض قوم - أي بغضكم قومًا - الاعتداء بصدهم إياكم عن المسجد الحرام " [2] .

ومنها ما جاء في توجيه قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ [3] حيث قال:" موضع (أن) رفع ، والمعنى : وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام " [4] ، وفي كلامه إشارة إلى أن (أن) تؤول مع ما بعدها بمصدر .

وقال في قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [5]:"موضع (أن) نصب على كل حال" [6].

وقال في قوله تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ... أَنْ تَبَرُّوهُمْ ...﴾ [7] : " (أن) في موضع جر بدل من (الذين) ، المعنى : لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم " [8] .

الموصول الحرفي (ما) :

من أمثلة الموصول الحرفي (ما) عند الزجاج قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ ...﴾ [9] وفي توجيهه يقول :" في (الكذب) ثلاثة أوجه : قرئت (الكذبَ) وقرئت (الكذبِ) وقرئت (الكُذُبِ) ، فمن قرأ - وهو أكثر القراءة - (الكذبَ) فالمعنى : ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب : هذا حلال وهذا حرام ، ومن قرأ (الكذبِ) كان ردًّا على (ما) ، المعنى : لا تقولوا لوصفِ ألسنتكم الكذبِ هذا حلال وهذا حرام ، ومن قرأ (الكُذُبِ) فهو نعت للألسنة ، يقال : لسان كذوب وألسنة كُذُب " [10] .

ومنها (ما) في قوله تعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [11] حيث يقول :" أي : ودوا عنتكم" [12].

---

(١) المائدة /٢ . (٢) معانيه ١٤٣/٢ . (٣) المائدة /٣ . (٤) معانيه ١٤٦/٢.
(٥) هود /٢٦ . (٦) معانيه ٤٦/٣ . (٧) الممتحنة /٨ . (٨) معانيه ١٥٧/٥، ١٥٨.
(٩) النحل /١١٦ . (١٠) معانيه ٢٢٢/٣ . (١١) آل عمران /١١٨ . (١٢) معانيه ٤٦٢/١ .

ومن المواضع التي تحتمل فيها (ما) عنده كونها مصدرية وكونها بمعنى (الذي) ـ أي موصولاً اسميًا ـ قوله تعالى :﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ (١) وفيه يقول : " ومعنى (بما قدمت أيديهم) أي: بتقدمة أيديهم، ويصلح أن يكون : بالذي قدمته أيديهم "(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾(٣) وفيه يقول : " وقوله عز وجل (وأنبئكم بما تأكلون) أي أخبركم بمأكولكم ، فجائز أن تكون (ما) ههنا في موضع (الذي) ، والمعنى : أنبئكم بالذي تأكلونه وتدخرونه ، ويجوز أن يكون (ما) وما وقع بعدها بمنزلة المصدر ، المعنى : أنبئكم بأكلكم وادخاركم ، والأول أجود " (٤) .

وقد أجاز المصدرية والموصولية ، وأجاز وجهًا ثالثًا في (ما) من قوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ (٥) حيث يقول : " أي : بمغفرة ربي لي ... وقيل أيضًا : بما غفر لي ربي ، أي : ليتهم يعلمون بالعمل والإيمان الذي غفر لي به ربي ، ويجوز : (بم غفر لي ربي ؟) على معنى : بأي شيء غفر لي ربي ؟ ويجوز أن يكون (بما) في هذا المعنى بإثبات الألف ، تقول : قد علمت بما صنعت هذا ؟ وقد علمت بم صنعت هذا ؟ أي : قد علمت بأي شيء صنعت هذا ؟ وحذف الألف في هذا المعنى أجود " (٦) .

الموصول الاسمي (الذي) :

ذكر الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ (٧) أن (الذي) لا يكون إلا موصولا ،ولا يوصف إلا بعد تمام الصلة ، وهذا نصه :" الأكثر في القراءة (أحسنَ) بفتح النون ، ويجوز (أحسنُ) على إضمار : الذي هو أحسن ، فأما الفتح فعلى أن (أحسن) فعل ماض مبني على الفتح ، وأجاز الكوفيون أن يكون في موضع جر ، وأن يكون صفة (الذي) ، وهذا عند البصريين خطأ فاحش ، زعم البصريون أنهم لا يعرفون (الذي) إلا موصولة ، ولا توصف إلا بعد تمام صلتها ، وقد أجمع الكوفيون معهم على أن الوجه صلتها ، فيحتاجون أن يثبتوا أنها وقعت موصولة ولا صلة لها " (٨) .

---

(١) البقرة/ ٩٤ . (٢) معانيه ١/ ١٧٧ . (٣) آل عمران / ٤٩ . (٤) معانيه ١/ ٤١٤ .
(٥) يس/ ٢٦ ، ٢٧ . (٦) معانيه ٤/ ٢٨٣ . (٧) الأنعام/ ١٥٤ . (٨) معانيه ٣/ ٣٠٥.

وذكر في توجيه قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[1] أن (الذي) قد يدل على الجنس ، حيث قال : " روي عن علي رحمه الله أنه قال : الذي جاء بالصدق محمد ﷺ ، والذي صدق به أبو بكر رحمه الله ، وروي أن الذي جاء بالصدق جبريل ، والذي صدق به محمد ﷺ ، وروي أن الذي جاء بالصدق محمد ، وصدق به المؤمنون ، وجميع هذه الوجوه صحيح ، والذي جاء في حرف ابن مسعود : (والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به) ، و(الذين) ههنا و(الذي) في معنى واحد توحيده ؛ لأنه غير موقت جائز ، وهو بمنزلة قولك : من جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ، و(الذي) ههنا للجنس ، المعنى : والقبيل الذي جاء بالصدق ، وقوله (أولئك هم المتقون) يدل على معنى الجماعة ، ومثله من الشعر :

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم　　　هم القوم كل القوم يا أم خالد[2] "[3]

وقد اهتم الزجاج في مواضع من المعاني ببيان موضع (الذي) من الإعراب ، ومن ذلك ما ورد في توجيه قوله تعالى : ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾[4] حيث قال : " موضع (الذي) خفض ، المعنى : لن نؤثرك على الله ، ويجوز أن يكون (الذي) خفضا على القسم ، ويكون المعنى : لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والله ، أي نحلف بالله "[5] .

ومنه ما ورد في توجيه قوله تعالى : ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾[6] وفيه يقول : " أي والقرآن المنزل عليك الحق ، ويجوز أن يكون موضع (الذي) رفعا على الابتداء ، ويجوز أن يكون رفعًا على العطف على (آيات) ويكون الحق مرفوعًا على إضمار (هو) ، ويجوز أن يكون موضع (الذي) خفضًا عطفًا على الكتاب ، المعنى : تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل إليك ، ويكون (الذي أنزل) من نعت الكتاب وإن جاءت الواو ، ويكون (الحق) مرفوعًا على الإضمار ، ويجوز أن يكون (الحق) صفة لـ(الذي) ، المعنى : تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحقُّ ، ولا أعلم أحدًا قرأ بها "[7] .

---

(١) الزمر /٣٣ .　(٢) من الطويل ، للأشهب بن رميلة النهشلي ، شاعر إسلامي ، من شواهد الكتاب ١/١٨٧ ، والمقتضب ٤/١٤٦ ، وابن يعيش ٣/١٥٥ .　(٣) معانيه ٤/٣٥٤ .

(٤) طه /٧٢ .　(٥) معانيه ٣/٣٦٨ .　(٦) الرعد /١ .　(٧) معاني القرآن وإعرابه٣/١٣٥، ١٣٦.

(التي) :

ذكر الزجاج موضع هذا الاسم في توجيه قوله تعالى : ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [1] فقال : " (التي) في موضع نصب ، المعنى : واذكر التي أحصنت فرجها ، ويروى في بعض التفسير أنه يعني جيبها " [2] .

(اللذان) :

سيأتي هنا تناول الزجاج له مع (الذين) .

(الذين) :

تناوله الزجاج مبينا موقعه من الإعراب وكونه مبنيًّا ، وحكم الموصول عمومًا من جهة الإعراب والبناء فقال في توجيه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ﴾[3] :" (الذين) جر تبعًا للمتقين [4] ، ويجوز أن يكون موضعهم رفعًا على المدح ، كأنه لما قيل : (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) ، قيل : من هم ؟ فقيل : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ) ، ويجوز أن يكون موضع (الذين) نصبًا على المدح ، كأنه قيل : اذكر الذين .

و(الذين) لا يظهر فيهم الإعراب ، تقول في النصب والرفع والجر : أتاني الذين في الدار ، ورأيت الذين في الدار ، ومررت بالذين في الدار ، وكذلك : الذي في الدار ، وإنما منع الإعراب لأن الإعراب إنما يكون في آخر الأسماء ، و(الذي) و(الذين) مبهمان لا يتمان إلا بصلتهما ، فلذلك منعت الإعراب ، وأصل الذي : لذٍ على وزن : عمٍ فاعلم ، كذلك قال الخليل وسيبويه والأخفش ، وجميع من يوثق بعلمه .

فإن قال قائل : فما بالك تقول : أتاني اللذان في الدار ، ورأيت اللذين في الدار فتعرب كل ما لا يعرب في تثنيته نحو: هذان وهذين، وأنت لا تعرب: هذا ،ولا هؤلاء ؟ فالجواب في ذلك أن جميع ما لا يعرب في الواحد مشبه بالحرف الذي جاء لمعنى ، فإذا ثنيته فقد بطل شبه الحرف الذي جاء لمعنى ؛ لأن حروف المعاني لا تثنى .

فإن قال قائل : فلم منعته الإعراب في الجميع ؟ قلت : لأن الجمع الذي ليس على حد التثنية كالواحد ،ألا ترى أنك قلت في جمع هذا:هؤلاء يا فتى، فجعلته اسمًا واحدًا

---

(1) الأنبياء /٩١ . (2) معاني القرآن وإعرابه ٣/٤٠٣ . (3) البقرة /٣ .
(4) في قوله تعالى في الآية ٢ : ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

للجمع ؟ وكذلك قولك : الذين ، إنما هو اسم للجمع ـ كما أن قولك : سنين يا فتى اسم للجمع ـ فبنيته كما بنيت الواحد ، ومن جمع (الذين) على حد التثنية قال : جاءني الذون في الدار ، ورأيت الذين في الدار ، وهذا لا ينبغي أن يقع ؛ لأن الجمع مستغنى فيه عن حد التثنية ، والتثنية ليس لها إلا ضرب واحد " [1] .

ومن أمثلة اهتمام الزجاج ببيان موضع (الذين) من الإعراب غير ما سبق ما ورد في توجيه قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾[2] حيث قال : "(الذين) في موضع رفع ، المعنى : ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ضرارا " [3] .

ومنها ما ورد في توجيه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ﴾ [4] حيث قال : "(الذين) في موضع خفض نعت كقوله : ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾[5] ، ويجوز أن يكون رفعًا على المدح ، المعنى : هم الذين يبلغون رسالات الله ، ويجوز أن يكون نصبًا على معنى : أعني الذين " [6] .

(اللاتي واللائي) :

تناولهما الزجاج في توجيه قوله تعالى:﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ﴾[7] حيث قال: "والتي يجمع اللاتي واللواتي ، قال الشاعر :

من اللواتي والتي واللاتي
زعمن أني كبرت لداتي [8]

ويجمع اللائي بإثبات الياء وبحذف الياء ، قال الشاعر :

من اللاء لم يحججن يبغين حسبةً ... ولكن ليقتلن البريء المغفلا [9]

(مَنْ) :

تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾[10] حيث قال : "(دابة) اسم لكل حيوان من مميز وغيره ، فلما كان لما يعقل

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/٧١ ، ٧٢ . (٢) التوبة /١٠٧ . (٣) معاني القرآن وإعرابه ٢/٤٦٨ .
(٤) الأحزاب /٣٩ . (٥) الأحزاب /٣٨ . (٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٠ .
(٧) النساء /١٥ . (٨) من مشطور الرجز ، ولم يعرف قائله ، وانظره في الخزانة ٦/١٥٤ ، وشرح التسهيل ١/٢٦٢ . (٩) من الطويل ، وذكر محقق معاني الزجاج أنه من شعر العرجي ، ونسب في زهر الآداب ١/١٦٨ إلى الحارث المخزومي . (١٠) النور /٤٥ .

ولما لا يعقل غلب ما يعقل فقيل : منهم ، ولو كان لما لا يعقل لقيل : منها أو منهن ، ثم قال : (من يمشي على بطنه) فقال (من) ، وأصل (من) لما يعقل ؛ لأنه لما خلط الجماعة فقيل : (منهم) جعلت العبارة بـ(من) " [1] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ [2] : "موضع (من) نصب من جهتين :

إحداهما : العطف على (معايش) ، المعنى : وجعلنا لكم من لستم له برازقين .

وجائز أن يكون عطفا على تأويل لكم ، المعنى في قوله : (وجعلنا لكم فيها معايش): أعشناكم ومن لستم له برازقين ، أو رزقناكم ومن لستم له برازقين .

والنحويون يذهبون إلى أن (من) لا تكاد تكون لغير ما يعقل ، وقد جاء : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾[3] فجاءت (من) لغير الناس ، إذا وصف غير الناس بصفاتهم كما جاءت الواو لغير الناس في قوله : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [4] " [5] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾[6] : " لم يقل : (من طاب) والوجه في الآدميين أن يقال :(من) وفي الصفات وأسماء الأجناس أن يقال : (ما) ، تقول : ما عندك ؟ فيقول : فرس وطيب ، فالمعنى : فانكحوا الطيب الحلال على هذه العدة التي وصفت " [7] .

وقد اهتم الزجاج بمسألة مراعاة لفظ (من) ومعناه ، ومما ورد من ذلك :

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ [8] : " المعنى أن اليهود قالت : لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا ، والنصارى قالت : لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا ، وجاز أن يلفظ بلفظ جمع لأن معنى (من) معنى جماعة ، فحمل الخبر على المعنى ، والمعنى: إلا الذين كانوا هودًا وكانوا نصارى"[9].

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾[10] : " لو كان (لا يستويان) لكان جائزا ، ولكن (من) لفظها لفظ الواحد ، وهي تدل على الواحد

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥٠/٤ . (٢) الحجر /٢٠ . (٣) النور /٤٥ . (٤) يس /٤٠ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٧٧/٣ . (٦) النساء /٣ . (٧) معاني القرآن وإعرابه ٨/٢ .
(٨) البقرة /١١١ . (٩) معاني القرآن وإعرابه ١٩٤/١ . (١٠) السجدة/١٨.

وعلى الجماعة ، فـ(لا يستوون) على معنى : لا يستوي المؤمنون والكافرون ، ويجوز أن يكون (لا يستوون) للاثنين ؛ لأن معنى الاثنين جماعة " [١] .

كما اهتم الزجاج ببيان موقع (من) من الإعراب ، ومن أمثلة ذلك ما تقدم هنا من توجيه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾، وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ ﴾[٢] : " يجوز أن يكون موضع (من) نصبًا نسقًا على (الريح)[٣] ، ويجوز أن يكون في موضع رفع من جهتين : إحداهما النسق على (الريحُ) ، المعنى : ولسليمان الريحُ ، وله من يغوصون له ، ويجوز أن يكون رفعًا بالابتداء ويكون (له) الخبر " [٤] .

(ما) :

تقدم هنا في توجيه الزجاج لقوله تعالى :﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ أن (ما) تستعمل في الصفات وأسماء الأجناس .

وقد تحدث عن استعمالها أيضًا في توجيه قوله تعالى : ﴿ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴾[٥] فقال : " معناه : نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله عز وجل من قبل ، ومثله قوله ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾[٦] ، فكانت (ما) تدل على الله عز وجل ، و(من) عبارة عن كل مميز ، و(ما) تكون لكل نوع ، تقول : ما عندك ؟ فيكون الجواب : رجل أو فرس أو ما شئت من الأجناس ، فيدخل المميز في (ما) من جهة دخولها على الأجناس " [٧] .

وكان الزجاج يهتم ببيان موضع (ما) من الإعراب، ومن أمثلة ذلك توجيه قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[٨] وفيه يقول : " موضع (ما) مفعول به " [٩] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿ ... وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [١٠] : " (ما) في موضع رفع لا غير ، المعنى : سبحانه ، ولهم الذي يشتهون " [١١] .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٨/٤ . (٢) الأنبياء /٨٢ .
(٣) يعني في قوله تعالى في الآية ٨١ من السورة:﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾. (٤) معاني القرآن وإعرابه ٤٠١/٣ .
(٥) الزمر /٨ . (٦) الكافرون/٤ ، ٥. (٧) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٦/٤ .
(٨) البقرة /٢٩ . (٩) معاني القرآن وإعرابه ١٠٧/١.
(١٠) النحل /٥٧ . (١١) معاني القرآن وإعرابه٢٠٦/٣.

(أي) :

تناولها الزجاج بالحديث في توجيه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾[1] ذاكرًا أقوال المتقدمين مختارًا منها مذهب الخليل، وفي ذلك يقول :

" فأما رفع (أيُّهم) فهو القراءة ، ويجوز (أيَّهم) بالنصب ، حكاها سيبويه ، وذكر سيبويه أن هارون الأعور القارئ قرأ بها ، وفي رفعها ثلاثة أقوال :

قال سيبويه عن يونس إن قوله عز وجل (لننزعن) معلقة لم تعمل شيئا ، فكأن قول يونس : (ثم لننزعن من كل شيعة) ثم استأنف فقال : (أيهم أشد على الرحمن عتيا) .

وأما الخليل فحكى عنه سيبويه أنه على معنى : الذين يقال : (أيهم أشد على الرحمن عتيا) ، ومثله عنده قول الشاعر :

ولقد أبيت من الفتاة بمنزل ... فأبيت لا حرج ولا محروم [2]

المعنى : فأبيت بمنزلة الذي يقال له : لا هو حرج ولا هو محروم .

وقال سيبويه : إن (أيهم) مبنية على الضم لأنها خالفت أخواتها واستعمل معها حرف الابتداء ، تقول : اضرب لأيُّهم أفضل ، يريد : أيهم هو أفضل فيحسن الاستعمال كذلك بحذف (هو)،ولا يحسن : اضرب من أفضل حتى تقول : من هو أفضل ، ولا يحسن (كل ما أطيب) حتى تقول : كل ما هو أطيب ، فلما خالفت (من) و(ما) و(الذي) ـ لأنك لا تقول أيضًا : خذ الذي أفضل ، حتى تقول : هو أفضل ـ قال : فلما خالفت هذا الخلاف بنيت على الضم في الإضافة ، والنصب حسنٌ وإن كنت قد حذفت (هو) ؛ لأن (هو) قد يجوز حذفها ، وقد قرئت : ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ﴾[3] على معنى : الذي هو أحسن .

قال أبو إسحاق : والذي أعتقده أن القول في هذا قول الخليل ، وهو موافق للتفسير؛ لأن الخليل كان مذهبه أو تأويله في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ...﴾ الذي من أجل عتوه يقال : أيُّ هؤلاء أشد عتيا ، فيستعمل ذلك في الأشد فالأشد ، والله أعلم " [4] .

(ذا) :

أجاز الزجاج كونها اسمًا موصولاً في توجيه آيات من القرآن الكريم منها :

(1) مريم /٦٩ .
(2) البيت من الكامل،وهو للأخطل،من شواهد الكتاب٢/٨٤ ، ٣٩٩،وانظره في خزانة الأدب ٦/١٣٩ : ١٤١ .
(3) الأنعام /١٥٤ .
(4) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٣٩ ، ٣٤٠ .

توجيه قوله تعالى : ﴿مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾[1] وفي ذلك يقول : " قوله (ماذا) يجوز أن يكون (ما) و(ذا) اسمًا واحدًا يكون موضعهما نصبًا ، المعنى : أي شيء أراد الله بهذا مثلا ؟ ويكون (ما) هنا رفعا بالابتداء،و(ذا) في معنى (الذي)، وهو خبر الابتداء"[2].

توجيه قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾[3] وفيه يقول : " ومعنى (ماذا) في اللغة على ضربين :

فأحدهما أن يكون (ذا) في معنى (الذي) ، ويكون (ينفقون) من صلته ، المعنى : يسألونك أي شيء الذي ينفقون ؛ لأنهم يعلمون ما المنفق ، ولكنهم أرادوا علم الله وجهه ، ومثل جعلهم (ذا) في معنى (الذي) قول الشاعر :

عدس ما لعباد عليك إمارة أمنت وهذا تحملين طليق [4]

والمعنى : والذي تحملينه طليق ، فيكون (ما) رفعا بالابتداء ، ويكون (ذا) خبرها .

وجائز أن يكون (ما) مع (ذا) بمنزلة اسم واحد ، ويكون الموضع نصبًا بـ(ينفقون) ، المعنى : يسألونك أي شيء ينفقون ، وهذا إجماع النحويين ، وكذلك الوجه الأول إجماع أيضا ، ومثل جعلهم (ذا) بمنزلة اسم واحد قول الشاعر :

دعي ماذا علمت سأتقيه ولكن بالمغيب نبئيني [5]

كأنه بمنزلة : دعي الذي علمت " [6] .

وذكر مثل هذا في توجيه قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[7] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[8] وفيه يقول : " يصلح أن تكون (ما) و(ذا) اسما واحدا ،المعنى : وأي شيء عليهم ، ويجوز أن يكون (ذا) في معنى (الذي)، أو تكون (ما) وحدها اسمًا ، المعنى : وما الذي عليهم ... " [9] .

وقوله تعالى :﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾[10] وفيه يقول :" موضع (ما) رفع ، إن شئت

---

(١) البقرة/ ٢٦ . (٢) معاني القرآن وإعرابه ١٠٥/١ . (٣) البقرة/ ٢١٥ .

(٤) من الطويل ليزيد بن مفرغ الحميري ، وقد تقدم تخريجه هنا .

(٥) من بحر الوافر للمثقب العبدي ، وهو من شواهد الكتاب ٤١٨/٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٧/١ ، ٢٨٨ .

(٧) البقرة/٢١٩،انظر معاني القرآن وإعرابه٢٩٣/١. (٨) النساء/٣٩ .

(٩) انظر معاني القرآن وإعرابه ٥٢/٢ . (١٠) المائدة/ ٤ .

جعلتها وحدها اسما ، ويكون خبرها قوله (ذا)، ويكون (أحل) من صلة (ما)، والتأويل: يسألونك أي شيء الذي أحل لهم ، وجائز أن تكون (ما) و(ذا) اسما واحدا ، وهي أيضا رفع بالابتداء ، والتأويل على هذا : يسألونك : أي شيء أحل لهم ؟ و(أحل لهم) خبر الابتداء " [1] .

وقوله تعالى : ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[2] وفيه يقول : " و(ماذا) يصلح أن تكون ماذا اسما واحدا ، ويكون في موضع نصب ، والمعنى : أي شيء تأمرون ؟ ويصلح أن يكون (ذا) في موضع (الذي) وتكون (ما) في موضع رفع ، ويكون المعنى : ما الذي تأمرون ؟"[3].

الصلة والعائد :

ذكر الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾[4] أن النحويين يجمعون على أن (من) و(ما) و(الذي) لا يوصلن بالأمر والنهي[5] .

وتكلم الزجاج عن حذف العائد من جملة الصلة في توجيه قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾[6] حيث قال : " أي : لا تجزي فيه ، وقيل : لا تجزيه ، وحذف (فيه) ههنا سائغ ؛ لأن (في) مع الظرف محذوفة ، تقول : أتيتك اليوم ، وأتيتك في اليوم ، فإذا أضمرت قلت : أتيتك فيه ، ويجوز أن تقول : أتيتكه ، قال الشاعر :

ويوما شهدناه سليما وعامرا قليلا سوى الطعن النهال نوافله [7]

أراد : شهدنا فيه ، وقال بعض النحويين : إن المحذوف هنا الهاء ؛ لأن الظروف عنده لا يجوز حذفها ، وهذا قول الكسائي ، والبصريون وجماعة من الكوفيين يقولون : إن المحذوف : فيه ، وفصل النحويون في الظروف وفي الأسماء غير الظروف فقالوا : إن الحذف مع الظروف جائز كما كان في ظاهره ، فكذلك الحذف في مضمره ، لو قلت : الذي سرت اليوم ، تريد : الذي سرت فيه جائز ؛ لأنك تقول : سرت اليوم وسرت فيه ، ولو قلت : الذي تكلمت فيه زيد لم يجز : الذي تكلمت زيد ؛ لأنك تقول : تكلمت اليوم ، وتكلمت فيه ، ولا يجوز في قولك : تكلمت في زيد : تكلمت زيدا " [8] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٤٩/٢ . (٢) الأعراف / ١١٠ . (٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٦٥/٢.
(٤) النساء / ٧٢ . (٥) معانيه ٧٦/٢ . (٦) البقرة / ٤٨ .
(٧) البيت من الطويل ، من شواهد الكتاب ١٧٨/١ ونسب فيه لرجل من بني عامر ، وانظر المقتضب ١٠٥/٣.
(٨) معاني القرآن وإعرابه ١٢٧/١ ، ١٢٨ .

وقد أجاز في قوله تعالى : ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾[1] أن تكون (ما) موصولة حذف عائد الصلة منها فقال : " ... ويجوز أن تكون في معنى (الذي) ويكون موضعها رفعًا، المعنى: أخذ الله ميثاقهم ـ أي استحلفهم ـ للذي آتيتكم ـ والمعنى : آتيتكموه ـ لتؤمنن به ، فتكون (ما) رفعا بالابتداء ، ويكون خبر الابتداء : لتؤمنن ، وحذفت الهاء من (لما آتيتكم) لطول الاسم ... "[2] .

وتقدم في توجيه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ﴾ برفع (أحسن) أنه على إضمار : الذي هو أحسن[3] .

وتقدم في توجيه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ أنه على تقدير : أيهم هو أشد[4] .

وقد أجاز في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ﴾[5] رفع (بعوضة) وقال : " الرفع في (بعوضة) جائز في الإعراب ، ولا أحفظ من قرأ به ، ولا أعلم هل قرأ به أحد أم لا ، فالرفع على إضمار (هو) كأنه قال : مثلا الذي هو بعوضة، وهذا عند سيبويه ضعيف وعنه مندوحة ، ولكن من قرأ (تماما على الذي أحسنُ) وقد قرئ به جاز أن يقرأ (مثلا ما بعوضةٌ) ، ولكنه في (الذي أحسنُ) أقوى ؛ لأن (الذي) أطول ، وليس لـ(الذي) مذهب غير الأسماء "[6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾[7] : " أي : من كلمه الله ، والهاء حذفت من الصلة لطول الاسم "[8] .

وقد لا ينص على حذف العائد لكنه يقدره ، كما جاء في توجيه قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[9] حيث قال : " أي مثل ذلك يفعل الله الذي يشاؤه "[10] .

---

(1) آل عمران/٨١.

(2) معاني القرآن وإعرابه١/٤٣٧.

(3) انظر ص٦٠ في هذا الفصل.

(4) انظر ص٦٦ في هذا الفصل.

(5) البقرة/٢٦ .

(6) معاني القرآن وإعرابه ١/١٠٤ .

(7) البقرة/٢٥٣ .

(8) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(9) آل عمران/٤٠ .

(10) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٠٨ .

هل يعمل ما في الصلة في معمول من جملة أخرى غير الجملة التي هو فيها ؟

منع ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[1] ، وفيه يقول : " موضع الكاف رفع ، وهو في موضع خبر الابتداء ، المعنى : دأبهم مثل دأب آل فرعون، وكدأب آل فرعون والذين من قبلهم ... ولا يصلح أن تكون الكاف في موضع نصب بـ(كفروا) [2] ؛ لأن (كفروا) من صلة (الذين) ، ولا يصلح أن الذين كفروا ككفر آل فرعون ؛ لأن الكاف خارجة من الصلة ، ولا يعمل فيها ما في الصلة " [3] .

هل يجوز الفصل بين فعل الصلة ومعموله ؟

منع ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[4] ، وفي ذلك يقول : " لا يجوز (أجورُكم) على رفع الأجور وجعل (ما) في معنى (الذي) ؛ لأن (يوم القيامة) يصير من صلة (توفون) ، و(توفون) من صلة (ما) فلا يأتي ما في الصلة بعد (أجوركم) و(أجوركم) خبر " [5] .

تقدير الموصول :

تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾[6] فقال : " قال بعض النحويين : (بناها) من صلة (السماء) ، معناه : أَم السماء التي بناها ؟ وقال قوم : السماء ليس مما توصل ، ولكن المعنى : أأنتم أشد خلقا أم السماء أشد خلقا . ثم بين كيف خلقها " [7] .

خامسًا : المعرف بالأداة

أل في كلمة (الآن) للعهد :

يتحدث الزجاج عن (أل) في كلمة (الآن) فيذكر أنها للعهد ، وقد جاء ذلك في موضعين :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾[8] حيث قال : " فأما نصب (الآن) فهي حركة لالتقاء الساكنين ، ألا ترى أنك تقول : أنا الآن أكرمك ، ومن الآن فعلت كذا وكذا ، وإنما كان في الأصل مبنيًّا وحرك لالتقاء الساكنين ، وبني (الآن)

(1) آل عمران /11 .
(2) من قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾.
(3) معاني القرآن وإعرابه 1/380.
(4) آل عمران /185 .
(5) معاني القرآن وإعرابه 1/495 .
(6) النازعات /27 .
(7) معاني القرآن وإعرابه 5/280 .
(8) البقرة /71 .

وفيه الألف واللام ؛ لأن الألف واللام دخلتا لعهد [١] غير متقدم ، إنما تقول : الغلام فعل كذا إذا عهدته أنت ومخاطبك [٢] ، وهذه الألف واللام تنوبان عن معنى الإشارة ، المعنى : أنت إلى هذا الوقت تفعل ، فلم يعرب الآن كما لم يعرب هذا " [٣] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾[٤] وفيه يقول : " زعم الفراء أن الآن إنما هو آن كذا وكذا ، ولكن الألف واللام دخلت على جهة الحكاية ، وما كان على جهة الحكاية نحو (قام) إذا سميت به فجعلته مبنيًّا على الفتح لم تدخله الألف واللام .

والآن عند سيبويه والخليل مبني على الفتح ، تقول : نحن من الآن نصير إليك ، فتفتح الآن ؛ لأن الألف واللام إنما تدخل لعهد ، والآن لم تعهده قبل هذا الوقت ، فدخلت الألف واللام للإشارة إلى الوقت ، المعنى : نحن من هذا الوقت نفعل ، فلما تضمنت معنى هذا وجب أن تكون موقوفة ، وفتحت لالتقاء الساكنين وهما الألف والنون [٥] " [٦] .

هذا ، وقد نسب ابن هشام[٧] إلى الزجاج القول بأن (أل) في (الآن) زائدة لازمة ، وليس في كلام الزجاج عن (الآن) تصريح بذلك .

أل للتعريف ، وهي حرف ولا ينوب عن الضمير :

قرر ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾[٨]، وفيه يقول : "(جنات) بدل من (لحسن مآب)[٩] ، ومعنى (مفتحة لهم الأبواب) : مفتحة لهم الأبواب منها ، وقال بعضهم : مفتحة لهم أبوابها ، والمعنى واحد إلا أنه على تقدير العربية : الأبواب منها أجود من أن تجعل الألف واللام بدلا من الهاء والألف ؛ لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف في شيء ؛ لأن الهاء والألف اسم ، والألف واللام دخلتا للتعريف، ولا يبدل حرف جاء لمعنى من اسم ولا ينوب عنه ، هذا محال "[١٠] .

---

(١) في المعاني ١٥٣/١ (بعهد) ، والمنقول من الإغفال .
(٢) في المعاني ١٥٣/١ (ومخاطبتك) ، والتصحيح من الإغفال .
(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٥٣/١ .
(٤) يونس /٥١ .
(٥) في المعاني٢٥/٣ (الألف واللام)، والتصويب من الإغفال.
(٦) معاني القرآن وإعرابه٢٤/٣ ، ٢٥.
(٧) التصريح ١٥١/١ .
(٨) سورة ص /٥٠ .
(٩) في قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ .
(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٧/٤ .

همزة (أل) المعرفة تثبت إذا دخلت عليها همزة الاستفهام :

قرر ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾[1] فهو يقول: " وتثبت ألف المعرفة مع ألف الاستفهام لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ؛ لأنه لو قيل : ألذكرين حرم ، بألف واحدة لالتبس الاستفهام بالخبر ، وقد يجوز مع أم حذف الألف ؛ لأن (أم) تدل على الاستفهام ؛ لأنه لوقيل : ألرجل ضربت أم الغلام ؟ لدلت (أم) على أن الأول داخل في الاستفهام ، وقد أجاز سيبويه أن يكون البيت على ذلك ، وهو قوله:

لعمرك ما أدري وإن كنت داريًا ... شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر [2]

فأجاز أن يكون على : أشعيث بن سهم ، ولكن القراءة بتبيين الألف الثانية في قوله : آلذكرين " [3] .

---

(1) الأنعام /١٤٣ .

(2) من بحر الطويل ، للأسود بن يعفر التميمي ، وهو من شواهد الكتاب ١٧٥/٣ .

(3) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٠/٢ ، ٣٠١ .

الفصل الرابع
المبتدأ والخبر

رافع المبتدأ والخبر :

يسير الزجاج على أن رافع المبتدأ هو الابتداء ، وأن الخبر مرفوع بالمبتدأ ، وفيما يلي مواضع ذلك :

يقول الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ﴾[1] : " (أولئك) موضعه رفع بالابتداء ، وخبره (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) " [2] .

ويقول في توجيه قوله تعالى : ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾[3] : " (الشهر) رفع بالابتداء ، وخبره (بالشهر الحرام) " [4] .

وقد أشار في مواضع من المعاني إلى أن الخبر رافعه المبتدأ ، ومن ذلك :

- توجيه قوله تعالى : ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾[5] وفيه يقول : " (ذكر رحمة ربك) مرتفع بالمضمر ، المعنى : هذا الذي نتلو عليك ذكر رحمة ربك عبده " [6] .
- توجيه قوله تعالى : ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾[7] ، وفيه يقول :" القراءة بالرفع ، والرافع لـ(خصمان) نحن ، المعنى : نحن خصمان " [8] .

المبتدأ الذي يقتضي مرفوعًا سد مسد الخبر :

تناوله الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [9] ، وفيه يقول : " موضع (من)رفع بـ(سواء) ، وكذلك (من) الثانية يرتفعان جميعا بـ(سواء) لأن (سواء) يطلب اثنين ، تقول : سواء زيد وعمرو ، في معنى : ذوا سواء زيد وعمرو؛ لأن (سواء) مصدر فلا يجوز أن يرفع ما بعده إلا على الحذف ، تقول : عدل زيد وعمرو ، المعنى : ذوا عدل زيد وعمرو ؛ لأن المصادر ليست بأسـماء الفاعلين ، وإنما

---

(1) البقرة /١٦ . (2) معاني القرآن وإعرابه ٩١/١ . (3) البقرة /١٩٤ .
(4) معاني القرآن وإعرابه ٢٦٤/١ . (5) مريم /٢ . (6) معاني القرآن وإعرابه٣١٨/٣.
(7) سورة ص/٢٢ . (8) معاني القرآن وإعرابه٣٢٦/٤. (9) الرعد /١٠ .

يرفع الأسماء أوصافها ، فإذا رفعتها المصادر فهي على الحذف كما قالت الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فـإنـمـا هـي إقـبـال وإدبـار [1]

المعنـى : فإنمـا هـي ذات إقبال وإدبار ، وكذلك : زيد إقبال وإدبار ، وهذا مما كثر استعماله ، أعني (سواء) فجرى مجرى أسماء الفاعلين ، ويجوز أن يرتفع على ان يكون فـي موضـع (مسـتوٍ) إلا أن سـيبويه يسـتقبح ذلـك ، لا يجيز : مستو زيد وعمرو ؛ لأن أسـماء الفاعلـين عـنده إذا كانـت نكرة لا يبدأ بها لضعفها عن العمل ، فلا يبتدئ بها ويجريها مجرى الفعل " [2] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾[3] : " ... ترفع (سواء) بالابتداء ، وتقوم (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) مقام الخبر ، كأنه بمنزلة قولك : سواء عليهم الإنذار وتركه ، وسواء موضوع موضع (مستو) ؛ لأنك لا تقيم المصادر مقام أسماء الفاعلين إلا وتأويلها تأويل أسمائهم ... " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا ﴾ [5] : " (سواء) رفع بالابتداء ، و(أجزعنا) في موضع الخبر " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾[7] :" القراءة الرفع في (سواءً) ، ورفعه من جهتين: إحداهما أن يكون وقف التمام هو (الذي جعلناه للناس) كما قال : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ [8] ويكون (سواء العاكف فيه والباد) على الابتداء والخبر ، ويجوز أن يكون على : جعلناه سواء العاكف فيه ، فيرتفع (سواء) على الابتداء ، ويكون الخبر ههنا (العاكف فيه) أعني خبر (سواء) (العاكف) ، ويكون خبر (جعلناه) تمام الجملة " [9] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ [10] : " ويقرأ : (سواءٌ محياهم ومماتهم) ، وقد قرئت: (سـواء محياهم ومماتَهم) بنصـب الممات ، وحكى بعض النحـويين أن ذلك جائز في

(١) البيت من البسيط ، وهو من شواهد الكتاب ١/٣٣٧ . (٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٤١ .
(٣) البقرة /٦ . (٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٧٧ . (٥) إبراهيم /٢١ . (٦) معانيه ٣/١٥٨ .
(٧) الحج /٢٥ . (٨) آل عمران /٩٦ . (٩) معانيه ٣/٤٢٠ . (١٠) الجاثية /٢١ .

العربية ... والاختيار عند سيبويه والخليل وجميع البصريين (سواءٌ) برفع سواء ، وعليه أكثر القراء، ويجيزون النصب ، وتقول : ظننت زيدًا سواءٌ أبوه وأمه ، وسواءً أبوه وأمه، والرفع أجود ؛ لأن (سواء) في مذهب المصدر كما تقول : ظننت زيدًا ذو استواء أبوه وأمه ، ومن قرأ (سواءً) بالنصب جعله في موضع : مستويًا محياهم ومماتهم ، ومن نصب (محياهم ومماتهم) فهو عند قوم من النحويين سواء في محياهم وفي مماتهم ويذهب به مذهب الأوقات ، وهو يجوز على غير ذلك على أن يجعله بدلا من الهاء والميم ، ويكون المعنى : أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعل محياهم ومماتهم سواء كالذين آمنوا وعملوا الصالحات أي كمحيا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومماتهم " [1] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [2] : " (سواء) مرفوع بالابتداء ، والخبر محذوف ، المعنى : سواء عليكم الصبر والجزع " [3] .

العناية ببيان المبتدأ والخبر :

يعنى بذلك الزجاج كثيرا كما يتبين مما سبق من نصوص في الفصول المتقدمة ، وأذكر هنا بعض الأمثلة ، فمنها :

- توجيهه لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[4] ، وقد أورده على القراءة بنصب (متاع) وقال : " وتقرأ : متاعُ الحياة الدنيا ، خبرًا لقوله : بغيكم على أنفسكم ، ويجوز أن يكون خبر الابتداء (على أنفسكم) ، ويكون (متاع الحياة الدنيا) على إضمار (هو) " [5] .

- توجيهه لقوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[6] ، وفيه يقول : " (عباد الرحمن) مرفوع بالابتداء ، والأحسن أن يكون خبر الابتداء ههنا ما في آخر السورة من قوله : ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾[7] كأنه قال : وعباد الرحمن الذين هذه صفتهم كلها إلى قوله : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [8] ، ويجوز أن يكون قوله :

(1) معانيه ٤/٤٣٣ .
(2) الطور /١٦ .
(3) معانيه ٥/٦٢ .
(4) يونس /٢٣ .
(5) معانيه ٣/١٤ .
(6) الفرقان /٦٣ .
(7) الفرقان /٧٥ .
(8) الفرقان /٧٤ .

(وعباد الرحمن) رفعا بالابتداء ، وخبره : (الذين يمشون على الأرض هونا) " [١] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[٢] :"(هم) الأولى مرفوعة بالابتداء ، و(هم) الثانية ابتداء ثان ، و(غافلون) خبر (هم) الثاني ، والجملة الثانية خبر (هم) الأولى ، والفائدة في الكلام أن ذكر (هم) وإن كانت ابتداء تجري مجرى التوكيد كما تقول : زيد هو عالم ، وهو أوكد من قولك : زيد عالم ، وتصلح أن تكون بدلا من (هم) الأولى مؤكدة أيضا كما تقول : رأيته إياه " [٣] .

الابتداء بالنكرة :

وصف الزجاج الابتداء بالنكرة بأنه قبيح ، وجاء ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾[٤] وفيه يقول :" القراءة الرفع ، وقرأ عيسى بن عمر : سورةً بالنصب، فأما الرفع فعلى إضمار : هذه سورة أنزلناها ، ورفعها بالابتداء قبيح ؛ لأنها نكرة ، و(أنزلناها) صفة لها ، والنصب على وجهين : على معنى : أنزلنا سورة كما تقول : زيدا ضربته ، وعلى معنى : اتل سورة أنزلناها " [٥] .

قلت : أجاز السمين [٦] أن يكون (سورة) مبتدأ ، والجملة بعده صفة له ، وذلك هو المسوغ للابتداء بالنكرة ، وخبر المبتدأ الجملة من قوله : (الزانية والزاني ...) وما بعد ذلك ، والمعنى : السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا ، أو الخبر محذوف والتقدير : فيما يتلى عليكم سورة أو فيما أنزلناه سورة .

والزجاج يجيز الابتداء بالنكرة إذا كانت اسما يكثر استعماله ، وقد قرر ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾[٧] وفيه يقول : " (سلام) مما يبتدأ به النكرة ؛ لأنه اسم يكثر استعماله ، تقول : سلام عليك ، والسلام ، وأسماء الأجناس الابتداء بها يحسن ؛ لأن فائدتها نكرة قريب من فائدتها معرفة ، تقول : لبيك وخير بين يديك [٨] ، وإن شئت قلت : والخير بين يديك ، وتقول : سلام عليك أيها النبي ، والسلام عليك أيها النبي ،إلا أنه لما جرى ذكر السلام قبل هذا الموضع بغير ألف ولام

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٧٤/٤ ، ٧٥ .

(٢) الروم /٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٧٨/٤ .

(٤) النور /١ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٧/٤ .

(٦) الدر المصون ٣٧٧/٨ .

(٧) مريم /٣٣ .

(٨) انظر الكتاب ٣٣٠/١ .

كان الأحسن أن يرد الثاني بالألف واللام "[1] .

الإخبار بالمفرد مصدرا :

جعله الزجاج مؤولا بحذف مضاف في توجيه قوله تعالى :﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾[2] فهو يقول : " (خصم) يصلح للواحد والاثنين والجماعة والذكر والأنثى ، تقول : هذا خصم ، وهي خصم ، وهما خصم ، وهم خصم ، وإنما صلح لجميع ذلك لأنه مصدر ، تقول : خصمته أخصمه خصما ،المعنى : هما ذوا خصم ، وهم ذوو خصم ، فإن قلت: خصوم جاز ، كما تقول : هما عدل ، وهم عدول ، وقال : ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[3] بمعنى هما ذوا عدل ، فما كان من المصادر قد وصف به الأسماء فتوحيده جائز وإن وصف به الجماعة ، وتذكيره جائز وإن وصفت به الأنثى ، فتقول : هو رضا ، وهما رضا ، وكذلك : هذه رضا " [4] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾[5] :" ارتفع (كره) لأنه خبر الابتداء ، وتأويله : ذو كره " [6] .

الخبر المفرد هو المبتدأ في المعنى :

أشار إلى ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى :﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ﴾[7]، حيث قال : " معنى (هم درجات): هم ذوو درجات ؛ لأن الإنسان غير الدرجة ، كما تقول : الناس طبقات ، أي ذوو طبقات ، وأنشد سيبويه [8] :

أنصب للمنية يعتريهم رجالي أم هم درج السيول [9]

أي : هم ذوو درج ، ويجوز : أم هم درجَ السيول ، على الظرف " [10] .

تذكير الخبر مراعاة لمعنى التذكير في المبتدأ :

أشار إلى ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [11] حيث قال : " وقوله : (منفطر به) ولم يقل : (منفطرة) ، و(منفطرة) جائز ، وعليه جاء : ﴿إِذَا السَّمَاءُ

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٢٩ . (٢) سورة ص /٢١ . (٣) الطلاق /٢ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٢٥ . (٥) البقرة/٢١٦ . (٦) معاني القرآن وإعرابه١/٢٨٩.
(٧) آل عمران/ ١٦٣ . (٨) الكتاب ١/٤١٥ .
(٩) البيت من الوافر ، لابن هرمة ، وانظره في الخزانة ١/٤٢٤ .
(١٠) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٨٦ ، ٤٨٧ . (١١) المزمل /١٨ .

انْفَطَرَتْ﴾ [١] ، ولا يجوز أن يقرأ في هذا الموضع : (السماء منفطرة) ؛ لخلاف المصحف ، والتذكير على ضربين : أحدهما : على معنى السماء ، معناه السقف ، قال الله عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [٢] ، والوجه الثاني على قوله : امرأة مرضع ، أي على جهة النسب، المعنى : السماء ذات انفطار ، كما تقول : امرأة مرضع، أي ذات رضاع " [٣] .

الإخبار بالجملة :

تحدث الزجاج عن الخبر الجملة مشيرا إلى ارتباطه بالمبتدأ في توجيه قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ...﴾ [٤] فقال : " قال النحويون في خبر (الذين) غير قول ، قال أبو الحسن الأخفش : المعنى يتربصن بعدهم أو بعد موتهم ، وقال غيره من البصريين : أزواجهم يتربصن ، وحذف (أزواجهم) لأن في الكلام دليلاً عليه ، وهذا إطباق البصريين ، وهو صواب .

وقال الكوفيون ـ وهذا القول قول الفراء وهو مذهبه ـ إن الأسماء إذا كانت مضافة إلى شيء وكان الاعتماد في الخبر الثاني أخبر عن الثاني وترك الإخبار عن الأول وأغنى الإخبار عن الثاني عن الإخبار عن الأول ، قالوا : فالمعنى : وأزواج الذين يتوفون يتربصن ، وأنشد الفراء :

لعلي إن مالت بي الريح ميلة ... على ابن أبي ذبان أن يتندما [٥]

المعنى : لعل ابن أبي ذبان أن يتندم إن مالت بي الريح ميلة عليه ، وهذا القول غير جائز ، لا يجوز أن يبدأ اسم ولا يحدث عنه؛لأن الكلام إنما وضع للفائدة فما لا يفيد فليس بصحيح ، وهو أيضا من قولهم محال ؛ لأن الاسم إنما يرفعه اسم إذا ابتدئ مثله أو ذكر عائد عليه ،فهذا على قولهم باطل ؛ لأنه لم يأت اسم يرفعه ولا ذكر عائد عليه .

والذي هو الحق في هذه المسألة ـ عندي ـ أن ذكر (الذين) قد جرى ابتداء ، وذكر الأزواج قد جرى متصلا بصلة (الذين) فصار الضمير الذي في (يتربصن) يعود على الأزواج مضافات إلى (الذين) كأنك قلت : يتربص أزواجهم ، ومثل هذا من الكلام قولك : الذي يموت ويخلف ابنتين ترثان الثلثين ، المعنى : ترث ابنتاه الثلثين " [٦] .

(١) الانفطار /١ . (٢) الأنبياء /٣٢ . (٣) معانيه ٥/٢٤٣ . (٤) البقرة /٢٣٤ .
(٥) البيت من الطويل ، وهو لثابت بن كعب العتكي ، وأبو ذبان كنية لعبد الملك بن مروان ، وانظر البيت في معاني الفراء ١/١٥٠ ، واللسان (ذبب) . (٦) معاني القرآن وإعرابه ١/٣١٤ : ٣١٦ .

قلت : يفهم من كلام الزجاج هنا أنه يعرب جملة (يتربصن) خبرا لـ(الذين) ويرى أن الربط بين المبتدأ والخبر حاصل في المعنى فلا يحتاج إلى تقدير محذوف ؛ لأن الضمير في (يتربصن) للأزواج الواقعة في صلة (الذين) ، فيفهم من ذلك أن المراد به الأزواج مضافا إلى ضمير (الذين) ، والمعنى يتربص أزواجهم ، وقد فهم أبو حيان هذا من كلام الزجاج حيث قال : " ... ولا حذف يصحح معنى الخبر ؛ لأنه ربط من جهة المعنى ؛ لأن (النون) في (يتربصن) عائد ، فقيل : على أزواج الذين يتوفون ، فلو صرح بذلك فقيل : يتربص أزواجهم لم يحتج إلى حذف وكان إخبارا صحيحا ، فكذلك ما هو بمعناه ، وهو قول الزجاج ... " [1] .وهذا منه إشارة إلى الربط بالضمير ، وقد أشار إلى الربط باسم الإشارة في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[2] حيث يقول : " ... ومن رفع اللباس فرفعه على ضربين : أحدهما أن يكون مبتدأ ، ويكون (ذلك) من صفته ، ويكون (خير) خبر الابتداء ، المعنى : ولباس التقوى المشار إليه خير ، ويجوز أن يكون (ولباس التقوى) مرفوعا بإضمار (هو) ، المعنى : هو لباس التقوى ، أي : وستر العورة لباس المتقين ، ثم قال : (ذلك خير) ، ويكون على أن (لباس التقوى) مرفوع بالابتداء ، ويكون (ذلك خير) يرتفع به (خير) على أنه خبر (ذلك) ويكون (ذلك) بمنزلة (هو)،كأنه ـ والله أعلم ـ ولباس التقوى هو خير ؛لأن أسماء الإشارة تقرب فيما يعود من الذكر من المضمر "[3].

الإخبار بشبه الجملة :

للزجاج في نحو قولنا : (في الدار رجل) ثلاثة اتجاهات :

الأول : تقديم كون المرفوع فاعلا بالجار والمجرور مع تجويز إعرابه مبتدأ مؤخرا ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [4] حيث قال : " إعراب (أزواج) الرفع بـ(ولهم) ، وإن شئت بالابتداء " [5] .

الثاني : تقديم إعرابه مبتدأ ، كما فعل في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ [6] حيث قال : " ارتفع (أميون) بالابتداء ، و(منهم) الخبر ، وفي قول الأخفش : يرتفع الأميون بفعلهم ، كأن المعنى : واستقر منهم أميون " [7] .

(١) البحر المحيط ٢٢٢/٢ . (٢) الأعراف /٢٦ . (٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٨/٢ ، ٣٢٩ .
(٤) البقرة /٢٥ . (٥) معاني القرآن وإعرابه ١٠٢/١ .
(٦) البقرة /٧٨ . (٧) معاني القرآن وإعرابه ١٥٩/١ .

الثالث : إجمال ذكر الوجهين ، كما فعل في توجيه قوله تعالى:﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾[1] حيث قال : " يرتفع (خزي) من جهتين : إحداهما الابتداء ، والأخرى الفعل الذي ينوب عنه (لهم) ، المعنى : وجب لهم خزي في الدنيا " [2] ، وكما قال في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾[3] حيث قال : " (حياة) : رفع على ضربين : على الابتداء ، وعلى (لكم) ، كأنه قال : وثبت لكم في القصاص حياة " [4] .

دخول الفاء في الخبر :

من مواضع ذلك عند الزجاج ما جاء في توجيه قوله تعالى : ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾[5] وفيه يقول : " (حميم) : رفع من جهتين : إحداهما على معنى : هذا حميم وغساق فليذوقوه ، ويجوز أن يكون هذا على معنى : هذا فليذوقوه ، ثم قال بعد: حميم وغساق ، ويجوز أن يكون (هذا) في موضع نصب على هذا التفسير ، ويجوز أن يكون في موضع رفع .

فإذا كان في موضع نصب فعلى : فليذوقوا هذا فليذوقوه ، كما قال عز وجل : ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾[6] ومثل ذلك : زيدًا فاضربه ، ومن رفع فبالابتداء ويجعل الأمر في موضع خبر الابتداء مثل ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [7] " [8] .

وقد تعقبه أبو علي في الإغفال ، ومنع هذا الوجه الأخير [9] .

وكان الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ قد نسب إلى المبرد أنه يختار أن يكون (والسارق والسارقة) رفعا بالابتداء ؛ لأن القصد ليس إلى واحد بعينه فليس هو مثل قولك : زيدا فاضربه ، إنما هو كقولك : من سرق فاقطع يده ، ومن زنى فاجلده ، ثم قال الزجاج : " وهذا القول هو المختار ، وهو مذهب بعض البصريين والكوفيين " [10] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ

(1) البقرة /114 .
(2) معاني القرآن وإعرابه 196/1 ، 197 .
(3) البقرة /179 .
(4) معاني القرآن وإعرابه 249/1 .
(5) سورة ص /57 .
(6) البقرة /41 .
(7) المائدة /38 .
(8) معاني القرآن وإعرابه 338/4 ، 339 .
(9) انظر الإغفال 530/2 ، والنحو القرآني بين الزجاج وأبي علي ص1501 ، 1502 .
(10) معاني القرآن وإعرابه 172/2 .

أَجْرُهُمْ﴾[1] : " (الذين) رفع بالابتداء ، وجاز أن يكون الخبر ما بعد الفاء ، ولا يجوز في الكلام : زيد فمنطلق ؛ لأن الفاء لا معنى لها ، وإنما صلح في (الذين) لأنها تأتي بمعنى الشرط والجزاء " [2] .

وقال في قوله تعالى :﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾[3] : " الفاء دخلت لأن الكلام في تقدير الجزاء ، وهو بمنزلة قولك : إن تصبك حسَنة فمن الله " [4] . وقال في قوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ ...﴾[5] : " موضع (ذلكم) رفع على إضمار الأمر، المعنى : الأمر ذلكم فذوقوه ، فمن قال إنه يرفع (ذلكم) بما عاد عليه من الهاء وبالابتداء ، وجعل الخبر (فذوقوه) فقد أخطا من قبل أن ما بعد الفاء لا يكون خبرا لمبتدأ ، لا يجوز : زيد فمنطلق ، ولا زيد فاضربه ، إلا أن تضمر (هذا) ، تريد : هذا زيد فاضربه ، قال الشاعر :

وقائلة خولان فانكح فتاتهم ... وأكرومة الحيين خلو كما هيا [6] " [7]

لام الابتداء :

تكلم الزجاج عن هذه اللام في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[8] عندما ذكر أن النحويين القدماء يوجهون القراءة بتشديد (إنّ) وبالألف في (هذان) بأن الهاء مضمرة في (إن) ، والتقدير : إنه هذان ، ويذهبون إلى أن هذه اللام أصلها أن تقع في الابتداء ، لكن وقوعها في الخبر جائز ، وأنشدوا على ذلك :

خالي لأنت ومن جرير خاله ... ينل العلاء ويكرم الأخوالا [9]

وأنشدوا أيضا :

أم الحليس لعجوز شهربه
ترضى من اللحم بعظم الرقبه [10]

والمعنى : لأم الحليس ، وقالوا : لأنت خالي .

---

(١) البقرة /٢٧٤ . (٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٨/١ .
(٣) النساء /٧٩ . (٤) معاني القرآن وإعرابه ٨٠/٢ . (٥) الأنفال /١٤ .
(٦) من البحر الطويل، ولم يعرف قائله، وهو من شواهد الكتاب ١٧٨/٣. (٧) معاني القرآن وإعرابه٤٠٧/٢.
(٨) طه /٦٣ . (٩) من بحر الكامل ، وانظره في خزانة الأدب ٣٢٣/١٠ ، والتصريح ١٧٤/١ .
(١٠) من مشطور الرجز ، لرؤبة ، انظر ابن يعيش ٥٧/٧ ، ٢٣/٨ .

ثم قال : " والذي عندي ـ والله أعلم ، وكنت عرضته على عالمنا محمّد بن يزيد، وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن يزيد فقبلاه ، وذكرا أنّه أجود ما سمعاه في هذا ـ أنّ (إنّ) وقعت موضع (نعم) ، وأنّ اللام وقعت موقعها ، وأنّ المعنى : نعم هذان لهما ساحران " (١) .

تعدد الخبر :

من مواضع تعدد الخبر عند الزجاج قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى﴾(٢) وذلك على أساس أن يكون موضع (هدى) رفعا ، فيكون خبرا بعد خبر ، كأنه قال : هذا ذلك الكتاب هدى ، أي قد جمع أنه الكتاب الذي وعدوا به وأنه هدى ، كما تقول : هذا حلو حامض ، تريد أنه قد جمع الطعمين ، وأجاز أيضا أن يكون (هدى) في موضع رفع خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هو ، وأن يكون في موضع رفع مبتدأ ، ويقدر له خبر ، والتقدير : فيه هدى (٣) .

وقد اعترض عليه أبو علي في إجازته الوجه الأول وقياسه على قول العرب : هذا حلو حامض ؛ لأن هذا القول تعدد في اللفظ دون المعنى ، والتعدد في الآية تعدد في اللفظ والمعنى (٤) .

ومن مواضعه عنده أيضا قوله تعالى : ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(٥) في القراءة برفع (خالصة)(٦) ، وفيه يقول : " فأما إعراب (خالصة) فهو أنه خبر بعد خبر ، كما تقول : زيد عاقل لبيب ، فالمعنى : قل هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة " (٧) .

وذكر في توجيه قوله تعالى : ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾(٨) أنه يجوز فيه رفع (شيخا)(٩) ثم قال : " وزعم سيبويه (١٠) والخليل أن الرفع من أربعة أوجه :

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٦١/٣ : ٣٦٤ .
(٢) البقرة /٢ .
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٧٠/١ .
(٤) انظر : الحجة ١٤٧/١ إلى ١٥١ .
(٥) الأعراف /٣٢ .
(٦) وهي قراءة نافع وحده ، انظر السبعة ص٢٨٠ .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٣/٢ .
(٨) هود /٧٢ .
(٩) وهي قراءة غير متواترة قرأ بها ابن مسعود والأعمش ، انظر الدر المصون ٣٥٧/٦ .
(١٠) الكتاب ٨٣/٢ – ٨٦ .

فوجه منها أن تقول : هذا زيد قائم ، فترفع زيدا بـ(هذا) وترفع قائما خبرا ثانيا ، كأنك قلت : هو قائم أو هذا قائم [1]، ويجوز أن تجعل زيدا وقائما جميعا خبرا عن هذا ، فترفعهما جميعا بـ(هذا) كما تقول : هذا حلو حامض، تريد أنه جمع الطعمين، ويجوز أن تجعل زيدا بدلا من هذا ، كأنك قلت : زيد قائم ، ويجوز أن تجعل زيدا مبينا عن هذا ، كأنك أردت هذا قائم ثم بينت من هو بقولك: زيد ، فهذه أربعة أوجه[2].

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [3] : " (الذين) يرفع بالابتداء، وخبر الابتداء (يتلونه) ، وإن شئت كان خبر الابتداء (يتلونه) و(أولئك) جميعا ، فيكون للابتداء خبران كما تقول : هذا حلو حامض " [4] .

وسيأتي من ذلك توجيه قوله تعالى : ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ في فصل الحال .

تقدير المبتدأ والخبر عند الحذف :

من أمثلة ذلك عند الزجاج ما جاء في توجيه قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [5] وفيه يقول : " المعنى : الأمر ذلك ، أو ذلك الأمر ، فذلك مرفوع بالابتداء أو خبر الابتداء " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [7] : " مرفوع على أنه خبر ابتداء محذوف، المعنى : الذي أنبأناك به في قصة عيسى عليه السلام هو الحق من ربك " [8] .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَلَا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا﴾[9] :" (الذين) رفع بالابتداء ، وخبره محذوف، وفي الكلام دليل عليه، المعنى: والذين اتخذوا من دونه أولياء يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى"[10] .

وقد أجاز في إعراب البسملة والفاتحة رفع (الرحمن) و(رب العالمين) على أن يكون

---

(١) أي يكون (قائم) خبرا لمبتدأ محذوف ، وعبارة سيبويه : " فوجه أنك حين قلت : هذا عبد الله أضمرت هذا أو هو ، كأنك قلت : هذا منطلق ، أو هو منطلق " . (٢) معاني القرآن وإعرابه ٦٣/٣ ، ٦٤ .
(٣) البقرة /١٢١ . (٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٣/١ . (٥) البقرة /١٧٦ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٦/١ . (٧) آل عمران /٦٠ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٤٢٢/١ . (٩) الزمر /٣ .
(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٤/٤ .

المرفوع خبرا لمبتدأ محذوف تقديره (هو) ، وذكر أن ذلك يجوز في غير القرآن [1] .

وأجاز في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أن يكون التقدير : أن تبروا وتتقوا وتصلحوا أولى ، وكذا في قوله تعالى : ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أن يكون التقدير : طاعة وقول معروف أمثل [2] ، والأمثلة على ذلك كثيرة في معانيه .

وذكر في توجيه قوله تعالى : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [3] أن الخبر حذف لدلالة الكلام عليه ، وسيأتي نصه في فصل القسم .

---

(١) انظر ما سيأتي في فصل التعدي واللزوم .

(٢) انظر ما سيأتي في فصل التعدي واللزوم .

(٣) الحجر /٧٢ .

الفصل الخامس

كان وأخواتها

معنى كان في الأسلوب القرآني :

تحدث الزَّجَّاج عن معنى (كان) موجها مجيئها فعل شرط ، وذلك في توجيه قوله تعالى :﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾[1] وفي ذلك يقول:" فأما (كان) في باب حروف الجزاء ففيها قولان :

- قال محمد بن يزيد : جائز أن تكون لقوتها على معنى المضي ؛ لأنها في المضي عبارة عن كل فعل ماض ، فهذا هو قوتها ، وكذلك يتأول قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾[2] .
- وحقيقته ـ والله أعلم ـ من تعلم منه هذا ، فهي على باب سائر الأفعال ، إلا أن معنى (كان) إخبار عن الحال فيما مضى ، إذا قلت : كان زيد عالما فقد أنبأت أن حاله هذه فيما مضى من الدهر ، وإذا قلت : سيكون عالما فقد أنبأت أن حاله سيقع فيما يستقبل ، فإنما معنى كان ويكون العبارة عن الأفعال والأحوال " [3] .

ووجه مجيئها فعل الشرط في توجيه قوله تعالى : ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ ... ﴾ [4] فقال : " فأما دخول (كان) مع (إن) الجزاء وكون الفعل بعدها لما مضى ففيه قولان :

- قال محمد بن يزيد : كان لقوتها وأنها عبارة عن الأفعال وإن كانت في معنى الاستقبال ههنا عبرت عن فعل ماض .
- أو المعنى : إن يكن قميصه قد ، أي إن يعلم قميصه قد ، فالعلم ما وقع بعد ، فكذلك الكون ؛ لأنه مؤد عن العلم " [5] .

---

(١) هود /١٥ . (٢) المائدة /١١٦ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٤٢ ، ٤٣ .

(٤) يوسف /٢٦ . (٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٠٣ .

وذكر الأقوال في دلالتها في القرآن في موضعين :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [1] ، وفيه يقول : " فيه ثلاثة أقوال :

- قال سيبويه : كأن القوم شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضلا فقيل لهم : إن الله كان كذلك ولم يزل ، أي لم يزل على ما شاهدتم .
- وقال الحسن : كان عليما بالأشياء قبل خلقها ، حكيما فيما يقدر تدبيره منها .
- وقال بعضهم : الخبر عن الله في هذه الأشياء بالمضي كالخبر بالاستقبال والحال ؛ لأن الأشياء عند الله في حال واحدة : ما مضى ، وما يكون ، وما هو كائن .

والقولان الأولان هما الصحيحان ؛ لأن العرب خوطبت بما تعقل ، ونزل القرآن بلغتها ، فما أشبه من التفسير كلامها فهو أصح إذ كان القرآن بلغتها نزل " [2] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[3]، وفيه يقول :" تأويل (كان) في هذا الموضع قد اختلف فيه الناس :

- فقال الحسن البصري : كان غفورا لعباده وعن عباده قبل أن يخلقهم .
- وقال النحويون البصريون : كأن القوم شاهدوا من الله رحمة ، فأعلموا أن ذلك ليس بحادث وأن الله لم يزل كذلك .
- وقال قوم من النحويين : كان وفعل من الله بمنزلة ما في الحال ، فالمعنى ـ والله أعلم ـ والله غفور رحيم .

والذي قاله الحسن وغيره أدخل في اللغة وأشبه بكلام العرب ، فأما القول الثالث فمعناه يؤول إلى ما قاله الحسن وسيبويه ، إلا أن يكون الماضي بمعنى الحال يقل .

وصاحب هذ القول له من الحجة قولنا : غفر الله لفلان ، بمعنى : ليغفر الله له ، فلما كان في الحال دليل على الاستقبال وقع الماضي مؤديًا عنها استخفافا ؛ لأن اختلاف ألفاظ الأفعال إنما وقع لاختلاف الأوقات ، فإذا علمت الأحوال والأوقات استغني بلفظ بعض الأفعال عن لفظ بعض ، والدليل على ذلك قوله عز وجل : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [4] ، وقوله : ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [5] معناه : من يتب ، ومن يجيء بالحسنة يعط عشر أمثالها " [6] .

(1) النساء /11 . (2) معاني القرآن وإعرابه 2/25 . (3) النساء /100 .
(4) الأنعام /160 . (5) الفرقان /71 . (6) معاني القرآن وإعرابه 2/95 ، 96 .

استعمالات كان :

يفسر الزجاج (كان) التامة بلفظ (وقع) ، وقد جاء ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [1] وفيه يقول : " أي وإن وقع ذو عسرة ، ولو قرئت : وإن كان ذا عسرة لجاز ، أي : وإن كان الذي عليه الدين ذا عسرة ، ولكن المصحف لا يخالف ، والرفع على (إن كان) على معنى : إن وقع ذو عسرة " [2] .

كما يفسر (تكون) مضارع (كان) التامة بلفظ تقع ، وقد جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ [3] وفيه يقول : " أكثر القراء على الرفع (تجارةٌ حاضرةٌ) على معنى : إلا أن تقع تجارة حاضرة ، ومن نصب (تجارة) - وهي قراءة عاصم [4] - فالمعنى : إلا أن تكون المداينة تجارة حاضرة ، والرفع أكثر ، وهي قراءة الناس " [5] .

وكذا قال في توجيه قوله تعالى : ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ [6] : " المعنى : إلا أن تكون الأموال تجارة ، ومن قرأ : (إلا أن تكون تجارةٌ) فمعناه : إلا أن تقع تجارة " [7] .

قلت : الرفع في (تجارة) قرأ به ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر من السبعة ، والنصب قرأ به حمزة والكسائي وعاصم [8] .

وقد صرح في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [9] بأن (كان) التامة لا خبر لها ، فهو يقول : " (حسنة) يكون فيها الرفع والنصب [10] ، المعنى : إن تكن فعلته حسنة يضاعفها ، ومن قرأ : (وإن تك حسنةٌ) رفع على اسم كان ولا خبر لها ، وهي ههنا في مذهب التمام ، والمعنى : وإن تحدث حسنة يضاعفها " [11] .

وجاء في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾[12] تفسير (تكن) بلفظ (تحدث) و(تقع) ، وفي ذلك يقول:" ويجوز (وإن تكن ميتة) بالتاء ورفع الميتة ، ويكون

---

(1) البقرة / ٢٨٠ .
(2) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٩/١ .
(3) البقرة / ٢٨٢ .
(4) انظر : السبعة ص١٩٤ .
(5) معاني القرآن وإعرابه ٣٦٥/١ ، ٣٦٦ .
(6) النساء / ٢٦ .
(7) معاني القرآن وإعرابه ٤٤/٢ .
(8) السبعة ص٢٣١ ، والحجة لأبي علي الفارسي ١٥١/٣ ، ١٥٢ .
(9) النساء / ٤٠ .
(10) الرفع قرأ به ابن كثير ونافع ، والنصب قراءة الباقين ، انظر : الحجة ١٦٠/٣ .
(11) معاني القرآن وإعرابه ٥٣/٢ .
(12) الأنعام / ١٣٩ .

(تكن) بمعنى الحدوث والوقوع ، كأنه : وإن تقع ميتة وإن تحدث ميتة " [١] .

وتكلم الزجاج عن زيادة (كان) في موضعين ذاهبا إلى أن (كان) الزائدة لا تنصب خبرا .

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا﴾ [٢] : " قال أبو العباس محمد بن يزيد : جائز أن تكون (كان) زائدة ، فالمعنى على هذا : إنه فاحشة ومقت ، وأنشد في ذلك قول الشاعر :

فكيف إذا حللت بدار قوم   وجيران لنا كانوا كرام [٣]

قال أبو إسحاق : هذا غلط من أبي العباس ؛ لأن (كان) لو كانت زائدة لم تنصب خبرها ، والدليل على ذلك البيت الذي أنشده : وجيران لنا كانوا كرام ، ولم يقل : كانوا كراما " [٤] .

قلت : الذي ذهب إليه المبرد في المقتضب وغيره هو أن (كان) في بيت الفرزدق غير زائدة ، وقد ذكر في المقتضب (١١٦/٤) أنها في هذا البيت زائدة في قول النحويين أجمعين ثم قال : " وهو عندي على خلاف ما قالوا من إلغاء (كان) ، وذلك أن خبر (كان) : (لنا) ، فتقديره : وجيران كرام كانوا لنا " ، هذا ، ووصف البغدادي في الخزانة (٣٨/٤ ط بولاق) ما نقله الزجاج هنا عن المبرد بأنه نقل شاذ ثم قال :" وكلهم أجمعوا على أن زيادة (كان) في البيت إنما قال بها سيبويه ،لكن الزجاج تلميذ المبرد، وهو أدرى بمذهب شيخه " ، قلت : ولعل المبرد قال ذلك في معرض التدريس لتلاميذه ومنهم الزجاج ، فلما ألف (المقتضب) عن له مذهب آخر في المسألة .

وقال الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [٥] : " قال أبو عبيدة : معنى (كان) اللغو . وقال قوم : إن (كان) في معنى وقع وحدث ، المعنى على قول هؤلاء : كيف نكلم صبيًّا قد خلق في المهد .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٥/٢ ، والقراءة التي ذكرها قراءة ابن عامر ، انظر : السبعة/٢٧٠ .

(٢) النساء/ ٢٢ .

(٣) البيت من الوافر ، وهو للفرزدق (ديوانه ٢٩٠/٢) وروايته : * فكيف إذا رأيت ديار قومي * ، واستشهد به سيبويه (الكتاب ١٥٣/٢) على زيادة (كان) ، وانظره في مجاز القرآن ٧/٢ ، والأشموني ٢٤١/١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٢/٢ ، ٣٣ .

(٥) مريم/ ٢٩ .

وأجود الأقوال أن يكون بمعنى الشرط والجزاء ، فيكون المعنى : من يكن في المهد صبيا ـ ويكون صبيا على الحال ـ فكيف نكلمه ؟ كما قالوا : من كان لا يسمع ولا يعقل فكيف تخاطبه ؟ " [1] .

حذف نون (تكن) :

تناول الزجاج ذلك في موضعين :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾[2] فقال :" الأصل في (تك): تكون فسقطت الضمة للجزم ، وسقطت الواو لسكونها وسكون النون ، فأما سقوط النون من (تكن) فأكثر الاستعمال جاء في القرآن بإثباتها ، وإسقاطها قليل ، قال الله عز وجل : ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ [3] فاجتمع في النون أنها تشبه حروف اللين وأنها ساكنة فحذفت استخفافا لكثرة الاستعمال كما قالوا: لا أدرِ ، ولم أبَلْ ،والأجود : لم أبالِ ، ولا أدري " [4] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[5] وفيه يقول : " لم يك : أصلها : لم يكن ، وإنما حذفت النون عند سيبويه لكثرة استعمال هذا الحرف ، وذكر الجلة من البصريين أنه اجتمع فيها كثرة الاستعمال وأنها عبارة عن كل ما يمضي من الأفعال وما يستأنف، وأنها[6] مع ذلك أشبهت حروف اللين بأنها تكون علامة كما تكون حروف اللين علامة ، وأنها غنة تخرج من الأنف ، فلذلك احتملت الحذف " [7] .

قلت : وفي كلامه إشارة إلى أن النون تكون علامة للإعراب بإثباتها وحذفها ، وذلك في الأفعال المضارعة التي تتصل بها ألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة ، وإشارة إلى أن حذف الألف والواو والياء يكون علامة للإعراب ، وذلك في الأفعال المضارعة المعتلة الآخر ، فإنها تجزم بحذف حرف العلة .

تبيين الاسم والخبر في هذا الباب :

من مواضع ذلك عند الزجاج توجيه قوله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾[8] وفيه يقول : " لك في (البر) وجهان : لك أن تقرأ : ليس البرُّ أن تولوا ، وليس البرَّ أن

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٢٨ . (٢) النساء /٤٠ . (٣) النساء /١٣٥ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢/٥٢ ، ٥٣ . (٥) النحل /١٢٠ . (٦) أي النون .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٢٢ ، ٢٢٣ . (٨) البقرة /١٧٧ .

تولوا ، فمن نصب جعل (أن) مع صلتها الاسم ، فيكون المعنى : ليس توليتكم وجوهكم البر كله ، ومن رفع (البر) فالمعنى : ليس البر كله توليتكم ، فيكون (البر) اسم ليس ، ويكون (أن تولوا) الخبر " [1] .

قلت : نصب (البر) في الآية قرأ به حمزة ، وحفص عن عاصم ، والرفع قراءة الباقين من السبعة [2] ، ويلحظ في عبارة الزجاج تأويله (أن) المصدرية مع صلتها بالمصدر .

ومنها توجيه قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ...﴾[3] وفيه يقول:" تقرأ (قولهم) بالنصب ، ويكون الاسم (إلا أن قالوا) ، فيكون المعنى :ما كان قولهم إلا استغفارهم ، أي قولهم : اغفر لنا ، ومن قرأها بالرفع جعل خبر كان ما بعد إلا ، والأكثر في الكلام أن يكون الاسم هو ما بعد إلا ، قال الله عز وجل :﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾[4] و﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾[5] " [6] .

ونصب (قولهم) في الآية أجمع عليه الجمهور ، وأما الرفع فقد قرأت به طائفة منهم حماد بن سلمة عن ابن كثير ، وأبو بكر عن عاصم فيما ذكره المهدوي [7] .

ومنها توجيه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ...﴾[8] وفيه يقول : " إن شئت نصبت (فتنتهم) على خبر (تكن) ويكون (أن قالوا) هو الاسم ، وأنث (تكن) وهو لـ(أن قالوا) لأن (أن قالوا) ههنا هو الفتنة ، ويجوز أن يكون تأويل (إلا أن قالوا) : إلا مقالتهم ، ويجوز رفع الفتنة وتأنيث (تكن) ويكون الخبر (أن قالوا) والاسم (فتنتهم) ويجوز:(ثم لم يكن فتنتهم) بالياء ورفع الفتنة ؛ لأن الفتنة والافتتان في معنى واحد "[9] .

وأقول : مجمل ما ذكره من القراءات ثلاث :

الأولى : (ثم لم تكن فتنتهم) بالتاء في (تكن) ونصب الفتنة ، وهذه القراءة قرأ بها نافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر ، كما رويت عن ابن كثير [10] .

الثانية : (ثم لم تكن فتنتهم) بالتاء في (تكن) ورفع الفتنة ، وهذه قراءة ابن عامر وعاصم في رواية حفص ، ورويت عن ابن كثير [10] .

(1) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٤٦ .
(2) انظر السبعة ص١٧٥ ، والحجة لأبي علي ٢/٢٦٩ .
(3) آل عمران /١٤٧ .
(4) النمل /٥٦ .
(5) الجاثية /٢٥ .
(6) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٧٧ .
(7) البحر المحيط ٣/٧٥ .
(8) الأنعام /٢٣ .
(9) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٣٥ .
(10) انظر السبعة ص١٥٤، ١٥٥ والحجة لأبي علي٣/٢٨٧ :٢٩٠.

الثالثة : (ثم لم يكن فتنتهم) بالياء في (يكن) ورفع الفتنة ، وهذه قراءة غير متواترة نص عليها العكبري وغيره [1] .

ومنها توجيه قوله تعالى:﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ... ﴾[2] وفيه يقول:" (جواب) خبر كان ، و(أن قالوا) الاسم ، ويجوز : فما كان جوابُ قومه إلا أن قالوا " [3] .

وأقول : النصب في (جواب) قراءة السبعة ، والرفع فيه قراءة غير متواترة تنسب إلى الحسن وابن أبي إسحاق [4] ، ونسبها الزمخشري إلى الأعمش [5] .

ومنها توجيه قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ... ﴾[6] وفيه يقول :" يجوز في (حجتهم) الرفع ، فمن رفع جعل (حجتهم) اسم كان و(أن قالوا) خبر كان ، ومن نصب (حجتهم) جعل اسم كان (أن) مع صلتها ، ويكون المعنى : ما كان حجتهم إلا مقالتهم ائتوا بآبائنا " [7] .

وأقول : النصب في (حجتهم) محل اتفاق السبعة القراء ، والرفع فيه قراءة غير متواترة تنسب إلى الحسن وعمرو بن عبيد وغيرهما [8] .

ومنها توجيه قوله تعالى : ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾[9] وفيه يقول : " (كيف): في موضع نصب على خبر كان ، ولا يجوز أن يعمل فيه (انظر) ؛ لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه " [10] .

ومنها توجيه قوله تعالى : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى إِلَـٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾[11] وفيه يقول : "(عاكفا): منصوب على خبر (ظلت) ليس بمنصوب على الحال " [12] .

ومنها توجيه قوله تعالى : ﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ ﴾[13] وفيه يقول :" أي : ما زالت الكلمة التي هي قولهم : (يا ويلنا إنا كنا ظالمين) دعواهم ، ويجوز أن تكون (تلك) في

---

(1) إملاء ما من به الرحمن ٥٢٦/٢ ، والبحر المحيط ٩٥/٤ . (2) النمل/ ٥٦ .
(3) معاني القرآن وإعرابه ١٢٦/٤ . (4) الدر المصون ٦٢٨/٨ . (5) الكشاف ٢٩٥/٣ .
(6) الجاثية/ ٢٥ . (7) معاني القرآن وإعرابه ٤٣٤/٤ . (8) روح المعاني ١٥٤/٢٥ .
(9) يونس/٣٩ . (10) معاني القرآن وإعرابه ٢١/٣ . (11) طه/ ٩٧ .
(12) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٥/٣ . (13) الأنبياء/ ١٥ .

موضع رفع اسم (زالت) و(دعواهم) في موضع نصب خبر (زالت) ، وجائز أن يكون (دعواهم) الاسم في موضع رفع وتلك في موضع نصب على الخبر ، لا اختلاف بين النحويين في الوجهين " [1] .

قلت : وتوجيه الزجاج لهذه الآية استدل به ابن الحاج في ما نقله ابن هشام [2] على أن الإجمال من مقاصد العقلاء ، ورد بأنه لا يظهر لاختلاف الإعراب في الآية اختلاف معنى ؛ لأن كلا من المرفوع والمنصوب فيها هو الآخر .

وقوع المصدر خبرا :

يستفاد من كلام الزجاج أن المصدر يخبر به بلفظ الإفراد عن المثنى والجمع ، وأنه يكون على تأويل حذف مضاف أو يقدر باسم فاعل ، وهذا يتضح مما يلي :

قال في قوله تعالى : ﴿... أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رتقًا﴾[3] : " قال : (كانتا رتقا) لأن السماوات والأرض يعبر عنها بلفظ الواحد ، وأن السماوات كانت سماء واحدة وكذلك الأرضون كانت أرضا واحدة ، وقال : (رتقا) ولم يقل : (رتقين) لأن الرتق مصدر ، المعنى : كانتا ذواتي رتق ، فجعلتا ذواتي فتق " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿... إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾[5] : " أي غائرا ، وهذا مصدر يوصف به الاسم فتقول: ماء غور ، وماءان غور ، ومياه غور ، كما تقول : هذا عدل، وهذان عدل ، وهؤلاء عدل " [6] .

تقدير المحذوف في هذا الباب :

من مواضع ذلك توجيه الزجاج لقوله تعالى : ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [7] ، وفيه يقول : " تنصب الملة على تقدير : بل نتبع ملة إبراهيم ، ويجوز أن تنصب على معنى: بل نكون أهل ملة إبراهيم ، وتحذف الأهل كما قال الله عز وجل : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [8] ؛ لأن القرية لاتسأل ولا تجيب ... " [9] .

(1) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٦/٣ .
(2) ينظر : التصريح بمضمون التوضيح ٢٨٢/١ .
(3) الأنبياء /٣٠.
(4) معاني القرآن وإعرابه٣٩٠/٣.
(5) الملك /٣٠ .
(6) معاني القرآن وإعرابه ٢٠١/٥ .
(7) البقرة/١٣٥ .
(8) يوسف /٨٢ .
(9) معاني القرآن وإعرابه ٢١٣/١ .

ومنها توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[1] وفيه يقول : " ... فمن نصب فإن المعنى : ولكن كان تصديق الذي بين يديه ... "[2] .

ومنها ما ورد في نظير الآية السابقة من سورة يوسف[3] وفيه يقول : " نصب (تصديق) على معنى كان ، المعنى : ما كان حديثاً يفترى ... "[4] .

ومنها ما ورد في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[5] وفيه يقول : " فمن نصب فالمعنى : ولكن كان رسول الله وكان خاتمَ النبيين "[6] .

هل يجوز مجيء اسم (كان) نكرة وخبرها معرفة ؟

الظاهر أن الزجاج يجيز ذلك ، فقد قال في توجيه قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[7] : " ومن قرأ : (أولم تكن لهم آية) بالتاء ، جعل (آية) هي الاسم و(أن يعلمه) خبر (تكن) "[8] .

قلت: والقراءة بالتاء التي ذكرها قرأ بها ابن عامر،والباقون يقرءون (يكن) بالياء"[9].

فائدة :

يتبين مما تقدم أن الزجاج تناول بالحديث في معانيه خمسة من أفعال هذا الباب ، وهي : كان ، وأصبح ، وظل ، وليس ، وما زال .

(1) يونس /٣٧ .
(2) معاني القرآن وإعرابه٣/٢٠.
(3) الآية ١١١ من السورة .
(4) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٣٣ .
(5) الأحزاب /٤٠ .
(6) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٣٠ .
(7) الشعراء /١٩٧ .
(8) معانيه ٤/١٠١ .
(9) انظر السبعة ص٤٧٣ .



الفصل السادس

ما ولا ولات وإن المشبهات بليس

معنى (ما) النافية :

أشار الزَّجَّاج إلى أن (ما) النافية بمعنى ليس في توجيه قوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[1] حيث قال :" أجود الوقوف على (ويختار) وتكون (ما) نفيا ، المعنى : ربك يخلق ما يشاء ويختار وليس لهم الخيرة ، وما كانت لهم الخيرة ، أي ليس لهم أن يختاروا على الله عز وجل ، هذا وجه ، ويجوز أن يكون (ما) في معنى الذي ، فيكون المعنى:ويختار الذي لهم فيه الاختيار ، وهو ههنا ما يتعبدهم به ، أو يختار فيما يدعوهم إليه من عبادته ما لهم فيه الخيرة، والقول الأول أجود أن تكون (ما) نفيا "[2].

إعمال (ما) النافية عمل ليس :

تحدث عنه الزجاج في ثلاثة مواضع :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[3] وفيه يقول : " هذه القراءة المعروفة ، وقد رويت : ما هذا بشِرى ، أي : ما هذا بعبد مشترى ، وهذه القراءة ليست بشيء ؛ لأن مثل (بشرى) يكتب في المصحف بالياء ، وسيبويه [4] والخليل وجميع النحويين القدماء يزعمون أن (بشرا) منصوب خبر (ما) ويجعلونه بمنزلة (ليس) ، و(ما) معناها معنى (ليس) في النفي ، وهذه لغة أهل الحجاز ، وهي اللغة القدمى الجيدة ، وزعم بعضهم أن الرفع في قولك : ما هذا بشر أقوى الوجهين ، وهذا غلط ؛ لأن كتاب الله ولغة رسوله ﷺ أقوى الأشياء وأقدر اللغات ، ولغة بني تميم : (ما هذا بشر) ، ولا يجوز القراءة بها ، ولا قرأ بها أحد ؛ لأنها خلاف المصحف ، ولم يجز أن يقرأ بها إلا برواية صحيحة ، والدليل على ذلك إجماعهم على : ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾[5] ، وما قرأ أحد : ما هن أمهاتُهم " [6] .

---

(1) القصص /٦٨ . (٢) معاني القرآن وإعرابه٤/١٥١، ١٥٢. (٣) يوسف /٣١ .

(٤) الكتاب ١/٥٩ . (٥) المجادلة /٢ . (٦) معاني القرآن وإعرابه٣/١٠٧، ١٠٨.

قلت :

١- نصب (بشرا) في القراءة متفق عليه بين القراء السبعة ، وأما القراءة برفع (بشر) فالظاهر أن الزجاج لم يطلع عليها أو اطلع عليها ولم يعتد بها ، فيكون قوله : "ولا قرأ بها أحد " مراده به أحد قراء الأمصار المشهورين ، وهي قراءة تنسب إلى عبد الله بن مسعود [(١)] ، وقد نفى القراءة بها أيضا ابن عطية [(٢)] .

٢- ما تقدم في كلام الزجاج من وصف لغة أهل الحجاز في إعمال (ما) عمل ليس بأنها اللغة القدمى الجيدة نسبه أبو حيان [(٣)] وغيره [(٤)] إلى الزمخشري ، وهو - كما ترى - من كلام الزجاج .

٣- في كلام الزجاج هنا تخطئة للفراء وإن لم يصرح باسمه ، إذ هو المراد بقوله : " وزعم بعضهم أن الرفع في قولك : (ما هذا بشر) أقوى الوجهين " ، وذلك موجود في معاني الفراء [(٥)] .

الموضع الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ [(٦)] وفيه يقول : " (أمهاتهم) في موضع نصب على خبر (ما) ، المعنى : ليس هن أمهاتهم " [(٧)] .

الثالث : في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [(٨)] وفيه يقول : " هذه مسألة من أبواب النحو تحتاج إلى تبيين ، قوله : (أنت) هو اسم (ما) ، و(مجنون) الخبر ، و(بنعمة ربك) موصول بمعنى النفي ، المعنى : انتفى عنك الجنون بنعمة ربك ، كما تقول : أنت بنعمة الله فَهِمٌ ، وما أنت بنعمة الله بجاهل ، وتأويله : فارقك الجهل بنعمة الله " [(٩)] .

إعمال (لا) النافية عمل ليس :

تعرض الزجاج لهذه القضية في توجيه قوله تعالى : ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [(١٠)] وفيه يقول : " ويجوز : فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ في الحج ، وبعضهم

(١) الكشاف ٣٦٤/٢ .

(٢) المحرر الوجيز ٢٩٣/٩ ، وانظر : البحر المحيط ٣٠٤/٥ .

(٣) البحر المحيط ٣٠٤/٥ .

(٤) انظر : انظر روح المعاني ٢٣٢/١٢ .

(٥) ٤٢/٢ .

(٦) المجادلة /٢ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ١٣٤/٥ .

(٨) القلم /٢ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٤/٥ .

(١٠) البقرة /١٩٧ .

يقرأ ـ وهو أبو عمرو ـ فلا رفثٌ ولا فسوقٌ [1] ولا جدالَ في الحج ، وكل صواب ، وقد شرحنا أن (لا) تنصب النكرات بغير تنوين ، وبينا حقيقة نصبها [2] ، وزعم سيبويه والخليل [3] أنه يجوز أن ترفع النكرات بتنوين ، وأن قول العجاج :

تا الله لولا أن تحش الطبخ

بي الجحيم حين لا مستصرخ [4]

يجب أن يكون رفع (مستصرخ) بـ(لا) ، وأن [5] قوله :

من فر عن نيرانها　　فأنا ابن قيس لا براح [6]

وحقيقة ما ارتفع بعدها عند بعض أصحابه على الابتداء ؛ لأنه إذا لم تنصب فإنما يجرى ما بعدها كما يجرى ما بعد (هل) ، أي لا تعمل فيه شيئا ، فيجوز أن يكون (لا رفثٌ) على ما قال سيبويه ، ويجوز أن يكون على الابتداء كما وصفنا ، ويكون (في الحج) هو خبر لهذه المرفوعات ، ويجوز إذا نصبت ما قبل المرفوع بغير تنوين وأتيت بما بعده مرفوعا أن يكون عطفا على الموضع ، ويجوز أن يكون رفعه على ما وصفنا ، فأما العطف على الموضع إذا قلت : لا رجلَ ولا غلامُ في الدار فكأنك قلت : ما رجل ولا غلام في الدار " [7] .

قلت : يتفق السبعة القراء هنا على فتح اللام في (جدال) ويختلفون في (لا رفث ولا فسوق) ، فنافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يتفقون على القراءة بالفتح في آخر الكلمتين ، وابن كثير وأبو عمرو يتفقان على قراءته بالضم والتنوين فيهما [8] .

---

(١) هذا هو الثابت من قراءة أبي عمرو ، ووقع في نسخة المعاني المطبوع : (ولا فسوقُ) بضم القاف ، والمروي عن أبي عمرو هو ضمها وتنوينها ، وانظر تقريب النفع ص٩٥ ، والحجة لأبي علي ٢٨٦/٢ .

(٢) جاء ذلك عند توجيه قوله تعالى : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، وسيأتي ذكره في فصل لا النافية للجنس .

(٣) انظر : الكتاب ٣٠٣/٢ .

(٤) من مشطور الرجز ، وهما في ديوانه ص٤٥٩ ، وانظر اللسان (حشش) و(طبخ) ، والكتاب ٣٠٣/٢ ، ٣٠٤ ، ويقال : حش النار : جمع إليها ما تفرق من الحطب ، وقيل : أوقدها ، وأراد بالطبخ (جمع طابخ) الملائكة الموكلين بالعذاب .

(٥) كذا في المعاني المطبوع ، ولعل صوابها : وكذا .

(٦) من الكامل المجزوء ، وهو من شواهد الكتاب ٥٨/١ ، وينسب فيه لسعد بن مالك القيسي ، وانظره في اللسان (برح) والخزانة ٤٦٧/١ : ٤٧٤ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٠/١ ، ٢٧١ .

(٨) ينظر الحجة لأبي علي ٢٨٦/٢ .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾(١) : " لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ ، ويقرأ : لا لغوَ فيها ولا تأثيمَ بالنصب ، فمن رفع فعلى ضربين : على الرفع بالابتداء ، و(فيها) هو الخبر ، وعلى أن تكون (لا) في مذهب ليس رافعة ، وأنشد سيبويه (٢) :

من فر عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح (٣)

ومن نصب فعلى النفي والتبرئة كما قال : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (٤) إلا أن الاختيار عند النحويين إذا كررت (لا) في هذا الموضع الرفع ،والنصب عند جميعهم جائز حسن"(٥).

وقال في قوله تعالى : ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ (٦) : " (عدوان) منصوب بـ(لا) ، ولو قرئت (فلا عدوانٌ علي) لجاز من جهتين ، إحداهما أن تكون (لا) رافعة كـ(ليس) كما قال الشاعر :

من فر عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح

ويجوز أن يكون (عدوان) رفعا بالابتداء ، و(على) الخبر ، وتكون (لا) نافية غير عاملة، كما تقول : لا زيد أخوك ولا عمرو " (٧) .

إعمال (لات) عمل ليس :

تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (٨) ، وقد أورده بنصب (حين) وقال : " ويجوز : ولات حينُ مناصٍ ، والرفع جيد ، وقد أجازوا الجر فقالوا : لات أوانٍ ، وأنشدوا لأبي زبيد :

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن ليس حينَ بقاءِ (٩)

فأما النصب فعلى أنها عملت عمل ليس ، المعنى : وليس الوقت حين مناص ، ومن رفع بها جعل (حين) اسم ليس وأضمر الخبر على معنى : ليس حين منجى لنا ، ومن خفض جعلها مبنية مكسورة لالتقاء الساكنين كما قالوا : فداءِ لك فبنوه على الكسر ، والمعنى ليس حين مناصنا ولا حين منجانا ، فلما قال : ولات أوان جعله على معنى : ليس أواننا ، فلما حذف المضاف بنى على الوقف ثم كسر لالتقاء الساكنين ، والكسر شاذ

---

(١) الطور /٢٣ . (٢) الكتاب ٥٨/١ . (٣) تقدم هذا البيت هنا .

(٤) البقرة /٢ . (٥) معاني القرآن وإعرابه٦٣/٥ ، ٦٤. (٦) القصص /٢٨ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ١٤١/٤ ، ١٤٢ . (٨) سورة ص /٣ .

(٩) من الخفيف ، وانظره في الخزانة ١٨٣/٤ : ١٩٥ ، والخصائص ٣٧٧/٢ ، والمسائل الشيرازية لأبي علي ٢١٠/١ .

شبيه بالخطأ عند البصريين ، ولم يرو سيبويه [1] والخليل الكسر ، والذي عليه العمل النصب والرفع ، وقال أبو الحسن الأخفش : إن (لات حين مناص) نصبها بـ(لا) كما تقول : لا رجل في الدار ، ودخلت التاء للتأنيث " [2] .

قلت : نصب (حين) في الآية متفق عليه من السبعة القراء ، ورفعه قراءة غير متواترة تنسب إلى عيسى بن عمر وأبي السمال [3]، وجره قراءة غير متواترة تنسب إلى عيسى بن عمر [4] .

(إن) النافية :

لم يرد في المعاني حديث عن إعمالها عمل ليس ، والذي ورد فيه قوله في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[5] : " (إن) بمعنى (ما) ، المعنى : ما هو إلا وحي يوحى " [6] .

(١) انظر : الكتاب ١/٥٧ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٢٠ ، ٣٢١ .
(٣) انظر : البحر المحيط ٧/٣٨٤ ، والتصريح ١/٢٠٠ .
(٤) انظر : روح المعاني ٢٣/١٦٣ ، ١٦٤ .
(٥) النجم /٤ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/٧٠ .



الفصل السابع

أفعال المقاربة

(عسى) :

تكلم الزَّجَّاج عن (عسى) من ثلاث جهات وهي :

١- حركة سينه :

وذلك في توجيه قوله تعالى :﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ...﴾[1] وذلك أنه أورد الآية بفتح السين في (عسيتم) وقال :"وقرأ بعضهم (عسِيتم) بكسر السين(إن كتب عليكم القتال) ، وهي قراءة نافع ، وأهل اللغة كلهم يقولون : عسَيت أن أفعل ويختارونه "[2] .

وكذلك قال في سورة محمد في قوله تعالى : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾[3] : " قرأ نافع : فهل عسِيتم ، واللغة العالية الجيدة (عسَيتم) بفتح السين ، ولو جاز (عسِيتم) لجاز أن تقول : (عسِي ربكم أن يرحمكم)[4] "[5] .

وأقول : تضعيف كسر السين من (عسيتم) سبقه إليه الفراء حيث قال في معانيه:" لو كانت كذلك لقال: عسِي في موضع (عسى)"[6]، وكذا ضعفه أبو حاتم السجستاني الذي نقل عنه مكي[7] والقرطبي[8] قوله : " ليس للكسر وجه " ، وأبو عبيد الذي نقل عنه أبو حيان[9] أنه قال :" لو كان عسِيتم بكسر السين لقرئ : عسِيَ ربكم " ثم قال : " وهذا جهل من أبي عبيد بهذه اللغة " ، وهذا الوصف يتجه إلى الفراء والزجاج وأبي حاتم أيضا ، وقد احتج أبو علي الفارسي لقراءة نافع فقال : " وجه قول نافع أنهم قد قالوا : هو عسٍ بذاك ، وما أعساه ، وأعسِ به ، حكاه ابن الأعرابي ، فقولهم : عسٍ يقوي قراءته : (هل عسِيتم) ، ألا ترى أن (عسٍ) مثل : حرٍ ، وشجٍ ... وقد جاء فعِل وفعَل في نحو : نقِمت ونقَمت ، وقال : ورى الزند ، وقال : وريت بك زنادي ، فاستعملوا فعِل

---

(١) البقرة /٢٤٦ . (٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٦/١ . (٣) سورة محمد /٢٢ .

(٤) الإسراء /٨ . (٥) معاني القرآن وإعرابه ١٣/٥ . (٦) معاني الفراء ٦٢/٣ .

(٧) الكشف ٣٠٣/١ . (٨) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٤/٣ . (٩) البحر المحيط ٢٥٥/٢ .

في هذا الحرف فيما قاله أبو عثمان ، فكذلك عسِيت وعسَيْتُ ، فإن أسند الفعل إلى ظاهر فقياس (عسِيتم) أن تقول : عسِيَ زيد مثل رضِيَ ، فإن قاله فهو قياس قوله ، وإن لم يقله فسائغ له أن يأخذ باللغتين فيستعمل إحداهما في موضع والأخرى في موضع آخر كما فعل ذلك بغيره " [1] .

٢- معناه في القرآن الكريم

يقول الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ [2] : " (عسى) ترج ، وما أمر الله به أن يرجى من رحمته فبمنزلة الواقع ، كذلك الظن بأرحم الراحمين " [3] .

ويقول في توجيه قوله تعالى : ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾[4] : " (عسى) : طمع وإشفاق ، إلا أن ما يطمع الله فيه فهو واجب ، وهو معنى قول المفسرين : إن (عسى) من الله واجبة " [5] .

٣- خبر (عسى)

يقول الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾[6] : " موضع (أن لا تقاتلوا) نصب ، أعني موضع (أن) ؛ لأن (أن) وما عملت فيه كالمصدر ، إذا قلت : عسيت أن أفعل ذاك فكأنك قلت : عسيت فعل ذلك " [7] .

(جعل) :

استعمالاته

ذكر الزجاج استعمالات هذا الفعل ومنها أن يكون بمعنى أخذ في الفعل ، أي يكون من أفعال الشروع ، يقول في قوله تعالى :﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[8] : " (جعلنا) في اللغة على ضروب ، منها : جعلت بعض الشيء فوق بعض ، أي عملته وهيأته على هذه الصيغة ، ومنها : جعل زيد فلانا عاقلا ، تأويله: سماه عاقلا ، ومنها: جعل يقول كذا وكذا ، تأويله أنه أخذ في القول " [9] .

---

(١) الحجة لأبي علي ٣٤٩/٢ ، ٣٥٠ . (٢) النساء/ ٩٩ . (٣) معاني القرآن وإعرابه ٩٥/٢ .
(٤) الأعراف/ ١٢٩ . (٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٦٧/٢ .
(٦) البقرة/ ٢٤٦ . (٧) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٦/١ . (٨) الأعراف/ ٢٧ .
(٩) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٩/٢ .

(طفق) : معناه :

قال الزجاج في توجيه قوله تعالى :﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾[1] : " معنى (طفقا) : أخذا في الفعل " [2] .

(أخذ) : معناه :

ذكر الزجاج معناه ومعنى جعل وكرب في توجيه قوله تعالى : ﴿... يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾[3] فقال : " إذا قلت : قام زيد دللت على فعل ماض ، وإذا قلت : أخذ يقوم دللت على حال ممتدة من أجلها ذكرت (أخذ) ... وكذلك جعل زيد يقول كذا وكذا، وكرب يقول كذا وكذا " [4] .

(١) الأعراف /٢٢ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣٢٧ .
(٣) هود /٧٤ .
(٤) معانيه ٣/٦٤ ، ٦٥ .



الفصل الثامن

إن وأخواتها

عمل إن وأخواتها :

تحدث الزَّجَّاج عنه في توجيه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ ﴾[1] فقال : " (إن) تنصب (الذين) ، وهي تنصب الأسماء وترفع الأخبار ، ومعناها في الكلام التوكيد ، وهي آلة من آلات القسم ، وإنما نصبت ورفعت لأنها تشبه بالفعل ، وشبهها به أنها لا تلي الأفعال ولا تعمل فيها ، وإنما يذكر بعدها الاسم والخبر كما يذكر بعد الفعل الفاعل والمفعول ، إلا أنه قدم المفعول به فيها ليفصل بين ما يشبه الفعل ولفظه لفظ الفعل وبين ما يشبه به وليس لفظه لفظ الفعل ، وخبرها ههنا جملة الكلام ، أعني قوله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ... ﴾ ... ويجوز أن يكون (لا يؤمنون) خبر (إن) ، كأنه قيل : إن الذين كفروا لا يؤمنون سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم " [2] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾[3] : " اختلف أهل العربية في تفسير رفع (الصابئين) فقال بعضهم : نصب (إن) ضعف فنسق بـ(الصابئون) على (الذين) لأن الأصل فيهم الرفع ، وهو قول الكسائي ، وقال الفراء مثل ذلك إلا أنه ذكر أن هذا يجوز في النسق على مثل (الذين) وعلى المضمر ، يجوز : إني وزيد قائمان ، وأنه لا يجيز : إن زيدا وعمرو قائمان ، وهذا التفسير إقدام عظيم على كتاب الله ، وذلك أنهم زعموا أن نصب (إن) ضعيف ؛ لأنها إنما تغير الاسم ولا تغير الخبر ، وهذا غلط ؛ لأن (إن) عملت عملين : النصب والرفع ، وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع ؛ لأن كل منصوب مشبه بالمفعول ، والمفعول لا يكون بغير فاعل إلا فيما لم يسم فاعله ، وكيف

---

(١) البقرة/ ٦ . (٢) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٧٧ . (٣) المائدة/ ٦٩ .

يكون نصب (إن) ضعيفا وهي تتخطى الظروف فتنصب ما بعدها نحو قوله : ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾[1] ، ونصب (إن) من أقوى المنصوبات ، وقال سيبويه والخليل وجميع البصريين : إن قوله : (والصابئون) محمول على التأخير ومرفوع بالابتداء ،المعنى : إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ، والصابئون والنصارى كذلك أيضا ، أي من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ، وأنشدوا في ذلك قول الشاعر :

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق [2]

المعنى : وإلا فاعلموا أنا بغاة ما بقينا في شقاق ، وأنتم أيضا كذلك .

وزعم سيبويه أن قوما من العرب يغلطون فيقولون : إنهم أجمعون ذاهبون ، وإنك وزيد ذاهبان ، فجعل سيبويه هذا غلطا ، وجعله كقول الشاعر :

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا إذا كان جائيا [3]

... وقال الكسائي : (الصابئون) نسق على ما في (هادوا) ، كأنه قال : هادوا هم والصابئون ، وهذا القول خطأ من جهتين :

إحداهما : أن الصابئ يشارك اليهودي في اليهودية .

وإن ذكر أن (هادوا) في معنى تابوا فهذا خطا في هذا الموضع أيضا ؛ لأن معنى (الذين آمنوا) ههنا إنما هو إيمان بأفواههم ؛ لأنه يعنى به المنافقون ، ألا ترى أنه قال : من آمن بالله ، فلو كانوا مؤمنين لم يحتج أن يقال : إن آمنوا فلهم أجرهم " [4] .

قلت : ويستفاد من كلامه هذا أنه لا يجيز العطف على موضع اسم (إن) بالرفع ، وهذا يتفق مع اشتراط وجود المحرز في العطف على الموضع ، لأن المحرز في هذا هو الابتداء ، وقد زال بدخول (إن) .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ [5] : " خبر (إن) الأولى جملة الكلام مع (إن) الثانية ، وقد زعم قوم أن قولك : (إن زيدا إنه قائم) رديء ، وأن هـذه الآية إنـما

(١) المائدة /٢٢ . (٢) من الوافر لبشر بن أبي خازم ، وهو من شواهد الكتاب ١٥٦/٢ .

(٣) البيت من الطويل لزهير بن أبي سلمى ، وانظره في الخزانة ٦٦٥/٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٩٢/٢ : ١٩٤ . (٥) الحج /١٧ .

صلحت في (الذي) ، ولا فرق بين (الذي) وغيره في باب (إن) ، إن قلت : إن زيدا إنه قائم كان جيدا ، ومثله قول الشاعر :

إن الخليفة إن الله سربله ... ...[1]

وليس بين البصريين خلاف في أن (إن) تدخل على كل ابتداء وخبر ، تقول : إن زيدا هو قائم ، وإن زيدا إنه قائم " [2] .

معنى (إن) التوكيد :

صرح الزجاج بذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾[3] عندما قال : " ومن قرأ : (ولا تحسبن الذين كفروا ...) لم يجز له عند البصريين إلا كسر (إن) ، المعنى : لا تحسبن الذين كفروا إملاؤنا خير لهم ، ودخلت (إن) مؤكدة " [4] .

كما صرح به في توجيه قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[5] عندما قال : " ... من رفع (علام الغيوب) فعلى وجهين : أحدهما أن يكون صفة على موضع (إن ربي) ؛ لأن تأويله : قل ربي علام الغيوب يقذف بالحق ، و(إن) مؤكدة ، ويجوز الرفع على البدل مما في (يقذف) ، المعنى : قل إن ربي يقذف هو بالحق علام الغيوب " [6] ، وسيأتي موضع آخر لذلك في الحديث عن لام الابتداء .

مجيء (إن) بمعنى نعم :

تكلم عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[7] واختار توجيه قراءة أهل المدينة (إنّ) بالتشديد (هذان) بالألف بحمل (إن) على أنها وقعت موضع (نعم) ، وقد تقدم حديثه في ذلك في فصل المبتدأ والخبر [8] .

حذف نون (إن) :

تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾[9] فقال : (إنا) : الأصل فيه

---

(١) هذا صدر بيت من البسيط لجرير يمدح حاكما من بني أمية، وعجزه :" سربال ملك به ترجى الخواتيم " ، وهو في معاني الفراء ٢١٨/٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤١٧/٣ ، ٤١٨ .

(٣) آل عمران /١٧٨ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤٩١/١ .

(٥) سبأ /٤٨ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٥٧/٤ .

(٧) طه /٦٣ .

(٨) انظر ص٨٢ .

(٩) البقرة /١٤ .

إننا ، كما قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا ﴾ [1] ، ولكن النون حذفت لكثرة النونات ، والمحذوف النون الثانية من (إن)؛ لأن في (إن) نونين الأولى ساكنة والثانية متحركة"[2].

مجيء (أن) بمعنى (لعل) :

تكلم عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [3] ، وذلك أنه أثبت الآية بكسر الهمزة في (إنها) وقال : " هذه هي القراءة ، وقرئت أيضا : أنها إذا جاءت لا يؤمنون ، وزعم سيبويه [4] عن الخليل أن معناها : لعلها إذا جاءت لا يؤمنون ، وهي قراءة أهل المدينة ، وقال الخليل : إنها كقولهم : ايت السوق أنك تشتري شيئا ، أي : لعلك .

وقد قال بعضهم [5] : إنها (أن) التي على أصل الباب ، وجعل (لا) لغوا ، قال : والمعنى : وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون ؟ كما قال عز وجل : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [6] .

والقول الأول أقوى وأجود في العربية ، والكسر أحسنها وأجودها ، والذي ذكر أن (لا) لغو غالط ؛ لأن ما كان لغوا لا يكون غير لغو ، ومن قرأ : (إنها إذا جاءت لا يؤمنون) فالإجماع أن (لا) غير لغو ، فليس يجوز أن يكون معنى لفظة مرة النفي ومرة الإيجاب ، وقد أجمعوا أن معنى (أن) ههنا إذا فتحت معنى (لعل) ، والإجماع أولى بالاتباع ، وقد بينت الحجة في دفع ما قاله من زعم أن (لا) لغو " [7] .

أقول : كسر الهمزة في (إنها) قراءة سبعية متواترة قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ، ورويت عن عاصم ، وكذلك الفتح قرأ به نافع وحمزة والكسائي وابن عامر ، وعاصم في رواية حفص [8] ، وتوجيه الفتح بأن (أن) فيه بمعنى (لعل) أجازه الفراء [9] قبل الزجاج، وأجازه أبو علي [10] بعده ، وقد نسب أبو حيان [11] إلى الزجاج القول بأنه مذهب سيبويه ، وظاهر عبارة الزجاج أن سيبويه نقله عن الخليل ، لا أنه مذهب له .

---

(1) طه /٤٦ .
(2) معاني القرآن وإعرابه ٨٩/١ .
(3) الأنعام /١٠٩ .
(4) الكتاب ١٢٣/٣ .
(5) هو الفراء ، انظر معانيه ٣٤٩/١ ، ٣٥٠ .
(6) الأنبياء /٩٥ .
(7) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٢/٢ ، ٢٨٣ .
(8) انظر السبعة ص٢٦٥ ، والحجة لأبي علي ٣٧٥/٣ .
(9) معاني الفراء ٣٤٩/١ .
(10) انظر الحجة لأبي علي ٣٧٥/٣ : ٣٨٢ .
(11) البحر المحيط ٢٠٢/٤.

معنى (لعل) في الأسلوب القرآني :

تناول ذلك الزجاج في مواضع كثيرة من المعاني ، نذكر منها :

- قال في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [1] : " فأما (لعل) ففيها قولان ههنا عن بعض أهل اللغة : أحدهما : معناها : كي تتقوا ، والذي يذهب إليه سيبويه [2] في مثل هذا أنه ترج لهم كما قال في قصة فرعون : ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [3] كأنه قال : اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما ، والله عز وجل من وراء ذلك ، وعالم بما يؤول إليه أمر فرعون " [4] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [5] : " معنى (لعل) ههنا الترجي لهم ، أي: ليكونوا هم راجين ، والله أعلم أيتذكرون أم لا ، ولكنهم خوطبوا على قدر لفظهم واستعمالهم " [6] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [7] : " (لعل) في اللغة ترج وطمع ، تقول : لعلي أصير إلى خير ، أي أرجو وأطمع أن أصير إلى خير ، والله تعالى خاطب العباد بما يعقلون ، قال سيبويه : اذهبا على رجائكما وطمعكما ، والعلم من الله تعالى أنه لا يتذكر ولا يخشى ، إلا أن الحجة لا تجب عليه إلا بالإبانة ، وإقامتها عليه بالبرهان " [8] .

علة فتح آخر (إنَّ) وأخواتها :

تحدث الزجاج عن ذلك في كتاب ما ينصرف فقال : " زعم سيبويه [9] أنها فتحت أواخرها لأنها تشبه الأفعال ، وهذا القول قول الخليل وأكثر البصريين ، وهو مذهب ، وذلك أن أواخر هذه يلتقي فيها ساكنان إذا كانت على أصلها في الإعراب ، وذلك أنها ليس حقها أن تحرك كما لا تحرك (من) و(عن) وما أشبههما ، وذلك أنها حروف جاءت لمعنى ليست بأسماء ولا أفعال ، وإنما تعرب الأسماء والأفعال فكان يجب أن تكون أواخرها وقفا ، فكانت لو وقفت التقى ساكنان ، الياء والتاء ، والباقية مشددة

---

(١) البقرة /٢١ . (٢) الكتاب ٣٣١/١ . (٣) طه/٤٤ وقد جاءت في المعاني المطبوع بلفظ (يذكر).

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٩٨/١ . (٥) البقرة /٢٢١ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٦/١ . (٧) طه /٤٤ .

(٨) معاني الزجاج ٣٥٧/٣ ، ٣٥٨ . (٩) الكتاب ٢٦٠/٣ .

نحو : إن وأن وكأن ولكن ولعل ، فذهب سيبويه إلى أن أواخرها محركة بالفتح لأنها تشبه الأفعال الماضية ، وأما الذي أراه فإن آخرها فتح لالتقاء الساكنين لأنها حروف مضاعفة ، فكان الفتح لالتقاء الساكنين أخف الحركات عليه مع ثقل التضعيف كما أنهم فتحوا (ثم) و(رب) لالتقاء الساكنين " [(١)] .

حكم ما يسمى به من أسماء هذه الحروف :

ذكر الزجاج في كتابه (ما ينصرف) [(٢)] أن أسماء الحروف إذا أطلقت على حروفها واستعملت مسمى بها فإن أريد بها الحرف فلا بد من الصرف نحو : هذه (إنٌ) فاعلم ، وإن أريد بها الكلمة فإن شئت صرفت وإن شئت لم تصرف ، وإن شئت حكيتها كما هي فتقول : هذه إنَّ يا هذا ، ومما جاء بالإعراب قول الشاعر :

ليت شعري وأين مني ليت إن ليتًا وإن لوًّا عناء [(٣)]

بيان الاسم والخبر في هذا الباب :

من أمثلة ذلك عنده :

- توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ﴾ [(٤)] ، وفيه يقول : " (الذين) نصب بـ(إن) ، و(أولئك) رفع بالابتداء ، و(يرجونَ) خبر (أولئك) ، و(أولئك) و(يرجون) خبر (إن الذين) " [(٥)] .

- توجيه قوله تعالى :﴿إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[(٦)] ، وفيه يقول : " يجوز (ميقاتَهم) بفتح التاء ، ولا أعلم انه قرئ بها فلا تقرأن بها ، فمن قرأ (ميقاتُهم) جعل (يوم الفصل) اسم (إن) ، وجعل (ميقاتهم) الخبر ، ومن نصب (ميقاتهم) جعله اسم (إن) ونصب (يوم الفصل) على الظرف ، ويكون المعنى : إن ميقاتهم في يوم الفصل " [(٧)] .

قلت : القراءة بنصب (ميقاتهم) قراءة شاذة تنسب إلى عبيد بن عمير ، وقد ذكرها الزمخشري وأبو حيان والسمين [(٨)] .

---

(١) ما ينصرف ص٦٤ . (٢) ص٦٥ .

(٣) من البحر الخفيف ، لأبي زبيد الطائي ، من شواهد الكتاب ٢٦١/٣ .

(٤) البقرة /٢١٨ . (٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٠/١ . (٦) الدخان /٤٠ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤٢٧/٤ . (٨) انظر الكشاف ٥٠٥/٣، والبحر ٣٩/٨، والدر المصون ٦٢٦/٩.

مجيء ضمير القصة اسمًا لـ(إن) :

تحدث عنه الزجاج في موضعين :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ...﴾[1] ، وفيه يقول : " فأما رفع (مثقال) مع تأنيث (تكن) فإن (مثقال حبة من خردل) راجع إلى معنى خردلة، فهو بمنزلة : إن تك حبة من خردل ، ومن قرأ : إنها إن تك مثقالَ حبة من خردل ، فعلى معنى : إن فعلة الإنسان وإن صغرت يأت بها الله ، ويجوز : إنها إن تك مثقالُ حبة من خردل ، على معنى : إن القصة ، كما تقول : إنها هند قائمة ، ولو قلت : إنها زيد قائم لجاز ، إلا أن النحويين [2] لا يختارون ذلك مع المذكر ، ويجيزون مع المؤنث التأنيث والتذكير ، يقولون :إنه هند قائمة ، وإنها أمة الله قائمة ، ويجيزون الوجهين[3]، فأما (إنها إن تك مثقالُ حبة من خردل) عند من لا يجيز : إنها زيد قائم فيجوز عنده هذا ؛ لأن معناه التأنيث يرد إلى الحبة من الخردل " [4] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ. نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾[5] ، حيث أجاز أن يكون (لظى) و(نزاعة) خبرا عن الهاء والألف كما تقول : إنه حلو حامض تريد أنه جمع الطعمين ، وتكون الهاء والألف إضمارا للقصة ، وهو الذي يسميه الكوفيون: المجهول، المعنى : إن القصة والخبر لظى نزاعةٌ للشوى " [6] .

قلت : وتنظير الزجاج للآية بقول القائل : إنه حلو حامض لا يتفق مع قاعدة ضمير الشأن ، وهي أن خبره يكون جملة ، وقد سار كل من مكي[7] والزمخشري[8] والألوسي[9] مع اعتبار الضمير في (إنها) للقصة على أن (لظى) مبتدأ و(نزاعة) خبره والجملة خبر (إن) .

(إن) مع اسمها في موضع رفع :

ذكر ذلك الزجاج في ثلاثة مواضع :

---

(١) لقمان /١٦ .
(٢) أي : البصريين .
(٣) الأولى أن تكون هذه العبارة : ويختارون التأنيث ، انظر الهمع ٦٧/١ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٩٧/٤ ، ١٩٨ .
(٥) المعارج /١٥ ، ١٦ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٢١/٥ .
(٧) الكشف ٣٣٦/٢ .
(٨) الكشاف ٤٨٨/٤ .
(٩) روح المعاني ٧٥/٢٩ .

الأول : في توجيه قوله تعالى :﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾[1] وفيه يقول : " يجوز (أنك) بالكسر والفتح ، فإذا كسرت فعلى معنى الاستئناف وعطف جملة كلام على جملة، وإذا فتحت فعلى معنى : ولك ألا تظمأ ، فنسق بـ(أنك) على قوله : (ألا تجوع)[2] ، ويكون (أنك) على هذا القول في موضع نصب ، ويجوز أن يكون في موضع رفع ويعطف على اسم إن و(إن) ؛ لأن معنى : إن زيدا قائم : زيد قائم ، فالمعنى : ولك أنك لا تظمأ فيها " [3] .

قلت : وكسر الهمزة هنا قراءة نافع وعاصم في رواية أبي بكر ، وفتحها قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم [4] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[5] وقد تقدم ذكره في بيان معنى (إن) [6] .

الثالث : في قوله تعالى : ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[7] وقوله : ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [8] ، فهو يقول في الآية الأولى : " تقرأ (آياتُ) و(آياتٍ) بخفض التاء ، وهي في موضع نصب على العطف على قوله : ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ ﴾ [9] ، المعنى : إن في خلقكم آيات ، ومن قرأ (آياتُ) فعلى ضربين : على الاستئناف على معنى (وفي خلقكم آيات) ، وعلى موضع (إن) مع ما عملت فيه ، تقول : إن زيدا قائم وعمرٌو فتعطف بـ(عمرا) إذا نصبت ، وإذا رفعت فعلى موضع (إن) مع (زيدا) ، فإن معنى : إن زيدا قائم : زيد قائم " [10] .
ويقول في الآية الثانية : " ... (آيات لقوم يعقلون) تقرأ بالرفع ، ويكسر التاء والتنوين، والموضع موضع نصب ،ويكون قوله :(واختلاف الليل والنهار)[11]عطفا على قوله: (وفي خلقكم ...) وعلى قوله : (إن في السماوات والأرض) وإن في اختلاف الليل والنهار آيات ، ثم أجاز أن يكون (آيات) بالرفع عطفا على موضع (إن) وما عملت فيه [12].

---

(1) طه /١١٩ . (2) في قوله تعالى في الآية ١١٨ : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ .
(3) معاني القرآن وإعرابه ٣٧٨/٣ . (4) انظر الحجة لأبي علي٢٥١/٥. (5) سبأ /٤٨ .
(6) انظر ص١٠٩ . (7) الجاثية /٤ . (8) الجاثية /٥ .
(9) الجاثية /٣ . (10) معاني القرآن وإعرابه ٤٣١/٤ .
(11) هذا صدر الآية المذكورة ، وتمامها : ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ . (12) معاني القرآن وإعرابه٤٣١/٤.

العطف على اسم (إن) بالرفع :

سبق أن تناول الزجاج هذه القضية في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ ...﴾ ، وقد تبع فيها ما ذهب إليه الخليل وسيبويه .

مطابقة الخبر للاسم في هذا الباب :

أشار إليها الزجاج في توجيه قوله تعالى :﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] فقال : " إنما قيل : (قريب) لأن الرحمة والغفران في معنى واحد ، وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي ، وقال الأخفش : جائز أن تكون الرحمة ههنا في معنى المطر، وقال بعضهم[2]: هذا ذكر ليفصل بين القريب من القرابة والقريب من القرب ، وهذا غلط ؛ لأن كل قرب من مكان أو نسب فهو جار على ما يصيبه من التأنيث والتذكير " [3] .

قلت : وقد نقل المصرح [4] عن الزجاج ما ذكره في هذا الموضع من أن الرحمة والغفران في معنى واحد ، وذكر أنه اختياره .

وقال الزجاج أيضا في قوله تعالى : ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5] :" معناه : إنا رسالة رب العالمين ، أي ذوا رسالة رب العالمين " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [7] : " إنما جاز (قريب) لأن تأنيث الساعة غير تأنيث حقيقي ، وهو بمعنى : لعل البعث قريب ، ويجوز أن يكون على معنى : لعل مجيء الساعة قريب " [8] .

الإخبار بالمصدر في هذا الباب :

ذكره وتأوله على حذف مضاف في توجيه قوله تعالى :﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[9] حيث قال : " فأما من قرأ (إنه عملٌ غير صالح) فيجوز أن يكون يعني به أنه ذو عمل غير صالح ، كما قالت الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار [10]

أي : ذات إقبال " [11] .

(1) الأعراف /٥٦ . (2) انظر معاني الفراء ٢٨٠/١ . (3) معاني القرآن وإعرابه٢/٣٤٤، ٣٤٥.
(4) التصريح ٣٢/٢ . (5) الشعراء /١٦ . (6) معاني القرآن وإعرابه ٨٥/٤ .
(7) الشورى /١٧ . (8) معاني القرآن وإعرابه ٣٩٦/٤، ٣٩٧. (9) هود /٤٦ .
(10) من بحر البسيط،وهو من شواهد الكتاب٣٣٧/١، وانظره في خزانة الأدب٤٣١/١، وقد تقدم في المبتدأ والخبر.
(11) معاني القرآن وإعرابه ٥٥/٣ ، ٥٦ .

الإخبار بالجملة في هذا الباب :

تقدم من أمثلته عنده توجيه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ... إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ﴾[1] .

ومن أمثلته عنده توجيه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾[2] وفيه يقول : " (إن) ههنا بمعنى الإضمار ، أي : لا نضيع أجر من أحسن عملا منهم ، ولم يحتج إلى ذكر (منهم) لأن الله قد أعلمنا أنه محبط عمل غير المؤمنين ، ويجوز أن يكون خبر (إن) : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾[3] ويكون قوله : (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) قد فصل بين الاسم وخبره ؛ لأن فيه ذكر ما في الأول ؛ لأن (من أحسن عملا) بمنزلة (الذين آمنوا) ، ويجوز أن يكون الخبر : إنا لا نضيع أجرهم ، فيكون كقولك : إن الذين يعملون الصالحات إنا لا نضيع أجر من آمن ، فهو كقولك : إن الله لا يضيع أجره "[4] .

ومن أمثلته توجيه قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[5] ، وفيه يقول : " معنى (هي المأوى): هي المأوى له ، وقال قوم : الألف واللام بدل من الهاء ، المعنى : هي مأواه، المعنى يؤول إلى : هي مأواه ؛ لأن الألف واللام بدل من الهاء ، وهذا كما تقول للإنسان : غض الطرف يا هذا ، فليس الألف واللام ببدل من الكاف وإن كان المعنى : غض طرفك ؛ لأن المخاطب يعلم أنك لا تأمره بغض طرف غيره ، قال الشاعر :

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا سعدا بلغت ولا كلابا[6]

وكذلك معنى (فإن الجنة هي المأوى) على ذلك التفسير "[7] .

وقد تقدم أيضا رده لمذهب من يجعل الألف واللام بدلا من الضمير في توجيه قوله تعالى :﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾[8] .

إفادة (أن) التوكيد ودخول الباء في خبرها :

جاء ذلك في توجيه الزجاج لقوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

(١) الحج /١٧ ، وتقدم توجيهها في هذا الفصل ص١٠٨.
(٢) الكهف /٣٠ .
(٣) الآية ٣١ من السورة .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٨٣ .
(٥) النازعات /٤١ .
(٦) من الوافر ، وقائله جرير ، والرواية في ديوانه ص٦٣ : * فلا كعبا بلغت ...* ، وانظر الكتاب ٣/٥٣٣ ، والتصريح ٢/٤٠١ .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٥/٢٨١ .
(٨) سورة ص/٥٠ ، وتقدم توجيهها في المعرف بالأداة ص ٩٣ .

وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [1] ، وفيه يقول : " دخلت الباء في خبر (أن) بدخول (أولم) في أول الكلام ، ولو قلت : (ظننت أن زيدا بقائم) لم يجز ، ولو قلت : (ما ظننت أن زيدا بقائم) جاز بدخول (ما) ، ودخول (أن) إنما هو توكيد للكلام ، فكأنه في تقدير : (أليس الله بقادر على أن يحيي الموتى) " [2] .

دخول الفاء في خبر (إن) :

تحدث عنه الزجاج في موضعين :

الأول : توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ الله ... فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [3] وفيه يقول:"جاز دخول الفاء في خبر (إن) ولا يجوز: إن زيدا فقائم ، وجاز ههنا (فبشرهم بعذاب أليم) ؛ لأن (الذين) يوصل فتكون صلته بمنزلة الشرط للجزاء فيجاب بالفاء ، ولا يصلح : ليت الذي يقوم فيكرمك ؛ لأن (إن) كأنها لم تذكر في الكلام فدخول الجواب بالفاء عليها [4] كدخولها على الابتداء ، والتمني داخل مزيل معنى الابتداء والشرط " [5] .

الثاني : توجيه قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [6] وفيه يقول : " دخلت الفاء في خبر (إن) ولا يجوز : إن زيدا فمنطلق ؛ لأن (الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم) فيه معنى الشرط والجزاء ، كأنه قيل : إن فررتم من أي موت كان من قتل أو غيره فإنه ملاقيكم ، ويجوز أن يكون تمام الكلام : (قل إن الموت الذي تفرون منه) ، ويكون (فإنه) استئنافا بعد الخبر الأول " [7] .

دخول لام الابتداء على خبر (إن) :

تحدث الزجاج عنه في أربعة مواضع :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا ...﴾ [8] حيث قال : " هذه اللام تؤكد الكلام زيادة على توكيد (إن) ؛ لأن (إن) معناها توكيد الكلام ، ولذلك صار القسم يوصل بها في الإيجاب ، تقول : والله إن زيدا قائم ، وكذلك تصل القسم باللام

(١) الأحقاف /٣٣ . (٢) معاني القرآن وإعرابه٤/٤٤٧. (٣) آل عمران /٢١ .

(٤) في كلامه قلب ، والأصل : فدخول الفاء بالجواب عليها .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٩١ . (٦) الجمعة /٨. (٧) معاني القرآن وإعرابه٥/١٧١.

(٨) آل عمران /٧٨ .

فتقول : والله لزيد قائم ، ولا تلي هذه اللام (إن) ، لا يجوز : إن لزيدا قائم بإجماع النحويين كلهم وأهل اللغة " [1] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [2] وفيه يقول : " قال البصريون والكوفيون : إن اللام معناها التأخير ، المعنى : يدعو من لضره أقرب من نفعه ، ولم يشبعوا الشرح ، ولا قالوا من أين جاز أن تكون اللام في غير موضعها ، وشرح ذلك أن اللام لليمين والتوكيد ، فحقها أن تكون في أول الكلام فقدمت لتجعل في حقها ، وإن كان أصلها أن تكون في (لضره) كما أن لام الابتداء التي مع (إن) حقها أن تكون في المبتدأ ، فلما لم يجز أن تلي (إن) جعلت في الخبر مثل : إن زيدا لقائم ، ولا يجوز : إن لزيدا قائم ، فإذا أمكنك أن تكون في الاسم كان ذلك أجود في الكلام ، تقول : إن في ذلك لآية ... " [3] .

الثالث : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [4] وفيه يقول : " لا يجوز فتح (إن) ، لا يقرأ : (وأن الله على نصرهم لقدير) بفتح (إن) ولا بين أهل اللغة خلاف في أن هذا لا يجوز ؛ لأن (إن) إذا كانت معها اللام لم تفتح أبدا " [5] .

الرابع : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [6] وفيه يقول : " معناه : لكافرون بلقاء ربهم ، فقدمت الباء لأنها متصلة بـ(كافرون) ، وما اتصل بخبر (إن) جاز أن يقدم قبل اللام ، ولا يجوز أن تدخل اللام بعد مضي الخبر ، لا يجوز ان تقول : إن زيدا كافر لبالله ؛ لأن اللام حقها أن تدخل على الابتداء والخبر أو بين الابتداء والخبر ؛ لأنها تؤكد الجملة ، ولا اختلاف بين النحويين في أن اللام لا تدخل بعد الخبر " [7] .

وجوب كسر همزة (إن) :

من مواضع ذلك عند الزجاج وقوع (إن) بعد القول وما في معناه ، وقد قرر ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ ...﴾ [8] ، وفي ذلك يقول : " ما بعد القول من باب (إن) مكسور أبدا ، كأنك تذكر القول في صدر كلامك ، وإنما وقعت (قلت)

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٣٤ ، ٤٣٥ . (٢) الحج /١٣ . (٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٤١٥ .
(٤) الحج /٣٩ . (٥) معاني القرآن وإعرابه٣/٤٣٠.
(٦) الروم /٨ . (٧) معاني القرآن وإعرابه٤/١٧٩. (٨) البقرة /٦٨ .

في كلام العرب أن يحكى بها ما كان كلاما يقوم بنفسه قبل دخولها ، فيؤدي مع ذكرها ذلك اللفظ ، تقول : قلت : زيد منطلق ، كأنك قلت : زيد منطلق ، وكذلك : إن زيدا منطلق ، لا اختلاف بين النحويين في ذلك ، إلا أن قوما من العرب وهم بنو سليم يجعلون باب (قلت) أجمع كباب (ظننت) فيقولون : قلت زيدا منطلقا ، فهذه لغة لا يجوز أن يوجد شيء منها في كتاب الله عز وجل ، ولا يجوز : قال أنه يقول أنها ، لا يجوز إلا الكسر " [1] .

وقال أيضا في توجيه قوله تعالى : ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ [2] : " إنما كسرت (إن) لأن معنى وصى وأوصى قول " [3] .

وجوب فتح همزة (إن) :

من مواضع ذلك عند الزجاج :

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [4] وفيه يقول : " موضع (أن) نصب ، معناه : بشرهم بأن لهم جنات ، فلما سقطت الفاء أفضى الفعل إلى (أن) فنصبت ، وقد قال بعض النحويين : إنه يجوز أن يكون موضع مثل هذا خفضا وإن سقطت الباء من (أن) ، و(جنات) في موضع نصب بـ(أن) " [5] .

- قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [6] وفيه يقول : " (أنهم) ههنا لا يصلح في موضعها (إنهم) بالكسر ؛ لأن الظن واقع ، فلا بد من أن تكون تليه (أن) إلا أن يكون في الخبر لام ، ويصلح في (وأنهم إليه راجعون) الفتح والكسر ، إلا أن الفتح هو الوجه الذي عليه القراءة ، فإذا قلت :(وإنهم إليه راجعون) ـ في الكلام ـ حملت الكلام على المعنى ، كأنه (وهم إليه راجعون) ودخلت (إن) مؤكدة ، ولولا ذلك لما جاز إبطالك الظن مع اللام إذا قلت : ظننت إنك لعالم " [7] .

- قوله تعالى : ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [8] وفيه يقول : " موضع (أن) نصب ، كأنه قال : اذكروا أني فضلتكم على العالمين " [9] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/١٥١ . (٢) البقرة /١٣٢ . (٣) معاني القرآن وإعرابه١/٢١١.
(٤) البقرة /٢٥ . (٥) معاني القرآن وإعرابه١/١٠١. (٦) البقرة /٤٦ .
(٧) معاني القرآن وإعرابه١/١٢٧. (٨) البقرة /١٢٢ . (٨) معاني القرآن وإعرابه١/٢٠٣.

ـ قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [1] وفيه يقول : " أي : حق عليهم أنهم لا يؤمنون ، فـ(أنهم) بدل من (كلمة ربك) ، وجائز أن تكون الكلمة حقت عليهم لأنهم لا يؤمنون " [2] .

ـ قوله تعالى : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾[3] ، وفيه يقول : " يجوز أن يكون (أن) نصبا ورفعا ، فالنصب على معنى : يخيل إليه أنها ذات سعي ، ويجوز أن يكون مرفوعا على البدل على معنى : يخيل إليه سعايتها ، وأبدل (أنها تسعى) من المضمر لاشتماله على السعي " [4] .

جواز فتح همزة (إن) وكسرها :

مواضع ذلك في معاني القرآن وإعرابه كثيرة ، ونذكر منها ما يلي :

ـ قال في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾[5] :" في هذا غير وجه ، يجوز (أن القوة لله .. وأن الله) ، ويجوز (إن القوة لله ... وإن الله) ، ويجوز (ولو ترى الذين ظلموا) وتفتح (أن) مع (ترى) وتكسر ، وكل ذلك قد قرئ به ، قرأ الحسن : (ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب إن القوة ... وإن الله) [6] ... من قرأ (أن القوة) فموضع (أن) نصب بقوله : (ولو يرى الذين ظلموا ... أن القوة لله جميعا) ، وكذلك نصب (أن) الثانية ، والمعنى : ولو يرى الذين ظلموا شدة عذاب الله وقوته لعلموا مضرة اتخاذهم الأنداد ، وقد جرى ذكر الأنداد في قوله : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ...) " [7] .

ويجوز أن يكون العامل في (أن) الجواب على ما جاء في التفسير ، ويروى في تفسير هذا أنه لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعا ، ففتح (أن) أجود وأكثر في القراءة ، وموضعها نصب في هاتين الجهتين على ما وصفنا .

ويجوز أن تكون (إن) مكسورة مستأنفة فيكون جواب (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ...) : لرأوا أمرا عظيما لا تبلغ صفته؛ لأن جواب (لو) إنما يترك لعظم

(١) يونس /٣٣ .   (٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٨ .   (٣) طه /٦٦ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٦٦ .   (٥) البقرة /١٦٥ .
(٦) كذا أثبت أبو حيان وغيره قراءة الحسن ، وجاء في المعاني المطبوع : (يرى) بالياء ، و(أن) (وأن) بفتح الهمزتين ، انظر البحر المحيط ١/٤٧٠ .
(٧) وذلك صدر الآية التي هي محل التوجيه .

الموصوف ، نحو قوله عز وجل : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ...﴾[1] المعنى : لكان هذا القرآن أبلغ من كل وصف ، وتكون (إن القوة لله جميعا)[2] على الاستئناف يخبر بقوله : (إن القوة لله جميعا)[2] ويكون الجواب المتروك غير معلق بـ(إن) .

ومن قرأ : (ولو ترى الذين ظلموا) فإن التاء خطاب للنبي يراد به الناس كما قال : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[3] فهو بمنزلة (ألم تعلموا) ، وكذلك : (ولو ترى الذين ظلموا) بمنزلة : ولو ترون ، وتكون (إن القوة لله جميعا)[4] مستأنفة كما وصفناه ، ويكون الجواب ـ والله أعلم ـ لرأيتم أمرا عظيما ـ كما تقول : لو رأيت فلانا والسياط تأخذه ، فيستغنى عن الجواب ؛ لأن المعنى معلوم ، ويجوز فتح (أن) مع (ترى) فيكون : لرأيتم أيها المخاطبون أن القوة لله جميعا ، أو : لرأيتم أن الأنداد لم تنفع ، وإنما بلغت الغاية في الضرر ؛ لأن القوة لله جميعا ، و(جميعا) منصوبة على الحال ، والمعنى أن القوة ثابتة لله في حال اجتماعها "[5] .

ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ...﴾[6] وقوله : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾[7] : " أكثر القراءة : (أنه لا إله إلا هو) بفتح الألف في (أنه) ، وقد رويت بالكسر عن ابن عباس ، وروي : (أن الدين عند الله الإسلام) بفتح الألف ، والأكثر فتح (أنه) وكسر (إن الدين) .

ومن قرأ : (إنه) بالكسر فالمعنى : شهد الله إن الدين عند الله الإسلام ، وإنه لا إله إلا هو ، والأجود الفتح كما وصفنا في الأول ؛ لأن الكلام والتوحيد والنداء بالأذان : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأكثر ما وقع (أشهد) على ذكر التوحيد .

وجائز أن يفتح (أن) الأولى و(أن) الثانية فيكون فتح الثانية على وجهين : على شهد الله أن لا إله إلا هو ، وشهد أن الدين عنده الإسلام "[8] .

ـ وقال في توجيه قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾[9]: "يجوز (أن الله يبشرك) و(إن الله

(١) الرعد/٣١. (٢) في المعاني المطبوع (أن) بفتح الهمزة في الموضعين، وهذا لا يوافق كلام الزجاج .
(٣) البقرة /١٠٧ . (٤) في المعاني المطبوع (أن) بفتح الهمزة ، وهذا لا يوافق كلام الزجاج .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٨/١ ، ٢٣٩ . (٦) آل عمران /١٨ . (٧) آل عمران /١٩ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٦/١ . (٩) آل عمران /٣٩ .

يبشرك) بفتح (إن)وكسرها،فمن فتح فالمعنى:نادته بأن الله يبشرك، أي نادته بالبشارة ، ومن كسر أراد : قالت الملائكة إن الله يبشرك ،و(إن) بعد القول مكسورة أبدا " [1] .

قلت : وكسر الهمزة في الآية قرأ به ابن عامر وحمزة ، والفتح قراءة الباقين [2] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ﴾[3] : " يصلح أن يكون خفضا ورفعا ، فالخفض على البدل من (آية)[4]، المعنى : جئتكم بأني أخلق لكم من الطين ، وجائز أن يكون :(أني أخلق لكم من الطين) يخبرهم بهذه الآية ما هي ، ويجوز : إني أي أقول لكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير " [5] .

قلت : وكسر الهمزة في الآية قرأ به نافع ، وأما الفتح فقراءة باقي السبعة [6] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [7] : " (أن) في موضع خفض ، المعنى : ويستبشرون بأن الله لا يضيع، ويجوز (وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين) على معنى : والله لا يضيع أجر المؤمنين ، وكذلك هي في قراءة عبد الله (والله لا يضيع) ، فهذا يقوي (وإن) بالكسر " [8] .

قلت : والكسر هنا قرأ به الكسائي وحده من السبعة ، والفتح قراءة الباقين [9] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾ [10] : " قال أبو العباس محمد بن يزيد : إن من قرأ بالياء (يحسبن) فتح (أن) وكانت تنوب عن الاسم والخبر [11]، تقول : حسبت أن زيدا منطلق ، ويقبح الياء مع الكسر، يقبح : (ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم ..) بكسر (إن) وهو جائز على قبحه ؛ لأن الحسبان ليس بفعل حقيقي فهو يبطل عمله مع (إن) كما يبطل مع اللام ، تقول : حسبت لعبد الله منطلق ،وكذلك قد يجوز على بعد:حسبت إن عبد الله منطلق "[12].

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ﴾ [13] :

(١) معاني القرآن وإعرابه١/٤٠٥.
(٢) انظر السبعة ص٢٠٥ ، والحجة لأبي علي ٣٨/٣ .
(٣) آل عمران /٤٤ .
(٤) في قوله في صدر الآية:﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ..﴾.
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤١٣/١ .
(٦) انظر السبعة ص٢٠٦ ، والحجة لأبي علي ٤٣/٣ .
(٧) آل عمران /١٧١ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٤٨٩/١ .
(٩) انظر السبعة ص٢١٩ والحجة لأبي علي٩٨/٣.
(١٠) آل عمران /١٧٨ .
(١١) والمراد أنها تنوب عن مفعولي (حسب) .
(١٢) معاني القرآن وإعرابه ٤٩١/١ .
(١٣) آل عمران /١٩٥ .

" المعنى : فاستجاب لهم ربهم بأني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، وإن قرئت : (إني لا أضيع عمل عامل منكم) جائز بكسر (إن) ، ويكـون المعنى : قال لهم ربهم إني لاأضيع عمل عامل منكم " [١] .

قلت : الفتح هنا أجمع عليه القراء السبعة ، والكسر قراءة ذكرها الألوسي [٢] ولم ينسبها لقارئ معين ، وفي مختصر شواذ القرآن لابن خالويه نسبتها لعيسى بن عمر [٣] .

ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٤] : " ويجوز أن يكون (إنه) (فإنه) بكسرهما جميعا ، ويجوز فتح الأولى وكسر الثانية ، ويجوز كسر الأولى وفتح الثانية ، فأما فتح الأولى والثانية فعلى أن موضع (أن) الأولى نصب ، المعنى : كتب ربكم على نفسه المغفرة وهي بدل من الرحمة [٥] ، وهي المغفرة للمذنبين التائبين ؛ لأن معنى (أنه غفور رحيم) المغفرة منه ، ويجوز ان تكون الثانية وقعت مؤكدة للأولى ؛لأن المعنى: كتب ربكم أنه غفور رحيم ، فلما طال الكلام أعيد ذكر (أن) .

فأما كسرهما جميعا فعلى مذهب الحكاية ، كأنه لما قال : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) قال : (إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) بالكسر ، وجعلت الفاء جوابا للجزاء ، وكسرت (إن) لأنها دخلت على ابتداء وخبر ، كأنك قلت : فهو غفور رحيم ، إلا أن الكلام بـ(إن) أوكد .

ومن كسر الأولى فعلى ما ذكرنا من الحكاية ، وإذا فتح الثانية مع كسر الأولى كان معناها المصدر ، والخبر محذوف ، المعنى : إنه من عمل كذا وكذا فمغفرة الله له .

ومن فتح الأولى وكسر الثانية فالمعنى راجع إلى المصدر ، وكأنك لم تذكر (أن) الثانية ، المعنى : كتب ربكم على نفسه أنه غفور رحيم " [٦] .

قلت : القراءات المتواترة هنا ثلاث وهي [٧] :

١- كسر الهمزة في الموضعين ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي .

٢- فتح الهمزة في الموضعين ، وهي قراءة عاصم وابن عامر .

٣- فتح الهمزة الأولى وكسر الثانية ، وهي قراءة نافع .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/٥٠٠ . (٢) روح المعاني ٤/١٦٨ . (٣) انظر ص٣٠ من المختصر .
(٤) الأنعام /٥٤ . (٥) في قوله تعالى في صدر الآية :(كتب ربكم على نفسه الرحمة).
(٥) معاني القرآن وإعرابه٢/٢٥٣ ، ٢٥٤. (٦) انظر السبعة ص٢٥٨ ، والحجة لأبي علي ج٣ ص٣١١ .

وأما القراءة بكسر الأولى وفتح الثانية فهي قراءة غير متواترة تنسب إلى الأعرج والزهري وأبي عمرو الداني [1] .

- ومن مواضع ذلك توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [2] ، وقد تقدم ذكره في هذا الفصل [3] .

- ومنها توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [4] ، وفيه يقول : " ويجوز (إنهم) بكسر (إن) ، ويجوز (أنهم) فيكون المعنى : ولا يحسبن الذين كفروا أنهم يعجزون ، ويكون (أن) بدلا من (سبقوا) ، قال أبو إسحاق : هذا الوجه ضعيف ؛ لأن (لا) لا تكون لغوا في موضع يجوز أن تقع فيه غير لغو " [5] .

- ومنها توجيه قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [6] ، وفيه يقول : " القراءة بالفتح والكسر { في } (فأن له) ، فمن كسر فعلى الاستئناف بعد الفاء كما تقول : فله نار جهنم ، ودخلت (إن) مؤكدة ، ومن قال : (فأن له) فإنما أعاد (فأن) توكيدا ؛ لأنه لما طال الكلام كان إعادتها أوكد " [7] .

- ومنها توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [8] ، وفيه يقول : " قرئت (أنه يبدأ الخلق ثم يعيده) وقرئت (إنه) بفتح الألف وكسرها ، وهما جميعا كثيرتان في القراءة ، فمن فتح فالمعنى : إليه مرجعكم جميعا لأنه يبدأ الخلق ، ومن كسر كسر على الاستئناف والابتداء " [9] .

قلت : فتح الهمزة هنا قراءة غير سبعية قرأ بها أبو جعفر من العشرة [10] ، ونسبت لعبد الله والأعمش وسهيل بن شعيب [11] .

- ومن مواضع جواز فتح الهمزة وكسرها قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [12] ، وفيه يقول الزجاج : " كسر (إن) القراءة ، على معنى : قال لهم إني لكم نذير مبين ، ويجوز (أني لكم نذير مبين) ، على معنى : لقد أرسلنا نوحا إلى قومه بالإنذار أن لا تعبدوا إلا الله " [13] .

---

(1) روح المعاني ٧/١٦٥ . (2) الأنعام/١٠٩. (3) انظر ص١١٠. (4) الأنفال/٥٩.
(5) معاني القرآن وإعرابه٢/٤٢١، ٤٢٢. (6) التوبة/٦٣ . (7) معاني القرآن وإعرابه ٢/٤٥٩ .
(8) يونس/٤ . (9) معاني القرآن وإعرابه ٣/٧. (10) شرح طيبة النشر ص٣١٠ .
(11) البحر المحيط ٥/١٢٤ . (12) هود/٢٥ . (13) معاني القرآن وإعرابه ٣/٤٦ .

قلت : كسر (إن) في الآية قراءة سبعية قرأ بها نافع وابن عامر وعاصم وحمزة [1] ، وقول الزجاج : " كسر (إن) القراءة " دليل على أنه يختارها ، والفتح قراءة سبعية أيضا ، قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي [2] .

ـ ومن مواضع ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ [3] ، وفيه يقول الزجاج : " ويقرأ (أني) فالمعنى: نودي يا موسى بأني أنا ربك ، وموضع (أن) نصب ، ومن قرأ: (إني) فالمعنى : نودي يا موسى فقال الله : إني أنا ربك فاخلع نعليك " [4] ، وفتح الهمزة هنا قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، والكسر قراءة عاصم ونافع وحمزة والكسائي وابن عامر [5] .

ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾[6] ، وقد تقدم ذكر مقالة الزجاج فيه في هذا الفصل [7] .

ـ ومنها قوله تعالى :﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ﴾[8]، وفيه يقول الزجاج : " (أنه) في موضع رفع ، (فأنه يضله) عطف عليه ، وموضعه رفع أيضا ، والفاء : الأجود فيها أن تكون في معنى الجزاء ، وجائز كسر (إن) مع الفاء ويكون جزاء لا غير، والتأويل: كتب عليه أي على الشيطان إضلال متوليه وهدايتهم إلى عذاب السعير ، وحقيقة (أن) الثانية أنها مكررة مع الأولى على جهة التوكيد ؛ لأن المعنى : كتب عليه أنه من تولاه أضله " [9] .

ـ ومن مواضعه توجيه قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [10] ، وقد ذكر الزجاج فيه قراءتين هما كسر همزة (إن) وفتحها ، وقال : " من كسر جعل همزة (إن) استئنافا ، ومن فتح كان المعنى : ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ، أي: اتقون لهذا " [11] .

---

(1) انظر الحجة لأبي علي ٣١٥/٤ .
(2) المصدر السابق .
(3) طه /١٢ .
(4) معاني القرآن وإعرابه ٣٥١/٣ .
(5) الحجة لأبي علي ٢١٨/٥ ، وانظر توجيه ذلك في رسالة النحو القرآني للمؤلف ص٧٠٨ ، ٧٠٩ .
(6) طه /١١٩ .
(7) انظر ص١١٤ .
(8) الحج /٤ .
(9) معاني القرآن وإعرابه ٤١١/٣ .
(10) المؤمنون /٥٢ .
(11) معاني القرآن وإعرابه ١٥/٤ .

وكسر الهمزة مع تشديد النون قراءة عاصم وحمزة والكسائي ، وفتحها مع التشديد قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو ، وفي الآية قراءة سبعية ثالثة لابن عامر ، وهي بفتح الهمزة وتخفيف النون (١) .

- ومن مواضعه قوله تعالى : ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٢) وفيه يقول الزجاج عن همزة (أنهم) : " الكسر أجود ؛ لأن المعنى : إني جزيتهم بما صبروا ، ثم أخبر فقال : إنهم هم الفائزون ، والفتح جيد بالغ على معنى : إني جزيتهم اليوم بما صبروا لأنهم هم الفائزون ، وفيها وجه آخر يكون المعنى : إني جزيتهم الفوز ؛ لأن معنى (أنهم هم الفائزون) : فوزهم ، فيكون المعنى : جزيتهم فوزهم " (٣) .

وفتح الهمزة في (أنهم) قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم وابن عامر ، والكسر قراءة حمزة والكسائي ، ورواه خارجة عن نافع أيضا (٤) .

- ومن مواضعه قوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (٥) ، وقد أورده الزجاج بفتح الهمزة في (أنه) وقال :" التأويل: حسابه عند ربه بأنه لا يفلح ، والمعنى: الذي له عند ربه أنه لا يفلح ، وجائز : (إنه لا يفلح الكافرون) بكسر (إن) " (٦) .

والكسر الذي ذكر أنه جائز هو القراءة التي اتفق عليها السبعة ، وأما الفتح فهو قراءة غير متواترة تنسب إلى الحسن وقتادة (٧) .

- ومن مواضع ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٨) ، وقد أورده الزجاج بكسر همزة (إن) في الموضعين ، وقال : " ويجوز : (أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم) فيكون موضع (أن) الرفع على معنى : ألقي إلي أنه من سليمان ، ويجوز أن تكون (أن) في موضع نصب على معنى : كتاب كريم لأنه من سليمان ولأنه بسم الله الرحمن الرحيم " (٩) .

---

(١) الحجة لأبي علي ٥/٢٩٦ ، وانظر توجيه ذلك في رسالة النحو القرآني للمؤلف ص٧٤٦ وما بعدها .
(٢) المؤمنون /١١١ .
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٤ .
(٤) انظر الحجة لأبي علي ٥/٣٠٦ ، وانظر رسالة النحو القرآني للمؤلف ص٧٤٩ .
(٥) المؤمنون /١١٧ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٥ .
(٧) الدر المصون ٨/٣٧٦ ، وانظر رسالة النحو القرآني للمؤلف ص٧٥٠ .
(٨) النمل /٣٠ .
(٩) معاني القرآن وإعرابه ٤/١١٨ .

وكسر الهمزة في الموضعين موضع اتفاق السبعة القراء ، وفتحها في الموضعين قراءة غير متواترة تنسب إلى ابن أبي عبلة [1] .

- ومن مواضعه قوله تعالى : ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ [2] ، وفيه يقول الزجاج : " تقرأ (إنا دمرناهم) بكسر (إنا) وفتحها ، فمن قرأها بالكسر رفع العاقبة لاغير ، المعنى : فانظر أي شيء كان عاقبة مكرهم ، ثم فسر فقال : (إنا دمرناهم) فدل على أن العاقبة الدمار .

ومن قرأ : (أنا دمرناهم) رفع العاقبة وإن شاء نصبها ، والرفع أجود على معنى فانظر كيف كان أمرهم ، وأضمر : العاقبة أنا دمرناهم ، فتكون (أنا) في موضع رفع على هذا التفسير ، ويجوز أن يكون (أنا) في موضع نصب ، على معنى : فانظر كيف كان عاقبة مكرهم لأنا دمرناهم ، ويجوز أن يكون (أنا دمرناهم) خبر كان ، المعنى : فانظر كيف كان عاقبة مكرهم الدمار ،ويجوز أن يكون اسم كان (أنا دمرناهم) و(عاقبة مكرهم) منصوبة ، المعنى : فانظر كيف كان الدمار عاقبة مكرهم .

و(كيف) في موضع نصب على جميع هذه الأقوال ، ونصبها إذا جعلت العاقبة اسم كان وخبرها ما بعدها فهي منصوبة على الظرف ، وعمل فيه جملة الكلام ،كما تقول : كيف كان زيد ، وكيف كان زيد قائما " [3] .

وفتح الهمزة هنا قرأ به عاصم وحمزة والكسائي ، والكسر قراءة باقي السبعة [4] .

- ومن مواضع جواز الوجهين عند الزجاج قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[5] ، وقد أورده بفتح همزة (أنه) وقال : " ويجوز : إنه على كل شيء شهيد ، والقراءة (أنه) بالفتح على موضع (بربك) ، المعنى : أولم يكف ربك أنه على كل شيء شهيد " [6] .

- ومنها قوله تعالى :﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾[7] ، وفيه يقول : " من كسر (إن)

(1) البحر المحيط ٧٢/٧ ، وانظر رسالة النحو القرآني للمؤلف ص٧٩١ .
(2) النمل /٥١ .
(3) معاني القرآن وإعرابه ١٢٤/٤ ، ١٢٥ .
(4) انظر الحجة لأبي علي ٣٩٦/٥ ، ورسالة النحو القرآني للمؤلف ص٧٩٤ وما بعدها .
(5) فصلت /٥٣ .
(6) معاني القرآن وإعرابه ٣٩٢/٤ .
(7) الدخان /٢٢ .

فالمعنى : قال : إن هؤلاء ، و(إن) بعد القول مكسورة ، ويجوز الفتح على معنى بأن هؤلاء " [1] .

والكسر هنا قراءة غير متواترة تنسب إلى ابن أبي إسحاق وعيسى وزيد بن علي وغيرهم [2] .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[3] ، وفيه يقول : " الناس كلهم على كسر (إنك) إلا الكسائي وحده فإنه قرأ : (ذق أنك أنت) ، أي : ذق لأنك قلت : إنك أنت العزيز الكريم " [4] .

- ومنها قوله تعالى : ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [5] ، وفيه يقول : " القراءة (أني) بفتح الألف ، وقرأ عيسى بن عمر النحوي :(إني) بكسر الألف، وفسر سيبويه [6] (إني) بالكسر وقال : هذا على إرادة القول ، على معنى : فدعا ربه قال : إني مغلوب ... ومن فتح - وهو الوجه - فالمعنى : دعا ربه بأني مغلوب " [7] .

والقراءة بالكسر تنسب أيضا إلى الأعمش وابن أبي إسحاق [8] .

تخفيف إن وأن وكأن ولكن :

يشير الزجاج إلى أن (أن) إذا خففت يصير اسمها ضميرًا للشأن ، وذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[9] ، فهو يقول : " تقرأ (ألا تكون) بالنصب ، و(ألا تكونُ) بالرفع ، فمن قرأ بالرفع فالمعنى : أنه لا تكون فتنة ، أي حسبوا فعلهم غير فاتن لهم ، وذلك أنهم كانوا يقولون : إنهم أبناء الله وأحباؤه " [10] .

وفتح النون هنا قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر ، وضمها قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي [11] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/٤٢٦ .
(٢) انظر روح المعاني ٢٥/١٢٢ .
(٣) الدخان /٤٩ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/٤٢٨ .
(٥) القمر /١٠ .
(٦) الكتاب ٣/١٤٣ .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٥/٨٧ .
(٨) روح المعاني ٢٧/٨١ .
(٩) المائدة /٧١ .
(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٢/١٩٥ .
(١١) انظر السبعة ص٢٤٧ ، والحجة لأبي علي ٣/٢٤٦ ، ورسالة النحو القرآني ص٤١٦ .

ومثل ذلك ما ورد في توجيه قوله تعالى : ﴿أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾[1]، وفيه يقول : " تقرأ (أنِ الحمد لله رب العالمين) و(أنَّ الحمدَ لله ربَّ العالمين) ، فالتخفيف على حذف (أن) الشديدة والهاء ، والمعنى : أنه الحمد لله رب العالمين "[2] .

وتخفيف (أن) ورفع الحمد قراءة الجمهور وعليها اتفق السبعة القراء ، وقول الزجاج " على حذف (أن) الشديدة والهاء " فيه تجوز ، ومراده أن التخفيف على حذف نون من (أن) والهاء ضمير الشأن ، وقراءة التشديد في الآية قراءة غير سبعية قرأ بها ابن محيصن ومجاهد وقتادة ويعقوب "[3] .

وأشار الزجاج إلى أن (أن) المخففة من الثقيلة تخالف المصدرية في أنها تقع بعد الفعل الدال على العلم واليقين ، وذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾[4] ، وقد أورده برفع (يرجعُ) وقال : " ويجوز (أن لا يرجع) بنصب (يرجع) بـ(أن) ، والاختيار مع (رأيت) و(علمت) و(ظننت) أن يكون (ألا يفعلُ) في معنى قد علمت أنه لا يفعل "[5] .

والقراء السبعة متفقون هنا على رفع (يرجع) ، وأما نصبه فهو قراءة غير متواترة تنسب إلى ابن أبي حيوة وغيره[6] ، ويذكر العلماء أن (أن) المصدرية لا تقع بعد فعل مفيد للعلم نحو رأى وتحقق وتيقن وتبين وظن مستعملا في العلم[7]، فلا يصح نصب المضارع بأن الواقعة بعد هذا النحو من الفعل إلا أن يتأول بغير العلم ، ولهذا شذذ العكبري وغيره[8] وغيره قراءة النصب هنا ، وتأولها بعضهم بإجراء فعل الرؤية مجرى الظن[9] .

وقد صرح بأن (أن) مخففة من الثقيلة في توجيه قوله تعالى : ﴿وَالخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا﴾[10] حيث قال :" قوله : (والخامسة أن غضبُ الله عليها) بتخفيف (أن) ورفع

---

(١) يونس /١٠ . (٢) معاني القرآن وإعرابه ٨/٣ .

(٣) انظر روح المعاني ٧٦/١١ ، وانظر رسالة النحو القرآني ص٥٦٥ وما بعدها .

(٤) طه /٨٩ . (٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٧٣/٣ .

(٦) البحر ٢٩٦/٦ ، وانظر رسالة النحو القرآني ص٧٢٣ .

(٧) انظر شرح الأشموني بحاشية الصبان ٢٨٢/٣ ، ٢٨٣ .

(٨) انظر المصدر السابق ، وإملاء ما من به الرحمن ٥٩٥/٣ .

(٩) انظر التصريح ٢٣٣/٢ . (١٠) النور /٩ .

(غضب) على معنى : أنه غضب الله عليها ، ويجوز : (أن غضِب الله عليها) ، وههنا هاء مضمرة و(أن) مخففة من الثقيلة ، والمعنى أنه غضِب الله عليها ، وأنه غضبُ الله عليها ، قال الشاعر :

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل [1]

المعنى : أنه هالك " [2] .

والقراءة الأولى التي ذكرها هنا قراءة غير سبعية ذكرها سيبويه [3] ، وهي تنسب إلى يعقوب وقتادة والحسن وغيرهم [4] ، والقراءة الثانية قراءة سبعية قرأ بها نافع وحده ، وقراءة باقي السبعة : (أنَّ غضبَ الله عليها) كما هو معروف من قراءة حفص [5] ، وقد أهمل الزجاج ذكرها .

وذكر الزجاج تخفيف (لكن) في ثلاثة مواضع صرح في الثالث منها ببطلان عملها إذا خففت ، وهذه هي المواضع الثلاثة :

١ـ قال في قوله تعالى :﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾[6]:" من شدد (ولكن) نصب الشياطين ، ومن خفف رفع فقال : (ولكنِ الشياطينُ كفروا) ، وقد قرئ بهما جميعا " [7] .

والقراءة الأولى التي ذكرها قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم ، والثانية قرأ بها حمزة والكسائي وابن عامر [8] .

٢ـ وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ [9] : " إذا شددت (لكن) نصبت (البر) ، وإذا خففت رفعت البر فقلت : ولكنِ البِرُّ من آمن بالله ، وكسرت النون من التخفيف لالتقاء الساكنين " [10] .

والقراءة الأولى التي ذكرها قرأ بها ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي ، والثانية قرأ بها نافع وابن عامر [11] .

(١) من بحر البسيط ، وقائله الأعشى ، وهو من شواهد سيبويه ١٣٧/٢ ، ٧٤/٣ ، ٤٥٤ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٥/٤ .
(٣) الكتاب ١٦٣/٣ .
(٤) البحر ٤٣٤/٦ ، وروح المعاني ١٠٦/١٨ .
(٥) انظر الحجة لأبي علي ٣١٤/٥ .
(٦) البقرة/ ١٠٢ .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ١٨٣/١ .
(٨) انظر السبعة ص١٦٧ ، والحجة لأبي علي ١٦٩/٢ .
(٩) البقرة/ ١٧٧ .
(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٦/١ .
(١١) انظر هامش ٨ .

٣- وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ﴾ [١] : " ويقرأ (ولكنِ الله قتلهم) ، فمن شدد نصب كنصب (إن) ، ومن خفف أبطل عملها ورفع قوله (الله) بالابتداء " [٢] .

والتشديد قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم وابن عامر ، والتخفيف قراءة حمزة والكسائي [٣] .

وذكر أن اللام تدخل في الخبر مع (إن) إذا خففت ، وذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ [٤] ، وفيه يقول : " هذه اللام دخلت على (إن) لأن اللام إذا لم تدخل مع (إن) الخفيفة كان الكلام جحدا ، فلولا اللام كان المعنى : ما كانت كبيرة ، فإذا جاءت (إن) واللام فمعناه التوكيد للقصة ، واللام تدخل في الخبر " [٥] .

وذكر تخفيف (كأنْ) وقدر معها ضمير الشأن فقال في توجيه قوله تعالى : ﴿مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾[٦] : " (كأن) هذه مخففة من الشديدة ، المعنى : كأنه لم يدعنا ، قالت الخنساء :

كأن لم يكونوا حمى يتقى ... إذ الناس إذ ذاك من عز بزا [٧]

أي : كأنهم لم يكونوا " [٨] .

اتصال (ما) الكافة بـ(إن وأخواتها) :

ذكر الزجاج أن (ما) تمنع (إن) من العمل فيليها الفعل ، وجاء ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ ...﴾ [٩] ، وفيه يقول : " النصب في الميتة وما عطف عليها هو القراءة ، ونصبه لأنه مفعول به ، دخلت (ما) تمنع (إن) من العمل ، ويليها الفعل ... ويجوز : (إنما حرم عليكم الميتةُ) ، والذي أختاره أن تكون (ما) تمنع (إن) من العمل ، ويكون المعنى : ما حرم عليكم إلا الميتة والدم ولحم الخنزير ؛ لأن (إنما) تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه ، قال الشاعر :

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي [١٠]

---

(١) الأنفال /١٧ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤٠٦/٢ .
(٣) انظر هامش ٨ في الصفحة السابقة .
(٤) البقرة /١٤٣ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٠/١ .
(٦) يونس /١٢ .
(٧) من المتقارب ، وعز : غلب ، وبز : سلب ، ديوانها ص٨٦ ، وانظره في المغني بحاشية الأمير ٧٨/١ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٩/٣ .
(٩) البقرة /١٧٣ .
(١٠) من بحر الطويل ، وهو للفرزدق ، ديوانه ص٧١٢ ، وانظر مغني اللبيب ص٤٠٧ .

المعنى : ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلي ، فالاختيار ما عليه جماعة القراء لاتباع السنة وصحتها في المعنى " [١] .

ونصب (الميتة) هنا قراءة الجمهور ،وأما رفعه فهو قراءة غير متواترة نسبها القرطبي[٢] لابن أبي عبلة ، وقد صرح الزجاج بجوازها ولم يصرح بورودها ، ولعله لم يعتد بها لأنها غير متواترة .

وذكر مثل ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ [٣] حيث قال : " فأما رفع (كيد) فعلى معنى : إن الذي صنعوا كيد ساحر ، على خبر (إن) و(ما) اسم ، ومتبوع الفعل هاء ، ومن قرأ (كيدَ) بالنصب جعل (ما) يمنع (إن) العمل ، وينصب (كيد ساحر) بـ(صنعوا) ، كما تقول : إنما ضربت زيدا " [٤] .

ونصب (كيد) في الآية قراءة غير متواترة تنسب إلى مجاهد وحميد وزيد بن علي[٥].

هل يعمل ما بعد (إن) فيما قبلها ؟

أجاب الزجاج عن ذلك بالنفي في موضعين :

الأول : في توجيه قوله تعالى:﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٦]، وفيه يقول:" موضع (إذا) نصب ... ولا يجوز أن يعمل (جديد) في (إذا) ؛ لأن ما بعد (إن) لا يعمل فيما قبلها ، لا اختلاف بين النحويين أن ما بعد (إن) لا يعمل فيما قبلها " [٧] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾[٨]، وفيه يقول : " (يوم) لا يجوز أن يكون منصوبا بقوله : (منتقمون) ؛ لأن ما بعد (إنا) لا يجوز أن يعمل فيما قبلها ، ولكنه منصوب بقوله : (نبطش البطشة الكبرى) " [٩] .

هل يجوز أن تقول : إن زيدا ساكرم ؟

أجاب الزجاج عن ذلك في توجيه قوله تعالى :﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾[١٠] فقال:" جائز

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٢/١ ، ٢٤٣ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢١٦/١ .
(٣) طه /٦٩ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٦٧/٣ .
(٥) انظر البحر ٢٦٠/٦ .
(٦) الرعد /٥ .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ١٣٨/٣ ، ١٣٩ .
(٨) الدخان /١٦ .
(٩) معاني القرآن وإعرابه ٤٢٥/٤ .
(١٠) النجم /٤٠ .

أن يقرأ (سوفَ يَرى) ، والأجود : سوف يُرى ؛ لأن قولك : إن زيدا سأكرم فيه ضعف ؛ لأن (إن) عاملة ، و(أكرم) عاملة ، فلا يجوز أن ينتصب الاسم من جهتين ، ولكنه يجوز على إضمار الهاء ، تقول : سوف يَرى ، على معنى : سوف يراه ، أو على إضمار في (إن) ، تقول : إن زيدا سأكرم ، على معنى : إنه زيدا سأكرم " [1] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥/٧٦ .



الفصل التاسع

لا النافية للجنس

عملها ومعناها :

تحدث الزَّجَّاج عن عمل (لا) النافية للجنس ومعناها ، ونقل في ذلك كلام سيبويه ، وذلك في توجيهه لقوله تعالى : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [1] ، وفي ذلك يقول : " موضع (لا ريب) نصب ، قال سيبويه [2] : (لا) تعمل فيما بعدها فتنصبه ، ونصبها لما بعدها كنصب (إن) لما بعدها إلا أنها تنصبه بغير تنوين ، وزعم أنها مع ما بعدها بمنزلة شيء واحد كأنها جواب قول القائل : هل من رجل في الدار، فـ(من) غير منفصلة من (رجل).

فإن قال قائل : فما أنكرت أن يكون جواب : هل رجل في الدار ؟ قيل : معنى لا رجل في الدار عموم النفي ، لا يجوز أن يكون في الدار رجل ولا أكثر من الرجل ، إذا قلت : لا رجل في الدار ، فكذلك : هل من رجلٍ في الدار استفهام عن الواحد وأكثر منه ، فإذا قلت: هل رجل في الدار أو لا رجلٌ في الدار جاز أن يكون في الدار رجلان؛ لأنك أخبرت أنه ليس فيها واحد ، فيجوز أن يكون فيها أكثر ، فإذا قلت : لا رجلَ في الدار فهو نفي عام ، وكذلك (لا ريب فيه) " [3] .

كما تحدث بإيجاز عن عملها ذاك في توجيه قوله تعالى : ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[4] ، وقد أورده على القراءة بفتح (رفث) و(فسوق) و(جدال) بلا تنوين ثم قال : " ويجوز : فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ في الحج ، وبعضهم يقرأ ـ وهو أبو عمرو ـ فلا رفثٌ ولا فسوقٌ [5] ولا جدال في الحج ، وكل صواب ، وقد شرحنا أن (لا) تنصب النكرات بغير تنوين ، وبينا حقيقة نصبها ... " [6] .

---

(1) البقرة /٢ .　　(2) الكتاب ٢/٢٧٤ .

(3) معاني القرآن وإعرابه ١/٦٩ .　　(4) البقرة /١٩٧ .

(5) هذا هو الثابت من قراءة أبي عمرو ، وفي المعاني المطبوع : (ولا فسوق) بفتح القاف ، والمروي عن أبي عمرو الضم والتنوين ، انظر تقريب النفع ص٩٥ .　　(6) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٧٠ .

العطف بالرفع على موضع (لا) مع اسمها :

تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى :﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[١] حيث قال : " ... ويجوز إذا نصبت ما قبل المرفوع بغير تنوين وأتيت بما بعده مرفوعا أن يكون عطفا على الموضع ... إذا قلت : لا رجلَ وغلامٌ في الدار فكأنك قلت : ما رجل ولا غلام في الدار " [٢] .

العطف بالنصب على موضع اسم (لا) :

تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [٣] حيث يقول : " ويجوز (لا بيعَ فيه ولا خلةً ولا شفاعةً) بنصب الأول بغير تنوين وعطف الثاني على موضع الأول لأن موضعه نصب إلا أن التنوين حذف لعلة قد ذكرناها ، ويكون دخول (لا) مع حروف العطف مؤكدا ؛ لأنك إذا عطفت على موضع ما بعد (لا) عطفته بتنوين ، تقول : لا رجل وغلاما لك ، قال الشاعر :

فلا أب وابنا مثل مروان وابنه ... إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا [٤] " [٥]

جواز إهمال (لا) إذا كررت :

أشار إلى ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾[٦] حيث ذكر أن (فارض) مرتفع بإضمار (هي) [٧] .

وقد قال في توجيه قوله تعالى :﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[٨]:" وحقيقة ما ارتفع بعدها عن بعض أصحابه ـ يعني سيبويه ـ على الابتداء ؛ لأنه إذا لم تنصب فإنما يجرى ما بعدها كما يجرى ما بعد (هل) ، أي لا تعمل فيه شيئا ، فيجوز أن يكون (لا رفثٌ) على ما قال سيبويه [٩] ، ويجوز أن يكون على الابتداء كما وصفنا ، ويكون (في الحج) هو خبر لهذه المرفوعات " [١٠] .

---

(١) البقرة /١٩٧ . (٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٠/١ . (٣) البقرة /٢٥٤ .

(٤) البيت من الطويل ، وينسب لرجل من عبد مناة بن كنانة،وانظره في الكتاب٢٨٥/٢، والخزانة٦٧/٤ : ٦٩ ، والتصريح ٢٤٣/١ . (٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٥/١ ، ٣٣٦ .

(٦) البقرة /٦٨ . (٧) معاني القرآن وإعرابه ١٥٠/١ . (٨) البقرة /١٩٧ .

(٩) أي بأن تكون عاملة عمل ليس . (١٠) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٠/١ .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾[1] : " (لا لغو فيها ولا تأثيمٌ) ، ويقرأ : (لا لغوَ فيها ولا تأثيمَ) بالنصب ، فمن رفع فعلى ضربين : على الرفع بالابتداء ، و(فيها) هو الخبر ، وعلى أن تكون (لا) في مذهب (ليس) رافعة ، أنشد سيبويه[2] :

من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح[3]

ومن نصب فعلى النفي والتبرئة كما قال : (لا ريب فيه) إلا أن الاختيار عند النحويين إذا كررت (لا) في مثل هذا الموضع الرفع ، والنصب عند جميعهم جائز حسن "[4] .

رفع النكرات وتنوينها بعد (لا) :

سبق أن تحدث الزجاج عن ذلك في توجيه قوله تعالى:﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ..﴾[5] ، ومن أمثلة ذلك أيضا :

قال في قوله تعالى : ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ﴾[6] : " الاختيار النصب بغير تنوين على النفي كما قال : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[7] ، ويجوزَ (لا قوةٌ) على الرفع والابتداء ، والخبر (بالله) ، المعنى أنه لا قوى لأحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله "[8] .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾[9] : " (عدوان) منصوب بـ(لا) ، ولو قرئت : (فلا عدوانٌ عليّ) لجاز من جهتين : إحداهما : أن تكون (لا) رافعة كـ(ليس) كما قال الشاعر :

من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح

ويجوز أن يكون (عدوان) رفعا بالابتداء و(على) الخبر ، وتكون (لا) نافية غير عاملة كما تقول : لا زيد أخوك ولا عمرو "[10] .

هل يعمل ما بعد (لا) فيما قبلها ؟

الجواب عند الزجاج بالنفي ، وقد جاء ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾[11] ، وفيه يقول :"(يوم يرون) منصوب على وجهين :

---

(١) الطور /٢٣ . (٢) الكتاب ٥٨/١ . (٣) تقدم بالفصل السادس ص١١٩ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٦٢/٥ ، ٦٣ . (٥) انظر ص١٥٥ .
(٦) الكهف /٣٩ . (٧) البقرة /٢ . (٨) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٨/٣ .
(٩) القصص /٢٨ . (١٠) معاني القرآن وإعرابه ١٤١/٤ ، ١٤٢ .
(١١) الفرقان /٢٢ .

أحدهما على معنى : لا بشرى تكون للمجرمين يوم يرون الملائكة ، و(يومئذ) هو مؤكد لـ(يوم يـرون الملائكة) ، ولا يجوز أن يكون منصوبا بقوله (لا بشرى) ؛ لأن ما اتصل بـ(لا) لا يعمل فيما قبلها ، ولكن لما قيل : (لا بشرى للمجرمين) بين في أي يوم ذلك ، فكأنه قيل : يمنعون البشرى يوم يرون الملائكة وهو يوم القيامة " [1] .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٦٣/٤ .

الفصل العاشر

ظن وأخواتها

ما يفيد اليقين في الخبر من أفعال هذا الباب (تَعَلَّمْ ـ وَجَدَ):

أولا : (تعلَّمْ) بمعنى اعلم ، ذكره الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ...﴾[1] فقال : " العرب تقول : تعلَّم أنَّ هذا كذا في معنى اعلم ، قال زهير :

تعلَّم أن شر الناس حيٌّ ... ينادى في شعارهم يسار [2]

وقال زهير أيضا :

فقلت تعلم أن للصيد غرة ... وإلا تضيعها فإنك قاتله [3] " [4]

ثانيا : (وجد)، ذكره في توجيه قوله تعالى :﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا﴾[5] حيث قال: " (خيرا) منصوب مفعول ثان لـ(تجدوه) ، ودخلت (هو) فصلًا ... ولو كان في غير القرآن لجاز (تجدوه هو خير) يرفع بـ(هو) ، لكن النصب أجود في العربية ، ولا يجوز في القرآن غيره " [6] .

ما يفيد الرجحان في الخبر (جعل ـ زعم) :

أولاً : (جعل)

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ﴾[7] : " فأما نصب (الجن) فمن

---

(١) الأعراف /١٦٧ .

(٢) البيت من الوافر ، وهو في ديوانه ص٣٣ ، و(يسار) غلام زهير الذي سباه الحارث ، والشِّعار : علامة القوم في سفرهم ، أراد أن يسارًا صار عيبًا عليهم يعرفون به كما يعرف كل قوم بشعارهم ، انظر : شرح شعر زهير لأبي العباس ثعلب ص٢٢٠ ، ومختارات الشعر الجاهلي ص٢٧٩ .

(٣) البيت من الطويل ، في ديوانه ص٦٧ ، وانظر مختارات الشعر الجاهلي ص٢٧٩ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٧/٢ .

(٥) المزمل /٢٠ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٤/٥ .

(٧) الأنعام /١٠٠ .

وجهين : أحدهما : أن يكون (الجن) مفعولا ، فيكون المعنى : وجعلوا لله الجن شركاء ، ويكون الشركاء مفعولاً ثانيًا ، كما قال : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾[1] ، وجائز أن يكون (الجن) بدلا من (شركاء) أو مفسرا للشركاء "[2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي . هَارُونَ أَخِي ﴾[3] : " نصب (هارون) من جهتين : إحداهما أن يكون (اجعل) متعديًا إلى مفعولين ، فيكون المعنى : اجعل هارون أخي وزيرا ، فتنصب (وزيرا) على أنه مفعول ثان ، ويجوز أن يكون (هارون) بدلا من قوله (وزيرا) ويكون المعنى : اجعل لي وزيرا من أهلي ثم أبدل (هارون) من (وزيرا) ، والقول الأول أجود ، و(أخي) نعت لـ(هارون) "[4] .

ثانيًا : (زعم)

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا ﴾[5] : " (أنهم) تنوب عن اسم الزعم وخبره "[6] ، ويلحظ هنا أنه عبر عن المفعول الأول بالاسم وعن الثاني بالخبر .

من أفعال اليقين :

(رأى)

ذكر الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴾[7] أن (يرى) بمعنى يعلم، ثم قال :" والرؤية على ضربين : أحدهما : رأيت : أبصرت ، والآخر : علمت ، كما تقول : رأيت زيدا أخاك وصديقك ، معناه : علمت ، ألا ترى أن المكفوف يقول: رأيت زيدا عاقلا ، فلو كان من رؤية العين لم يجز "[8] .

من أفعال الرجحان :

(ظن)

تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ ﴾[9] ، وفسره بمعنى يوقنون فقال : " الظن هـهنا في معنى اليقين ، والمعنى : الذين يوقنون

---

(١) الزخرف /١٩ . (٢) معاني القرآن وإعرابه٢/٢٧٧. (٣) طه /٢٩ ، ٣٠ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه٣/٣٥٦. (٥) النساء /٦٠ . (٦) معاني القرآن وإعرابه٢/٦٨.
(٧) النجم /٣٥ . (٨) معاني القرآن وإعرابه٥/٧٥. (٩) البقرة /٤٦ .

بذلك ، ولو كانوا شاكين كانوا ضلالا كافرين ، والظن بمعنى اليقين موجود في اللغة ، قال دريد بن الصمة :

فقلت لهم ظنوا بألفي مقاتل سراتهم في الفارسي المسرد (١)

ومعناه : أيقنوا ، وقد قال بعض أهل العلم من المتقدمين : إن الظن يقع في معنى العلم الذي لم تشاهده وإن كان قام في نفسك حقيقته ، وهذا مذهب ، إلا أن أهل اللغة لم يذكروا هذا ، قال أبو إسحاق : وهذا سمعته من إسماعيل بن إسحاق القاضي رحمه الله ، رواه عن زيد بن أسلم " (٢) .

وتحدث عنه في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٣) فذكر مجيئه بمعنى اتهم حيث قال : " من قرأ (بظنين) فمعناه : ما هو على الغيب بمتهم ، هو الثقة على ما أداه عن الله عز وجل ، يقال : ظننت زيدا ، في معنى : اتهمت زيدا ، ومن قال (بضنين) فمعناه : ما هو على الغيب ببخيل ... " (٤) .

والقراءة الأولى فيما ذكره قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ، والثانية قراءة باقي السبعة (٥) .

من أفعال التصيير :

(اتخذ)

وقد تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى :﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾(٦) فقال : " (سربا) منصوب على جهتين : على المفعول كقولك : اتخذت زيدا وكيلا ، ويجوز أن يكون مصدرا يدل عليه (اتخذ سبيله) ، فالمعنى : نسيا حوتهما فجعل طريقه في البحر ، ثم بين كيف ذلك ، فكأنه قال : سرب الحوت سربا " (٧) .

إطلاق الاسم والخبر على المفعولين في هذا الباب :

تقدم ذلك هنا في توجيه الزجاج لقوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ (٨) ،

---

(١) البيت من الطويل ، والسراة : السادة ، والمسرد : المحبوك الحلق الجيد الصنع ، وانظره في الصحاح واللسان (ظنن) ومجاز القرآن ٣٩/١ ، وديوان الحماسة ٣٤٢/١ ، والأضداد ص١٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٢٦/١ . (٣) التكوير /٢٤ . (٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٣/٥ .

(٥) الحجة لأبي علي ٣٨٠/٦ ، ٣٨١ . (٦) الكهف /٦١ . (٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٩/٣ .

(٨) النساء /٦٠ .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾ [1] : " فأما الإعراب فقال أبو العباس محمد بن يزيد : إن من قرأباالياء (يحسبن) فتح (أن) وكانت تنوب عن الاسم والخبر ، تقول: حسبت أن زيدا منطلق ، ويقبح الكسر مع الياء، يقبح : ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم ، بكسر (إن) ، وهو جائز على قبحه ؛ لأن الحسبان ليس بفعل حقيقي ، فهو يبطل عمله مع (إن) كما يبطل مع اللام ، تقول : حسبت لعبد الله منطلق،وكذلك قد يجوز على بعد: حسبت إن عبد الله منطلق ..."[2].

وقال في توجيه قوله تعالى :﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾[3]:" موضع (أن) الأولى نصب ، وهي في موضع اسم (حسب) وخبره " [4] .

سداد (أنَّ) و(أنْ) مسد المفعولين في هذا الباب :

تقدمت أمثلة لذلك هنا ، ومن أمثلته ما ورد في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعًا ...﴾ [5] حيث قال : " من قرأ (أن القوة) فموضع (أن) نصب بقوله : (ولو يرى الذين ظلموا ... أن القوة لله جميعا) " [6] .

حذف أحد المفعولين اختصارا :

ذهب الزجاج إلى جوازه كالجمهور ، وذلك واضح في توجيهه لقوله تعالى : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [7] حيث قال : " القراءة بالتاء على معنى : لا تحسبن يا محمد الكافرين معجزين ، أي : قدر الله محيط بهم ، وقرئت : (لا يحسبن) على حذف المفعول الأول من (يحسبن) على معنى : لا يحسبن الذين كفروا إياهم معجزين في الأرض كما تقول : زيد حسبه قائما ، كأنه قيل : لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين ، وهذا في باب (ظننت) يطرح منه النفس ، تقول : ظننتني أفعل ، ولا يقال : ظننت نفسي أفعل ، ولا يجوز : ضربتني ، استغني عنه بـ(ضربت نفسي) " [8] .

والقراءة بالتاء هنا هي قراءة نافع وابن كثير والكسائي وعاصم في غير رواية حفص ، والقراءة بالياء قراءة حمزة وحفص وابن عامر [9] .

(١) آل عمران /١٧٨ . (٢) معاني القرآن وإعرابه ٤٩١/١ . (٣) العنكبوت /٢ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٥٩/٤ ، ١٦٠ . (٥) البقرة /١٦٥ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٨/١ . (٧) النور /٥٧ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥٢/٤ . (٩) الحجة لأبي علي ٣٣٢/٥ .

وفي توجيه الزجاج هنا ذكر ما اختصت به أفعال هذا الباب من جواز تعدي فعل الفاعل فيها إلى ضمير نفسه .

ومن مواضع إضمار المفعول الأول عند الزجاج أيضا ما جاء في توجيه قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] ، فقد أورده برفع (أحياء) وقال : " ولو قرئت : (بل أحياءً عند ربهم) لجاز ، المعنى : بل احسبهم أحياءً " [2] .

وهذا النصب الذي ذكره قراءة غير متواترة تنسب إلى ابن أبي عبلة [3] ، وفي توجيهه له حذف (حسب) ومفعوله الأول ، وقد تبعه فيه الزمخشري [3] .

حكم أفعال هذا الباب من جهة التعليق :

سبق حديث الزجاج عن ذلك هنا في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾[4] ، وقد تحدث عنه أيضا في توجيه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [5] فقال : " (أنهم) هنا لا يصلح في موضعها (إنهم) بالكسر ؛ لأن الظن واقع ، فلا بد من أن تكون تليه (أن) إلا أن يكون في الخبر لام ، ويصلح في (وأنهم إليه راجعون) الفتح والكسر ، إلا أن الفتح هو الوجه الذي عليه القراءة ، فإذا قلت : وإنهم إليه راجعون - في الكلام - حملت الكلام على المعنى ، كأنه (وهم إليه راجعون) ودخلت (إن) مؤكدة ، ولولا ذلك لما جاز إبطالك الظن مع اللام إذا قلت : ظننت إنك لعالم " [6] .

وقال في توجيه قوله تعالى :﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾[7]:" وقد قرأ بعض القراء : (ولا يحسبن الذين كفروا) بالياء ، ووجهها ضعيف عند أهل العربية إلا أنها جائزة على أن يكون المعنى : ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا ، لأنها في حرف ابن مسعود (أنهم سبقوا) ، فإذا كانت كذلك فهو بمنزلة قولك : حسبت أن أقوم ، وحسبت أقوم على حذف (أن) وتكون (أقوم) تنوب عن الاسم والخبر ، كما أنك إذا قلت : ظننت لزيد خير منك فقد نابت الجملة عن اسم الظن وخبره ... " [8] .

---

(١) آل عمران /١٦٩ . (٢) معاني القرآن وإعرابه ٤٨٨/١ . (٣) الكشاف ٣٨٨/١ .
(٤) آل عمران /١٧٨ . (٥) البقرة /٤٦ . (٦) معاني القرآن وإعرابه ١٢٧/١ .
(٧) الأنفال /٥٩ . (٨) معانيه ٤٢٢/٢ .

وجدير بالذكر أن القراءة بالياء قراءة ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم [1] .

على أي المفعولين تدخل (من) الزائدة ؟

أجاب الزجاج عن ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾[2] ، وقد أورده بقراءة (نتخذ) بالبناء للفاعل ثم قال : " قرأ أبو جعفر المدني وحده : (قَالُواْ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَنْ نُتَّخَذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ) بضم النون على ما لم يسم فاعله ، وهذه القراءة عند أكثر النحويين خطأ ؛ لأن (من) إنما تدخل في هذا الباب في الأسماء إذا كانت مفعولة أولا ، ولا تدخل على مفعول الحال، تقول : ما اتخذت من أحد وليا ، ولا تقول : ما اتخذت من أحد من ولي ؛ لأن (من) إنما دخلت لأنها تنفي واحدا في معنى جميع ، تقول : ما من أحد قائما ، وما من رجل محبا لما يضره ، ولا يجوز : ما رجل محب ما يضره ، ولا وجه لهذه القراءة ، إلا أن الفراء[3] أجازها على ضعف ، وزعم أنه يجعل (من أولياء) هو الاسم ، وجعل الخبر ما في (نتخذ) كأنه يجعله على القلب ، ولا وجه لهذا عندنا البتة ، ولو جاز هذا لجاز في ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[4] : ما أحد عنه حاجزين ، وهذا خطأ لا وجه له فاعرفه ، فإن معرفة الخطأ فيه أمثل من القراءة ، والقراء كلهم يخالفونه ، وهذا منه غلط، ومن الغلط في قراءة الحسن : (وما تنزلت به الشياطون)[5] " [6] .

قلت : قراءة أبي جعفر التي خطأها الزجاج قرأ بها أيضا جماعة منهم : أبو الدرداء، وزيد بن ثابت ، وأبو رجاء ، ونصر بن علقمة ، وزيد بن علي ، وأخوه الباقر [7] ، وقد نقل الألوسي تخطئة الزجاج لها وقال : " لا يخفى عليك أن في الإقدام على القول بأنها خطأ أو ساقطة مع روايتها عمن سمعت من الأجلة خطرا عظيما ، ومنشأ ذلك الجهل ومفاسده لا تحصى " [8] .

وقد وجهت قراءة أبي جعفر بوجهين :

الأول : ما نقله الزجاج عن الفراء ، وإليه ذهب الزمخشري [9] فذكر أن (نتخذ) من

(١) انظر السبعة ص٣٠٧ ، والحجة لأبي علي ٤/١٥٤ .
(٢) الفرقان /١٨ .
(٣) ينظر معاني الفراء ٢/٢٦٤ .
(٤) القلم /٤٧ .
(٥) الشعراء /٢١٠ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/٦٠ ، ٦١ .
(٧) انظر روح المعاني ١٨/٢٤٩ .
(٨) المصدر السابق .
(٩) الكشاف ٣/٢١٣ .

(اتخذ) المتعدي إلى مفعولين ، ومفعوله الأول ضمير المتكلم القائم مقام الفاعل ، والمفعول الثاني (من أولياء) .

والثاني : أن (نتخذ) مما له مفعول واحد ، و(من دونك) صلة ، و(من أولياء) حال ، و(من) زائدة ، ذكره الألوسي .

وقد تقدم الحديث عن قراءة الحسن وحملها على نحو (يبرين) و(فلسطين) أو جعلها مخففة من (الشيّاطين) بتشديد الياء [(١)] .

إجراء القول مجرى الظن عند بني سليم :

سبق أن ذكر ذلك الزجاج في توجيهه لقوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ﴾ ، وذلك في فصل (إن وأخواتها) عند وجوب كسر همزة (إن) [(٢)] .

توجيه نحو (أرأيتك زيدا ما شانه؟) :

تناوله الزجاج في حديثه عن قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ ...﴾ [(٣)] فقال : " وقال النحويون في هذه الكاف التي في (أرأيتكم) غير قول ، قال الفَراء[(٤)] : لفظها لفظ نصب وتأويلها تأويل رفع ، قال : ومثلها الكاف في قوله : دونك زيدا ، قال: الكاف في موضع خفض وتأويلها تأويل الرفع ؛ لأن المعنى : خذ زيدا ، وهذا لم يقله من تقدم من النحويين ، وهو خطأ ؛ لأن قولك : أرأيت زيدا ما شأنه تصير (أرأيت) قد تعدت إلى الكاف وإلى زيد فيصير لـ(رأيت) اسمان ، فيصير المعنى : أرأيت نفسك زيدا ما حاله ، وهذا محال ، والذي يذهب إليه النحويون الموثوق بعلمهم أن الكاف لا موضع لها ، وإنما المعنى : أرأيت زيدا ما حاله ، وإنما الكاف زيادة في بيان الخطاب وهي المعتمد عليها في الخطاب .

اعلم أنك تقول إذا كانت الكاف زائدة للخطاب للواحد المذكر : أرأيتَك زيدا ما حاله بفتح التاء والكاف ، وتقول للمؤنث : أرأيتَكِ زيدا ما حاله يا امرأة ، وتفتح على أصل خطاب الذكر ، وتكسر الكاف لأنها قد صارت آخر ما في الكلمة والمبينة عن الخطاب ، وتقول للاثنين : أرأيتَكما زيدا ما حاله ، وأرأيتَكم زيدا ما حاله للجماعة فتوحد التاء، فكما وجب أن توحدها في التثنية والجمع وجب أن تذكرها مع المؤنث ،

(١) انظر ما سبق ص٣٤. (٢) انظر ما تقدم ص١١٨. (٣) الأنعام/٤٠. (٤) انظر معاني الفراء١/٣٣٣.

فإذا سألت النسوة قلت : أرأيتَكن زيدا ما حاله ، وتثنية المؤنث كتثنية المذكر في كل شيء .

فإن عديت الفاعل إلى المفعول في هذا الباب صارت الكاف مفعولة ، تقول : رأيتني عالما بفلان ، فإذا سألت عن هذا الشرط قلت للرجل : أرأيتَك عالما بفلان ، وتقول للاثنين على هذا : أرأيتُماكما عالمين بفلان ، وللجميع : أرأيتُموكم عالمين بفلان ؛ لأن هذا في تأويل : أرأيتم أنفسكم ، وتقول للمرأة : أرأيتِكِ عالمة بفلان بكسر التاء والكاف ، وتقول للاثنتين : أرأيتُماكما عالمتين بفلان ، وللجماعة : أرأيتُكن عالمات بفلان ، فعلى قياس هذين البابين " [1] .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٤٦ ، ٢٤٧ .

الفصل الحادي عشر

الفاعل

اهتمام الزجاج ببيان الفاعل :

يرد ذلك كثيرا في معانيه ، ومن أمثلة ذلك :

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾[1] : " اسم الفاعل مضمر في (ترى) أي : وترى أنت الناس " [2] ، وستأتي أمثلة كثيرة لذلك هنا .

الفاعل يرفعه الفعل :

قرر ذلك الزجاج في أثناء توجيهه لقوله تعالى:﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[3] عندما قال:" ومن قرأ : (كفلها زكرياء) رفعه بفعله ، فالمعنى ـ فيما ذكره أبو عبيدة ـ : ضمنها ، ومعناه في هذا : ضمن القيام بأمرها ، ومن قرأ : (كفّلها زكرياءَ) بالنصب فالمعنى : وكفلها الله زكرياء " [4] .

قلت : والقراءة الأولى فيما ذكره هنا هي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، والثانية قراءة عاصم في رواية أبي بكر [5] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾[6] : " يرفع (أحدهما) بـ(يبلغن) ، و(كلاهما) عطف عليه ، ويقرأ (يبلغان) ويكون (أحدهما) بدلا من الألف " [7] ، وفي كلامه إشارة إلى أن فاعل (يبلغان) هو ألف الاثنين ، وهذه القراءة قرأ بها حمزة والكسائي [8] .

---

(1) الحج /٢ .

(2) معاني القرآن وإعرابه٣/٤١٠.

(3) آل عمران/٣٧.

(4) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(5) انظر السبعة ص٢٠٤ ، ٢٠٥ ، والحجة لأبي علي ٣/٣٣ .

(6) الإسراء /٢٣ .

(7) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٣٤ .

(8) انظر الحجة لأبي علي ٥/٩٦ .

أحكام الفاعل

الحكم الأول : عدم استغناء الفعل عنه :

قرر الزجاج هذا الحكم في توجيه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ﴾[1] فقال : " (بدا) فعل لا يستغني عن فاعل[2] ، العرب تقول : قد بدا لي بداء ، أي تغير رأيي عما كان عليه ، وأكثر العرب تقول: قد بدا لي ، ولا تذكر (بداء) لكثرته ؛ لأن في الكلام دليلا على تغير رأيه فترك الفاعل وهو مراد ، ثم بين ما البداء فقال : (ليسجننه) "[3] .

الحكم الثاني : تأنيث الفعل له إذا كان مؤنثًا :

تناول الزجاج هذه القضية في مواضع من معانيه هذا بيانها :

- قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾[4] : " (شفاعة) مرفوع لأنه اسم ما لم يسم فاعله ، والاسم إذا لم يسم من فعل به رفع ؛ لأن الفعل يصير حديثا عنه كما يصير حديثا عن الفاعل ، وتقول : لا يقبل منها شفاعة ، ولا تقبل ؛ لأن معنى تأنيث ما لا ينتج غير حقيقة ، فلك في لفظه في الفعل التذكير والتأنيث ، تقول : قبل منك الشفاعة ، وقد قبلت منك الشفاعة ، وكذلك : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾[5] ؛ لأن موعظة ووعظ وشفاعة وشفع واحد ، فلذلك جاز التذكير والتأنيث على اللفظ والمعنى .

وأما ما يعقل ويكون منه النسل والولادة نحو : امرأة ورجل ، وناقة وجمل ، فيصح في مؤنثه لفظ التذكير ،ولو قلت : قام جارتك ، ونُحر ناقتك كان قبيحا وهو جائز على قبحه؛ لأن الناقة والجارة تدلان على معنى التأنيث ،فاجتزئ بلفظهما عن تأنيث الفعل .

فأما الأسماء التي تقع للمذكرين وأصحاب المؤنث فلا بد فيها من علم التأنيث ؛ لأن الكلام للفائدة ، والقصد به الإبانة ، فلو سميت امرأة بـ(قاسم) لم يجز أن يقال : جاءني قاسم فلا يعلم أمذكرا عنيت أم مؤنثا ، وليس إلى حذف هذه التاء إذا كانت

---

(١) يوسف /٣٥ .

(٢) كذا في النسخة المخطوطة ٢٤٨ تفسير من معانيه ، وفي المعاني المطبوع :(بدا : فعل استغنى عن فاعل) ، وسياق الكلام بعده يدل على صحة ما ورد في النسخة المخطوطة؛لأن المعنى هو أن الفاعل في الآية مقدر ، وهو ضمير المصدر المفهوم من الفعل .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٠٤ . (٤) البقرة /٤٨ . (٥) البقرة /٢٧٥ .

فارقة بين معنيين سبيل ، كما انه إذا جرى ذكر رجلين لم يجز أن تقول : قد قام ، ولا يجوز إلا أن تقول : قاما ، فعلامة التأنيث فيما فيه اللبس كعلامة التثنية هاهنا "[1] .

قلت : ظاهر كلام الزجاج هنا أن الفاعل إذا كان مؤنثا حقيقيا فإن تأنيث الفعل له جائز لا واجب ، إلا في حالة وقوع اللبس عند عدم التأنيث كما إذا كان الفاعل المؤنث منقولا من علم لمذكر ، والذي عليه جمهور النحاة أن الفاعل المؤنث الحقيقي يجب تأنيث الفعل له متى كان متصلا به غير مفصول عنه ، ولا فرق في ذلك بين ما يلبس وما لا يلبس ، وقد شذذوا ما حكاه سيبويه [2] من قول بعض العرب : قال فلانة، وذكروا أنه رديء يقتصر فيه على السماع ، فإذا انفصل الفاعل المذكور عن الفعل بفاصل كان تأنيث الفعل له جائزا نحو : حضرت القاضي امرأة ، وهو أكثر من التذكير إلا أن يكون الفصل بـ(إلا) فإن التأنيث حينئذ خاص بالشعر عند الأخفش ، وأجازه ابن مالك في الكلام على قلة نحو : ما حضرت إلا امرأة [3] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾[4] : " (فنادته الملائكة) و(فناداه الملائكة) الوجهان جميعا جائزان ؛ لأن الجماعة يلحقها اسم التأنيث لأن معناها معنى جماعة ، ويجوز أن يعبر عنها بلفظ التذكير كما يقال : جمع الملائكة ، ويجوز أن تقول : نادته الملائكة وإنما ناداه جبرائيل وحده ؛ لأنّ المعنى : أتاه النداء من هذا الجنس ، كما تقول : ركب فلان في السفن وإنّما ركب سفينة واحدة ، تريد بذلك : جعل ركوبه في هذا الجنس " [5] .

قلت : القراءة بالتاء قرأ بها ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر ، وبالألف قرأ بها حمزة والكسائي [6] .

- وذكر الزجاج في توجيه قوله تعالى :﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾[7] قراءتين في (يحل) بالياء والتاء ، وقال : " فمن قرأ بالياء فلأن الياء في معنى جميع النساء ، والنساء تدل على التأنيث ، فيستغنى عن تأنيث (يحل) ، ويجوز (لا تحل) بالتاء على معنى :

---

(1) معاني الزجاج ١/١٢٩ ، ١٣٠ . (2) انظر الكتاب ٢/٣٨ . (3) انظر التصريح ١/٢٧٨ : ٢٨٠ .
(4) آل عمران / ٣٩ . (5) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٠٥ .
(6) انظر السبعة ص٢٠٥ ، والحجة لأبي علي ٣/٣٧ . (7) الأحزاب / ٥٢ .

لا تحل لك جماعة النساء " [1] .

والقراءة بالياء قرأ بها السبعة إلا أبا عمرو فإنه قرأ بالتاء ، وروي عنه أيضا القراءة بالياء [2] .

ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [3] : " (يناله التقوى منكم) و(تناله)، فمن أنث فللفظ التقوى، ومن ذكر فلأن معنى التقوى والتقى معنى واحد" [4] .

ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ [5] : " جاز تذكير (جاءه) وقال تعالى في موضع آخر : ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [6] لأن كل تأنيث ليس بحقيقي فتذكيره جائز ، ألا ترى أن الموعظة والوعظ معبران عن معنى واحد" [7] .

ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ [8] : " فأما قوله : (بيت طائفة منهم) فذكر ولم يقل :(بيتت) فلأن كل تأنيث غير حقيقي فتعبيره بلفظ التذكير جائز ، تقول: قالت طائفة من أهل الكتاب ، وقال طائفة من المسلمين ؛ لأن طائفة وفريقا في معنى واحد ، فكذلك قوله عز وجل : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني الوعظ إذا قلت : فمن جاءه موعظة " [9] .

ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [10] : " دخلت التاء و(قوم) مذكرون لأن المعنى : كذبت جماعة قوم نوح " [11] .

الحكم الثالث : إفراد الفعل إذا كان فاعله مثنى أو جمعا :

تحدث الزجاج عن هذا الحكم في موضعين :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [12] ، وفيه يقول : " في (أسروا) قولان : أجودهما أن يكون (الذين) في موضع رفع بدلا من الواو في (أسروا) أو مبينا عن معنى الواو ، والمعنى : إلا استمعوه وهم يلعبون ، وأسروا النجوى ، ثم بين من هم هؤلاء فكان بدلا من الواو .

(1) معاني القرآن وإعرابه 4/234 . (2) انظر السبعة ص523 ، والحجة لأبي علي 5/479 .
(3) الحج /37 . (4) معاني القرآن وإعرابه 3/429 . (5) البقرة /275 .
(6) يونس /57 . (7) معاني القرآن وإعرابه 1/358 . (8) النساء /81 .
(9) معاني القرآن وإعرابه2/81 ، 82 . (10) الشعراء /105 .
(11) معاني القرآن وإعرابه 4/95 . (12) الأنبياء /3 .

ويجوز أن يكون رفعا على الذم على معنى : هم الذين ظلموا ، ويجوز أن يكون في موضع نصب على معنى : أعني الذين ظلموا " [1] .

وفي كلامه إشارة إلى أن الفاعل إذا دل على جمع لم يلحق بفعله علامة تدل عليه ، وقد اقتصر سيبويه [2] في توجيه الآية على الوجه الأول مما ذكره الزجاج .

الثاني : قال في توجيه قوله تعالى : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [3] : " قال أبو عبيدة : (ليسوا سواء) جمع (ليس) وهو متقدم كما قال القائل : أكلوني البراغيث ، وكما قال : ﴿عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ [4] ، وهذا ليس كما قال ؛ لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى فأخبر الله أنهم غير متساوين فقال : ليسوا سواء " [5] .

وإنما ذكرت هذا الموضع لأن اسم (كان) وأخواتها عند النحويين بمنزلة الفاعل ، وسيأتي توجيه الزجاج لقوله تعالى : ﴿عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ في فصل البدل .

ارتفاع الاسم الظاهر بالجار والمجرور أو الظرف :

تقدم حديثه في فصل المبتدأ والخبر .

حذف الفعل للدلالة :

يذهب الزجاج إلى جواز حذف فعل الفاعل أو نائبه من اللفظ إذا أجيب بالكلام استفهام مقدر ، ويدل على ذلك ما قاله في توجيه قوله تعالى ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ﴾ [6] ، وفيه يقول : " المعنى : يسبح لله رجال في بيوت أذن الله أن ترفع ، وتقرأ (يُسبَّح) ويرفع (رجال) ههنا على تفسير ما لم يسم فاعله ، فيكون المعنى أنه لما قال : يسبَّح له فيها كأنه قيل : من يسبح له ؟ فقيل : يسبح رجالٌ ، كما قال الشاعر :

ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما يطيح الطوائح [7] " [8]

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٨٣ ، ٣٨٤ . (٢) انظر الكتاب ٢/٤١ .
(٣) آل عمران /١١٣ . (٤) المائدة /٧١ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٥٨ . (٦) النور /٣٦ ، ٣٧ .
(٧) من بحر الطويل للحارث بن نهيك أو غيره ، من شواهد الكتاب ١/٢٨٨ وقد تأوله سيبويه بأنه على تقدير : ليبكه ضارعٌ ، وانظره في شرح الكافية للرضي ١/١٧٣ ، والخزانة ٨/١٣٩ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٤/٤٥ ، ٤٦ .

جواز زيادة باء الجر مع الفاعل :

يشير إلى ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [1] حيث يقول : " موضع الباء رفع ، والمعنى : وكفينا حاسبين ، و(حاسبين) منصوب على وجهين : على التمييز وعلى الحال ، ودخلت الباء في (كفى بنا) لأنه خبر في معنى الأمر ، معناه: اكتفوا بالله حسيبا " [2] .

(١) الأنبياء /٤٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٩٤ .

الفصل الثاني عشر

نائب الفاعل

اسمه عند الزجاج : (اسم ما لم يسم فاعله)

وقد جاءت تلك التسمية فيما تقدم من توجيهه لقوله تعالى : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [1] ، وقال في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [2] : " (الأرض) مرفوعة على اسم ما لم يسم فاعله ، و(غير) منصوبة على منصوب ما لم يسم فاعله "[3] .

وقد يسميه الفاعل تجوزا كما ورد في قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [4] ، وفي توجيهه يقول : " الذي في المصحف بنون واحدة ؛ لأن النون الثانية تخفى مع الجيم ، فأما ما يروى عن عاصم بنون واحدة فلحن لا وجه له ؛ لأن ما لم يسم فاعله لا يكون بغير فاعل ، وقد قيل : نجى النجاءُ المؤمنين ، وهذا خطأ بإجماع النحويين ، لا يجوز نحو : (ضرب زيدًا) تريد : ضرب الضربُ زيدًا ؛ لأنك إذا قلت : ضرب زيدًا ، فقد علم أن الذي ضربه ضرب ، فلا فائدة في إضماره وإقامته مقام الفاعل " [5] .

قلت : قراءة عاصم في الآية تنسب أيضا إلى ابن عامر[6]، وقد حملها الزجاج ـ كما ترى ـ على اللحن ، ورد وجها يمكن حملها عليه ، وهذا الوجه الذي رده هو توجيه الفراء[7] لتلك القراءة ، وهو يتفق مع مذهب سائر الكوفيين في تجويز إقامة غير المفعول به مقام الفاعل مع وجود المفعول به ، ويوافقهم في ذلك الأخفش كما نقل العلماء [8] ، ففي دعوى الزجاج الإجماع على خطأ ذلك الوجه نظر .

---

(١) انظر فصل الفاعل ص١٤٨ . (٢) إبراهيم /٤٨ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٦٩/٣ . (٤) الأنبياء /٨٨ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤٠٣/٣ .

(٦) انظر شرح طيبة النشر ص٣٥١ ، والكشف ١١٣/٢ ، والبحر ٣٣٥/٦ .

(٧) انظر معاني الفراء ٢١٠/٢ .

(٨) انظر خزانة الأدب ٣٣٧/١ ، والتصريح ٢٩١/١ ، وشرح الأشموني ٦٨/٢ .

ما ينوب عن الفاعل بعد حذفه :

تقدم في توجيه الزجاج لقوله تعالى : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ الإشارة إلى نيابة المفعول به عنه [1] ، وتقدم في توجيهه لقوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أنه لا يجوز عنده نيابة المصدر أو ضميره مع وجود المفعول به [2] .

وقد تحدث عن نيابة المصدر والجار والمجرور في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[3] حيث قال : " القراءة بالرفع في (نفخة) على ما لم يسم فاعله ، وذكر الأخفش (نفخةً واحدةً) بالنصب ، ولم يذكر قرئ بها أم لا ، وهي في العربية جائزة على أن قولك (في الصور) يقوم مقام ما لم يسم فاعله ، تقول : نفخ في الصور نفخا ، فـ(في الصور) على لفظ الجر ، والمعنى : نفخ الصور نفخة واحدة ، ومن رفع على معنى (نفخ نفخةٌ) جاز ؛ لأنه تأنيث ليس بحقيقي ؛ لأن النفخة والنفخ بمعنى واحد، ومثله : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾[4] ، المعنى معنى الوعظ ، وقال في موضع آخر : قد جاءتكم موعظة [5] " [6] .

قلت : النصب في (نفخة) قراءة غير متواترة تنسب لأبي السمال ، وقد وجهها الزمخشري والسمين والألوسي [7] كما وجهها الزجاج .

أحكام نائب الفاعل :

ذكر الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ أن ما ينوب عن الفاعل حكمه الرفع [8] .

وصرح في توجيه قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن ما لم يسم فاعله لا يكون بغير فاعل يعني نائب الفاعل ، وهذا معناه أنه لا بد منه كالفاعل [9] .

وتكلم عن تأنيث الفعل مع نائب الفاعل المؤنث في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ، وتقدم كلامه في

---

(1) انظر ص١٦٨ في فصل الفاعل . (2) انظر ص١٧٣ . (3) الحاقة /١٣ .
(4) البقرة /٢٧٥ . (5) يونس /٥٧ . (6) معاني القرآن وإعرابه ٥/٢١٦ .
(7) انظر الكشاف ٤/٤٨١ ، والدر المصون ١٠/٤٢٨ ، وروح المعاني ٢٩/٥٤ .
(8) انظر ص١٦٨. (9) انظر ص١٦٨.

الموضعين [1] ، وقال في قوله تعالى : ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [2] : " (الحياة الدنيا) رفع على ما لم يسم فاعله ، و(زين) جاز فيه لفظ التذكير ، ولو كانت (زينت) لكان صوابا ، و(زين) صواب حسن ؛ لأن تأنيث الحياة ليس بحقيقي ؛ لأن معنى الحياة ومعنى العيش واحد ، وقد فصل أيضا بين الفعل وبين الاسم المؤنث " [3] .

تغيير صيغة الفعل عند بنائه للمجهول :

تحدث عن ذلك الزجاج في ثلاثة مواضع من معانيه :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [4] حيث قال : " الأصل في (قيل) : قُوِلَ ، ولكن الكسرة نقلت إلى القاف ؛ لأن العين من الفعل في قولك (قال) نقلت من حركة إلى سكون ، فيجب أن تلزم هذا السكون في سائر تصرف الفعل ، وبعضهم يروم الضمة في (قيل) ، وقد يجوز في غير القرآن : قد قول ذاك ، وأفصح اللغات : قيل ، ﴿وَغِيضَ﴾[5] ، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾[6] ، وإن شئت قلت : قيل وغيض وسيق ، تروم في سائر أوائل ما لم يسم فاعله الضم في هذا الباب " [7] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾[5] : " يجوز إشمام الضم في العين " [8] .

وقال في قوله تعالى : ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [9] : " وقرئت : سيئت بإشمام السين الضم " [10] .

قلت : قد فرق العلماء بين الإشمام والروم فذكروا أن الإشمام تحريك الشفتين بالحركة دون صوت ، ولا يكون إلا في المضموم ، وأن الروم اختلاس للحركة وتضعيف لها كأن المتلفظ بها يرومها ، ويكون في الرفع والجر جميعا [11] ، والظاهر أن الزجاج يسوي بينهما .

---

(1) انظر ص١٦٨ ، ١٧٤ .
(2) البقرة /٢١٢ .
(3) معاني القرآن وإعرابه ٢٨١/١ .
(4) البقرة /١١ .
(5) هود /٤٤ .
(6) الزمر /٧٣ .
(7) معاني القرآن وإعرابه ٨٧/١ .
(8) معاني القرآن وإعرابه ٥٥/٣ .
(9) الملك /٢٧ .
(10) معاني القرآن وإعرابه٥/٢٠٠.
(11) انظر الحجة لأبي علي الفارسي ٦٣/١ وما بعدها ، والإقناع في القراءات السبع ٥٣٥/١ .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ [1] ، وقد أورده الزجاج على قراءة ضم الراء وقال : " الأصل (رُدِدَت) فأدغمت الدال الأولى في الثانية وبقيت الراء مضمومة ، ومن كسر الراء جعل كسرتها منقولة من الدال كما فعل ذلك في (قيل) و(بيع) ؛ ليدل على أن أصل الدال الكسر ، وقد حكى قطرب أنه يقال في (ضرب زيد) : ضُرْب زيد ، وضِرْب زيد بكسر الضاد ، لما أسكن الراء نقل كسرتها إلى الضاد " [2] .

الثالث : في توجيه قوله تعالى : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾[3] ، وفيه يقول : " وإنما ضمت الألف في قوله (اتبعوا) لضمة التاء ، والتاء ضمت علامة ما لم يسم فاعله .

فإن قال قائل : فما لم يسم فاعله مضموم الأول ، والتاء المضمومة في (اتبعوا) ثالثة ، قيل : إنما يضم لما لم يسم فاعله الأول من متحركات الفعل ، فإذا كان في الأول ساكن اجتلبت له ألف الوصل وضم ما كان متحركا ، فكان المتحرك من (اتبعوا) التاء الثانية فضمت دليلا على ترك الفاعل ، وأيضا فإن في (اتبعوا) ألف وصل دخلت من أجل سكون فاء الفعل ؛ لأن مثاله من الفعل (افتعلوا) فالألف ألف وصل ولا يبنى عليه ضمة الأول في فعل لم يسم فاعله ، والفاء ساكنة ، والساكن لا يبنى عليه ، فلم يبق إلا الثالث وهو التاء فضمت علما للفعل الذي لم يسم فاعله فكان الثالث لهذه العلة هو الأول " [4] .

جواز إنابة أي المفعولين فيما تعدى إليهما :

قرر الزجاج ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ ، وسيأتي كلامه في فصل المفعول فيه .

---

(١) يوسف /٦٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٨ .

(٣) البقرة /١٦٦ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٣٩ ، ٢٤٠ .

الفصل الثالث عشر

الاشتغال

تمهيد :

إذا اشتغل فعل متأخر بنصبه لمحل ضمير اسم متقدم عن نصبه للفظ ذلك الاسم نحو: زيدا ضربته ، أو لمحله نحو : هذا ضربته ، فالأصل أن ذلك الاسم يجوز فيه وجهان : أحدهما راجح لسلامته من التقدير وهو الرفع بالابتداء ، والثاني مرجوح لاحتياجه إلى التقدير وهو النصب ، فإنه بفعل موافق للفعل المذكور محذوف وجوبا ، فما بعده لا محل له ؛ لأنه مفسر ، وقد يعرض لهذا الاسم المتقدم ما يوجب نصبه ، وما يرجحه ، وما يسوي بين الرفع والنصب [1] .

وفي معاني الزجاج أمثلة كثيرة لهذا الباب ، ويمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام :

القسم الأول : أمثلة المشتغل عنه فيها منصوب :

قال في قوله تعالى : ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ [2] : " (رسلا) منصوب من جهتين : أجودهما أن يكون منصوبا بفعل مضمر الذي ظهر يفسره ، المعنى : وقد قصصنا رسلا عليك قد قصصناهم ، كما تقول : رأيت زيدا وعمرا أكرمته ، وجائز أن يحمل (ورسلا) على معنى : إنا أوحينا إليك ؛ لأن معناه : إنا أرسلنا إليك موحين إليك ، وأرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك " [3] .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [4] : " (إياي) منصوب بفعل مضمر الذي ظهر يفسره ، المعنى : إياي فاعبدوا فاعبدوني ، فاستغني بأحد الفعلين ، أعني بالثاني عن إظهار الأول ، وإذا قلت : فإياي فاعبدوا ، فإياي منصوب بما بعد الفاء ، ولا تنصبه بفعل مضمر ، كما أنك إذا قلت : بزيد فامرر فالباء معلقة بامرر ، والمعنى : إن

---

(1) انظر التصريح ١/٢٩٦ .
(2) النساء /١٦٤ .
(3) معاني القرآن وإعرابه ٢/١٣٣ .
(4) العنكبوت /٥٦ .

أرضي واسعة فاعبدوني ، والفاء إذا قلت : (زيدا فاضرب) لا تصلح إلا أن تكون جوابا للشرط ، كأن قائلا قال : أنا لا أضرب عمرا ولكني أضرب زيدا ، فقلت أنت مجيبا له: فاضرب زيدا ، ثم قلت : زيدا فاضرب " [1] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ...﴾ [2] : " هذه الآية صعبة في التفسير ، ومعناها ـ والله أعلم ـ يحتمل ضربين : أحدهما أن يكون المعنى في قوله : (ورهبانية ابتدعوها) : وابتدعوا رهبانية ، كما تقول : رأيت زيدا وعمرا أكرمته ، ويكون (ما كتبناها عليهم) معناه : لم نكتب عليهم ألبتة ، ويكون (إلا ابتغاء رضوان الله) بدلا من الهاء والألف ، فيكون المعنى : ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ، وابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به ، هذا ـ والله أعلم ـ وجه .

وفيها وجه آخر في (ابتدعوها) : جاء في التفسير أنهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا أسرابا وصوامع فابتدعوا ذلك ، فلما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع ودخلوا فيه لزمهم تمامه " [3] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾[4]: " نصب (الأنعام) على فعل مضمر ، المعنى : خلق الأنعام خلقها " [5] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾[6] : " (وقرآنا) منصوب بفعل مضمر " [7] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾[8] : " (قوم نوح) منصوب على معنى : وأغرقنا قوم نوح " [9] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ [10] : " (كلا) منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره ، المعنى : وأنذرنا كلا ضربنا له الأمثال " [11] .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ [12] : " (بشرا) منصوب بفعل مضمر

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/١٧٢ ، ١٧٣ .
(٢) الحديد /٢٧ .
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/١٣٠ .
(٤) النحل /٥ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٩٠ .
(٦) الإسراء /١٠٦ .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٦٣ .
(٨) الفرقان /٣٧ .
(٩) معاني القرآن وإعرابه ٤/٦٨ .
(١٠) الفرقان /٣٩ .
(١١) معاني القرآن وإعرابه ٤/٦٨ .
(١٢) القمر /٢٤ .

الذي ظهر يفسره ، المعنى : أنتبع بشرا "[1] .

وقال في قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[2] : " ونصب (كل شيء) بفعل مضمر ، المعنى : إنا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر "[3] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾[4] : " (وكل) منصوب بفعل مضمر تفسيره : (أحصيناه كتابا) ، المعنى : وأحصينا كل شيء أحصيناه "[5] .

القسم الثاني : أمثلة المشتغل عنه فيها مرفوع :

قال في قوله تعالى : ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾[6] : " فإن قال قائل : إنما قيل : (وإن امرأة خافت) ولم يقل : وإن نشز رجل على المرأة ؛ لأن الخائف من الشيء ليس بمتيقن له ، فالجواب في هذا: إن خافت الإقامة منه على النشوز والإعراض، وليس أن تخاف الإقامة إلا وقد بدا منه شيء .

فأما التفرقة بين (إن) الجزاء والفعل الماضي فجيد ، ولكن إن وقعت التفرقة بين (إن) والفعل المستقبل فذلك قبيح ، إن قلت:إن امرأة تخف[7] فهو قبيح ؛ لأن (إن) لا يفصل بينها وبين ما يجزم ،وذلك في الشعر جائز في (إن) وغيرها ، قال عدي بن زيد :

فمتى واغل ينبهم يحيو ه وتعطف عليه كأس الساقي[8]

فأما الماضي فـ(إن) غير عاملة في لفظه،و(إن) أم حروف الجزم،فجاز أن تفرق بينها وبين الفعل ، و(امرأة) ارتفعت بفعل مضمر يدل عليه ما بعد الاسم ، المعنى : إن خافت امرأة خافت ، فأما غير (إن) فالفصل يقبح فيه مع الماضي والمستقبل جميعا ، لو قلت: (متى زيد جاءني أكرمته) كان قبيحا،ولو قلت:(إن الله أمكنني فعلت) كان حسنا جميلا "[9].

وقال في قوله تعالى : ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ...﴾[10] : " جاز مع (إن) تقديم الاسم قبل الفعل ؛ لأن (إن) لا تعمل في الماضي ، ولأنها أم الجزاء ، والنحويون يذهبون إلى أن معها فعلا مضمرا الذي ظهر يفسره ، والمعنى : إن هلك امرؤ هلك "[11] .

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ٥/٨٩ .
(2) القمر /٤٩ .
(3) معاني القرآن وإعرابه ٥/٩٢ .
(4) النبأ /٢٩ .
(5) معاني القرآن وإعرابه ٥/٢٧٤ .
(6) النساء /١٢٨ .
(7) هذا الجزم هو المناسب للسياق ، وفي المعاني المطبوع : تخاف .
(8) من البحر الخفيف ، ومن شواهد الكتاب ٣/١١٣ .
(9) معاني القرآن وإعرابه٢/١١٦، ١١٧.
(10) النساء /١٧٦ .
(11) معاني القرآن وإعرابه ٢/١٣٦ .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [1] : " وأما الإعراب في (أحد) مع (إن) فالرفع بفعل مضمر الذي ظهر يفسره ، المعنى : وإن استجارك أحد ، ومن زعم أنه يرفع (أحد) بالابتداء فخطأ ؛ لأن الجزاء لا يتخطى ما يرفع بالابتداء ويعمل فيما بعده ، فلو أظهرت المستقبل لقلت : إن أحد يقم أكرمه ، ولا يجوز : إن يقم أحد زيد يقم ، لا يجوز أن ترفع زيدا بفعل مضمر الذي ظهر يفسره ويجزم ، وإنما جاز في (إن) لأن (إن) يلزمها الفعل ، وجواب الجزاء يكون بالفعل وغيره ، ولا يجوز أن تضمر وتجزم بعد المبتدأ ؛ لأنك تقول ههنا : إن تأتني فزيد يقوم ، فالموضع موضع ابتداء .

وإنما يجوز الفصل في باب (إن) لأن (إن) أم الجزاء ولا تزول عنه إلى غيره ، فأما أخواتها فلا يجوز ذلك فيها إلا في الشعر ، قال عدي بن زيد :

فمتى واغل ينبهم يحيو ∗ وتعطف عليه كأس الساقي [2] " [3]

وقال في قوله تعالى : ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ [4] : " فأما (أنتم) فمرفوعة بفعل مضمر :قل لو تملكون أنتم ، (لو) يقع بها الشيء لوقوع غيره فلا يليها إلا الفعل، وإذا وليها الاسم عمل فيه الفعل المضمر ، ومثله من الشعر :

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي ∗ نصبت لهم فوق العرانين ميسما [5] " [6]

القسم الثالث : أمثلة أجاز فيها الزجاج

في المشتغل عنه الرفع والنصب واختار النصب :

ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [7] حيث قال في توجيهه : " نصب - يعني إياي - بالأمر ، كأنه في المعنى : ارهبوني ، ويكون الثاني تفسير هذا الفعل المضمر ، ولو كان في غير القرآن لجاز :وأنا فارهبون ، ولكن الاختيار في الكلام والقرآن والشعر : وإياي

---

(١) التوبة /٦ .
(٢) تقدم البيت هنا .
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢/٤٣١ ، ٤٣٢ .
(٤) الإسراء /١٠٠ .
(٥) البيت من الطويل ، وقائله المتلمس ، والميسم : أثر الوسم ، وانظره في اللسان (نقص) و(وسم) ، والأصمعيات ص٢٤٥ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ١٦١/٣ .
(٧) البقرة /٤٠ .

فارهبون " [1] ، قلت : وقد تقدم توجيه مثل هذه الآية ، ولم يذكر هناك غير حكم النصب [2] .

قوله تعالى : ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[3] ، وفيه يقول : " (لوطا) منصوب بفعل مضمر ؛ لأن قبله فعل مضمر ، فالمعنى : وأوحينا إليهم وآتينا لوطا حكما وعلما ، والنصب ههنا أحسن من الرفع ؛ لأن قبله فعل ، وقد ذكر بعض النحويين أنه منصوب على : واذكر لوطا ، وهذا جائز ؛ لأن ذكر إبراهيم قد جرى فحمل لوطا على معنى (واذكر) " [4] .

قوله تعالى : ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ﴾ [5] ، وفيه يقول : " النصب أحسن - يعني في (البدن) - لأن قبله فعلا ، المعنى : وجعلنا البدن ، ينتصب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره ، وإن شئت رفعت على الاستئناف " [6] .

قوله تعالى : ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[7] ، وفيه يقول : " نصب (الظالمين) لأن قبله مضمر منصوب ، المعنى : يدخل من يشاء في رحمته ، ويعذب الظالمين أعد لهم عذابا أليما ، ويكون (أعد لهم) تفسيرًا لهذا المضمر ، وقرئت : (والظالمون أعد لهم عذابا أليما) ، ولا أرى القراءة بها من جهتين : إحداهما خلاف المصحف ، والأخرى وإن كانت تجوز في العربية على أن ترفع الظالمين بالابتداء والذي بعد الظالمين خبر الابتداء فإن الاختيار عند النحويين النصب ، يقول النحويون : أعطيت زيدا وعمرا أعددت له برا ، فيختارون النصب على معنى : وبررت عمرا وأبر عمرا أعددت له برا ، فلا يختار للقرآن إلا أجود الوجوه ، وهذا مع موافقة المصحف " [8] .

قلت : والرفع هنا قراءة غير متواترة تنسب إلى أبان بن عثمان وابن الزبير وابن أبي عبلة[9]،وقد وجهها العكبري[10]ومكي[11]والزمخشري[12]والألوسي[13]كما وجهها الزجاج .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/١٢١ .
(٢) انظر ص١٧٧ في هذا الفصل .
(٣) الأنبياء /٧٤ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٩٨ ، ٣٩٩ .
(٥) الحج /٣٦ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/٤٢٧ ،٤٢٨ .
(٧) الإنسان /٣١ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥/٢٦٤ .
(٩) انظر روح المعاني ٢٩/٢١٣ .
(١٠) إملاء ما من به الرحمن ٤/٤٤١ .
(١١) الكشف ٢/٤٤٣ .
(١٢) الكشاف ٤/٥٤١ .
(١٣) روح المعاني ٢٩/٢١٣ .

القسم الرابع : أمثلة أجاز فيها الزجاج
في المشتغل عنه الرفع والنصب واختار الرفع :

ومن ذلك :

توجيه قوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [1] ، وفيه يقول : " اختلف النحويون في تفسير الرفع فيهما ـ يعني السارق والسارقة ـ قال سيبويه وكثير من البصريين : إن هذا وقوله : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [2] وقوله : ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا﴾[3] هذه الأشياء مرفوعة على معنى : وفيما فرض الله عليكم السارق والسارقة والزانية والزاني ، أو : السارق والسارقة ... فيما فرض الله عليكم ، ومعنى قولهم هذا : فيما فرض عليكم حكم السارق والسارقة ، وقال سيبويه[4] : الاختيار في هذا النصب في العربية كما تقول : زيدا اضربه ، وقال : أبت العامة القراءة إلا بالرفع ، يعني بالعامة الجماعة .

وقرأ عيسى بن عمر : (والسارقَ والسارقةَ فاقطعوا أيديهما) وكذلك (الزانيةَ والزاني) ، وهذه القراءة وإن كان القارئ بها مقدما لا أحب أن يقرأ بها ؛ لأن الجماعة أولى بالاتباع إذ كانت القراءة سنة .

قال أبو إسحاق : ودليلي أن القراءة الجيدة بالرفع في (الزانية والزاني) (والسارق والسارقة) قوله جل ثناؤه : (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما) .

وقال غير سيبويه من البصريين وهو محمد بن يزيد المبرد : أختار أن يكون (والسارق والسارقة) رفعا بالابتداء ؛ لأن القصد ليس إلى واحد بعينه ، فليس هو مثل قولك : زيدا فاضربه ، إنما هو كقولك : من سرق فاقطع يده ، ومن زنى فاجلده ، وهذا القول هو المختار ، وهو مذهب بعض البصريين والكوفيين " [5] .

توجيه قوله تعالى : ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ...﴾[6] ، وفيه يقول : " موضع (كم) رفع بالابتداء وخبرها : أهلكناها ، وهو أحسن من أن تكون في موضع نصب ؛ لأن قولك : زيد ضربته أجود من : زيدا ضربته ، والنصب جيد عربي أيضا ، ومثله قوله جل وعز : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [7] " [8] .

---

(1) المائدة /٣٨ . (2) النور /٢ . (3) النساء /١٦ .
(4) انظر الكتاب ١/١٤٢ : ١٤٤ . (5) معاني القرآن وإعرابه ٢/١٧١ ، ١٧٢ . (6) الأعراف /٤ .
(7) القمر /٤٩ . (8) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣١٨ .

قلت : وقد سبق توجيهه للآية ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ولم يذكر هناك رفع (كل) بل اكتفى بتوجيه نصبه [1] .

توجيه قوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا ... ﴾ [2] ، وفيه يقول : " القراءة بالرفع ، وقرأ عيسى بن عمر بالنصب (الزانيةَ والزانيَ) بفتح التاء ، وزعم الخليل وسيبويه [3] والكوفيون أن الاختيار الرفع .

قال أبو إسحاق : كذلك هو عندي ؛ لأن الرفع كالإجماع في القراءة ، وهو أقوى في العربية ، لأن معناه معنى : من زنى فاجلدوه ، فتأويله الابتداء ، وقال الخليل وسيبويه : إن الرفع على معنى : وفيما فرض عليكم ، والدليل على أن الرفع الاختيار قوله : ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا ﴾ [4] ، وإنما اختار غير الخليل وسيبويه النصب لأنه أمر وأن الأمر بالفعل أولى ، والنصب جائز على معنى : اجلدوا الزانية والزاني " [5] .

توجيه قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ [6] ، وقد أورده برفع (ثمود) وقال : " القراءة الجيدة إسقاط التنوين من (ثمود) ، ويقرأ (ثمودَ) بالنصب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره ... والاختيار رفع (ثمود) على الابتداء والخبر ، وهذا مذهب جميع النحويين : اختيار الرفع ، وكلهم يجيز النصب " [7] .

قلت : القراءة بنصب (ثمود) مع ترك صرفه قراءة غير متواترة نسبها الفراء [8] إلى الحسن ، وذكر مكي [9] أنها رويت عن الأعمش وعاصم .

القسم الخامس : أمثلة أجاز فيها الزجاج
في المشتغل عنه الرفع والنصب ولم يختر أحدهما :

ومن ذلك :

قال في قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ [10] : " المعنى في النصب : وفصلنا كل شيء تفصيلا ، فـ(كل) منصوب بفعل مضمر الذي ظهر يفسره ، وهو (فصلناه) ، ويجوز : وكلُّ شيء فصلناه تفصيلا ، وكذلك الرفع والنصب في قوله :

---

(1) انظر ص١٥٩ . (2) النور /٢ . (3) انظر الكتاب ١٤٢/١ ، ١٤٣ .
(4) النساء /١٦ . (5) معاني القرآن وإعرابه ٢٧/٤ ، ٢٨ . (6) فصلت /١٧ .
(7) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٣/٤ . (8) معاني الفراء ١٤/٣ .
(9) المشكل ٢٧١/٢ . (10) الإسراء /١٢ .

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [1] إلا أني لا أعلم أحدا قرأ بالرفع " [2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ [3] : " هذا وقف على التمام ، ويقبح رفعه على الابتداء وأن يكون الخبر (لا تقتلوه) فيكون كأنه قد عرف أنه قرة عين له ، ويجوز رفعه على الابتداء على بعد على معنى : إذا كان قرة عين لي ولك فلا تقتله ، ويجوز النصب ، ولكنه لا يقرأ به ؛ لأنه لم تأت فيه رواية قراءة ، والنصب على معنى : لا تقتلوا قرة عين لي ولك لا تقتلوه ، كما تقول : زيدا لا تضربه " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [5] : " يقرأ بالنصب والرفع ، فالنصب على : وقدرنا القمر قدرناه ، والرفع على معنى : وآية لهم القمر قدرناه ، ويجوز أن يكون على الابتداء و(قدرناه) الخبر " [6] .

قلت : والقراءتان هنا سبعيتان ، فرفع (القمر) قرأ به نافع وابن كثير وأبو عمرو، والنصب قرأ به الباقون [7] .

(1) الإسراء /14 .

(2) معاني القرآن وإعرابه 3/230 .

(3) القصص /9 .

(4) معاني القرآن وإعرابه 4/133 ، 134 .

(5) يس /39 .

(6) معاني القرآن وإعرابه 4/287 .

(7) انظر حجة القراءات ص599.

الفصل الرابع عشر

التعدي واللزوم

علامة الفعل المتعدي :

قد يكون بيان الفعل المتعدي وتمييزه عن اللازم بالنص على المفعول به في الجملة ، ومن أمثلة ذلك عند الزجاج :

توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [1] ، وفيه يقول الزجاج : " النصب في الميتة وما عطف عليها هو القراءة ، ونصبه لأنه مفعول به ... " [2] .

توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ [3] ، وفيه يقول : " يقرأ (يورَث) و(يورِث) بفتح الراء وكسرها ، فمن قرأ (يورِث) بالكسر فـ(كلالة) مفعول ، ومن قرأ (يورَث) فـ(كلالة) منصوب على الحال " [4] .

قلت : والقراءة بكسر الراء من (يورث) قراءة غير متواترة تنسب إلى الحسن [5] .

توجيه قوله تعالى : ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [6] ، وفيه يقول : " (مثلا) منصوب مفعول به ، و(أصحاب القرية) بدل من مثل ، كأنه قال : اذكر لهم أصحاب القرية ، أي : خبر أصحاب القرية " [7] .

ترتيب المفعول به في الجملة :

معلوم أن رتبة المفعول به أن يتأخر عن الفاعل ، لكن قد يتقدم المفعول به على الفعل ، ومثال ذلك عند الزجاج :

توجيه قوله تعالى : ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [8] ، وفيه يقول : " فأما إعراب

---

(1) البقرة / ١٧٣ . (2) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٢/١ ، ٢٤٣ . (3) النساء / ١٢ .
(4) معاني القرآن وإعرابه ٢٥/٢ . (5) انظر البحر المحيط ١٨٩/٣ . (6) يس / ١٣ .
(7) معاني القرآن وإعرابه ٢٨١/٤ . (8) الأنعام / ١٤٣ .

(الذكرين) فالنصب بـ(حرم) " [١] .

حذف المفعول به :

من أمثلته عند الزجاج :

توجيه قوله تعالى : ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ...﴾ [٢] ، وفيه يقول : " أي : تؤتي الملك من تشاء أن تؤتيه ، وكذلك ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ أن تنزعه منه ، إلا أنه حذف لأن في الكلام ما يدل عليه " [٣] .

توجيه قوله تعالى :﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾[٤]، وفيه يقول :"المعنى : وهم يصدون عن المسجد الحرام أولياءه ، وما كانوا أولياءه " [٥] .

حذف الناصب للمفعول به :

خرج الزجاج على ذلك آيات كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [٦] ، وفيه يقول : " الرفع في (غشاوة) هو الباب ، وعليه مذهب القراء ، والنصب جائز في النحو على أن المعنى : وجعل على أبصارهم غشاوة ، كما قال الله عز وجل في موضع آخر : ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [٧] ، ومثيله من الشعر مما حمل على معناه :

يا ليت بعلك قد غدا　　متقلدا سيفا ورمحا [٨]

معناه : متقلدا سيفا وحاملا رمحا ، ويروى (غشوة) ، والوجه ما ذكرناه ، وإنما (غشوة) رد إلى الأصل ، لأن المصادر كلها ترد إلى فعلة ، والرفع والنصب في (غشوة) مثله في (غشاوة) " [٩] .

قلت : لم يصرح الزجاج هنا بأن النصب في (غشاوة) قرئ به ، بل جعله وجها نحويا جائزا ، وقد صرح بعض العلماء كالعكبري [١٠] بأن النصب قراءة ، وكذلك فعل

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣٠٠ . (٢) آل عمران /٢٦ . (٣) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٩٧ .

(٤) الأنفال /٣٤ . (٥) معاني القرآن وإعرابه ٢/٤١٢ .

(٦) البقرة /٧ . (٧) الجاثية /٢٣ .

(٨) من مجزوء الكامل ، وينسب لعبد الله بن الزبعرى ، وقد رواه ابن جني في الخصائص ٢/٤٣١ ، والمبرد في الكامل ٢/٦٥٦ * يا ليت زوجك ...* .

(٩) معانيه ١/٨٤ . (١٠) إملاء ما من به الرحمن ١/٤٠ .

مكي [1] ، ونسب قراءته لعاصم ، ونسبها أبو حيان [2] للمفضل .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾[3]، وفيه يقول :" تنصب الملة على تقدير : بل نتبع ملة إبراهيم ... " [4] .

قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللهِ ﴾[5] ، وفيه يقول : " يجوز أن تكون (صبغة) منصوبة على قوله : بل نتبع ملة إبراهيم ، أي بل نتبع صبغة الله ... " [6] .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾ [7] ، وفيه يقول : " ... وقيل : (آزر) اسم صنم ، فإذا كان اسم صنم فموضعه نصب على إضمار الفعل كأنه قال : وإذ قال إبراهيم لأبيه أتتخذ آزر إلها ؟ أتتخذ أصناما آلهة " [8] .

ويدخل في هذا الموضع ما خرجه الزجاج بأنه نصب على المدح أو الذم ، ومن ذلك :

قال في إعراب البسملة : " وقوله عز وجل : ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ هذه الصفات لله عز وجل ... وخفضت هذه الصفات لأنها ثناء على الله عز وجل ، فكان إعرابها إعراب اسمه ، ولو قلت في غير القرآن : بسم الله الكريمَ والكريمُ ، والحمد لله ربَّ العالمين وربُّ العالمين جاز ذلك ، فمن نصب (رب العالمين) فإنما ينصب لأنه ثناء على الله ، كأنه لما قال : (الحمد لله) استدل بهذا اللفظ أنه ذاكر الله فقوله : ربَّ العالمين كأنه قال : اذكر رب العالمين ، وإذا قال : رب العالمين فهو على قولك : هو ربُّ العالمين ، قال الشاعر :

وكل قوم أطاعوا أمر مرشدهم ... إلا نميرا أطاعت أمر غاويها

الظاعنين ولما يظعنوا أحدا ... والقائلين لمن دار نخليها [9]

فيجوز أن ينصب (الظاعنين) على ضربين : على أنه تابع (نميرا)، وعلى الذم ، كأنه قال: اذكر الظاعنين ، ولك أن ترفع تريد : هم الظاعنون " [10] .

---

(1) مشكل إعراب القرآن ٢٠/١ .
(2) البحر المحيط ٤٩/١ ، وانظر السبعة ص١٣٨ والحجة لأبي علي ٢١٧/١ .
(3) البقرة /١٣٥ .
(4) معاني القرآن وإعرابه ٢١٣/١ .
(5) البقرة /١٣٨ .
(6) معاني القرآن وإعرابه ٢١٥/١ .
(7) الأنعام /٧٤ .
(8) معاني القرآن وإعرابه ٢٦٥/٢ .
(9) البيتان من البسيط لابن خياط العكلي ، من شواهد الكتاب ٦٤/٢ ، وانظر الإنصاف ص٤٧٠ .
(10) معاني القرآن وإعرابه ٤٣/١ ، ٤٤ .

ويدخل في هذا الموضع أيضا ما وجه نصبه على الإغراء ،كما في توجيه قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [1] حيث أجاز فيه نصب (شهر) ، وذكر أنه قراءة ليست بالكثيرة ، ثم قال : " ومن نصب (شهر رمضان) نصبه على وجهين : أحدهما أن يكون بدلا من (أياما معدودات) [2] ، والوجه الثاني على الأمر ، كأنه قال : (عليكم شهر رمضان) على الإغراء " [3] .

قلت : والقراءة بنصب (شهر) نسبها أبو حيان لمجاهد ، وشهر بن حوشب ، وهارون الأعور عن أبي عمرو ، وأبي عمارة عن حفص عن عاصم [4] .

ويدخل في هذا الموضع ما وجه نصبه بأنه مفعول لقول محذوف ، ومن ذلك :

قال في توجيه قوله تعالى ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ [5] : " المعنى يدخلون عليهم من كل باب يقولون : سلام عليكم ، فأضمر القول ههنا ؛ لأن في الكلام دليلا عليه " [6] .

حذف حرف الجر مع المتعدي به ونصب المجرور :

تحدث الزجاج عن حذف الجار ونصب المجرور في مواضع كثيرة من معانيه يبدو منها أنه يجعل ذلك قياسًا مع (أنَّ) و(أنْ) وغيرهما شعرا ونثرا ، ومن أمثلة ذلك مع (أنَّ) المشددة :

- ما تقدم من توجيه قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [7].

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [8] : " (أن) ههنا يصلح أن تكون في موضع نصب ، ويصلح أن تكون في مَوضع جر ، والمعنى : ولأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ، فلما حذفت اللام صار الموضع موضع نصب، ويجوز أن يكون جرا وإن لم تظهر اللام كما تقول العرب :

وبلدٍ ليس به أنيس [9]

---

(1) البقرة /١٨٥ . (2) البقرة /١٨٤ . (3) معاني القرآن وإعرابه ١/٢٥٣ ، ٢٥٤ .
(4) البحر المحيط ٢/٣٨ . (5) الرعد /٢٣ ، ٢٤ . (6) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٤٧ .
(7) انظر ص١٣٩ . (8) الجن /١٨ .
(9) من مشطور الرجز أو السريع ، وهو لجران العود من شواهد الكتاب ١/٢٦٣ ، ٢/٣٢٢ .

يريدون : ورب بلدٍ " [1] .

ومن أمثلة ذلك مع (أنْ) وتقدير حذف (في) :

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا﴾ [2] ، وفيه يقول الزجاج : " موضع (أن) نصب بمعنى (عرضة) ، المعنى : لا تعرضوا باليمين بالله في أن تبروا ، فلما سقطت (في) أفضى معنى الاعتراض فنصب (أن) ، وقال غير واحد من النحويين : (أن) موضعها جائز أن يكون خفضا وإن سقطت (في) ؛ لأن (أن) الحذف معها مستعمل ، تقول : جئت لأن تضرب زيدا ، وجئت أن تضرب زيدا فتحذف اللام مع (أن) وتثبت ، ولو قلت : جئت ضرب زيد تريد : لضرب زيد لم يجز كما جاز مع (أن) ؛ لأن (أن) إذا وصلت دل ما بعدها على الاستقبال والمضي كما تقول : جئتك أن ضربت زيدا ، وجئتك أن تضرب زيدا ، فلذلك جاز حذف اللام ، وإذا قلت : جئتك ضرب زيد لم يدل الضرب على معنى مضي ولا استقبال .

والنصب في (أن) في هذا الموضع الاختيار عند جميع النحويين ... ويجوز أن يكون موضع (أن) رفعا فيكون المعنى : ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا أولى ، أي البر والتقى أولى ، ويكون أولى محذوفا كما جاء حذف أشياء في القرآن لأن في الكلام دليلا عليها ، يشبه هذا منه ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [3] أي : طاعة وقول معروف أمثل ، والنصب في (أن) والجر مذهب النحويين ، ولا أعلم أحدا منهم ذكر هذا المذهب ، ونحن نختار ما قالوه لأنه جيد ، ولأن الاتباع أحب وإن كان غيره جائزا " [4] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ [5] :" موضع (أن) نصب ، المعنى : لا يأثمان في أن يتراجعا ، فلما سقطت (في) وصل معنى الفعل فنصب ، ويجيز الخليل أن يكون موضع (أن) خفضا على إسقاط (في) ومعنى إرادتها في الكلام ، وكذلك قال الكسائي ، والذي قالاه صواب ؛ لأن (أن) يقع فيها الحذف ، ويكون جعلها موصولة عوضا مما حذف ، ألا ترى أنك لو قلت : لا جناح عليهما الرجوع لم يصلح ؟ والحذف مع (أن) سائغ ، فلهذا أجاز الخليل وغيره أن يكون موضع جر على إرادة (في) " [6] .

(1) معاني القرآن وإعرابه ٥/٢٣٦ . (2) البقرة/٢٢٤ . (3) محمد/٢١ .
(4) معاني الزجاج ١/٢٩٨ : ٣٠٠ . (5) البقرة/٢٣٠ . (6) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٠٩ .

- وهكذا قدر المحذوف (في) في توجيه قوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [1] ، فهو يقول : " و(جناح) اسم ليس ، والخبر (عليكم) ، وموضع (أن) نصب على تقدير : ليس عليكم جناح في أن تبتغوا ، فلما أسقطت (في) عمل فيها معنى (جناح) ، المعنى : لستم تأثمون أن تبتغوا ، أي في أن تبتغوا " [2] .

- وقوله تعالى : ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ [3] ، وفيه يقول : " وموضع (أن تضعوا) نصب ، أي لا إثم عليكم في أن تضعوا ، فلما سقطت (في) عمل ما قبل (أن) فيها ، ويجوز أن يكون موضعها جرا بمعنى (في) " [4] .

- وقوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ [5]، وفيه يقول:" وموضع (أن) نصب ؛ لأن (في) سقطت فوصل المعنى إلى (أنَ) فنصبها، المعنى: أي شيء يقع لكم في أن لا تأكلوا، وسيبويه يجيز أن يكون موضع (أن) جرا وإن سقطت (في)، والنصب عنده أجود ، وقال أبو إسحاق : ولا اختلاف بين الناس في أن الموضع نصب " [6] .

- وقوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ [7]، وفيه يقول : " موضع (أن) نصب ، المعنى : لا يستأذنك هؤلاء في أن يجاهدوا ، ولكن (في) حذفت فأفضى الفعل فنصب (أن) ، قال سيبويه : ويجوز أن يكون موضعها جرا ؛ لأن حذفها ههنا إنما جاز مع ظهور (أن) ، فلو أظهرت المصدر لم تحذف في : لا يستأذنك القوم الجهاد حتى تقول : في الجهاد ، ويجوز : لا يستأذنك القوم أن يجاهدوا " [8] .

تقدير حذف الباء :

- في توجيه قوله تعالى : ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ [9] يقول : " (أن) في موضع نصب ؛ لأن الباء محذوفة من (أن) ، المعنى : أجدر بترك العلم ، تقول : أنت جدير أن تفعل كذا ، وبأن تفعل كذا ، كما تقول : أنت خليق أن تفعل ، أي : هذا الفعل ميسر فيك ، فإذا حذفت الباء لم يصلح إلا بـ(أن) ، وإن أتيت بالباء صلح بأن

(1) البقرة /198 .
(2) معاني القرآن وإعرابه 1/271 .
(3) النساء /102 .
(4) معاني الزجاج 2/99 .
(5) الأنعام /119 .
(6) معاني الزجاج 2/286 .
(7) التوبة /44 .
(8) معاني الزجاج 2/450 .
(9) التوبة /97 .

وغيره ، تقول : أنت جدير بأن تقوم ، وجدير بالقيام ، فإذا قلت : أنت جدير القيام كان خطأ ، وإنما صلح مع (أن) لأن (أن) تدل على الاستقبال ، فكأنها عوض من المحذوف " [1] .

ـ وهكذا قدر المحذوف الباء في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [2] حيث قال : " موضع (أن) نصب ، لما سقطت الباء أفضى الفعل فنصب ، المعنى : ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا بمشيئة الله " [3] .

تقدير حذف (من) :

ـ قدر المحذوف (من) في توجيه قوله تعالى : ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ [4] حيث قال : " وموضع (أن) نصب ، المعنى : أعوذ بالله من أخذ أحد إلا من وجدنا متاعنا عنده ، فلما سقطت (من) أفضى الفعل فنصب " [5] .

حذف الجار مع غير (أنّ) و(أنْ) :

قد وجه الزجاج آيات من القرآن الكريم على حذف الجار مع غير (أنّ) و(أنْ) ، وفيما يلي عرض لذلك :

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿... إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [6] : " (سفه نفسه) بمعنى سفه في نفسه ، إلا أن (في) حذفت كما حذفت حروف الجر في غير موضع ، قال الله عز وجل : ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ [7] ، والمعنى : أن تسترضعوا لأولادكم ، فحذف حرف الجر في غير ظرف ، ومثله قوله عز وجل : ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ [8] ، ومثله قول الشاعر :

نغالي اللحم للأضياف نيئا ونبذله إذا نضج القدور [9]

المعنى : نغالي باللحم ، ومثله قول العرب : ضرب فلان الظهر والبطن ، والمعنى : على الظهر والبطن ، فهذا الذي استعمل من حذف حرف الجر موجود في كتاب الله ، وفي أشعار العرب وألفاظها المنثورة ، وهو ـ عندي ـ مذهب صالح " [10] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/٤٦٥ . (٢) يوسف/ ٧٦ . (٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٢٢ .
(٤) يوسف/ ٧٩ . (٥) معاني القرآن وإعرابه٣/١٢٤. (٦) البقرة/ ١٣٠ .
(٧) البقرة/ ٢٣٣ . (٨) البقرة/ ٢٣٥ .
(٩) من بحر الوافر، وهو للحطيئة، في معاني الفراء ٢/٣٨٣، وآخره في اللسان (غلا): القدير: هو ما يطبخ في القدر.
(١٠) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢١٠ ، ٢١١ .

وهكذا قدر حذف (في) في توجيه قوله تعالى : ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [1] حيث قال : " و(أرضا) منصوب على إسقاط (في) وإفضاء الفعل إليها ؛ لأن (أرضا) ليست من الظروف المبهمة " [2] .

وكذا في توجيه قوله تعالى : ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [3] حيث قال : " (معيشتها) منصوبة بإسقاط (في) وعمل الفعل ، وتأويله : بطرت في معيشتها " [4] .

وقدر حذف حرف الجر (على) في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ [5] حيث قال : " معناه : لا تعزموا على عقد النكاح ، وحذف (على) استخفافا ، كما تقول : ضرب زيد الظهر والبطن ، معناه : على الظهر والبطن ، وقال سيبويه [6] : إن الحذف في هذه الأشياء لا ينقاس " [7] .

وكذا قال في توجيه قوله تعالى : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [8] : " لا اختلاف بين النحويين في أن (على) محذوفة ، ومن ذلك قولك : ضرب زيد الظهر والبطن " [9] .

ومن مواضع تقدير الباء عنده :

- توجيه قوله تعالى : ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ [10] ، وفيه يقول : " المعنى : يعدكم بالفقر ، ولكن الباء حذفت وأفضى الفعل فنصب ، كما قال الشاعر :

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب [11] " [12]

- وتوجيه قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [13] ، وفيه يقول : " (نكرا) منصوب على ضربين : أحدهما : معناه أتيت شيئا نكرا، ويجوز أن يكون معناه : جئت بشيء نكر ، فلما حذف الباء أفضى الفعل فنصب " [14] .

- وتوجيه قوله تعالى :﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾[15]، وفيه يقول : " ونصب (ظلما وزورا)

---

(1) يوسف /9 .
(2) معانيه 93/3 .
(3) القصص /58 .
(4) معانيه 150/4 .
(5) البقرة /235 .
(6) انظر الكتاب 159/1 .
(7) معاني الزجاج 318/1 .
(8) الأعراف /16 .
(9) معانيه 324/2 .
(10) البقرة /268 .
(11) من بحر البسيط ، والمشهور أنه لعمرو بن معديكرب الزبيدي ، من شواهد الكتاب 37/1 .
(12) معانيه 356/1 .
(13) الكهف /74 .
(14) معانيه 303/3 .
(15) الفرقان /4 .

على : فقد جاءوا بظلم وزور ، فلما سقطت الفاء أفضى الفعل فنصب "[1] .

ـ وقدر حذف الجار (من) في توجيه قوله تعالى:﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾[2] فقال:" ومعنى (اختار قومه) اختار من قومه ، فحذفت (من) ووصل الفعل فنصب ، يقال : اخترت من الرجال زيدا ، واخترت الرجال زيدا ، وأنشدوا :

ومنا الذي اختار الرجال سماحة وجودا إذا هب الرياح الزعازع[3] "[4]

ـ وقدر حذف الجار (إلى) في توجيه قوله تعالى : ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾[5] فقال : " (سيرتها) منصوب على إسقاط الخافض وإفضاء الفعل إليها ، المعنى إلى سيرتها ، فلما حذف (إلى) أفضى الفعل فنصب "[6] .

أقول : وهذه النصوص تدل على أن الزجاج يرى جواز حذف الجار وإفضاء الفعل إلى المجرور ونصبه إذا علم الجار بدلالة السياق .

---

(1) معانيه ٤/٥٨ .
(2) الأعراف /١٥٥ .
(3) البيت من الطويل ، وقائله الفرزدق (ديوانه ١/٤١٨) وروايته : * ... لختير الرجال ...* ، والبيت من شواهد الكتاب ١/٣٩ ، وروايته فيها كرواية الديوان .
(4) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣٨٠ .
(5) طه /٢١ .
(6) معانيه ٣/٣٥٥ .



الفصل الخامس عشر

المفعول المطلق

ويعبر عنه الزجاج بالمصدر

أنواع المفعول المطلق :

١ـ المؤكد لعامله ، ومثاله عند الزجاج قوله تعالى : ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١]، وفي توجيهه يقول : " (تسليما) مصدر مؤكد ، والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكر الفعل ثانيا ، كأنك إذا قلت : سلمت تسليما فقد قلت : سلمت سلمت ، وحق التوكيد أن يكون محققا لما تذكره في صدر كلامك ، فإذا قلت : ضربت ضربا فكأنك قلت : أحدثت ضربا أحققه ولا أشك فيه ، وكذلك (ويسلموا تسليما) أي يسلمون لحكمك تسليما لا يدخلون على أنفسهم فيه شكا " [٢] .

٢ـ المبين لنوع عامله ، ومثاله عنده قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [٣] حيث يقول : " ... ومن نصب (متاع الحياة الدنيا) فعلى المصدر ، المعنى : تتمتعون متاع الحياة الدنيا ؛ لأن قوله : (إنما بغيكم على أنفسكم) يدل على أنهم يتمتعون " [٤] .

٣ـ المبين للعدد ، ومثاله عنده قوله تعالى : ﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ ﴾ [٥] ، وقد أورده برفع (أربع) ثم قال : " وتقرأ : (أربعَ شهادات بالله) بالنصب ، فمن رفع (أربع) فعلى خبر الابتداء ، المعنى : فشهادة أحدهم التي تدرأ حد القذف أربع ... والنصب على معنى : فالذي يدرأ عنهم العذاب أن يشهد أحدهم أربع شهادات"[٦] .

---

(١) النساء /٦٥ . (٢) معاني القرآن وإعرابه ٧١/٢ . (٣) يونس /٢٣ .
(٤) معانيه ١٤/٣ . (٥) النور /٦ . (٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٢/٤ .

ما ينوب عن المصدر في الانتصاب على المفعولية المطلقة :

١ـ صفة المصدر : مثال ذلك عنده :

- توجيه قوله تعالى : ﴿يَقُصُّ الحَقَّ﴾[1] ، وقد أورده على قراءة من قرأ : يقضي الحق ، وقال : " (يقضي الحق) فيه وجهان : جائز أن يكون الحق صفة للمصدر ، المعنى : يقضي القضاء الحق ، ويجوز أن يكون (يقضي الحق) : يصنع الحق "[2] .

- وكذا توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالخَيْرِ﴾[3] ، وفيه يقول : " نصب (استعجالهم) على معنى : مثل استعجالهم بالخير ، على نعت مصدر محذوف ، المعنى : ولو يعجل الله للناس الشر تعجيلا مثل استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم "[4] .

- ومن هذا القبيل ما وردت فيه الكاف اسما بمعنى (مثل) في موضع نصب لكونها صفة لمصدر ، كقول الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾[5] : " موضع الكاف نصب ، والمعنى : واذكروه ذكرا مثل هدايته إياكم "[6] .

وهذا النحو كثير في معانيه ، وقد خرج عليه آيات كثيرة ، منها :

- قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾[7] ، وفيه يقول : " أي : ومثل ما بينا نبين الآيات ، وموضع الكاف نصب التي في أول كذلك ، المعنى : ونصرف الآيات مثل ما صرفناها فيما تلي عليك "[8] .

- قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[9] ، وفيه يقول : " أي فعلنا في الوحي إليك كما فعلنا بالرسل من قبلك، وموضع (كذلك) نصب بقوله (أوحينا)"[10].

٢ـ مرادف المصدر ، ومن أمثلته عند الزجاج :

- توجيه قوله تعالى : ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾[11] ، وفيه يقول : " (فرارا) منصوب على المصدر ؛ لأن معنى (وليت منهم) : فررت منهم "[12] .

---

(١) الأنعام /٥٧ . (٢) معاني الزجاج ٢٥٦/٢ . (٣) يونس /١١ .
(٤) معانيه ٨/٣ . (٥) البقرة /١٩٨ . (٦) معانيه ٢٧٣/١ .
(٧) الأنعام /١٠٥ . (٨) معانيه ٢٧٩/٢ . (٩) الشورى /٥٢ .
(١٠) معانيه ٤٠٤/٤ . (١١) الكهف /٨ . (١٢) معانيه ٢٧٥/٣ .

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [1] ، وفيه يقول : " نصب (خبرا) على المصدر ؛ لأن معنى (لم تحط به) : لم تخبره خبرا ، قال امرؤ القيس :

فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ... ورضت فذلت صعبة أي إذلال [2]

لأن معنى (رضت) : أذللت " [3] .

٣ـ المشارك للمصدر في مادته : ومن أمثلته عنده :

- قوله تعالى : ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [4] ، وفيه يقول : " جاء (نباتا) على غير لفظ (أنبت) على معنى : نبتت نباتا حسنا " [5] .

- قوله تعالى : ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [6] ، وفيه يقول : " الأصل في المصدر في (تبتيل) : بتلت تبتيلا ، فـ(تبتيل) محمول على معنى : تبتل إليه بتل تبتيلا " [7] .

هل يثنى المصدر المؤكد ويجمع ؟

ظاهر كلام الزجاج الآتي أنه يثنى ويجمع إذا تنوع :

- قال في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي﴾ [8] : " الضيف يوحد وإن وصفت به الجماعة ، تقول : هذا ضيف ، وهذان ضيف ، وهؤلاء ضيف ، كما تقول : عدل ، وإن شئت قلت : أضياف وضيفان ، فمن وحد فلأنه مصدر وصف به الاسم فلذلك وحد ، وإنما وحد المصدر في قولك : ضربت القوم ضربا لأن الضرب صنف واحد ، فإن كان أصنافا ثنيت وجمعت فقلت : ضربتهم ضربين وضروبا ، أي أجناسا من الضرب " [9] .

تقدير ناصب المصدر :

اهتم الزجاج بتقدير ناصب المصدر إذا كان محذوفا من الكلام ، ومن أمثلة ذلك :

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [10] ، وفيه يقول :" معناه : وقولوا مسألتنا حطة ، أي : حط ذنوبنا عنا ، وكذلك القراءة ، ولو قرئ :(حطةً) كان وجهًا في العربية ، كأنهم

(١) الكهف /٦٨ .
(٢) البيت من الطويل ، وانظره في ديوانه ص٣٢ ، ومختارات الشعر الجاهلي ص٢٥ ، واللسان (روض) .
(٣) معانيه ٣/٣٠١ ، ٣٠٢ . (٤) آل عمران /٣٧ . (٥) معانيه ١/٤٠٢ .
(٦) المزمل /٨ . (٧) معانيه ٥/٢٤١ . (٨) الحجر /٦٨ .
(٩) معانيه ٣/١٨٢ ، ١٨٣ . (١٠) البقرة /٥٨ .

قيل لهم : قولوا : احطط عنا ذنوبنا حطة " [1] .

قلت : ظاهر كلامه أنه لا يقطع بورود قراءة النصب في الآية ، وهي قراءة غير متواترة نسبها الزمخشري [2] وأبو حيان [3] لإبراهيم بن أبي عبلة .

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾[4] ، وفيه يقول : "(وصيةٌ لأزواجهم) و(وصيةً لأزواجهم) يقرآن جميعا ، فمن نصب أراد : فليوصوا وصية لأزواجهم ، ومن رفع فالمعنى : فعليهم وصية لأزواجهم " [5] .

قلت : النصب والرفع في (وصية) قراءتان سبعيتان ، وبالرفع قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر والكسائي ، وبالنصب قرأ أبو عمرو وحمزة وابن عامر وحفص عن عاصم [6] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ [7] ، وفيه يقول : " ... ويجوز النصب في (معذرة) فيكون المعنى في قوله : (قالوا معذرة إلى ربكم) على معنى : يعتذرون معذرة " [8] .

قلت : النصب في (معذرة) قراءة سبعية متواترة قرأ بها عاصم في رواية حفص [9] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ [10] ، وفيه يقول : " (حقا) منصوب على : أحق ذلك حقا ، ويجوز في غير القراءة : وعد الله حق " [11] .

قلت : وقد مشى العكبري [12] ومكي [13] وأبو حيان [14] وغيرهم [15] على ما مشى عليه الزجاج من أن (حقا) نصب على المصدرية بفعل دل عليه الكلام ، وهذا المصدر مؤكد لغيره ، وفي الفتوحات الإلهية :"لما كان الوعد يحتمل الحق وغيره كان (حقا)

---

(1) معانيه 1/139 . (2) الكشاف 1/107 . (3) البحر المحيط 1/222 .
(4) البقرة /240 . (5) معانيه 1/321 . (6) انظر السبعة ص184 ، والحجة لأبي علي 2/341 .
(7) الأعراف /164 . (8) معانيه 2/386 . (9) انظر السبعة ص296 ، والحجة لأبي علي 4/97 .
(10) يونس /4 . (11) معانيه 3/7 . (12) إملاء ما من به الرحمن 3/209 .
(13) المشكل 1/374 . (14) البحر المحيط 5/124 .
(15) انظر الفتوحات الإلهية على الجلالين 2/333 .

مؤكدا لمضمون جملة تدل على معناه لكنها ليست نصا فيه، بل تحتمله وتحتمل غيره، فلذا كان مؤكدا لغيره " [١] .

ـ توجيه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [٢] ، وفيه يقول : " ... ومن نصب (متاع الحياة الدنيا) فعلى المصدر ، المعنى : تتمتعون متاع الحياة الدنيا ؛ لأن قوله : (إنما بغيكم على أنفسكم) يدل على أنهم يتمتعون " [٣] .

ـ توجيه قوله تعالى:﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾[٤]،وقد تقدم في فصل (ظن وأخواتها) .

كما عني الزجاج بالمصدر القائم مقام فعله ، وبخاصة ما كان مؤكدا لنفسه ، ومن أمثلة ذلك :

ـ توجيه قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ [٥] ، وفيه يقول : " (كتابا مؤجلا) على التوكيد ، أي : كتابا ذا أجل ... ومثل هذا التوكيد قوله عز وجل : ﴿ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾[٦] ؛ لأنه لما قال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ [٧] دل ذلك على أنه مفروض عليهم ، فكان قوله : (كتاب الله عليكم) توكيدا ، وكذلك قوله عز وجل : ﴿ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [٨] ؛ لأنه لما قال : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [٩] دل ذلك على أنه خلق الله وصنعه فقال : (صنع الله) ، وهذا في القرآن في غير موضع ، وهذا مجراه عند جميع النحويين " [١٠] .

ـ توجيه قوله تعالى : ﴿ صُنْعَ اللهِ ﴾ [١١] ، وفيه يقول : " القراءة النصب ، ويجوز الرفع (صنعُ الله) ، فمن نصب فعلى معنى المصدر ؛ لأن قوله : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ دليل على الصنعة ، كأنه قيل : صنع الله ذلك صنعا " [١٢] .

ـ توجيه قوله تعالى:﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾[١٣]،وفيه يقول :" ونصب (احسانا)

(١) انظر الفتوحات الإلهية على الجلالين ٢/٣٣٣ .
(٢) يونس /٢٣ .
(٣) معانيه ٣/١٤ .
(٤) الكهف /٦١ .
(٥) آل عمران /١٤٥ .
(٦) النساء /٢٤ .
(٧) في الآية ٢٣ من سورة النساء .
(٨) النمل /٨٨ .
(٩) في صدر الآية .
(١٠) معانيه ١/٤٧٤ .
(١١) النمل /٨٨ .
(١٢) معانيه ٤/١٣٠ .
(١٣) الأحقاف /١٥ .

على المصدر ؛ لأن معنى (وصيناه) : أمرناه أن يحسن إليهما إحسانا " [1] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾[2] ، وفيه يقول : " منصوب على التوكيد محمول على المعنى ؛ لأن معنى قوله : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ : كتب الله عليكم هذا كتابا ، كما قال الشاعر :

... ... ورضت فذلت صعبة أي إذلال [3]

لأن معنى (رضت) : أذللت ، وقد يجوز أن يكون منصوبا على جهة الأمر ، ويكون (عليكم) مفسرا له ، فيكون المعنى : الزموا كتاب الله " [4] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[5] ، وفيه يقول : " و(غرورا) منصوب على المصدر ، وهذا المصدر محمول على المعنى ؛ لأن معنى إيحاء الزخرف من القول معنى الغرور ، وكأنه قال : يغرون غرورا " [6] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[7] ، وفيه يقول : " (ثوابا) مصدر مؤكد ؛ لأن معنى (لأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) : لأثيبنهم ، ومثله ﴿كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ ؛ لأن قوله عز وجل : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ معناه : كتبَ الاه عليكم هذا ، فـ(كتاب الله) مؤكد ، وكذلك قوله عز وجل : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[8] قد علم أن ذلك صنع الله " [9] .

ومن أمثلة تقدير العامل في المصدر عنده أيضا :

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[10] ، وفيه يقول : " المعنى : أوصاكم الله بعبادته ، وأوصاكم بالوالدين إحسانا ، وقال بعض النحويين : (إحسانا) منصوب على : وأحسنوا بالوالدين إحسانا ، كما تقول : ضربا زيدا ، المعنى : اضرب زيدا ضربا " [11] .

---

(1) معانيه ٤/٤٤٢ .
(2) النساء /٢٤ .
(3) تقدم الشاهد بتمامه هنا .
(4) معانيه ٢/٣٦ .
(5) الأنعام /١١٢ .
(6) معانيه ٢/٢١٤ .
(7) آل عمران /١٩٥ .
(8) النمل /٨٨ .
(9) معانيه ١/٥٠٠ .
(10) النساء /٣٦ .
(11) معانيه ٢/٤٩ ، ٥٠ .

- توجيه قوله تعالى : ﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ﴾ [1] ، وفيه يقول : " (معاذ الله) منصوب على المصدر ، المعنى : أعوذ بالله معاذاً " [2] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [3] ، وفيه يقول : " (سبحان) منصوب على المصدر ، المعنى : أسبح الله تسبيحا " [4] .

(١) يوسف /٧٩ .
(٢) معانيه ١٢٤/٣ .
(٣) الإسراء /١ .
(٤) معانيه ٢٢٥/٣ .



الفصل السادس عشر

المفعول له

توجيه انتصاب المفعول له :

قرر الزجاج في مواضع كثيرة من معانيه مذهب سيبويه والبصريين في أن المفعول له منصوب بالفعل على تقدير لام العلة ، واقتصر على ذلك ، ومن الأمثلة على ذلك :

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [1] حيث قال : " النصب على معنى : فعلنا ذلك للرحمة ، كما تقول : فعلت ذلك ابتغاء الخير ، فهو مفعول له " [2] .

- توجيه قوله تعالى :﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾[3]، وفيه يقول : " النصب في (مودة) من جهة أنها مفعول لها ، أي اتخذتم هذا للمودة " [4] .

- توجيه قوله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ﴾[5]،وفيه يقول:" ونصب (ابتغاء مرضاة الله) على معنى المفعول له ، المعنى : يشريها لابتغاء مرضاة الله"[6] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ ... بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [7] ، وفيه يقول : " نصب (بغيًا) على معنى مفعول له ، المعنى : لم يوقعوا الاختلاف إلا للبغي " [8] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا ...﴾ [9] ، وفيه يقول : " و(تمام) منصوب مفعول له ... المعنى : آتيناه لهذه العلة " [10] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ﴾ [11] ، وفيه يقول : " بمعنى مخالفة رسول الله ، وهو منصوب لأنه مفعول له ، المعنى : بأن قعدوا

(1) القصص /٤٦ . (2) معانيه ١٤٧/٤ . (3) العنكبوت /٢٥ .
(4) معانيه ١٦٧/٤ . (5) البقرة /٢٠٧ . (6) معانيه ٢٧٩/١ .
(7) البقرة /٢١٣ . (8) معانيه ٢٨٤/١ ، ٢٨٥ . (9) الأنعام /١٥٤ .
(10) معانيه ٣٠٦/٢ . (11) التوبة /٨١ .

لمخالفة رسول الله " [1] .

وذكر الزجاج في بعض المواضع ما مشى عليه سيبويه والبصريون ، وأجاز ما ينسب إلى الكوفيين من أن المفعول له منصوب على المصدرية ، ومن أمثلة ذلك :

- قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ [2] ، وفيه يقول :" ونصب (حذر الموت) على أنه مفعول له ، والمعنى : خرجوا لحذر الموت ، فلما سقطت اللام نصب على أنه مفعول له ، وجاز أن يكون نصبه على المصدر ؛ لأن خروجهم يدل على حذر الموت حذرا " [3] .

- قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ ﴾ [4] ، وفيه يقول : " (جزاء) نصب لأنه مفعول له ، المعنى : فاقطعوا لجزاء فعلهم ، وكذلك (نكالا من الله) ، وإن شئت كانا منصوبين على المصدر الذي دل عليه (فاقطعوا) ؛ لأن معنى (فاقطعوا) : جازوهم ونكلوا بهم " [5] .

- قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[6]، وفيه يقول : " (سفها) منصوب على معنى اللام ، أي : للسفه ، مثل : فعلت ذلك حذر الشر ، ويجوز أن يكون منصوبا على تأويل المصدر ؛ لأن قتلهم أولادهم قد سفهوا فيه ، فكأنه قال : سفهوا سفها " [7] .

- قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ... ﴾ [8] ، وفيه يقول : " انتصب (ضرارا) مفعولا له ، المعنى : اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والإرصاد ، فلما حذفت اللام أفضى الفعل فنصب ، ويجوز أن يكون مصدرا محمولا على المعنى ؛ لأن اتخاذهم المسجد على غير التقوى معناه : ضاروا به ضرارا " [9] .

وفي بعض المواضع من المعاني خلط الزجاج الوجهين ، ومن تلك المواضع :

- قوله تعالى : ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ ﴾ [10] ، وفيه

(1) معانيه ٢/٤٦٣ . (2) البقرة/ ٢٤٣ . (3) معانيه ١/ ٣٢٢ .
(4) المائدة/ ٣٨ . (5) معانيه ٢/ ١٧٤ . (6) الأنعام/ ١٤٠ .
(7) معانيه ٢/ ٢٩٥ . (8) التوبة/ ١٠٧ . (9) معانيه ٢/ ٤٦٨ .
(10) البقرة/ ٩٠ .

يقول : " نصب (بغيا) مصدرا مفعولا له ،كما تقول : فعلت ذلك حذر الشر ، أي لحذر الشر ،كأنك قلت:حذرت حذرا، ومثله من الشعر قول الشاعر، وهو حاتم الطائي:

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما [1]

المعنى : أغفر عوراء الكريم لادخاره ، وأعرض عن شتم اللئيم للتكرم ، وكأنه قال : أدخر الكريم ادخارا ، وأتكرم على اللئيم تكرما ، لأن قوله : (أغفر عوراء الكريم) معناه : أدخر الكريم ، وقوله : (وأعرض عن شتم اللئيم تكرما) معناه : أتكرم على اللئيم " [2] .

- قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ ...﴾ [3] ، وفيه يقول : " ... ومعنى (ابتغاء مرضاة الله) : طلب مرضاة الله ، ونصبَ (ابتغاء مرضاة الله) لأنه مفعول له ، المعنى : ومن يفعل ذلك لابتغاء مرضاة الله ، وهو راجع إلى تأويل المصدر ، كأنه قال : ومن يبتغ ابتغاء مرضاة الله " [4] .

- قوله تعالى : ﴿فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [5] ، وفيه يقول : " و(عدوا) منصوب على المصدر على إرادة اللام ؛ لأن المعنى : فيعتدون عدوا أي يظلمون ظلما ، ويكون بإرادة اللام ... " [6] .

- قوله تعالى : ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾ [7] ، وفيه يقول : " أي يفعلون ذلك افتراء عليه ، وهو منصوب بقوله : (لا يذكرون اسم الله) ، وهذا يسميه سيبويه مفعولا له ، وحقيقته أن قوله (لا يذكرون) بمعنى يفترون ، فكأنه قال : يفترون افتراء " [8] .

وقد اختار في موضعين من معانيه جعل المفعول له منصوبا على المصدرية ، وهذا بيانهما :

١- قال في توجيه قوله تعالى : ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [9] : " إنما نصبت (حذر الموت) لأنه مفعول له ، والمعنى : يفعلون ذلك لحذر الموت ،

---

(١) البيت من بحر الطويل ، انظر ديوان حاتم ص١٠٨ ، والكتاب ٣٦٨/١ ، ١٢٦/٣ .
(٢) معانيه ١٧٣/١ . (٣) النساء /١١٤ . (٤) معانيه ١٠٦/٢ .
(٥) الأنعام /١٠٨ . (٦) معانيه ٢٨١/٢ . (٧) الأنعام /١٣٨ .
(٨) معانيه ٢٩٤/٢ . (٩) البقرة /١٩ .

وليس نصبه لسقوط اللام ، وإنما نصبه أنه في تأويل المصدر ، كأنه قال : يحذرون حذرا ؛ لأن جعلهم أصابعهم في آذانهم من الصواعق يدل على حذرهم الموت ، وقال الشاعر :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما [1]

والمعنى : لادخاره ، وقوله : (وأغفر عوراء الكريم) معناه : وأدخر الكريم " [2] .

٢- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [3] : " المعنى : اختلفوا بغيا ، أي للبغي ، لم يختلفوا لأنهم رأوا البصيرة والبرهان ، وقال الأخفش : المعنى : وما اختلف الذين أوتوا الكتاب بغيا بينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم ، والذي هو الأجود أن يكون (بغيا) منصوبا بما يدل عليه (وما اختلف) ، فيكون المعنى : اختلفوا بغيا بينهم " [4] .

قلت : الشبهة التي جعلت الزجاج يختار إعراب (بغيا) في الآية معمولا لمقدر هي ما ذكره النحويون من أن استثناء شيئين بأداة واحدة بلا عطف غير جائز مطلقا ، وهو مذهب الأكثرين ، وقد أجاز بعض النحويين ذلك مطلقا ، وفصل آخرون فقالوا : إن كان المستثنى منه مذكورا مع كل من المستثنيين وهما بدلان جاز وإلا فلا [5] .

ويتبين من جميع ما قدمته أن الزجاج يجيز معاملة المفعول له معاملة المفعول المطلق ، وهو مذهب الكوفيين ، ويجيز كونه معمولا لعامل الجملة بإسقاط حرف الجر ، وهو مذهب البصريين ، وأنه يجعله في الانتصاب على المصدرية منصوبا بما دل عليه ما قبله لا بفعل مضمر من لفظه كما نقل عن ابن عصفور وغيره [6] .

هل يجوز أن يقال : جئتك ضرب زيد ؟

منع ذلك الزجاج كما تقدم في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ [7] .

---

(١) تقدم هذا البيت هنا .

(٢) معانيه ٩٧/١ .

(٣) آل عمران /١٩ .

(٤) معانيه ٣٨٧/١ .

(٥) انظر روح المعاني ١٠٢/٢ .

(٦) انظر همع الهوامع ١٩٥/١ .

(٧) انظر ص١٨٩.

وقوع (أن) المصدرية موقع المفعول له :

من أمثلته عند الزجاج :

- قوله تعالى : ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [1] ، وفيه يقول : " ذكر سيبويه والخليل وجميع النحويين الموثوق بعلمهم أن المعنى : استشهدوا امرأتين لأن تذكر إحداهما الأخرى ، قال سيبويه [2] : فإن قال إنسان : فلم جاز (أن تضل) وإنما أعد هذا للإذكار ؟ فالجواب أن الإذكار لما كان سببه الإضلال جاز أن يذكر أن تضل لأن الإضلال هو السبب الذي أوجب الإذكار ، قال : ومثله : أعددت هذا الجذع أن يميل الحائط فأدعمه ، وإنما أعددته للدعم لا للميل ، ولكن الميل ذكر لأنه سبب الدعم كما ذكر الإضلال لأنه سبب الإذكار " [3] .

- قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ [4] ، وفيه يقول :" قال بعض النحويين : معنى (أن) ههنا مَعنى (لا) ، وإنما المعنى : أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، أي : لأن لا يؤتى ، فحذف (لا) لأن في الكلام دليلا عليها كما قال الله عز وجل : ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [5] أي لئلا تضلوا ، قال أبو العباس محمد بن يزيد : (لا) ليست مما يحذف ههنا ولكن الإضافة ههنا معلومة ، فحذفت الأول وأقمت الثاني مقامه ، المعنى : يبين الله لكم كراهة أن تضلوا ، وكذلك ههنا قال : إن الهدى هدى الله كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم " [6] .

- قوله تعالى : ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [5] ، وفيه يقول : " قيل فيها قولان : قال بعضهم : المعنى : يبين الله لكم أن لا تضلوا ، فأضمرت (لا) ، وقال البصريون : إن (لا) لا تضمر ، وإن المعنى : يبين الله لكم كراهة أن تضلوا ، ولكن حذفت (كراهة) لأن في الكلام دليلا عليها ، وإنما جاز الحذف عندهم على حد ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[7] ، والمعنى:واسأل أهل القرية ، فحذف الأول جائز ،ويبقى المضاف يدل على المحذوف، قالوا : فأما حذف (لا) وهي حرف جاء لمعنى النفي فلا يجوز ، ولكن (لا) تدخل في الكلام مؤكدة وهي لغو،كقوله : ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ [8] " [9] .

---

(1) البقرة /٢٨٢ . (2) الكتاب ٥٣/٣ ، والنقل هنا بمعنى كلامه لا بلفظه .
(3) معاني القرآن وإعرابه ٣٦٤/١ . (4) آل عمران /٧٣ . (5) النساء /١٧٦ .
(6) معانيه ٤٣١/١ . (7) يوسف /٨٢ . (8) الحديد /٢٩ .
(9) معاني القرآن وإعرابه ١٣٦/٢ ، ١٣٧ .

- قوله تعالى :﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ ﴾[1]، وفيه يقول :"موضع (أن) نصب ، أي تعتدوا لأن صدوكم عن المسجد الحرام ، فموضع (أن) نصب مفعول له ... "[2].

- قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ [3] ، وفيه يقول : " قال بعضهم : معناه : أن لا تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، أي بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم لئلا تقولوا ما جاءنا من بشير،ومثله قوله عز وجل :﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾[4]، معناه : أن لا تضلوا ، وقال بعضهم : (أن تقولوا) معناه كراهة أن تقولوا ، وحذفت (كراهة) كما قال جل وعز : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [5] معناه : سل أهل القرية ، وقد استقصينا شرح هذا في آخر سورة النساء " [6] .

- قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ [7] ، وفيه يقول : " قال بعضهم : معناه : أنزلناه لئلا تقولوا إنما أنزل الكتاب ، أي : أنزلناه لتنقطع حجتهم ... وقال البصريون : معناه : أنزلناه كراهة أن تقولوا ، ولا يجيزون إضمار (لا) ، لا يقولون : جئت أن أكرمك أي لئلا أكرمك ، ولكن يجوز : فعلت ذلك أن أكرمك على إضمار محبة أن أكرمك وكراهة أن أكرمك ، وتكون الحال تنبئ عن الضمير ، فالمعنى : أنزل الكتاب كراهة أن يقولوا : إنما أنزلت الكتب على أصحاب موسى وعيسى " [8] .

والظاهر أن الزجاج يختار قول البصريين في ذلك ، بدليل اقتصاره عليه في توجيه بعض المواضع ، كما في قوله تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ [9] حيث قال: "(أن يفقهوه) منصوب على أنه مفعول له ، والمعنى : جعلنا على قلوبهم أكنة لكراهة أن يفقهوه،فلما حذفت اللام نصبت الكراهة،ولما حذفت الكراهة انتقل نصبها إلى(أن)"[10].

وقد قدر هذا التقدير في أمثلة كثيرة ، منها :

- قوله تعالى : ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [11] ، وفيه يقول : " على

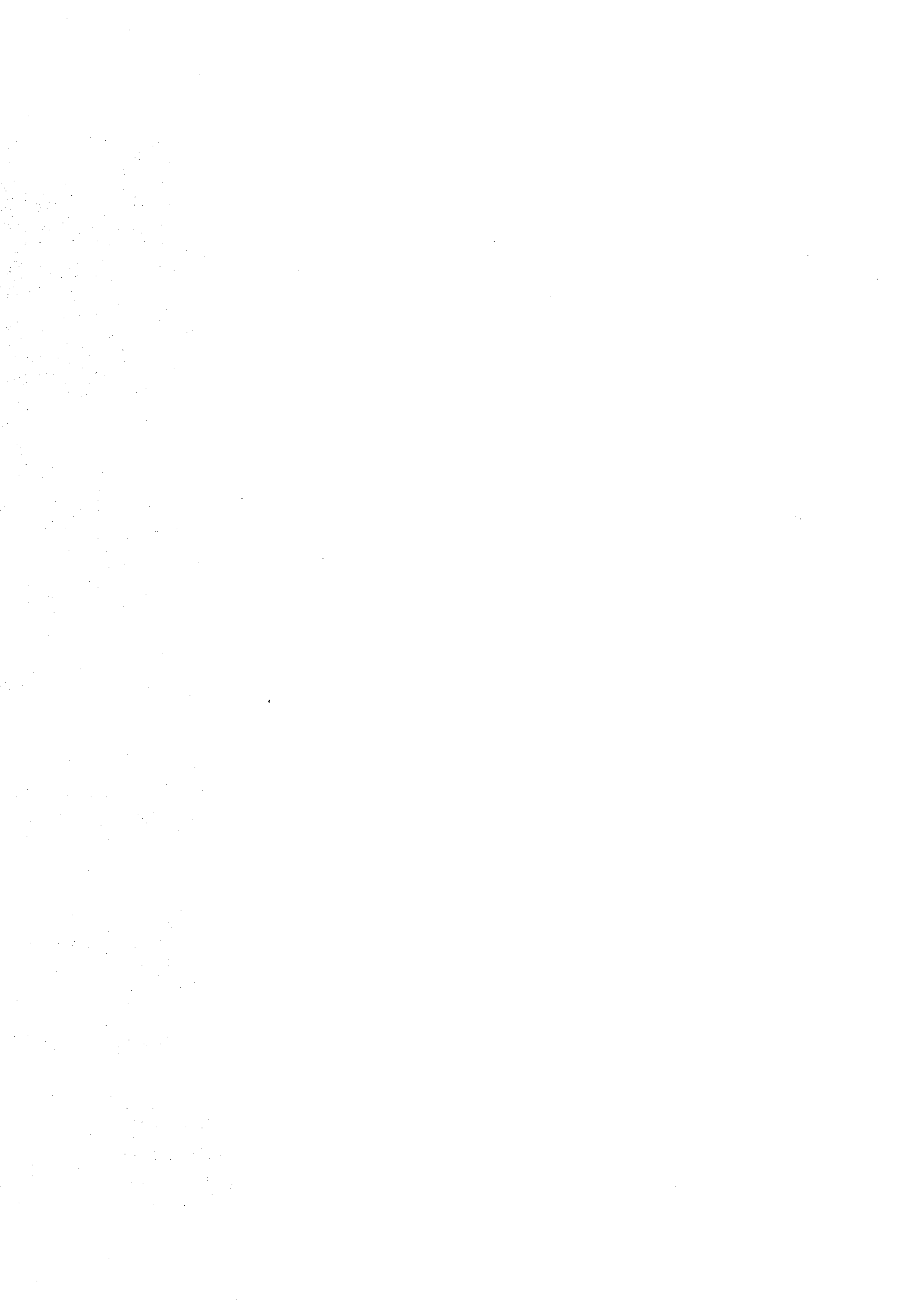
---

(1) المائدة /٢ . (2) معانيه ١٤٣/٢ . (3) المائدة /١٩ .
(4) النساء /١٧٦ . (5) يوسف /٨٢ . (6) معانيه ١٦٢/٢ .
(7) الأنعام /١٥٦ . (8) معانيه ٣٠٦/٢ ، ٣٠٧ . (9) الأنعام /٢٥ .
(10) معانيه ٢٣٦/٢ . (11) الحج /٦٥ .

معنى : كراهة أن تقع على الأرض ، وموضع (أن) نصب بـ(يمسك) ، وهي مفعول له ، المعنى : لكراهة أن تقع " [1] .

ـ قوله تعالى : ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ [2] ، وفيه يقول : " أي كراهة أن تصيبوا قوما بجهالة " [3] .

(١) معانيه ٣/٤٣٧ .
(٢) الحجرات /٦ .
(٣) معانيه ٥/٣٤ .



الفصل السابع عشر
المفعول فيه وهو الظرف

أمثلة له :

- قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [1] : " (شطر) منصوب على الظرف " [2] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [3] : " (بكرة وعشيا) منصوبان على الوقت " [4] .

حقيقته :

أشار الزجاج في مواضع كثيرة من معانيه إلى أن الظرف ما ضمن معنى (في) ، ومن أمثلة ذلك :

- قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [5] :" ونصب(أبدا) لأنه ظرف من الزمان ، المعنى : لن يتمنوه في طول عمرهم إلى موتهم ، وكذلك قولك : لا أكلمك أبدا ، المعنى : لا أكلمك ما عشت " [6] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [7] : " نصب (أياما) على ضربين : أجودهما أن تكون على الظرف ، كأنه : كتب عليكم الصيام في هذه الأيام ، والفاعل فيه الصيام ، كأن المعنى : كتب عليكم أن تصوموا أياما معدودات ، وقال بعض النحويين : إنه منصوب مفعول ما لم يسم فاعله نحو : أعطي زيد المال ، وليس هذا بشيء ؛ لأن الأيام هنا معلقة بالصوم ، وزيد والمال مفعولان لأعطي ، ولك أن تقيم أيهما شئت مقام الفاعل ، وليس في هذا إلا نصب الأيام بالصيام " [8] .

---

(1) البقرة/ ١٤٤ . (2) معانيه ١/ ٢٢٢ . (3) مريم/ ١١ .
(4) معانيه ٣/ ٣٢١ . (5) البقرة/ ٩٥ . (6) معانيه ١/ ١٧٧ .
(7) البقرة/ ١٨٤ . (8) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٥٢ .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [1] : " القراءة برفع اليوم ونصب اليوم جميعا ، فأما رفع اليوم فعلى خبر (هذا) ، قال الله هذا اليوم ذو منفعة صدق الصادقين ، ومن نصب فعلى أن (يوم) منصوب على الظرف ، المعنى : قال الله هذا لعيسى في يوم ينفع الصادقين صدقهم ، أي قال الله هذا في يوم القيامة ، ويجوز أن يكون : قال الله هذه الأشياء وهذا الذي ذكرناه يقع في يوم ينفع الصادقين صدقهم ... " [2] .

ونصب (يوم) في الآية قراءة نافع كما في السبعة ، والرفع قراءة الباقين [3] .

ما ينوب عن الظرف :

أولا : ما وقع وصفا للظرف :

أشار إليه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [4] ، وفيه يقول : "الوجه أن تنصب (أسفل) وعليه القراءة،ويجوز أن ترفع (أسفل) على أنك تريد:والركب أسفل منكم ، أي أشد تسفلا ، ومن نصب أراد : والركب مكانا أسفل منكم " [5] .

ويقول الألوسي [6] في إعراب (أسفل) : " هو نصب على الظرفية ، وفي الأصل صفة للظرف ، ولهذا انتصب انتصابه وقام مقامه ، ولم ينسلخ عن الوصفية خلافا لبعضهم ، وهو واقع موقع الخبر " .

ثانيا : ما أفيد به كلية الظرف :

ذكره الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [7] ، وفيه يقول : " قال أبو عبيدة : المعنى : كل طريق ، وقال أبو الحسن الأخفش : (على) محذوفة ، المعنى : اقعدوا لهم على كل مرصد ، وأنشد :

نغالي اللحم للأضياف نيئا ... ونرخصه إذا نضج القدور [8]

المعنى : نغالي باللحم ، فحذف الباء ههنا ، وكذلك حذف (على) ، قال أبو إسحاق : (كل مرصد) ظرف كقولك : ذهبت مذهبا ، وذهبت طريقا ، وذهبت كل طريق ، فلست تحتاج أن تقول في هذا إلا ما تقوله في الظروف مثل خلف وأمام وقدام " [9] .

---

(1) المائدة /119 . (2) معانيه 2/224 . (3) السبعة ص150 ، وانظر الحجة لأبي علي 3/282 .
(4) الأنفال /42 . (5) معانيه 2/417 . (6) روح المعاني 10/6 .
(7) التوبة /5 . (8) تقدم البيت ص171. (9) معاني القرآن وإعرابه 2/430 ، 431 .

تنبيه : قد خطأ أبو علي شيخه الزجاج في تنظيره لقوله تعالى : كل مرصد بـ(طريقا) في قوله : ذهبت طريقا ؛ لأن الطريق مكان مخصوص لا ينصب على الظرفية [١] .

ثالثا : اسم العدد المميز بالظرف :

أشار إليه الزجاج في تنظيره لـ(أربعين سنة) بلفظ (أبدا) في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [٢] ، وفيه يقول : " قال بعض النحويين : (أربعين سنة) يجوز أن تكون منصوبة بقوله (محرمة) ، ويجوز أن يكون منصوبا بقوله (يتيهون) ، اما نصبه بـ(محرمة) فخطا ؛ لأن التفسير جاء بأنها محرمة عليهم أبدا ، فنصب (أربعين سنة) بقوله (يتيهون) " [٣] .

هل يجوز أن يقال : زيد دارك ، بمعنى : في دارك ؟

منع ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [٤] ، وفيه يقول : " أكثر القراءة رفع (مطويات) على الابتداء والخبر ، وقد قرئت : (والسماوات مطوياتٍ بيمينه) بكسر التاء على معنى : والأرض جميعا والسماوات قبضته يوم القيامة ، و(مطويات) منصوب على الحال ، وقد أجاز بعض النحويين (قبضتَه يوم القيامة) بنصب التاء ، وهذا لم يقرأ به أحد ، ولا يجيزه النحويون البصريون ، لا يقولون : زيد قبضتك ، ولا المال قبضتك على معنى : فيِ قبضتك ، ولو جاز هذا لجاز : زيد دارك ، أي في دارك " [٥] .

إضافة ظرف الزمان إلى الجملة :

تحدث عنه الزجاج في ثلاثة مواضع من معانيه :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [٦] حيث يقول : " وزعم بعضهم أن (يوم) منصوب ؛ لأنه مضاف إلى الفعل وهو في موضع رفع بمنزلة (يومئذ) مبني على الفتح في كل حال ، وهذا عند البصريين خطأ ، لا يجيزون : هذا يومَ آتيك ، يريدون : هذا يومُ إتيانك ؛ لأن (آتيك) فعل مضارع ، فالإضافة إليه لا تزيل الإعراب عن جهته ،ولكنهم يجيزون: ذلك يومَ نفع زيداً صدقه ؛ لأن الفعل الماضي

(١) انظر الإغفال ٣٠٣/٢ ، وانظر رسالة النحو القرآني بين الزجاج وأبي علي للمؤلف ص١٣٥٤ ، ١٣٥٥ .
(٢) المائدة/ ٢٦ .　(٣) معانيه ١٦٥/٢ .　(٤) الزمر /٦٧ .
(٥) معانيه ٣٦٢/٤ .　(٦) المائدة/ ١١٩ .

غير مضارع ، فهي إضافة إلى غير متمكن ، وإلى غير ما ضارع المتمكن " [1] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [2] ، وقد أورده بنصب (يوم) وقال : " ويجوز : (يومُ هم على النار يفتنون) ، فمن نصب فهو على وجهين : أحدهما على معنى : يقع الجزاء يوم هم على النار يفتنون ، ويكون لفظه لفظ نصب ومعناه معنى رفع ؛ لأنه مضاف إلى جملة كلام ، تقول : يعجبني يومَ أنت قائم ، ويومُ أنت قائم ، ويومُ أنت تقوم ، وإن شئت فتحت وهو في موضع رفع ، كما قال :

لم يمنع الشرب منها غيرَ أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقالِ [3]

وقد رويت (غيرُ أن نطقت) ، لما أضاف (غير) إلى (أن) وليست بمتحركة فتح ، وكذلك لما أضاف (يوم) إلى (هم على النار) فتح ، وقرئت : (ومن خزي يومَئذ) [4] ففتحت (يوم) وهو في موضع جر ؛ لأنك أضفته إلى غير متمكن " [5] .

الثالث : في توجيه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [6] ، وقد أورده الزجاج بنصب (يوم) وقال :" وقرئت (يومُ لا تملك)، فمن قرأ بالرفع فعلى أن اليوم صفة لقوله : (يوم الدين) [7] ، ويجوز أن يكون رفعا بإضمار (هو) فيكون المعنى : هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، ويجوز أن يكون في موضع رفع وهو مبني على الفتح لإضافته إلى قوله (لا تملك) ؛ لأن ما أضيف إلى غير المتمكن قد بني على الفتح وإن كان في موضع رفع أو جر ، كما قال الشاعر :

لم يمنع الشرب منها غيرَ أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقالِ

فأضاف (غير) إلى قوله :(أن نطقت) فبناه على الفتح ، وجاز أن يكون نصبه على معنى : هذه الأشياء المذكورة تكون يوم لا تملك نفس لنفس شيئا " [8] .

والنصب في (يوم) في الآية قراءة السبعة ما عدا ابن كثير وأبا عمرو فإنهما قرآ بضم الميم [9] .

(١) معانيه ٢/٢٢٤ ، ٢٢٥ . (٢) الذاريات /١٣ .

(٣) من بحر البسيط لأبي قيس بن الأسلت ، من شواهد الكتاب ٢/٣٢٩ ، وانظره في الخزانة ٣/٤٠٦.

(٤) هود /٦٦ . (٥) معانيه ٥/٥٢ ، ٥٣ . (٦) الانفطار /١٩ .

(٧) في قوله تعالى في الآية قبلها : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ .

(٨) معانيه ٥/٢٩٦ . (٩) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ص٧٥٣ ، ٧٥٤ .

إضافة ظرف الزمان المختص إلى (إذ) :

تحدث عنها الزجاج في موضعين من المعاني :

الأول : في توجيه قوله تعالى:﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾[1] حيث قال : " قوله : (من عذاب يومئذ) بكسر (يوم) وفتحه ، فمن كسر فعلى الإضافة ؛ لأن الذي تضيف إليه الأول مجرور بالإضافة ، ومن فتح (يوم) فلأنه مضاف إلى غير متمكن ، مضاف إلى (إذ) و(إذ) مبهمة ، ومعناه : يوم إذ يكون كذا وكذا ، فلما كانت مبهمة وأضيف إليها بني المضاف إليها على الفتح ، كذلك أنشدوا قول الشاعر :

لم يمنع الشرب منها غيرَ أن نطقت　　حمامة في غصون ذات أوقالِ[2]

فلما أضاف (غير) إلى (أن) بناها على الفتح ، وهي في موضع رفع ، والرفع أيضا قد روي فقالوا : ... غيرُ أن نطقت ، كما قرئ الحرف على إعراب الجر ، وعلى البناء على الفتح " [3] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[4] حيث قال : " (يوم عسير) يرتفع بقوله (فذلك) ، المعنى : فذلك يوم عسير يوم ينفخ في الصور ، و(يومئذ) يجوز أن يكون رفعا وأن يكون نصبا ، فإذا كان رفعا فإنما بني على الفتح لإضافته إلى (إذ) ؛ لأن (إذ) غير متمكنة ، وإذا كان نصبا فهو على معنى : فذلك يوم عسير في يوم ينفخ في الصور " [5] .

تعلق الظرف بالعامل فيه :

يهتم الزجاج في مواضع كثيرة من معانيه ببيان العامل في الظرف ، ولذلك أمثلة كثيرة أكتفي هنا بأربعة منها :

الأول : قال في توجيه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾[6] : " ونصب (يوم تجد كل نفس) بقوله : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [7] ، كأنه قال : ويحذركم الله نفسه في ذلك اليوم ، ويجوز أن يكون نصب على قوله : ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [7] يوم تجد كل نفس ، والقول الأول أجود " [8] .

---

(١) المعارج /١١ .　(٢) تقدم هذا البيت .　(٣) معانيه ٥/٢٢٥ .

(٤) المدثر /٩ .　(٥) معانيه ٥/٢٤٦ .　(٦) آل عمران /٣٠ .

(٧) أي في الآية السابقة .　(٨) معانيه ١/٣٩٧ .

الثاني : قال في توجيه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ﴾ (1) : " أما نصب (يوم) فمحمول على قوله : ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا﴾ (2) : واتقوا يوم يجمع الله الرسل " (3) .

الثالث : قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ (4) : " يجوز أن يكون نصب (يوم) على (وله الملك يوم ينفخ في الصور) مبينا عن قوله : (يوم يقول كن فيكون) ، ويجوز أن يكون منصوبا بقوله (الحق) ، المعنى : وقوله الحق يوم ينفخ في الصور " (5) .

الرابع : قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ (6) : " (يوم) منصوب على التلاوة والذكر ، المعنى : واذكر يوم نسير الجبال ، ويجوز أن يكون نصبه على (والباقيات الصالحات خير) يوم نسير الجبال ، أي خير في القيامة من الأعمال التي تبقى آثامها " (7) .

علة بناء الظروف المبهمة :

تحدث عن ذلك الزجاج في كتابه (ما ينصرف ..) فقال : " هذا باب الظروف المبهمة ، وهي (متى) و(كيف) و(أين) و(إذْ) و(إذا) و(قبلُ) و(بعدُ) و(حيثُ) ، فهذه ظروف لما كانت مبهمة تقع على كل شيء منعت الإعراب ، فما حرك منها فلالتقاء الساكنين ، وما كان منها مضارعًا للمتمكن حرك ليفصل بينه وبين غير المتمكن ، ومنها ما يسكن آخره إذا كان قبل آخره حركة ، ومن هذه الظروف أيضا (عند) و(لدن) و(لدى) و(مع) " (8).

معاني الظروف وأحكامها :

للزجاج في هذا الموضوع حديثان ، أحدهما في كتابه (ما ينصرف) تحت عنوان باب الظروف المبهمة ، والثاني متناثر في كتابه (معاني القرآن) ، وسأتبع حديثه في (ما ينصرف) بما يتصل به في معانيه ، وهذا أوان ذلك :

[متى] تناوله الزجاج في ما ينصرف فقال : " هي سؤال عن زمان تقع على كل أسماء الزمان ، وهي معرفة ، وجوابها أنك تقول : متى القتال ؟ فيقول : اليوم ، ويوم السبت ،

(1) المائدة /109 . (2) في الآية السابقة وهي الآية 108 . (3) معانيه 2/218 .
(4) الأنعام /73 . (5) معانيه 2/264 . (6) الكهف /47 .
(7) معانيه 3/292 . (8) ما ينصرف ص87 .

وغدا ، وما أشبه ذلك ، وإنما منعت الإعراب لإبهامها ، ولولا الإبهام لمنعها أيضا معنى الاستفهام الإعراب ، وهي أيضا تكون للشرط والجزاء ، تقول : متى تأتني أكرمك ، أي في أي وقت أتيتنا أكرمناك ، قال الشاعر :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره   تجد خير نار عندها خيرُ موقدِ (١)

ولا تقع (متى) في الخبر على غير الجزاء ، لا تقول : أتيتك متى القتال ؛ لأنها وضعت مبهمة غير موصولة " (٢) .

[أين] تحدث الزجاج عن علة بنائها وحكمة وضعها ووضع (متى) للاستفهام ، فقال في كتابه (ما ينصرف) : " هي مفتوحة الآخر لالتقاء الساكنين ، وهي تكون استفهاما ، تقول : أين زيد ؟ وهي سؤال عن مكان ، والحكمة في (أين) و(متى) أنهما وما أشبههما وضعن لسؤال يوجب جواب الكلمة ، وكان الأصل في كل مستفهم عنه أن يجاب بـ(نعم) أو (لا)، فكان الأصل في قولك: متى تخرج ؟ أن تقول : أتخرج اليوم ؟ فيكون الجواب : نعم، أو : لا ، فإذا قال (لا) وجب أن تسأله عن الزمان أبدا حتى يقول : (نعم) فتقول : أتخرج يوم الجمعة ؟ أتخرج يوم السبت ؟ فجعلت (متى) ينبئ جوابها عن وجوب الخروج في وقت بعينه ، فإذا قال : متى تخرج ؟ قلت : يوم كذا وكذا ، فإذا قال : أين تذهب ؟ قلت : إلى مكان كذا ، وكذلك أسماء الاستفهام كلها فيها اختصار وإيجاز .

و(أين) تكون للشرط والجزاء ، تقول : أين تكن أكن ، وأينما تكن أكن " (٣) .

[أنى ، وثم ، وهنا] تحدث عنها الزجاج في كتابه (ما ينصرف) فقال : " ومن أسماء الظروف المبهمة أن تقول : أنى لك هذا ؟ أي : من أين لك هذا ؟ ، ومنها (ثَمَّ) ، تقول : ثَمَّ زيد فتفتحها لالتقاء الساكنين لأن (ثَمَّ) في الإشارة إلى مكان متراخ عنك ، ومنها (هنا) ، تقول : هنا زيد ، فهو اسم كقولك : في هذا المكان زيد ، وهي مبنية ، وهي من أصعب ما في الباب ؛ لأن (متى) و(هنا) أواخرهما ألف ، والألف لا تكون إلا زائدة أو منقلبة من حرف من نفس الكلمة .

وزعم المازني ـ أخبرني عنه محمد بن يزيد ـ أن هذه الألفات تكون أصلا في الحروف التي جاءت لمعنى ، فالألف في (هذا) أصل ليست منقلبة من شيء " (٤) .

---

(١) البيت من بحر الطويل ، وقائله الحطيئة ، من شواهد الكتاب ٨٦/٣ ، وانظره في الخزانة ٧٤/٣ ، ١٥٦/٧، ٩٢/٩ : ٩٤ .

(٢) ما ينصرف ص٨٧ ، ٨٨ .   (٣) ما ينصرف ص٨٨ .   (٤) ما ينصرف ص٨٨ ، ٨٩ .

[قبل وبعد] تحدث عنهما الزجاج في كتاب ما ينصرف في باب الظروف المبهمة فبين مواقعهما الإعرابية، وعلّل بناءهما على الضم ، وعلل تسميتهما باسم (غاية) فقال:" ومن هذه الظروف (قبل) و(بعد)، وهما في الإضافة متمكنتان تقعان في موضع النصب والجر، تقول : رأيت زيدا قبلَك ومن قبلِك ، فإذا حذفت الإضافة منهما وفي الكلام دليل عليها قلت : رأيت زيدًا قبلُ يا هذا وبعدُ يا هذا ، وكذلك : من قبلُ ومن بعدُ ، قال الله عز وجل : ﴿ لله الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾[1] فبنيتا على الضم، قال سيبويه[2]: لأنهما متمكنتان جعلتا بمنزلةَ غير المتمكن ، وتفسير هذا القول أنهما لما حذفت الإضافة منهما ودلتا على معنى التعريف جعلتا معرفتين من غير جهة التعريف فتضمنتا معنى إضافة ليست في لفظهما ، فوجب ألا تعربا ، ولكنهما لم تبنيا على السكون ليفصل بين ما بني ولا تمكن له و{ لا } [3] كان له حظ في التمكن وبين ما جعل غير متمكن وكان متمكنا فوجب أن يحرك ، فلم يحرك بالفتح لأن الفتح يدخله بحق الإعراب ، ولم يحرك بالكسر لأن الكسر يدخله بحق الإعراب ، ولا حق لهما في الضم لأن الرفع لا يدخلهما لأنهما لم تستعملا إلا ظرفين ، فبنيا على الضم ، كما أنك { لما } [3] أردت أن تحرك (لم يجلس) لالتقاء الساكنين حين قلت : لم يجلسِ الغلامُ ، حركته بالكسر لأن الضم والفتح كانا يدخلانه بحق الإعراب ، فهذا تفسير ضم (قبل) و(بعد) ، ويجوز : (رأيت زيدًا قبلاً ومن قبلٍ) إذا أردت : رأيت زيدًا رؤيةً متقدمةً ، وإن أردت رؤيةً متأخرةً قلت : رأيت زيدًا بعدًا ومن بَعدٍ ، لا تريد بهما قبل شيء بعينه قد عرفه المخاطب .

وليس بين النحويين اختلاف في تسمية (قبلُ) و(بعدُ) غاية ، ولكن الاختلاف في تفسيرها، لم سميت غاية؟ فالذي يذهب إليه النحويون إذا قلت: هذا قبل هذا، أو هذا بعد هذا ، فقد انتهى في التقدم والتأخر ، وذكر أبو العباس محمد بن يزيد [4] أنهما وما أشبههما سمي كل واحد منهما غاية في حال الحذف، إذا قلت: من قبلُ ومن بعدُ، فكان الأصل (من قبلِ ما تعلم ومن بعدِ ما تعلم) فكانت نهايةُ الكلمة المخفوضَ ، فلما حذفت المخفوض صار آخر كل واحد من هذه الحروف غاية لها ، وهذا قول حسن " [5] .

وتحدث الزجاج عن بناء (قبلُ) على الضم في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[6] فقال :" ضم (قبل) لأنها غاية كان يدخلها بحق الإعراب

(١) الروم /٤ . (٢) انظر الكتاب ٢/١٩٩ ، ٤/٢٣٣ . (٣) زيادة مناسبة للسياق .
(٤) المقتضب ٣/١٧٥ . (٥) ما ينصرف ص٨٩ : ٩١ . (٦) البقرة /٨٩ .

الكسر والفتح ، فلما عدلت عن بابها بنيت على الضم ، فبنيت على ما لم يكن يدخلها بحق الإعراب ، وإنما عدلت عن بابها لأن أصلها الإضافة ، فجعلت مفردة تنبئ عن الإضافة ، المعنى : وكانوا من قبل هذا " [1].

وتحدث عن (قبل) و(بعد) حديثا مستفيضا معللا بناءهما على الضم ، ومبينا أحوالهما الأخرى في توجيه قوله تعالى : ﴿لله الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[2] فقال :" القراءة بالضم ، وعليه أهل العربية والقراء كلهم ، فَأما النحويون فيجيزون (من قبلٍ) بتنوين (ومن بعدٍ) ، وبعضهم يجيز (من قبلِ) و(من بعدِ) بغير تنوين ، وهذا خطأ .

(قبل) و(بعد) أصلهما ههنا الخفض ، ولكن بنيتا على الضم لأنهما غايتان ، ومعنى غاية أن الكلمة حذفت منها الإضافة وجعلت غاية الكلمة ما بقي بعد الحذف ، وإنما بنيتا على الضم لأن إعرابهما في الإضافة النصب والخفض ، تقول : رأيته قبلك ومن قبلك ، ولا يرفعان لأنهما لا يحدث عنهما ؛ لأنهما يستعملان ظرفين ، فلما عدلا عن بابهما حركا بغير الحركتين اللتين كانتا تدخلان بحق الإعراب .

فأما وجوب ذهاب إعرابهما وبناؤهما فلأنهما عرفا من غير جهة التعريف ؛ لأنهما حذف منهما ما أضيفتا إليه ، والمعنى : لله الأمر من قبل أن تغلب الروم ومن بعد ما غلبت ، فأما الخفض والتنوين فعلى من جعلهما نكرتين ، المعنى : لله الأمر من تقدم ومن تأخر ، والضم أجود .

فأما الكسر بلا تنوين فذكر الفراء [3] أنه تركه على ما كان يكون عليه في الإضافة ولم ينون ، واحتج بقول الأول :

... ... بين ذراعي وجبهة الأسد [4]

وبقوله :

إلا علالة أو بداهة سابح نهدِ الجزارة [5]

وهذا ليس كذاك ؛ لأن معنى ذا : بين ذراعي الأسد وجبهته ، فقد ذكر أحد المضاف

---

(1) معانيه ١/١٧١ . (2) الروم /٤ . (3) معاني الفراء ٢/٣٢١ ، ٣٢٢ .

(4) عجز بيت من المنسرح للفرزدق ، وصدره في معاني الفراء (٢/٣٢٢) * يا من رأى عارضا أكفكفه * ، وفي ابن يعيش (٣/٢١) * يا من رأى عارضا أرقت له * .

(5) البيت من مجزوء الكامل ، وهو للأعشى (ديوانه ص١٥٩) والرواية هنا توافق رواية البغدادي في الخزانة (٥/٥٠٠) ، ورواية الفراء (٢/٣٢٢) : * إلا بداهة أو علالة ...* ، والبداهة : أول جري الفرس ، والعلالة : بقية جريه ، والنهد : المرتفع ، والجزارة : الرأس واليدان ، والبيت في الكتاب ١/١٧٩ .

إليهما ، وذاك لو كان : لله الأمر من قبل ومن بعد كذا لجاز وكان المعنى : من قبل كذا ومن بعد كذا ، وليس هذا القول مما يعرج عليه ، ولا قاله أحد النحويين المتقدمين [١] .

أقول : كسر (قبل) و(بعد) في الآية بلا تنوين قراءة غير متواترة قرأ بها الجحدري والعقيلي [٢] ، والظاهر أن الزجاج لم يطلع عليها ، ولهذا ذكرها على أنها وجه أجازه الفراء ثم وصف هذا الوجه بأنه خطأ كما تقدم ، والنحويون يمثلون بهذه القراءة ويقول مزاحم العقيلي :

ومن قبل نادى كل مولى قرابة فما عطفت مولى عليه العواطف [٣]

لإحدى الصور التي يجب فيها إعراب (قبل) و(بعد) ، وهي أن يحذف المضاف إليه بعدهما وينوى ثبوت لفظه فيبقى الإعراب وترك التنوين على حالهما كما لو ذكر المضاف إليه " [٤] .

[منذ وحيث] تحدث عنهما الزجاج في كتابه (ما ينصرف) فعلل لتسمية (منذ) غاية ، ولبنائها على الضم ، وانتقل إلى (حيث) فذكر علة بنائها على الضم ، وذكر جواز فتحها ، وذكر ما توصل به فقال : " فإن قال قائل : فلم سميت (منذ) غاية وأنت تقول: منذ يومين ؟ فالجواب في هذا أنك يجوز لك أن ترفع اليومين فتقول : منذ يومان ، كما تقول : مذ يومان ، وإنما حركتها بالضم لالتقاء الساكنين ، فاخترت لها حركة الغاية كما فعلت في (حيثُ) حين قلت : قعدتُ حيثُ زيدٌ قاعد ؛ لأن أصل (حيثُ) أنها منعت الإضافة فحركت بالضم لالتقاء الساكنين ، واختير لها ذلك لأنها غاية ، وقد يجوز فتحها ، يجوز أن تقول : حيثَ زيدٌ قائم ، فأما في القراءة فلا يقرأ : (سنستدرجهم من حيثَ لا يعلمون) [٥] وإن كانت جائزة في العربية ؛ لأن القراءة سنة متبعة ، فمخالفتها بما يجوز في الإعراب بدعة ، وفيها لغة أخرى : (حوثُ) ، فأما من زعم أنها ضمت لأن أصلها (حَوْثُ) فيقال له: الكلام (حوثُ) بالضم فلم ضمت حوثُ؟ وهذا قول لا يعرج عليه ، وإنما لم تضف (حيث) لأنها ليست لمكان بعينه نحو : خلف وأمام وقدام ، إذا ذكرت (خلفًا) و(قدامًا) و(أمامًا) علمت الجهة ، وإذا ذكرت (حيث)

(١) معاني الزجاج ٤/١٧٦ ، ١٧٧ . (٢) التصريح ٢/٥٠ .
(٣) البيت من بحر الطويل ، وهو من شواهد الكتاب ١/٣٦٧ .
(٤) انظر التصريح ٢/٥٠ ، والهمع ١/٢٠٩ ، وخزانة الأدب ٦/٥٠٤ . (٥) القلم/٤٤ .

لم يدلك على جهة ، فإنما جعلت اسما مبهما للتنقل من سائر الأمكنة فوصلت بما يوضحها كما وصلت (الذي)، فلا يجوز أن توصل إلا بجملة معها فعل أو اسم الفعل ؛ لأنها للتنقل ، والتنقل لا يكون إلا عن فعل ، فلو قلت : (جلست حيث زيدٌ) لم يكن كلامًا ؛ لأن (حيث زيدٍ) لا يعلم هل هو خلفه أو أمامه أو قدامه ، ولو قلت : (حيث زيدٌ قائمٌ) علم أنه في المكان الذي فيه قيام زيد " [1] .

وتحدث عن (حيث) في معانيه في توجيه قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [2] فقال " (حيث) في موضع جر ، إلا أنها بنيت على الضم ، وأصلها أن تكون موقوفة لأنها ليست لمكان بعينه ، وأن ما بعدها صلة لها ليست بمضافة إليه ، ومن العرب من يقول : (من حيثَ خرجت)[3] فيفتح لالتقاء الساكنين ، ومنهم من يقول: (من حوثَ خرجت) ، ولا تقرأ بهاتين اللغتين ؛ لأنهما لم يقرأ بواحد منهما ، ولا هما في جودة (حيث) المبنية على الضم " [4] .

قلت : ما ذكره الزجاج هنا من أن (حيث) ليست بمضافة إلى ما بعدها يخالف المشهور عند النحويين ، وقد ناقشه أبو علي في الإغفال ، وأثبت أن (حيث) ليست موصولة ، وأنها مضافة إلى الجملة بعدها [5] .

[عند] تحدث عنها الزجاج في كتابه ما ينصرف بالنقل عن سيبويه فقال:"قال سيبويه[6]: سألت الخليل عن (عند) ما بالها أعربت وهي كـ(لدن) ، تقول : جئت من عندِ زيد ، وكنت عندَ زيد ، وتقول : قد بلغت من لدنْ زيد ما أحب ، ولا تقول : من لدنِ زيد ، فقال : من قبل أن (عند) تصرفت واتسعت ، تقول : عندَ زيد مال ، فيكون بحضرته ويكون نائيا عنه تناله يده ، وتقول : القول عندي كذا وكذا ، أي في تمييزي ، ولا تقول : القول لدنّي ، فلما كانت (عند) أزيد أعربت " [7] .

وتحدث في معانيه عن العامل فيها ، وعن معنى الظرفية فيها في توجيه قوله تعالى : ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللهِ ﴾[8] فقال :" و(عند) متصلة بـ(سيصيبهم) عند الله

(١) ما ينصرف ص٩١ ، ٩٢ . (٢) الأعراف /٢٧ .
(٣) البقرة /١٤٩ ، ١٥٠ . (٤) معاني الزجاج ٢/٣٢٩ .
(٥) انظر الإغفال ٢/٢٤٩ ، ورسالة النحو القرآني بين الزجاج وأبي علي الفارسي للمؤلف ص١٣٢٣ .
(٦) الكتاب ٣/٢٨٦ ، وهو نقل بالمعنى. (٧) ما ينصرف ص٩٢ . (٨) الأنعام /١٢٤ .

صغار ، وجائز أن تكون (عند) متصلة بـ(صغار) فيكون المعنى . سيصيب الدين أجرموا صغار ثابت لهم عند الله ، ولا تصلح أن تكون (من) محذوفة من (عند) ، إنما المحذوف (في) من (عند) في المعنى إذا قلت : زيد عند عمرو ، والمعنى : زيد في حضرة عمرو " [1] .

[لدن] لقد أشار الزجاج في كتابه (ما ينصرف) إلى هذا الظرف في حديثه عن الظرف (عند) ولم يشبع القول فيه ، لكنه في معانيه تحدث عنه بالتفصيل فذكر موضعه من الإعراب ، واللغات فيه ، ووضح معناه ، وفرق أيضا بينه وبين (عند) ، وجاء ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [2] ، وفي ذلك يقول : " وقعت (لدن) وهي في موضع جر ، وفيها لغات ، يقال : لدُ ، ولدُن ، ولُدْن ، ولَدَن ، والمعنى واحد، ومعناه : من قبله ، إلا أنها لا تتمكن تمكن (عند) ؛ لأنك تقول : هذا القول عندي صواب ، ولا يقال : القول لدني صواب ، وتقول : عندي مال عظيم والمال غائب عنك، و(لدن) لما يليك " [3] .

كما تناوله بالتفصيل في توجيه قوله تعالى : قد بلغت من لدني [4] فأورده على القراءة بضم الدال وتشديد النون وقال : " وتقرأ (من لدُنِي) بتخفيف النون ، ويجوز (من لدْني) بتسكين الدال ، وأجودها تشديد النون ؛ لأن أصل (لدن) الإسكان ، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نونا ليسلم سكون النون الأولى ، تقول : من لدنْ زيد فتسكن النون ، ثم تضيف إلى نفسك فتقول : من لدنّي ، كما تقول : عن زيد ثم تقول : عنّي ، ومن قال : من لدْني فخفف لم يجز أن يقول : مِنِي وعنِي بحذف النون ؛ لأن (لدن) اسم غير متمكن و(من) و(عن) حرفان جاءا لمعنى ، و(لدن) مع ذلك أثقل من (من) و(عن).

والدليل على أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم : قدني في معنى حسبي ، يقولون : قدني زيد ، ويدخلون النون كما ذكرنا إذا أضيف ، ويجوز (قدِي) بحذف النون ؛ لأن (قد) اسم غير متمكن ، قال الشاعر :

قدني من نصر الخبيبين قدي [5]

فأما إسكان الدال في (لدن) فكما قالوا في عضُد : عضْد فيحذفون الضمة " [6] .

---

(١) معانيه ٢٨٩/٢ . (٢) النساء / ٤٠ . (٣) معانيه ٥٣/٢ . (٤) الكهف / ٧٠ .
(٥) من مشطور الرجز ، لأبي نخيلة ، من شواهد الكتاب ٣٧١/٢ . (٦) معانيه ٣٠٣/٣ ، ٣٠٤ .

والقراءات الثلاث التي ذكرها قراءات سبعية [1] .

[خلف وأمام وقدام وتحت] تحدث عنها الزجاج في كتابه (ما ينصرف) فذكر بناءها على الضم ، وذكر إعرابها وتنوينها فقال : " فأما (خلف) و(أمام) و(قدام) و(تحت) فإنهن إذا حذفت الإضافة منهن كما تحذف من (قبلُ) و(بعدُ) بنيتها على الضم فقلت : أتيته من خلفُ يا هذا ، ومن تحتُ ، قال الشاعر :

أقبُّ من تحتُ عريضٌ من علُ [2]

قال [3] : فإذا جعلتها نكرة قلت : من قدامٍ وأمامٍ وخلفٍ ، وأعربتها ونونتها كما تقول : من قبلٍ ومن دبرٍ ، قال سيبويه : وزعم يونس أنك إن شئت أفردتها وجعلتها معربة لا تنصرف فتقول : من قدَّامَ يا هذا . قال : وهذا مذهب ، إلا أنا رأينا العرب بعدما سألنا الخليل توافقه ، قال : سألنا العلويين والتميميين فقالوا : من قديديمة ومن وريِّئة " [4] .

[أول] تحدث عنه الزجاج في كتابه (ما ينصرف) ناقلا عن سيبويه فقال : قال سيبويه [5]: وسألت الخليل عن قولهم : (منذ عامُ أولُ يا هذا) بغير تنوين (أول) ، و(مذ عامٌ أولٌ) بتنوين (أول) ، و(مذ عامُ أولَ يا هذا) ، ويجوز (مذ عامُ الأولِ) ، قال : من قال : مذ عامٌ أولُ فلم ينون (أول) فلأن (أول) صفة ، وهو على وزن الفعل فلم ينصرف ، ومعناه: عامٌ أولُ من عامنا هذا ، ومن قال : عامٌ أولٌ فإنما نون لأن (أولا) استعمل استعمال الأسماء ، تقول العرب : ما تركت له أولاً ولا آخرًا ، وأما (عامُ أولَ يا هذا) فإنما نصب (أول) على الظرف ، أي : عامٌ وقع أول وقت ، كما قال عز وجل : ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [6] ، وأنشد :

يا ليتها كـانت لأهــلي إبلا
أو سمنت في جدب عامٍ أولا [7]

قال سيبويه : إن شئت جعلت (أول) صفة لـ(عامٍ) وفتحته لأنه لا ينصرف ، وإن شئت نصبته على الظرف ، ويجوز : أتيته عامَ الأول على الإضافة ، تريد عام الوقت الأول .

---

(1) انظر الحجة لأبي علي الفارسي ٥/١٦٠ .
(2) من مشطور الرجز لأبي النجم ، من شواهد الكتاب ٣/٢٩٠.
(3) الضمير لسيبويه ، انظر الكتاب ٣/٢٩٠ ، ٢٩١ .
(4) ما ينصرف ص٩٢ ، ٩٣ .
(5) الكتاب ٣/٢٨٨ .
(6) الأنفال /٤٢ .
(7) من مشطور الرجز ، من شواهد الكتاب ٣/٢٨٩ ، وابن يعيش ٦/٣٤ .

وإنما صار معنى (أول) ههنا : العام الذي يلي عامك ؛ لكثرة الاستعمال وأنهم حذفوا (يلي عامك) ، كما قالوا : أتيته أولَ من أمس ، معناه : أتيته يومًا أولَ من أمسِ يلي أمسِ ، فحذف (يلي أمسِ) لأن في الكلام دليلاً عليه " [1] .

[أمس] تحدث عنه الزجاج في كتاب (ما ينصرف) بعد حديثه عن (أول) ناقلا عن سيبويه فقال : " قال سيبويه [2]: سألت الخليل عن (أمس) فقال : إذا سميت به رجلا فهو مصروف ؛ لأن (أمسِ) في بابه ليس على الحد ، ولكنه لما كثر في كلامهم وكان من الظروف جعلوه على حال واحدة كما فعلوا بـ(أين) وألزموه الكسر لأن حركته ليست بحركة إعراب وإنما هي كحركة (غاقِ) .

وحقيقة ما قال سيبويه أن (أمسِ) وجب ألا يعرب لأنه أشبه الحروف التي جاءت لمعنى ؛ لأن معناه أن كل يوم يلي يومك يقال له (أمسِ) ، فهو معرفة من غير جهة التعريف ؛ لأن تعريفه : الأمسُ كما أن تعريف (غدٍ) : الغدُ ، فلما كان كذلك وكان ظرفا وضمن معنى الألف واللام وجب إسكانه ، ولكنه كسر لالتقاء الساكنين .

وزعم سيبويه[3] أن بني تميم يمنعونه الصرف في الرفع فيقولون : ذهب أمسُ بما فيه ؛ لأنه قد خرج من باب الظروف ، ويوافقون غيرهم على الكسر في الظروف ، فأما قولهم :

لقد رأيت عجبا مذ أمسا

عجائزاً مثل الأفاعي خمسا [4]

فإنما جر بـ(مذ) وقد كان يرفع بها ، فأجراها في ترك الصرف في الجر كما فعل في الرفع ، إذ معنى الرافعة معنى الجارة .

[دون] وضح الزجاج معناها في توجيه قوله تعالى : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [5] فقال : " هذا الكلام جرى على المثل في المكان ، كما تقول : زيد دونك ، فلست تريد أنه في موضع مستفل وأنك في موضع مرتفع ، ولكنك جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع في المكان ، وجعلت الخسة كالاستفال في المكان ، فالمعنى أن المكان المرتفع في الولاية مكان المؤمنين " [6] .

(١) ما ينصرف ص٩٣ ، ٩٤ . (٢) الكتاب ٢٨٣/٣ ، ٢٨٤ . (٣) الكتاب ٢٨٣/٣ .
(٤) من مشطور الرجز أو السريع ، وهو للعجاج ، ومن شواهد سيبويه ٢٨٥/٣ .
(٥) آل عمران /٢٨ . (٦) معاني الزجاج ٣٩٦/١.

[بين] تحدث عنها الزجاج في مواضع :

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ (1) : " إنما جاز (بين ذلك) و(بين) لا تكون إلا مع اثنين أو أكثر ؛ لأن (ذلك) ينوب عن الجمل ، تقول : ظننت زيدا قائما ، فيقول القائل : قد ظننت ذاك ، وقد ظننت ذلك " (2) .

وقال في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ (3) : " الرفع - يعني في (بينكم) - أجود ، ومعناه : لقد تقطع وصلكم ، والنصب جائز ، المعنى : لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم " (4) .

والنصب في (بينكم) قراءة نافع والكسائي ، وعاصم في رواية حفص (5)، وظاهر كلام الزجاج في شأنه أنه يعرب (بينكم) ظرفا .

وقال في قوله تعالى : ﴿... يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾(6):" يجوز أن يكون السحاب جمع سحابة ، ويكون (بينه) أي بين جميعه ، ويجوز أن يكون السحاب واحدا إلا أنه قال : (بينه) لكثرته ، ولا يجوز أن تقول : جلست بين زيد ، حتى تقول : وعمرو ، وتقول : ما زلت أدور بين طرق الكوفة " (7) .

[الآن] تحدث عنه الزجاج في موضعين :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ (8) ، وفيه يقول : " أما نصب (الآن) فهي حركة لالتقاء الساكنين ، ألا ترى أنك تقول : أنا إلى الآن أكرمك ، ومن الآن فعلت ، وإنما كان في الأصل مبنيا ثم حرك لالتقاء الساكنين ، وبني وفيه الألف واللام لأنهما دخلتا لعهد غير متقدم ، وإنما تقول : الغلام فعل ، لمن عهدته أنت ومخاطبك ، وهذه الألف واللام تنوبان عن معنى الإشارة ، المعنى : أنت إلى هذا الوقت تفعل ، فلم يعرب (الآن) كما لم يعرب (هذا) " (9) .

الثاني : في توجيه قوله تعالى :﴿آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾(10)، وفيه يقول :"المعنى: آلآن تؤمنون ، فزعم الفراء أن الآن إنما هو آن كذا وكذا ، ولكن الألف واللام دخلت

---

(1) البقرة /68 . (2) معانيه 1/150 . (3) الأنعام /94 .
(4) معانيه 2/273 . (5) انظر السبعة ص263 ، والحجة لأبي علي الفارسي 3/356 .
(6) النور /43 . (7) معانيه 4/49 . (8) البقرة /71 .
(9) معانيه 1/153 ، وقد تقدم هذا النص أيضا في فصل النكرة والمعرفة . (10) يونس /51 .

على جهة الحكاية ، وما كان على جهة الحكاية نحو (قام) إذا سميت به شيئا فجعلته مبنيا على الفتح لم تدخله الألف واللام ،و(الآن) عند سيبويه والخليل مبني على الفتح، تقول : نحن من الآن نصير إليك فتفتح (الآن) ؛ لأن الألف واللام إنما تدخل لعهد ، والآن لم تعهده قبل هذا الوقت ، فدخلت الألف واللام للإشارة إلى الوقت ، المعنى : نحن من الآن نفعل ، فلما تضمنت معنى (هذا) وجب أن تكون موقوفة ، ففتحت لالتقاء الساكنين وهما الألف والنون " [1] .

أقول : ملخص ما ذكره الزجاج في الموضعين : أن (الآن) لما تضمن معنى الإشارة بني كما يبنى اسم الإشارة ، ولم يعرب كما لا يعرب (هذا) ونحوه ، وأن الألف واللام فيه دخلتا لأداء معنى الإشارة إلى الوقت ، فمعنى (نحن الآن نفعل) : نحن في هذا الوقت نفعل، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه جمهور البصريين كما بينه صاحب الإنصاف[2]، وقد نسب ابن الشجري [3] القول بذلك إلى سيبويه والأخفش والجرمي والمازني ، وقال: وبقولهم قال أبو إسحاق الزجاج ، ثم وصفه بعد ذلك بأنه أجود الأقوال ، ولعل ذلك يفسر اقتصار بعض العلماء عليه كما فعل القرطبي [4] في تفسيره حيث اقتصر عليه ونسبه إلى الزجاج .

وفي مقابل ذلك اتجه بعض النحويين إلى رد ما قاله الزجاج كالسيوطي والرضي وابن يعيش ، ففي همع الهوامع [5] : قال الزجاج : بني لتضمنه معنى الإشارة ، لأن معناه : هذا الوقت ، ورد بأن تضمين معنى الإشارة بمنزلة اسم الإشارة ، وهو لا تدخله (أل) . وفي شرح الكافية للرضي [6] : قال الزجاج : بني لتضمنه معنى الإشارة ، إذ معناه : هذا الوقت ، وهذا مذهبه في بناء (أمس) ، وفيه نظر ؛ إذ جميع الأعلام هكذا متضمنة معنى الإشارة مع إعرابها . وفي شرح المفصل [7] : ذهب أبو إسحاق إلى أن (الآن) إنما تعرف بالإشارة ، وأنه إنما بني لما كانت فيه الألف واللام لغير عهد متقدم؛ لأنك تقول : الآن فعلت ولم يتقدم ذكر الوقت الحاضر ، وهذا فاسد ؛ أما قوله : إن تعريفه بالإشارة فإن أسماء الإشارة لا تدخلها لام نحو هذا وتلك ، وأما قوله : إنه بني لأن الألف واللام فيه لغير عهد متقدم ففاسد أيضا ؛ لأنا نجد الألف واللام في كثير من الأسماء على غير عهد مع كون الأسماء معربة،وتلك الأسماء قولك: يا أيها الرجل،

---

(١) معانيه ٣/٢٤ ، ٢٥ . (٢) الإنصاف من ٢٧٠ : ٢٧٢ . (٣) أمالي ابن الشجري ٢/٢٦٠ ، ٢٦١ .
(٤) تفسير القرطبي ١/٤٥٥ . (٥) الهمع ١/٢٠٧ . (٦) شرح الكافية ٢/١١٨ .

ونظرت إلى هذا الغلام .اهـ ، وهو منقول من كلام ابن جني في سر صناعة الإعراب [(١)].

والذي أراه في تعليل بناء (الآن) هو الجمع بين أقوال العلماء في ذلك ، فأقول إنه بني لثلاثة أمور :

الأول : تضمنه معنى حرف الإشارة ومشابهته بذلك اسم الإشارة .

الثاني : مشابهته الحرف في عدم التصرف من جهتين : الأولى أنه لزم وضعا واحدا وهو التعريف باللام وبقي في الاستعمال عليه ، والثانية أنه لازم لفظا واحدا ، فلم يثن ولم يجمع ولم يصغر .

الثالث : كونه مبهما يقع على كل حاضر من الأزمنة ، فإذا انقضى لم يصلح له [(٢)] .

[مع] تحدث عنه الزجاج وبين حكمه ، وقدر العامل فيه ، وبين حكم إسكان عينه في توجيه قوله تعالى : ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [(٣)] فقال : " نصب (معكم) كنصب الظروف ، تقول : إنا معكم وإنا خلفكم ، معناه : إنا مستقرون معكم ومستقرون خلفكم ، والقراءة المجمع عليها فتح العين، وقد يجوز في الاضطرار إسكان العين ، ولا يجوز أن يقرأ بها، ويجوز : إنا معْكم للشاعر إذا اضطر ، قال الشاعر :

فريشي منكم وهواي معْكم وإن كانت زيارتكم لماما [(٤)] " [(٥)]

وقد بين الناصب له في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ [(٦)] حيث قال : " ... وموضع (ما) في (مصدق لما معهم) جر بلام الإضافة ، و(مع) صلة لها ، والناصب لـ(مع) الاستقرار ، والمعنى : لما استقر معهم " [(٧)] .

[إذ] تحدث عنه الزجاج في ثلاثة مواضع :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾ [(٨)] ، وفيه يقول : " قال أبو عبيدة : معناه : قالت امرأة عمران ، و(إذ) لغو ، وكذلك ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ [(٩)]

---

(١) ٣٥١/٢ من الكتاب المذكور .

(٢) راجع المسألة بالتفصيل في رسالة النحو القرآني للمؤلف ص١١٠٣ : ١١١٧ .

(٣) البقرة /١٤ .

(٤) البيت من الوافر ، وقائله جرير ، ورواية الديوان (ص٤١٠) : " ... وهواي فيكم " ، وعلى هذا لا شاهد فيه ، وانظر التصريح ٤٨/٢ .

(٥) معاني الزجاج ٨٨/١ .

(٦) البقرة /١٠١ .

(٧) معانيه ١٨٢/١ .

(٨) آل عمران /٣٤ .

(٩) آل عمران /٤٢ .

قال : معناه : وقالت ، ولم يصنع أبو عبيدة في هذا شيئا .

قال جميع النحويين : إن (إذ) يدل على ما مضى من الوقت ، فكيف يكون الدليل على ما مضى من الوقت لغوا ؟ وهي اسم مع ما بعدها .

وقال غير أبي عبيدة ـ منهم أبو الحسن الأخفش وأبو العباس محمد بن يزيد ـ : المعنى : اذكروا إذ قالت امرأة عمران .

والمعنى عندي ـ والله أعلم ـ غير ما ذهبت إليه هذه الجماعة ، وإنما العامل في (إذ قالت) معنى الاصطفاء ، المعنى ـ والله أعلم ـ واصطفى آل عمران إذ قالت امرأة عمران : رب إني نذرت لك ما في بطني محررا ، واصطفاهم إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك ، فذكر (اصطفاك) يدل على ما وصفنا ، ومعنى (نذرت) يدل على ما وصفنا " [١] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [٢] ، وفيه يقول : " (إذ) نصب ... كأنه قيل:واذكر إذ استسقى موسى لقومه ، إلا أن (إذ) لا يظهر فيها الإعراب؛ لأنها لا تتم إلا بأن توصل ، وجميع ما لا يتم من هذه المبهمة إلا بصلة لا يعرب ؛ لأنه بعض اسم ولا يعرب إلا الاسم التام ، ولكن (إذ) كسرت لالتقاء الساكنين " [٣] .

الثالث : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [٤]، وفيه يقول : " قال أبو عبيدة : (إذ) ههنا زائدة ، وهذا إقدام من أبي عبيدة ؛ لأن القرآن لا ينبغي أن يتكلم فيه إلا بغاية تجري إلى الحق ،و(إذ) معناها الوقت وهي اسم، فكيف تكون لغوا ومعناها الوقت ؟ والحجة في (إذ) أن الله تعالى خلق الناس وغيرهم، فكأنه قال : ابتدأ خلقكم إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة " [٥] .

[إذا] تحدث عنها الزجاج ببيان العامل فيها في توجيه قوله تعالى : ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [٦] فقال : " موضع (إذا) نصب ، فمن قرأ : (أإذا كنا ترابا) على لفظ الاستفهام ثم قرأ : (إنا لفي خلق جديد) دخل ألف الاستفهام على جملة الكلام وكانت (إذا) نصبا بـ(كنا) لأن الكلام يكون في معنى الشرط والجزاء ، ولا يجوز أن يعمل

(١) معانيه ١/٤٠٠ . (٢) البقرة/٦٠ . (٣) معانيه ١/١٤٠ ، ١٤١ .
(٤) البقرة/٣٠ . (٥) معانيه ١/١٠٨ . (٦) الرعد/٥ .

(جديد) في (إذا) ؛ لأن ما بعد (إن) لا يعمل فيما قبلها ، لا اختلاف بين النحويين أن ما بعد (إن) لا يعمل فيما قبلها " [1] .

أقول : ذهب العكبري [2] ومكي [3] والسمين [4] إلى منع ما مشى عليه الزجاج هنا من أن العامل في (إذا) (كنا) ؛ لأن (إذا) مضافة إليه ، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف ، ورد ابن هشام ذلك في المغني [5] ، وقرر أن (إذا) عند من يقول بأن العامل فيها شرطها غير مضافة ، كما يقول ذلك الجميع إذا جزمت .

كما بين العامل في (إذا) في توجيه قوله تعالى : ﴿أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [6] حيث قال : " تقرأ : (أإنا لفي خلق جديد) وتقرأ : (إنا لفي خلق جديد)، وموضع (إذا) نصب ، فمن قرأ (أإذا) فعلى معنى : أنبعث إذا ضللنا في الأرض ، ويكون يدل عليه (أإنا لفي خلق جديد) ، ومن قرأ (إنا لفي خلق جديد) فـ(إذا) منصوبة بـ(ضللنا) وتكون في معنى الشرط والجزاء ، ولا يضر ألا تذكر بعدهما الفاء ؛ لأن (إذا) قد وليها الفعل الماضي ، ولا يجوز أن تنصب (إذا) بما بعد (إن) لا اختلاف بين النحويين في ذلك " [7] .

وقد فرق الزجاج بين (إذا) و(إذ) في توجيه قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [8] حيث قال : " معنى (إذا) ههنا ينوب عما مضى من الزمان وما يستقبل جميعا ، والأصل في (إذ) الدلالة على ما مضى ، تقول : أتيتك إذ قمت ، وآتيك إذا جئتني ، ولم يقل ههنا إذ ضربوا في الأرض ؛ لأنه يريد : شأنهم هذا أبدا ، ومثل ذلك في الكلام : فلان إذا حدث صدق ، وإذا ضرب صبر ، فـ(إذا) لما يستقبل إلا أنه لم يحكم له بهذا المستقبل إلا بما خبر منه فيما مضى " [9] .

---

(1) معانيه ٣/١٣٨ ، ١٣٩ . (2) الإملاء ٣/٣٧٠ . (3) المشكل ١/٤٤١ .
(4) الدر المصون ٧/١٦ . (5) مغني اللبيب ١/٩٦ . (6) السجدة /١٠ .
(7) معاني الزجاج ٤/٢٠٥ . (8) آل عمران /١٥٦ . (9) معانيه ١/٤٨٥ .



الفصل الثامن عشر

المفعول معه

اسمه :

يطلق عليه الزجاج : المنصوب على معنى (مع) ، وقد جاء هذا الإطلاق في توجيهه لقوله تعالى : ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [1] ، وفيه يقول : " قوله : (والطيرُ) (والطيرَ) يقرآن بالرفع والنصب ... والنصب من ثلاث جهات : أحدها ان يكون عطفا على قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ... وَالطَّيْرَ﴾ ، ويجوز أن يكون نصبا على النداء ... ويجوز أن يكون (والطير) منصوبا على معنى (مع) كما تقول : قمت وزيدا ، أي قمت مع زيد، فالمعنى : أوبي معه ومع الطير " [2] .

ناصبه :

لم يرد في كلام الزجاج أي إشارة إلى أن المفعول معه منصوب بمضمر بعد الواو كما نسب إليه ذلك ابن مالك [3] وابن هشام [4] وغيرهما [5] ، بل الظاهر من كلامه السابق وغيره أنه يسير على مذهب الجمهور ، وهو أن الناصب للمفعول معه ما سبقه من فعل أو شبهه .

معنى الواو في هذا الباب :

يفسر الزجاج الواو في هذا الباب بمعنى (مع) كما يتبين مما سبق ، وكما يتبين من هذه الأمثلة :

- قال في توجيه قوله تعالى : ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [6] : " قوله : فأجمعوا أمركم وشركاءكم ، وتقرأ : فاجمعوا أمركم وشركاءكم ، زعم الفراء [7] أن معناه :

---

(١) سبأ /٦ . (٢) معانيه ٢٤١/٤ . (٣) التسهيل ص٩٩ . (٤) أوضح المسالك ٢٤٣/٢ .

(٥) انظر الهمع ٢٢٠/١ ، وشرح ابن يعيش ٤٩/٢ ، وشرح الرضي للكافية ١٧٨/١ .

(٦) يونس /٧١ . (٧) معاني الفراء ٤٧٣/١ .

فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم ، وهذا غلط ؛ لأن الكلام لا فائدة فيه ، لأنهم إن كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم فالمعنى : فأجمعوا أمركم مع شركائكم ، كما تقول: لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها ، المعنى : لو تركت مع فصيلها لرضعها.

ومن قرأ : (وشركاؤكم) جاز أن يعطف به على الواو ؛ لأن المنصوب قد قوى الكلام ، لو قلت : لو تركت اليوم وزيد لعلمت ، ولو قلت : لو تركت وزيد لقبح ؛ لأنك لا تعطف على المضمر المرفوع حتى تقوي المرفوع بلفظ معه .

ومن قرأ : (وشركاءكم) في قوله : (فاجمعوا أمركم) بوصل الألف فنصبه على ضربين : أحدهما العطف على الأمر ، المعنى : فاجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم ، ويكون : فاجمعوا مع شركائكم أمركم " [1] .

والقراءة بالهمز وكسر الميم أمرا من (أجمع) تروى عن السبعة جميعا ، إلا أن نافعا روي عنه بجانب ذلك (فاجمعوا) أمرا من (جمع) ، وهي قراءة رواها عنه الأصمعي [2] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ﴾ [3] : " موضع (من) رفع عطفا على الواو في (يدخلونها) ، وجائز أن يكون نصبا كما تقول : قد دخلوا وزيدا ، أي : مع زيد " [4] .

- وأورد الزجاج قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ [5] برفع (الطير) وقال : " ويجوز (والطيرَ صافات) على معنى : يسبح له الخلق مع الطير ، ولم يقرأ بها " [6] .

ونصب (الطير) في الآية قراءة تنسب إلى الأعرج [7] ، وقول الزجاج : " ولم يقرأ بها " يحتمل أنه لم يطلع على القراءة بها، ويحتمل أنه يتحدث عن القراءات المتواترة، ولم يقرأ بها فيها .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٧/٣ ، ٢٨ .
(٢) انظر السبعة ص٣٢٨ ، والحجة لأبي علي ٢٨٦/٤ .
(٣) الرعد /٢٣ .
(٤) معانيه ١٤٧/٣ .
(٥) النور /٤١ .
(٦) معانيه ٤٨/٤ .
(٧) روح المعاني ١٨٨/١٨ .

الفصل التاسع عشر

المستثنى

فائدة الاستثناء :

تحدث عنها الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [1] مبينا حكم الاستثناء في العدد فقال : " الاستثناء مستعمل في كلام العرب ، وتأويله عند النحويين توكيد العدد وكماله ؛ لأنك قد تذكر الجملة ويكون الحاصل أكثرها ، فإذا أردت التوكيد في تمامها قلت : كلها ، وإذا أردت التوكيد في نقصانها أدخلت فيها الاستثناء ، تقول : جاءني إخوتك ، تعني أن جميعهم جاءك ، وجائز أن تعني أن أكثرهم قد جاءك ، فإذا قلت : جاءني إخوتك كلهم أكدت معنى الجماعة ، وأعلمت أنه لم يتخلف منهم أحد ، وتقول : جاءني إخوتك إلا زيدا فتؤكد أن الجماعة تنقص زيدا .

وكذلك الأعداد مشبهة بالجماعات ، تقول : عندي عشرة { فيجوز أن } تكون ناقصة وجائز أن تكون تامة ، فإذا قلت : عشرة إلا نصفا ، أو : عشرة كاملة حققت ، وكذلك إذا قلت : ألف إلا خمسين ، فهو كقولك : عشرة إلا نصفا ؛ لأنك إنما استعملت الاستثناء فيما كان أملك بالعشرة من التسعة ؛ لأن النصف قد دخل في باب العشرة ، ولو قلت : عشرة إلا واحدا أو إلا اثنين كان جائزا وفيه قبح ؛ لأن تسعة وثمانية يؤدي عن ذلك العدد ، ولكنه جائز من جهة التوكيد أن هذه التسعة لا تزيد ولا تنقص ؛ لأن قولك : عشرة إلا واحدا قد أخبرت فيه بحقيقة العدد واستثنيت ما يكون نقصانا من رأس العدد .

والاختيار في الاستثناء في الأعداد التي هي عقود الكسور ، والصحاح جائز أن تستثنى ، فأما استثناء نصف الشيء فقبيح جدا لا تتكلم به العرب ، فإذا قلت : عشرة إلا خمسة فليس تطور[2] العشرة بالخمسة؛ لأنها ليست تقرب منها، وإنما تتكلم بالاستثناء

(1) العنكبوت /١٤ .

(2) كذا في المعاني ، ولعل أصلها : تُصَوَّر .

كما تتكلم بالنقصان ، فتقول : عندي درهم ينقص قيراطا ، ولو قلت : عندي درهم ينقص خمسة دوانيق أو ينقص نصفه كان الأولى بذلك عندي نصف درهم ، ولم يأت الاستثناء في كلام العرب إلا قليل من كثير " (1) .

بم ينتصب المستثنى ؟

يقول الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ (2) : " (الذين) في موضع نصب على الاستثناء " (3) .

ويقول في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنكُمْ﴾ (4) : " نصب (قليلا) على الاستثناء ، المعنى : أستثني قليلا منكم " (5) .

ويقول في قوله تعالى : ﴿تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾(6) :" (قليلا) منصوب على الاستثناء، فأما من روى (تولوا إلا قليل منهم) فلا أعرف هذه القراءة ولا لها عندي وجه ؛ لأن المصحف على النصب ، والنحو يوجبها لأن الاستثناء إذا كان أول الكلام إيجابا نحو قولك : جاءني القوم إلا زيدا فليس في (زيد) المستثنى إلا النصب ، والمعنى : أستثني قليلا منهم ، وإنما ذكرت هذه لأن بعضهم روى : (فشربوا منه إلا قليل منهم)(7) ، وهذا عندي ما لا وجه له " (8) .

ويقول في قوله تعالى : ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ (9) : " والنصب جائز في غير القرآن على معنى : ما فعلوه ، أستثني قليلا منهم " (10) .

ويقول في قوله تعالى : ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾(11) : " (المستضعفين) نصب على الاستثناء من قوله : مأواهم جهنم إلا المستضعفين " (12).

ويقول في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾(13) : " وقوله: (إلا قليلا منهم) منصوب بالاستثناء " (14) .

---

(1) معانيه ١٦٣/٤ ، ١٦٤ . (2) البقرة/ ١٥٩ ، ١٦٠ . (3) معانيه ٢٣٥/١ .
(4) البقرة/ ٨٣ . (5) معانيه ١٦٤/١ . (6) البقرة/ ٢٤٦ .
(7) البقرة/ ٢٤٩ . (8) معانيه ٣٢٧/١ . (9) النساء/ ٦٦ .
(10) معانيه ٧٢/٢ . (11) النساء/ ٩٧ ، ٩٨ . (12) معانيه ٩٥/٢ .
(13) المائدة/ ١٣ . (14) معانيه ١٦١/٢ .

وهذه الأمثلة تبين أن الناصب للمستثنى عند الزجاج هو معنى الاستثناء ، وأن (إلا) في حالة نصب المستثنى قائمة مقام (أستثني) .

الاستثناء المتصل

أمثلة لوجوب نصب المستثنى :

تقدم منها جميع ما ذكرته من الأمثلة عن نصب المستثنى ما عدا المثال الرابع .

أمثلة يجوز فيها نصب المستثنى وإتباعه للمستثنى منه :

قال الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ [(١)] : " فأما رفع (إلا قليل منهم) فعلى البدل من الواو ، المعنى : ما فعله إلا قليل منهم ، والنصب جائز في غير القرآن على معنى : ما فعلوه أستثني قليلا منهم " [(٢)] .

والرفع في (قليل) في الآية قرأ به السبعة ما عدا ابن عامر فإنه قرأ بنصبه [(٣)] .

وقال في توجيه قوله تعالى:﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾[(٤)]:"قوله:(إلا امرأتك) يجوز فيه النصب والرفع ، فمن قرأ : إلا امرأتك بالنصب فعلى معنى : فأسر بأهلك إلا امرأتك ، ومن قرأ بالرفع حمله على معنى : ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك " [(٥)] .

والقراءة برفع (امرأتك) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ، والنصب قراءة باقي السبعة [(٦)] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [(٧)] : " الرفع القراءة ، ويجوز النصب ولا أعلم أحدا قرأ بها فلا تقرأن به ، فمن رفع في قوله (إلا الله) فعلى البدل ، المعنى : لا يعلم أحد الغيب إلا الله ، ومن نصب فعلى معنى : لا يعلم الغيب إلا الله ، على معنى : أستثني الله عز وجل فإنه يعلم الغيب " [(٨)] .

الاستثناء المنقطع :

يطلق عليه الزجاج : استثناء ليس من الأول ، ويشير في كثير من المواضع إلى أن (إلا) فيه بمعنى (لكن) ، وقد ذكر بعض أحكامه عقب توجيهه لقوله تعالى : ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ [(٩)] فقال: " فإن كان في النفي نوعان مختلفان فالاختيار النصب ، والبدل

(١) النساء /٦٦ . (٢) معانيه ٧٢/٢ . (٣) انظر السبعة ص٢٣٥ . (٤) هود /٨١ .
(٥) معانيه ٦٩/٣ ، ٧٠ . (٦) انظر الحجة لأبي علي ٣٦٩/٤ . (٧) النمل /٦٥ . (٨) معانيه ١٢٧/٤ .
(٩) النساء /٦٦ .

جائز ، تقول : ما بالدار أحد إلا حمارا ، قال النابغة الذبياني :

وقفت فيها أصيلالا أسائلها عيت جوابا وما بالربع من أحد

إلا أواري لأيا ما أبينها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد [(١)]

فقال : ما بالربع من أحد ، أي : ما بالربع أحد إلا أواري ، لأن الأواري ليست من الناس ، وقد يجوز الرفع على البدل وإن كان ليس من جنس الأول كما قال الشاعر :

وبلد ليس به أنيس

إلا اليعافير وإلا العيس [(٢)]

فجعل اليعافير والعيس بدلا من الأنيس ، وجائز أن يكون أنيس ذلك البلد اليعافير والعيس " [(٣)] .

ومن أمثلة هذا النوع عنده :

ـ قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ [(٤)] : " المعنى: ما كان لمؤمن ألبتة ، و(إلا خطأ) استثناء ليس من الأول ، المعنى : إلا أن يخطئ المؤمن فكفارة خطئه ما ذكر بعد " [(٥)] .

ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ [(٦)] : " (اتباع) منصوب بالاستثناء ، وهو استثناء ليس من الأول ، المعنى : ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن ، وإن رفع جاز على أن يجعل : عليهم اتباع الظن ، كما تقول العرب : تحيتك الضرب ، وعتابك السيف ، قال الشاعر :

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع [(٧)] " [(٨)]

ما يحتمل من الاستثناء كونه متصلا أو منقطعا :

قال في توجيه قوله تعالى :﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾[(٩)] :" يجوز أن يكون موضع (من) خفضا ، المعنى : إلا في نجوى من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ويجوز أن يكون ـ والله أعلم ـ استثناء ليس من الأول ، ويكون موضعها نصبا ، ويكون على معنى : لكن من أمر بصدقة أو معروف ففي نجواه خير"[(١٠)].

(١) البيتان من البسيط ، من شواهد الكتاب ٣٢١/٢ .
(٢) البيتان من مشطور الرجز أو السريع لجران العود ، من شواهد الكتاب ٣٢٢/٢ ، وقد تقدما .
(٣) معانيه ٧٢/٢ ، ٧٣ . (٤) النساء /٩٢ . (٥) معانيه ٩٠/٢ .
(٦) النساء /١٥٧ . (٧) من بحر الوافر ، لعمرو بن معديكرب ، من شواهد الكتاب ٣٢٣/٢ ، ٥٠/٣ .
(٨) معانيه ١٢٨/٢ . (٩) النساء /١١٤ . (١٠) معانيه ١٠٦/٢ .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿لَا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [1] :
"(إلا من ظُلِم) و(إلا من ظَلَم) يقرأ بهما جميعا ، فالمعنى أن المظلوم جائز أن يظهر بظلامته تشكيا ، والظالم يجهر بالسوء من القول ظلما واعتداء ، وموضع (من) نصب بالوجهين جميعا ؛ لأنه استثناء ليس من الأول ، المعنى : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ، لكن المظلوم يظهر بظلامته تشكيا ولكن الظالم يجهر بذلك ظلما .

ويجوز أن يكون موضع (من) رفعا على معنى : لا يحب الله أن يجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ، فيكون (من) بدلا من معنى (أحد) ، المعنى : لا يحب الله أن يجهر بالسوء من القول إلا المظلوم .

وفيها وجه آخر لا أعلم النحويين ذكروه ، وهو أن يكون (إلا من ظَلَم) على معنى : لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول ، وهذا يعد استثناء ليس من الأول ، وهو وجه حسن ، وموضعه نصب " [2] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [3] :
" قوله :(إلا قوم يونس) استثناء ليس من الأول ، كأنه قال : لكن قوم يونس لما آمنوا، فأما النصب في قوله : (إلا قوم يونس) فمثله من الشعر قول النابغة :

وقفت فيها أصيلالا أسائلها ... عيت جوابا وما بالربع من أحد
إلا أواري لأيا ما أبينها ... والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد [4]

ويجوز الرفع على أن يكون على معنى : فهلا كانت قرية آمنت غير قوم يونس ، فيكون (إلا قوم يونس) صفة ، ويجوز أن يكون بدلا من الأول ؛ لأن معنى (إلا قوم يونس) محمول على معنى : هلا كان قوم قرية أو قوم نبي آمنوا إلا قوم يونس ، ولا أعلم أحدا قرأ بالرفع ، وفي الرفع وجه آخر وهو البدل وإن لم يكن الثاني من جنس الأول ، كما قال الشاعر :

وبلد ليس به أنيس
إلا اليعافير وإلا العيس [5] " [6]

---

(1) النساء /١٤٨ .
(2) معانيه ١٢٥/٢ ، ١٢٦ .
(3) يونس /٩٨ .
(4) تقدم البيتان في هذا الفصل .
(5) تقدم البيتان في هذا الفصل .
(6) معانيه ٣٤/٣ .

وقال في توجيه قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا . إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ [1] : " (من) في موضع نصب ، أي فسوف يلقون العذاب إلا التائبين ، وجائز أن يكون نصبا استثناء من غير الأول ، ويكون المعنى : لكن من تاب وآمن فأولئك يدخلون الجنة " [2] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [3] : " قال النحويون : إنه استثناء ليس من الأول ، أي لكن رب العالمين ، ويجوز أن يكون عبدوا مع الله الأصنام وغيرها فقال : إن جميع من عبدتم عدو لي إلا رب العالمين " [4] .

الاستثناء المفرغ :

من أمثلته عند الزجاج :

- قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [5] : " الرفع محمول على المعنى ، والمعنى : وأي أحد يغفر الذنوب ؟ ما يغفرها إلا الله " [6] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ [7] : " موضع (أن) الأولى نصب ، وموضع (أنّ) الثانية رفع ، المعنى : ما منعهم من قبولنفقاتهم إلا كفرهم " [8] .

تقدير المستثنى منه :

جعل الزجاج منه قوله تعالى : ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [9] حيث قال في توجيهه : " دخلت (إلا) ولا جحد في الكلام ، وأنت لا تقول : ضربت إلا زيدًا ؛ لأن الكلام غير دال على المحذوف ، وإذا قلت : ويأبى الله إلا أن يتم نوره فالمعنى : يأبى الله كل شيء إلا أن يتم نوره ، وزعم بعضهم أن في (يأبى) طرفا من الجحد ، والجحد والتحقيق ليسا بذي أطراف ، وآلة الجحد (لا) و(ما) و(لم) و(لن) و(ليس) ، فهذه لا أطراف لها ينطق بها على جمالها ، ولا يكون الإيجاب جحدا ، ولو جاز هذا على أن فيه طرفا من الجحد لجاز : كرهت إلا أخاك ، ولا دليل ههنا على المكروه ما هو ولا من هو ، فـ(كرهت) مثل (أبيت) إلا أن (أبيت) الحذف مستعمل معها " [10] .

(1) مريم /59 ، 60 . (2) معانيه 3/336 . (3) الشعراء /77 .
(4) معانيه 4/93 . (5) آل عمران /135 . (6) معانيه 1/469 .
(7) التوبة /54 . (8) معانيه 2/453 . (9) التوبة /32 .
(10) معانيه 2/444 ، 445 .

الاستثناء بـ(غير) :

تحدث الزجاج عن أصل استعمال (غير) وعن مجيئها للاستثناء وحكمها فيه في توجيه قوله تعالى : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [1] فقال : " قوله عز وجل : غير المغضوب عليهم ، بخفض (غير) على وجهين : على البدل من (الذين)[2] ، كأنه قال : صراط غير المغضوب عليهم ، ويستقيم أن يكون (غير المغضوب عليهم) من صفة (الذين) وإن كان (غير) أصله أن يكون في الكلام صفة للنكرة ، تقول : مررت برجل غيرك ، فـ(غيرك) صفة لـ(رجل) كأنك قلت : مررت برجل آخر ، ويصلح أن يكون معناه : مررت برجل ليس بك ، وإنما وقع ههنا صفة لـ(الذين) لأن (الذين) ههنا ليس بمقصود قصدهم ، فهو بمنزلة قولك : إني لأمر بالرجل مثلك فأكرمه ، ويجوز نصب (غير) على ضربين : على الحال والاستثناء ، فكأنك قلت : إلا المغضوب عليهم ، وحق (غير) من الإعراب في الاستثناء النصب إذا كان ما بعد (إلا) منصوبا ، فأما الحال فكأنك قلت فيها : صراط الذين أنعمت عليهم لا مغضوبا عليهم " [3] .

والقراءة بجر (غير) قراءة الجماعة إلا ابن كثير فإنه روي عنه النصب والجر [4] .

كما تناول الزجاج مجيئها للاستثناء في قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [5] فقال : " قرئت (غير أولي الضرر) بالرفع ، و(غير) بالنصب، فأما الرفع فمن جهتين : إحداهما أن يكون (غير) صفة للقاعدين وإن كان أصلها أن تكون صفة للنكرة ، المعنى : لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر ، أي لا يستوي القاعدون الأصحاء والمجاهدون وإن كانوا كلهم مؤمنين .

ويجوز أن يكون (غير) رفعا على جهة الاستثناء ، المعنى : لا يستوي القاعدون والمجاهدون إلا أولو الضرر فإنهم يساوون المجاهدين ؛ لأن الذي أقعدهم عن الجهاد الضرر... ويجوز أن يكون (غير أولي الضرر) نصبا على الاستثناء من القاعدين ، المعنى : لا يستوي القاعدون إلا أولي الضرر على أصل الاستثناء النصب ، ويجوز أن يكون (غير) منصوبا على الحال ، المعنى : لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون، كما تقول : جاءني زيد غير مريض، أي جاءني زيد صحيحا، ويجوز جر

(١) الفاتحة /٧ . (٢) في الآية /٦ . (٣) معاني القرآن وإعرابه ٥٣/١ .
(٤) انظر السبعة ص١٠٥ ، والحجة لأبي علي ١٤٢/١ . (٥) النساء /٩٥ .

(غير) على الصفة للمؤمنين ، أي لا يستوي القاعدون من المؤمنين الأصحاء والمجاهدون .

أما الرفع والنصب فالقراءة بهما كثيرة ، والجر وجه جيد إلا أن أهل الأمصار لم يقرءوا به وإن كان وجها ؛ لأن القراءة سنة متبعة " [1] .

وجر (غير) في الآية قراءة غير متواترة تنسب للأعشى وأبي حيوة [2] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [3] : " وتقرأ (غيره) ، فمن رفع فالمعنى : ما لكم إله غيره ، ودخلت (من) مؤكدة ، ومن جر جعله صفة لـ(إله) ، وأجاز بعضهم النصب في (غير) وهو جائز في غير القرآن على النصب على الاستثناء ، وعلى الحال من النكرة ، ولا يجوز في القرآن ؛ لأنه لم يقرأ به ، وأجاز الفراء : ما جاءني غيرك بنصب (غير) ، وهذا خطأ بين ، إنما أنشد الخليل وسيبويه بيتا أجازا فيه نصب (غير) فاستشهد هو بذلك البيت واستهواه اللفظ في قولهما إن الموضع موضع رفع ، وإنما أضيفت (غير) في البيت إلى شيء غير متمكن فبنيت على الفتح كما يبنى (يوم) إذا أضيف إلى (إذ) على الفتح ، والبيت قول الشاعر :

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال [4]

وأكثرهم ينشده : غيرَ أن نطقت ، فلما أضاف (غير) إلى (أن) فتح (غير) ، ولو قلت : ما جاءني غيرَك لم يجز ، ولو جاز هذا لجاز : ما جاءني زيدا " [5] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ﴾ [6] : " أما خفض (غير) فصفة لـ(التابعين) وإن كانت (غير) يوصف بها النكرة فإن التابعين ههنا ليس بمقصود به إلى قوم بأعيانهم، إنما معناه لكل تابع غير أولي إربة ، ويجوز نصب (غير) على ضربين: أحدهما الاستثناء ، المعنى : لا يبدين زينتهن إلا للتابعين إلا أولي الإربة فلا يبدين زينتهن لهن ، ويجوز أن يكون منصوبا على الحال ، فيكون المعنى: أو التابعين لا مريدين النساء، أي : في هذه الحال " [7] .

---

(1) معانيه ٩٢/٢ ، ٩٣ .
(2) البحر المحيط ٣٣٠/٣ .
(3) الأعراف /٥٩ .
(4) من بحر البسيط لأبي قيس بن الأسلت ، من شواهد الكتاب ٣٢٩/٢ ، وانظره في شرح الكافية للرضي ١٥٧/٢ ، والخزانة ٤٠٦/٣ ، وقد تقدم في فصل المفعول فيه.
(5) معانيه ٣٤٨/٢ ، ٣٤٩ .
(6) النور /٣١ .
(7) معانيه ٤٢/٤ .

قلت : والنصب في الآية قرأ به ابن عامر ، وعاصم في رواية أبي بكر ، والخفض قراءة الباقين ، وحفص عن عاصم [1] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾ [2] : " قرئت : (هل من خالق غيرُ الله) برفع (غير) ، المعنى : هل خالق غير الله ؛ لأن (من) مؤكدة ، وقد قرئ بهما جميعا (غيرِ) و(غيرُ) ، وفيها وجه آخر يجوز في العربية نصب (غير) : (هل من خالق غيرَ الله يرزقكم) ويكون النصب على الاستثناء ،كأنه :هل من خالق إلا اللهَ يرزقكم"[3].

قلت : وخفض (غير) في الآية قرأ به حمزة والكسائي من السبعة ، وقرأ الباقون بالرفع [4] ، وما أجازه الزجاج فيها من النصب قرأ به الفضل بن إبراهيم النحوي [5] .

الاستثناء بـ(حاشا) :

تناول الزجاج هذا اللفظ في الآية رقم ٣١ من سورة يوسف فقال : " (حاش لله) و(حاشا لله) يقرأ بحذف الألف وإثباتها ، ومعناه الاستثناء " [6] .

وتناوله في الآية رقم ٥١ من السورة نفسها فقال : " (حاش لله) و(حاشا لله) ، وقرأ الحسن : (حاشْ لله) بتسكين الشين ، ولا اختلاف بين النحويين أن الإسكان غير جائز؛ لأن الجمع بين الساكنين لا يجوز ، ولا هو من كلام العرب " [7] .

مجيء (لما) بمنزلة (إلا) في المعنى :

ذكره الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [8] حيث قال : " معناه : لعليها حافظ ، و(ما) لغو ، وقرئت : (لمّا عليها حافظ) بالتشديد ، المعنى معنى (إلا) ، واستعملت في موضع (إلا) في موضعين : أحدهما هذا ، والآخر في باب القسم ، يقال : سألتك لما فعلت ، بمعنى إلا فعلت " [9] .

قلت : القراءتان المذكورتان سبعيتان ، فالتشديد قرأ به ابن عامر وعاصم وحمزة ، والتخفيف قرأ به باقي السبعة [10] .

---

(١) انظر الحجة لأبي علي الفارسي ٣١٧/٥ . (٢) فاطر /٣ . (٣) معانيه ٢٦٢/٤ .
(٤) انظر السبعة لابن مجاهد ص٥٣٤ . (٥) روح المعاني ١٦٦/٢٢ . (٦) معانيه ١٠٧/٣ .
(٧) معانيه ١١٥/٣ . (٨) الطارق /٤ . (٩) معاني الزجاج ٣١١/٥ .
(١٠) انظر حجة القراءات ص٧٥٨ .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [1] : " معنى (لما) المشددة هنا (إلا) ، وتقول : سألتك لما فعلت وإلا فعلت " [2] .

مجيء (إلا) وصفا بمعنى (غير) :

سبق أن أجاز الزجاج كون (إلا) وصفا بمعنى (غير) في توجيه قوله تعالى : ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [1] .

وقال في قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [2] : " (فيهما) صفة للسماء والأرض ، و(إلا) في معنى (غير) ، فلذلك ارتفع الذي بعدها على لفظ الذي قبلها ، قال الشاعر :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان [3]

معناه : وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه " [4] .

---

(١) يس /٣٢ .
(٢) معانيه ٢٨٦/٤ .
(٣) انظر ص٢١٦ .
(٤) الأنبياء /٢٢ .
(٥) البيت من الوافر لعمرو بن معديكرب ، من شواهد الكتاب ٣٣٤/٢ ، وانظره في شرح الكافية للرضي ١٦٠/٢ ، وخزانة الأدب ٣٢١/٩ ، ٣٢٢ .
(٦) معانيه ٣٨٨/٣ .

الفصل العشرون

الحال

النص على إعراب الكلمة حالاً :

لذلك أمثلة كثيرة عند الزجاج ، وقد تقدم منها توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾[1] ، ومن أمثلة ذلك أيضا :

قال في توجيه قوله تعالى:﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾[2]:"(مظلما) من نعت القطع ، ومن قرأ (قِطَعا) جعل (مظلما) حالا من الليل ، المعنى : أغشيت وجوههم قطعا من الليل في حال ظلمته " [3] .

وقراءة (قطْعا) بإسكان الطاء قرأ بها ابن كثير والكسائي ، والقراءة بفتح الطاء فيها قراءة باقي السبعة [4] ، وعليها يعرب (مظلما) حالا ، وقد بين الزجاج هنا صاحب الحال ، وهو الليل ، وبين أن الحال يفهم (في حال كذا) .

الحال لا تكون إلا نكرة :

قرر ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[5]حيث قال: " قال سيبويه والخليل[6]: (أجمعون) توكيد بعد توكيد ، وقال محمد بن يزيد : المعنى يدل على اجتماعهم في السجود ، المعنى : فسجدوا كلهم في حال واحدة ، وقول سيبويه والخليل أجود ؛ لأن (أجمعين) معرفة فلا يكون حالا " [7] .

الحال المؤكدة :

تكلم عنها الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا

---

(١) انظر فصل كان وأخواتها .　(٢) يونس /٢٧ .　(٣) معانيه ١٦/٣ .

(٤) انظر السبعة ص٣٢٥ .　(٥) الحجر /٣٠ .　(٦) انظر الكتاب ١٥١/١ ، ٣٧٨/٢ ، ٣٧٩ .

(٧) معانيه ١٧٩/٣ ، وانظر ما سيأتي في بيان العامل في الحال .

مَعَهُمْ﴾ [1] فقال : " نصب (مصدقا) على الحال ، وهذه حال مؤكدة ، زعم سيبويه والخليل وجميع النحويين الموثوق بعلمهم أن قولك : (هو زيد قائما) خطأ ؛ لأن قولك (هو زيد) كناية عن اسم متقدم ، فليس في الحال فائدة ؛ لأن الحال توجب ههنا أنه إذا كان قائما فهو زيد ، فإذا ترك القيام فليس بزيد ، وهذا خطأ ، فأما قولك : هو زيد معروفا ، وهو الحق مصدقا ففي الحال فائدة ، كأنك قلت : انتبه له معروفا ، وكأنه بمنزلة : هو زيد حقا ، فـ(معروفا) حال ؛ لأنه إنما يكون زيدا لأنه يعرف بزيد ، وكذلك الحق ، القرآن هو الحق إذ كان مصدقا لكتب الرسل " [2] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [3] : " ونصب (قائما بالقسط) حال مؤكدة ؛ لأن الحال المؤكدة تقع مع الأسماء في غير الإشارة ، تقول : إنه زيد معروفا ، وهو الحق مصدقا ، ولا إله إلا هو قائما بالقسط " [4] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾[5] : " قرئت (نزاعةً للشوى) ، والقراءة (نزاعةٌ للشوى) والقراء عليها ، وهي في النحو أقوى من النصب ، وذكر أبو عبيد أنها تجوز في العربية ، وأنه لا يعرف أحدا قرأ بها ، وقد رويت عن الحسن ، واختلف فيها عن عاصم ، فأما ما رواه أبو عمرو فـ(نزاعةً) بالنصب عن عاصم ، وروى غيره (نزاعةٌ) بالرفع ، فأما الرفع فمن ثلاث جهات : أحدها أن تكون (لظى) و(نزاعة) خبرا عن الهاء والألف كما تقول : إنه حلو حامض تريد أنه جمع الطعمين ، وتكون الهاء والألف إضمارا للقصة ، وهو الذي يسميه الكوفيون (المجهول) ، المعنى : إن القصة والخبر لظى نزاعة للشوى ، فأما نصب (نزاعة) فعلى أنها حال مؤكدة ، كما قال : ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [6] ، وكما تقول : أنا زيد معروفا ، فيكون (نزاعة) منصوبا مؤكدا لأمر النار ، ويجوز أن تنصب على معنى أنها تتلظى نزاعة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [7] ، والوجه الثالث في الرفع على الذم بإضمار (هي) على معنى : هي نزاعة ، ويكون نصبها أيضا على الذم فيكون نصبها على ثلاثة أوجه " [8] .

---

(1) البقرة /٩١ . (2) معانيه ١٧٤/١ . (3) آل عمران /١٨ .
(4) معانيه ٣٨٧/١ ، ٣٨٨ . (5) المعارج /١٦ . (6) فاطر /٣١ .
(7) الليل /١٤ . (8) معانيه ٢٢١/٥ .

ويلحظ أن الحال المؤكدة فيما سبق من قبيل المؤكدة لمضمون جملة قبلها ، وقد أطلق الزجاج هذا الاصطلاح على الحال المؤكدة لعاملها في توجيه قوله تعالى : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾[1] حيث قال :"(ضاحكا) منصوب حال مؤكدة ؛ لأن (تبسم) بمعنى ضحك "[2] .

الحال المقدرة :

نص عليه الزجاج في مواضع من معانيه منها :

- توجيه قوله تعالى : ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾[3] ، وفيه يقول : " (خالدا) من نعت النار ، ويجوز أن يكون منصوبا على الحال ، أي يدخله مقدرا له الخلود فيها "[4] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾[5] ، وفيه يقول : " وقوله : (هديا بالغ الكعبة) منصوب على الحال ، المعنى : يحكمان به مقدرا أن يهدى "[6] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[7] حيث يقول : " (سجدا) حال مقدرة ، والمعنى : خروا مقدرين السجود ؛ لأن الإنسان في خروره لا يكون ساجدا "[8] .

وقد اتخذ منها وجها لحل مشكل أورده في قوله تعالى : ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾[9] فقال : " (مختلفا أكله) : في حال اختلاف أكله ، وهذه مسألة شديدة في النحو إلا على من عرف حقيقتها ؛ لأن للقائل أن يقول : كيف أنشأه في حال اختلاف أكله وهو قد نشأ من قبل وقوع أكله وأكله ثمره ؟ فالجواب في ذلك أنه عز وجل قدر إنشاءه بقوله : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[10] فأعلم عز وجل أنه المنشئ له في حال اختلاف أكله ، ويجوز : أنشأه ولا أكل فيه مختلفا أكله ؛ لأن المعنى : مقدرا ذلك فيه، كما تقول : لتدخلن منزل زيد آكلين شاربين ، المعنى : تدخلونه مقدرين ذلك ، وسيبويه[11] دل على ذلك وبينه في قوله : مرت برجل معه صقر صائدا به غدا ، فنصب (صائدا) على الحال ، والمعنى : مقدرا الصيد "[12] .

---

(1) النمل /١٩ . (2) معانيه ١١٢/٤ . (3) النساء /١٤ .
(4) معاني الزجاج ٢٧/٢ . (5) المائدة /٩٥ . (6) معانيه ٢٠٨/٢ .
(7) مريم /٥٨ . (8) معانيه ٣٣٥/٣ . (9) الأنعام /١٤١ .
(10) الرعد /١٦ . (11) الكتاب ٤٩/٢ . (12) معاني الزجاج ٢٩٦/٢ .

كما فرق بينها وبين الحال المقابلة لها في توجيه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [1] حيث قال : " (شاهدا) حال مقدرة أن تكون يوم القيامة ، والبشارة والإنذار حال يكون النبي صلى الله عليه وسلم ملابسا لها في الدنيا لمن شاهده فيها من أمته ، وحال مقدرة لمن يأتي بعده من أمته إلى يوم القيامة ممن لم يشاهده ، يعني بقوله (مقدرة) [2] أن الحال عنده في وقت الإخبار على ضربين : حال ملابسة يكون المخبر ملابسا لها في حين إخباره ، وحال مقدرة لأن تلابس في تأن من الزمان " [3] .

وقد يسميها الزجاج حالا متوقعة كما قال في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ [4] : " (تستكثر) حال متوقعة " [5] .

وقوع المصدر حالا :

من مواضع ذلك عند الزجاج قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [6] ، وفيه يقول : " نصب (طوعا) مصدرا وضع موضع الحال ، كأنه : أسلموا طائعين ومكرهين ، كما تقول : جئتك ركضا ومشيا ، وجئتك راكضا وماشيا " [7] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [8] : " و(بهتان) حال موضوعة في موضع المصدر ، المعنى : أتأخذونه مباهتين وآثمين " [9] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [10] : "(كافة) منصوب على الحال ، وهو مصدر على فاعلة كما قالوا : العاقبة ، والعافية ، وهو في موضع : قاتلوا المشركين محيطين بهم باعتقاد مقاتلتهم ، وهذا مشتق من كفة الشيء وهي حرفه ، وإنما أخذ من أن الشيء إذا انتهى إلى ذلك كف عن الزيادة ، ولا يجوز أن يثنى ولا يجمع ، ولا يقال : قاتلوهم كافات ولا كافين ، كما أنك إذا قلت : قاتلوهم عامة لم تثن ولم تجمع ، وكذلك (خاصة) ، هذا مذهب النحويين " [11] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [12]:" وتقرأ (مرِحا) بكسر الراء ،

---

(1) الفتح /٨ .
(2) لعل الضمير هنا لسيبويه .
(3) معانيه ٥/٢١ .
(4) المدثر /٦ .
(5) معانيه ٥/٢٤٥ ، ٢٤٦ .
(6) آل عمران /٨٣ .
(7) معاني الزجاج ١/٤٣٨ .
(8) النساء /٢٠ .
(9) معانيه ٢/٣١ .
(10) التوبة /٣٦ .
(11) معانيه ٢/٤٤٦ .
(12) الإسراء /٣٧ .

وزعم الأخفش أن (مرَحًا) أجود من (مرحًا) ؛ لأن (مرِحًا) اسم الفاعل ، وهذا - أعني المصدر - جيد بالغ ، تقول : جاء زيد ركضا ، وجاء زيد راكضا ، فـ(ركضا) أوكد في الاستعمال ؛ لأنه يدل على توكيد الفعل " [1] .

وقال في قوله تعالى :﴿ فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى ﴾[2]:" مصدر منصوب في موضع الحال ، فله الحسنى مجزيا به جزاء،ومن قال :(جزاءُ الحسنى) أضاف (جزاء) إلى (الحسنى) "[3] .

وقوع الجملة حالا :

يذهب الزجاج إلى أن الجملة الفعلية التي فعلها ماض لا تقع حالا إلا مع (قد) ظاهرة أو مقدرة .

قال في قوله تعالى : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [4] : " معنى (وكنتم) : وقد كنتم ، وهذه الواو للحال ، وإضمار (قد) جائز إذا كان في الكلام دليل عليه ، وكذلك قوله : ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [5] ﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ ﴾ [6] " [7] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [8] : " معناه : ضاقت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم ، وقال النحويون : إن (حصرت صدورهم) معناه : أو جاءوكم قد حصرت صدورهم؛ لأن (حصرت) لا يكون حالا إلا بـ(قد) ، وقال بعضهم: حصرت صدورهم : خبر بعد خبر ، كأنه قال : أو جاءوكم ، ثم أخبر فقال : حصرت صدورهم أن يقاتلوكم ... وقرأ بعضهم : (حصرةً صدورهم) على الحال " [9] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ [10] : " ويقرأ : (وأتباعك الأرذلون) ، وهي في العربية جيدة قوية ؛ لأن واو الحال تصحب الأسماء أكثر في العربية ، تقول : جئتك وأصحابك الزيدون ، ويجوز : وصحبك الزيدون ، والأكثر : جئتك وقد صحبك الزيدون " [11] .

---

(1) معانيه ٣/٢٤٠ . (2) الكهف/ ٨٨ . (3) معانيه ٣/٣٠٩ .
(4) البقرة/ ٢٨ . (5) النساء/ ٩٠ . (6) يوسف/ ٢٧ .
(7) معانيه ١/١٠٧ . (8) النساء/ ٩٠ . (9) معانيه ٢/٨٩ .
(10) الشعراء/ ١١١ . (11) معانيه ٤/٩٥ .

والظاهر أنه يمنع جعل الجملة الفعلية حالا إذا امتنع فيها تقدير (قد) ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [1] ، فهو يقول : " (خلقه من تراب) ليست متصلة بآدم ، إنما هو مبين قصة آدم ، ولا يجوز في الكلام أن تقول : مررت بزيد قام ؛ لأن زيدا معرفة لا يتصل به (قام) ولا يوصل به ولا يكون حالا ؛ لأن الماضي لا يكون حالا أنت فيها ، ولكنك تقول : مثلك مثل زيد ، تريد أنك تشبهه في فعله ، ثم تخبر بقصة زيد فتقول : فعل كذا وكذا " [2] .

ومن مواضع الجملة الحالية عنده :

- ذكر في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [3] قراءتين في (تسأل) ، بضم لامه مع بنائه للمعلوم أو المجهول ، ثم قال : " ورفع القراءتين جميعا من جهتين : إحداهما أن يكون (ولا تسأل) استئنافا ، كأنه قيل : ولست تسأل عن أصحاب الجحيم ، كما قال عز وجل : ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [4]، ويجوز أن يكون له الرفع على الحال فيكون المعنى : أرسلناك غير سائل عن أصحاب الجحيم " [5] .

- وذكر في (تلقف) من قوله تعالى : ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ [6] قراءتين ، وقال في توجيههما : " القراءة بالجزم على جواب الأمر ، ويجوز الرفع على معنى الحال كأنه قال : متلقفة على حال متوقعة ، ولم يقرأ بها " [7] .

- وأجاز في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ . يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ...﴾ [8] أن تكون جملة (يدعو) في موضع الحال ، " والمعنى : في حال دعائه إياه " [9] .

- وأجاز في قوله تعالى : ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا...﴾ [10] أن يرفع الفعل (يرسل) على معنى الحال ، " ويكون المعنى : ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو مرسلا رسولا " [11] .

واو الحال :

كثيرا ما ينص الزجاج في توجيه بعض الآيات على أن الواو واو الحال ، وقد

(1) آل عمران /٥٩ . (2) معانيه ٤٢٢/١ . (3) البقرة /١١٩ .
(4) الرعد /٤٠ . (5) معانيه ٢٠٠/١ . (6) طه /٦٩ .
(7) معانيه ٣٦٧/٣ . (8) الحج /١٢ ، ١٣ . (9) انظر معانيه ٤١٥/٣ .
(10) الشورى /٥ . (11) انظر معانيه ٤٠٣/٤ .

تقدمت أمثلة لذلك هنا .

وقد قرر في توجيه قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [1] أن هذه الواو قد يستغنى عنها إذا وجد رابط غيرها ، فهو يقول :" قال بعض النحويين[2] : المعنى : أو وهم قائلون ، والواو ـ فيما ذكر ـ محذوفة ، وهذا لا يحتاج إلى ضمير الواو ، ولو قلت : جاءني زيد راجلا أو وهو فارس ، أو جاءني زيد هو فارس لم تحتج إلى الواو ؛ لأن الذكر قد عاد إلى الأول " [3] .

توجيه الحال في نحو (هذا زيد قائما) :

تناول ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى :﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [4] حيث أثبت الآية في معانيه بنصب (شيخا) وقال : " القراءة النصب ، وكذلك هي في المصحف المجمع عليه ، وهو منصوب على الحال ، والحال ههنا نصبها من لطيف النحو وغامضه ، وذلك أنك إذا قلت : هذا زيد قائما ، فإن كنت تقصد أن تخبر من لم يعرف زيدا أنه زيد لم يجز أن تقول : هذا زيد قائما ؛ لأنه يكون زيدا ما دام قائما ، فإذا زال عن القيام فليس بزيد ، وإنما تقول ذاك للذي يعرف زيدا : هذا زيد قائما فيعمل في الحال التنبيه، والمعنى : انتبه لزيد في حال قيامه ، وأشير لك إلى زيد في حال قيامه ؛ لأن (هذا) إشارة إلى ما حضر ، فالنصب الوجه كما ذكرنا ، ويجوز الرفع ، وزعم سيبويه [5] والخليل أن الرفع من أربعة أوجه :

فوجه منها أن تقول : هذا زيد قائم ، فترفع زيدا بـ(هذا) ، وترفع (قائما) خبرا ثانيا، كأنك قلت : هو قائم ، أو : هذا قائم [6] .

ويجوز أن تجعل زيدا وقائما جميعا خبرا عن (هذا) فترفعهما جميعا بـ(هذا) ، كما تقول : هذا حلو حامض ، تريد أنه جمع الطعمين .

ويجوز أن تجعل زيدا بدلا من (هذا) ، كأنك قلت : زيد قائم .

ويجوز أن تجعل زيدا مبينا عن (هذا) ، كأنك أردت : هذا قائم ، ثم بينت من هو بقولك : هذا زيد ، فهذه أربعة أوجه " [7] .

---

(١) الأعراف /٤ . (٢) هو الفراء ، انظر معاني الفراء ٣٧٢/١ . (٣) معاني القرآن وإعرابه ٣١٧/٢ .
(٤) هود /٧٢ . (٥) الكتاب ٨٣/٢ : ٨٦ .
(٦) عبارة سيبويه في هذا : " فوجه أنك حين قلت : هذا عبد الله أضمرت (هذا) أو (هو) ، كأنك قلت : هذا منطلق ، أو : هو منطلق . (٧) معانيه ٦٣/٣ ، ٦٤ .

توجيه الحال في نحو (ما لك قائما) :

تناول ذلك الزجاج في مواضع من معانيه :

ـ قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [1] : " (ما) منفصلة ، المعنى : أي شيء لكم تاركين القتال ، و(لا تقاتلون) في موضع نصب على الحال كقوله عز وجل : ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [2] " [3] .

ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [4] : " وقال النحويون في نصب (فئتين) إنها منصوبة على الحال ، وقال سيبويه : إذا قلت : ما لك قائما ، فإنما معناه : لم قمت ؟ ونصب على تأويل : أي شيء يستقر لك في هذه الحال ؟ وقال غيره [5] : إن (قائما) ههنا منصوب على جهة فعل (ما لكم) ويجيز : ما لك قائما ، وما لك القائمَ يا هذا ، ومالك القائمَ خطأ ؛ لأن (القائم) معرفة ، فلا يجوز أن تقع حالا ، و(ما) حرف من حروف الاستفهام لا تعمل عمل (كان) ، ولو جاز : ما لك القائم يا هذا جاز أن يقول : ما عندك القائم ، وما بك القائم ، وبالإجماع أن (ما عندك القائم) خطأ ، فـ(ما لك القائم) مثله ، لا فرق في ذلك " [6] .

ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ﴾ [7] : " موضع (لا نؤمن بالله) نصب على الحال ، المعنى : أي شيء لنا تاركِين للإيمان ، أي في حال تركنا للإيمان " [8] .

ـ وذكر أن (معرضين) في قوله تعالى : ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [9] منصوب على الحال [10] .

صاحب الحال :

اهتم الزجاج في مواضع كثيرة ببيان صاحب الحال في أساليب القرآن الكريم ، ومما يوضح ذلك ما جاء في توجيه قوله تعالى : ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ [11] حيث قال :" نصب (مصدقا) على الحال، وهو جائز أن يكون من صفة الإنجيل ، فهو منصوب

(1) النساء /75 . (2) المدثر /49 . (3) معانيه 2/77 .
(4) النساء /88 . (5) هو الفراء ، انظر معاني الفراء 1/281 . (6) معانيه 2/88 .
(7) المائدة /84 . (8) معانيه 2/200 . (9) المدثر /49 .
(10) معانيه 5/249 . (11) المائدة /46 .

بقوله : (آتيناه) [١] ، المعنى : آتيناه الإنجيل مستقرا فيه هدى ونور ومصدقا ، ويجوز أن يكون حالا من (عيسى) ، المعنى : وآتيناه الإنجيل هاديا ومصدقا ؛ لأنه إذا قيل : (آتيناه الإنجيل فيه هدى) فالذي أتى بالهدى هو هاد ، والأحسن أن يكون على معنى : وقفينا بعيسى آتيا بالإنجيل وهاديا ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، والدليل على أنه من صفة (عيسى) قوله : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ [٢] " [٣] .

وقد نص في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [٤] على أن صاحب الحال يكون معرفة فقال : " نصب (إماما) على الحال لأن (كتاب موسى) معرفة " [٥] ، وكذا في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ . عَيْنًا ...﴾ [٦] .

على أنه يجيز انتصاب الحال عن النكرة كما صرح بذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ [٧] ، وذلك أنه أورد الآية بإضافة (أربعة) إلى (شهداء) وقال : " وتقرأ : (ثم لم يأتوا بأربعةٍ شهداء) بالتنوين ... فمن قرأ (بأربعةِ شهداء) على الإضافة أضاف اسم العدد إلى الشهداء ، ومن قرأ (بأربعةٍ شهداء) فـ(أربعة) مخفوضة منونة ، و(شهداء) صفة للأربعة في موضع جر ، ويجوز أن يكون في موضع نصب من جهتين : إحداهما على معنى (ثم لم يحضروا أربعة شهداء)، والثانية على نصب الحال من النكرة، المعنى : لم يأتوا بأربعة في حال الشهادة " [٨] .

العامل في الحال :

يسير الزجاج على مذهب البصريين في أن العامل في الحال ما يكون في الجملة من الفعل أو معناه ، وتقدم في توجيه نحو (هذا زيد قائما) تفسيره (هذا) بـ(انتبه) [٩] .

وتقدم في توجيه نحو : (ما لك قائما) أن العامل في الحال فعل الاستقرار الذي تعلق به الجار والمجرور [١٠] .

---

(١) في قوله تعالى في الآية نفسها : ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ . (٢) الصف /٦ .
(٣) معانيه ١٨٤/٢ . (٤) هود /١٧ . (٥) معانيه ٤٤/٣ .
(٦) انظر توجيهها في فصل إعمال المصدر واسمه . (٧) النور /٤ .
(٨) معانيه ٣١/٤ ، ٣٢ . (٩) انظر ص٢٤٩ . (١٠) انظر ص٢٥٠ .

وقد رد مذهب الكوفيين في أن الحال منصوب على القطع ، وجاء ذلك في توجيهه لقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ (١) ، فهو يقول في ذلك : " (وجيها) منصوب على الحال ... وقال بعض النحويين (٢) : (وجيها) منصوب على القطع من (عيسى) وقطع ههنا كلمة محال ؛ لأنه إنما بشر به في هذه الحال ، أي في حال فضله ، فكيف يكون قطعها منه ؟ ولم يقل : لم نصب هذا القطع ؟ فإن كان القطع هو معنى فليس ذلك المعنى موجودا في هذا اللفظ، وإن كان القطع هو العامل فما بين ما هو ؟ وإن كان أراد أن الألف واللام قطعا منه فهذا محال ؛ لأن جميع الأحوال نكرات ، والألف واللام لمعهود ، فكيف يقطع من الشيء ما لم يكن منه قط ؟ " (٣) .

ومن مواضع عنايته ببيان العامل في الحال :

- توجيه قوله تعالى : ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ...﴾ (٤) ، وفيه يقول : " (منيبين) منصوب على الحال بقوله : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ ...﴾ (٥) ، زعم جميع النحويين أن معنى هذا : فأقيموا وجوهكم منيبين ؛ لأن مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم يدخل معه فيها الأمة ، والدليل على ذلك قوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ (٦) " (٧) .

- توجيه قوله تعالى : ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾(٨) ، وفيه يقول : " (أحوى) في موضع نصب حال من (المرعى)(٩)، المعنى : الذي أخرج المرعى أحوى ، أي أخرجه أخضر يضرب إلى الحوة ، والحوة : السواد " (١٠) .

ولا يجيز نصب (ملعونين) بما بعد (أينما) في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا . مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا ...﴾ (١١) ، فهو يقول : " (ملعونين) منصوب على الحال ، المعنى : لا يجاورونك إلا وهم ملعونون ، ولا يجوز أن يكون (ملعونين) منصوبا بما بعد (أينما) ، لا يجوز أن تقول : ملعونا أينما أخذ زيد يضرب ؛ لأن ما بعد حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها " (١٢) .

---

(١) آل عمران /٤٥.
(٢) انظر معاني الفراء ٢١٣/١ .
(٣) معانيه ٤١٢/١.
(٤) الروم /٣١ .
(٥) في الآية ٣٠ من السورة نفسها .
(٦) الطلاق /١ .
(٧) معانيه ١٨٣/٥ .
(٨) الأعلى /٥ .
(٩) في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ الأعلى /٤ .
(١٠) معانيه ٣١٥/٥ .
(١١) الأحزاب /٦٠ ، ٦١ .
(١٢) معانيه ٢٣٦/٤ .

الفصل الحادي والعشرون

التمييز

تعريفه :

في أول آية تناول فيها الزجاج التمييز وضع له ما يشبه الحد ، وقرر أنه نكرة لا يحتمل التعريف ، وجاء ذلك في تناوله لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ (١)، وفيه يقول : " قال بعض النحويين(٢) : إن (نفسه) منصوب على التفسير، وقال : التفسير في النكرات أكثر ، نحو : طاب زيد بأمره نفسا ، وقرّ به عينا ، وزعم أن هذه المفسرات المعارف أصل الفعل لها ثم نقل إلى الفاعل نحو : وجع زيد رأسه ، وزعم أن أصل الفعل للرأس وما أشبهه ، وأنه لا يجيز تقديم شيء من هذه المنصوبات، وجعل (سفه نفسه) من هذا الباب ، قال أبو إسحاق : وعندي أن معنى التمييز لا يحتمل التعريف ؛ لأن التمييز إنما هو واحد يدل على جنس أو خلة تخلص من خلال ، فإذا عرفه صار مقصودا قصده ، وهذا لم يقله أحد ممن تقدم من النحويين " (٣) .

وقد أشار في مواضع كثيرة من معانيه إلى أن التمييز مبين للإبهام ، وبمعنى (من) ، أي جيء به لتبيين الجنس كما يجاء بـ(من) المبينة للجنس ، ومن أمثلة ذلك :

- قال في توجيه قوله تعالى : ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ (٤) : " و(ذهبا) منصوب على التمييز ، قال سيبويه وجميع البصريين إن الاسم المخفوض قد حال بين الذهب وبين الملء أن يكون جرا ، وحقيقة تفسيره أن المعنى : ما يملؤه من الذهب ، وكذلك إذا قلت : عندي عشرون درهما، أي : ما يعادل هذا المقدار من الدراهم"(٥).

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ﴾ (٦) : " (نفسا) منصوب على التمييز ؛ لأنه إذا قال : (طبن لكم) لم يعلم في أي صنف وقع الطيب ، المعنى :

(١) البقرة /١٣٠ . (٢) هو الفراء ، انظر معاني الفراء ٧٩/١ . (٣) معانيه ٢١٠/١ .
(٤) آل عمران /٩١ . (٥) معانيه ٤٤٢/١ . (٦) النساء /٤ .

فإن طابت أنفسهن بذلك " [1] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [2] : " وقوله جل وعز : (سبيلا) منصوب على التمييز ، كما تقول : هذا أحسن منك وجها ، وهذا أجود منك ثوبا ؛ لأنك في قولك : (هذا أجود منك) قد أبهمت الشيء الذي فضلته به ، إلا أن تريد أن جملته أجود من جملتك فتقول : هذا أجود منك ، وتمسك " [3] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [4] : " وقوله (صياما) منصوب على التمييز ، المعنى : أو مثل ذلك من الصيام " [5] .

النص على التمييز :

يأتي ذلك كثيرا في معاني الزجاج ، وقد تقدمت منه هنا أمثلة ، ومن أمثلة ذلك أيضا :

- قال في قوله تعالى : ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [6] : " و(ذكرا) منصوب على التمييز " [7] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ [8] : " أي كفى هو إثما ، منصوب على التمييز " [9] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ [10] : " (مثوبة) منصوب على التمييز " [11] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ [12] : " (عداوة) منصوب على التمييز " [13] .

- وقال في قوله تعالى:﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[14]:"(علما) منصوب على التمييز"[15].

---

(1) معانيه ٢/١٢ .
(2) النساء/ ٥١ .
(3) معانيه ٢/٦١ ، ٦٢ .
(4) المائدة/ ٩٥ .
(5) معانيه ٢/٢٠٨ .
(6) البقرة/ ٢٠٠ .
(7) معانيه ١/٢٧٤ .
(8) النساء/ ٥٠ .
(9) معانيه ٢/٦١ .
(10) المائدة/ ٦٠ .
(11) معانيه ٢/١٨٧ .
(12) المائدة/ ٨٢ .
(13) معانيه ٢/١٩٩ .
(14) الأعراف/ ٨٩ .
(15) معانيه ٢/٣٥٧ .

- وقال في قوله تعالى:﴿ ... أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ ﴾[1]:"(درجة) منصوب على التمييز "[2] .

إطلاق لفظ (التفسير) عليه :

وقع ذلك من الزجاج في مواضع كثيرة ، ومن ذلك :

- قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا﴾ [3] : " (حكما) منصوب على التفسير " [4] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ [5] : " و(مكانا) منصوب على التفسير " [6] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾ [7] : " و(صليا) بالضم والكسر منصوب على التفسير " [8] .

شرط التمييز :

تقدم في كلام الزجاج هنا أن التمييز لا يكون إلا نكرة ، ولا يجوز أن يكون معرفة .

ناصب التمييز المبين للاسم :

تحدث الزجاج عن ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [9] فقال : " (عينا) نصب على التمييز ، وجميع ما نصب على التمييز في العدد على معنى دخول التنوين وإن لم يذكر في (عشرة) ؛ لأن التنوين حذف ههنا مع الإعراب ، ومعنى قول الناس : (عندي عشرون درهما) معناه : عندي عشرون من الدراهم ، فحذف لفظ الجمع ، و(من) هذه التي خلص بها جنس من جنس ، وعبر الواحد عن معنى الجمع ، فهذا جملة ما انتصب مع العدد على التمييز " [10] .

وهو إشارة إلى أن الناصب لمبين الاسم هو الاسم المبهم ، وقد اختلف في توجيه صحة إعماله مع أنه جامد ، فقيل : عمل لشبهه باسم الفاعل ؛ لأنه طالب له في المعنى كـ(عشرين درهما) فإنه شبيه بـ(ضاربين زيدا) ، و(رطل زيتا) فإنه شبيه بـ(ضارب عمرا)

---

(1) التوبة / ٢٠ .
(2) معانيه ٤٣٨/٢ .
(3) المائدة / ٥٠ .
(4) معانيه ١٨١/٢ .
(5) المائدة / ٦٠ .
(6) معانيه ١٨٩/٢ .
(7) مريم / ٧٠ .
(8) معانيه ٣٤٠/٣ .
(9) البقرة / ٦٠ .
(10) معانيه ١٤١/١ .

في الاسمية والطلب المعنوي ووجود ما به التمام وهو التنوين والنون ، وكلام الزجاج هنا يوافق ذلك القول .

وقيل : لشبهه بـ(أفعل من) ، وذلك في خامس مرتبة ؛ فإن الفعل أصل لاسم الفاعل ؛ لأنه يعمل معتمدا وغير معتمد ، واسم الفاعل لا يعمل إلا معتمدا ، وهو أصل للصفة المشبهة ؛ لأنه يعمل في السببي والأجنبي ، وهي لا تعمل إلا في السببي دون الأجنبي، وهي أصل لـ(أفعل من) لأنها ترفع الظاهر ، وهو لا يرفعه إلا في مسألة واحدة ، وهو أصل للمقادير ؛ لأنه يتحمل الضمير وهي لا تتحمله ، قال المصرح [1] : وصحح هذا القول ؛ لأن حمل الشيء على ما هو به أشبه أولى .

ناصب التمييز المبين للنسبة :

قال الزجاج في توجيه قوله تعالى:﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[2]:" الأمد: الغاية ، و(أمدا) منصوب على نوعين ، وهو على التمييز منصوب ، وإن شئت كان منصوبا على : أحصى أمدا ، فيكون العامل فيه (أحصى) ، كأنه قال : لنعلم أهؤلاء أحصى للأمد أم هؤلاء ، ويكون منصوبا بـ(لبثوا) ، ويكون (أحصى) متعلقا بـ(لما) فيكون المعنى : أي الحزبين أحصى للبثهم في الأمد " [3] .

وظاهره أنه يجعل ناصب التمييز المبين للنسبة هو المسند ، وذلك مذهب سيبويه والمازني والمبرد وتابعيهم [4] .

هل يجوز نحو (حسُن القوم رجلا) ؟

تناول ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [5] ، وفيه يقول : " (رفيقا) منصوب على التمييز ينوب عن (رفقاء) ، وقال بعضهم : لا ينوب الواحد عن الجماعة إلا أن يكون من أسماء الفاعلين ، فلو كان : (حسن القوم رجلا) لم يجز عنده ، ولا فرق بين رفيق ورجل في هذا المعنى ؛ لأن الواحد في التمييز ينوب عن الجماعة ، وكذلك في المواضع التي لا تكون إلا جماعة نحو قولك : هو أحسن فتى وأجمله ، المعنى : هو أحسن الفتيان وأجملهم ، وإذا كان الموضع الذي لا يلبس ذكر الواحد فيه فهو ينبئ عن الجماعة ، كقول الشاعر :

---

(١) التصريح ١/٣٩٥ . (٢) الكهف/ ١٢ . (٣) معانيه ٣/٢٧١ .
(٤) انظر التصريح ١/٣٩٥ . (٥) النساء/ ٦٩ .

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب [(١)]

وقال الآخر :

في حلقكم عظم وقد شجينا [(٢)]

يريد : في حلوقكم عظام ، ولو قلت : (حسن القوم مجاهدا في سبيل الله) ، و(حسن القوم رجلا) كان واحدا " [(٣)] .

(١) من بحر الطويل ، لعلقمة بن عبدة ، من شواهد الكتاب ٢٠٩/١ ، وقد تقدم .

(٢) من مشطور الرجز ، للمسيب بن زيد مناة ، من شواهد الكتاب ٢٠٩/١ ، وقد تقدم .

(٣) معانيه ٧٣/٢ ، ٧٤ .



الفصل الثاني والعشرون

حروف الجر

ما بني على حرف واحد :

(الباء) تحدث الزجاج عن الباء في توجيه البسملة فذكر متعلقها وبين معناها ووجه بناءها على الكسر فقال : " الجالب للباء معنى الابتداء ، كأنك قلت : بدأت بسم الله الرحمن الرحيم ، إلا أنه لم يحتج لذكر (بدأت) ؛ لأن الحال تنبئ أنك مبتدئ ... ثم قال : زعم سيبويه [1] أن معنى الباء الإلصاق ، تقول : كتبت بالقلم ، والمعنى أن الكتابة ملصقة بالقلم ، وهي مكسورة أبدا لأنه لا معنى لها إلا الخفض ، فوجب أن يكون لفظها مكسورا ليفصل بين ما يجر وهو اسم نحو كاف قولك : كزيد ، وما يجر وهو حرف نحو : بزيد " [2] .

وسيأتي ذكر معنى الإلصاق أيضا في توجيه قوله تعالى : ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عند الحديث عن اللام .

وقد أشار إلى أنها تقع موقع اللام في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [3] فقال : " معنى (بالحق) هنا : إلا للحق ، أي لإقامة الحق " [4] .

وذكر أنها مؤكدة لمعنى النفي في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [5] حيث قال : " دخلت الباء مؤكدة لمعنى النفي ؛ لأنك إذا قلت : (ما زيد أخوك) فلم يسمع السامع (ما) ظن أنك موجب ، فإذا قلت : ما زيد بأخيك ، وما هم بمؤمنين علم السامع أنك تنفي ، وكذلك جميع ما في كتاب الله عز وجل " [6] .

---

(١) الكتاب ٢١٧/٤ . (٢) معانيه ٤١/١ . (٣) الروم /٨ .
(٤) معانيه ١٧٨/٤ . (٥) البقرة /٨ . (٦) معانيه ٨٥/١ .

وصرح بزيادة الباء في توجيه قوله تعالى : ﴿وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا﴾ [1] فقال : " معناه : (وكفى الله عليما) والباء زائدة ، المعنى : اكتفوا بالله عليمَا " [2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [3] : " معناه : (وكفى الله شهيدا) ، والباء دخلت مؤكدة ، المعنى : اكتفوا بالله في شهادته " [4] .

وقد نفى زيادة الباء في آيتين من القرآن الكريم :

الأولى : قوله تعالى :﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ...﴾[5]، وفي توجيهها يقول :" قال أهل اللغة : معنى الباء الطرح ، كأنه قال : ومن يرد إلحادا بظلم ، وأنشدوا قول الشاعر :

هن الحرائر لا ربات أخمرة ... سود المحاجر لا يقرأن بالسور [6]

المعنى عندهم : لا يقرأن السور ، وأنشدوا :

بواد يمان ينبت الشث صدره ... وأسفله بالمرخ والشبهان [7]

أي ينبت أسفله المرخ والشبهان ، والذي ذهب إليه أصحابنا أن الباء ليست بملغاة ، المعنى عندهم : ومن أراد به بأن يلحد فيه بظلم ، وهو مثل قول الشاعر :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل [8]

معناه : أريد ، وإرادتي لهذا " [9] .

الثانية : قوله تعالى : ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [10] ، وفي توجيهها يقول : " قال أبو عبيدة : معنى الباء الطرح ، المعنى : أيكم المفتون ، قال : ومثله قول الشاعر :

نضرب بالسيف ونرجو بالفرج [11]

قال : معناه : نرجو الفرج ، وليس كذلك ، المعنى : نرجو كشف ما نحن فيه بالفرج ،

---

(١) النساء /٧٠ . (٢) معانيه ٢/٧٤ . (٣) النساء /٧٩ ، ١٦٦ .

(٤) معانيه ٢/١٣٤ . (٥) الحج /٢٥ .

(٦) البيت من البسيط ، وقائله الراعي النميري أو القتال الكلابي ، انظره في كتاب الشعر لأبي علي الفارسي ٢/٤٤٢ ، وخزانة الأدب ٩/١١٠ .

(٧) من بحر الطويل ، ينسب لامرئ القيس والأحول اليشكري ، وانظر لسان العرب (شث) .

(٨) البيت من الطويل ، وهو لكثير ، من شواهد الكشاف ٤/٦٩ ، ومغني اللبيب برقم ٣٩٣ (تحقيق مازن المبارك وآخرين) .

(٩) معانيه ٣/٤٢١ . (١٠) القلم /٦ .

(١١) من مشطور الرجز ، لراجز من بني جعدة ، انظر المغني ١/١٠٨ .

أو نرجو النصر بالفرج ، والباء في (بأيكم المفتون) لا يجوز أن تكون لغوا ، وليس هذا جائزا في العربية في قول أحد من أهلها ، وفيه قولان للنحويين :
فقالوا : المفتون ههنا بمعنى الفتون ، والمصادر تجيء على المفعول ، تقول العرب : ليس هذا معقود رأي بمعنى عقد رأي ، وتقول: دعه إلى ميسوره بمعنى يسره ، فالمعنى: فستبصر ويبصرون بأيكم الفتون .
وفيه قول آخر : بأيكم المفتون ؟ أبالفرقة التي أنت فيها أم فرقة الكفار التي فيها أبو جهل والوليد بن المغيرة المخزومي ومن أشبههم ، فالمعنى على هذا : فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون ، أفي فرقة الإسلام أم في فرقة الكفر ؟ " [١] .

(الكاف) أشار الزجاج إلى زيادة الكاف في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [٢] فقال : " هذه الكاف مؤكدة ، المعنى : ليس مثله شيء ، ولا يجوز أن يقال : المعنى (ليس مثل مثله شيء) ؛ لأن من قال هذا فقد أثبت المثل لله عز وجل ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا " [٣] .

وأشار إلى أن الكاف اسم بمعنى (مثل) في قوله تعالى : ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [٤] فقال : " موضع الكاف رفع ، وهو في موضع رفع خبر الابتداء ، المعنى : دأبهم مثل دأب آل فرعون " [٥] .

وقال في قوله تعالى :﴿ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [٦] : " موضع الكاف نصب ، المعنى : ويستخلف من بعدكم ما يشاء مثل ما أنشاكم " [٧] ، وتقدم نحو هذا في فصل المفعول المطلق .

(اللام) يطلق الزجاج على لام الجر (لام الإضافة) ، وقد أطلق عليها ذلك وبين أصل معناها ووجه بناءها على الكسر في حديثه عن البسملة حيث قال : " أصل الحروف التي يتكلم بها وهي على حرف واحد الفتح أبدا ، إلا أن تجيء علة تزيله ؛ لأن الحرف الواحد لا حظ له في الإعراب ، ولكن يقع مبتدأ في الكلام ولا يبتدأ بساكن ، فاختير الفتح لأنه أخف الحركات ، تقول : رأيت زيدا وعمرا ، فالواو مفتوحة ، وكذلك فعمرا

(١) معانيه ٥/٢٠٤ ، ٢٠٥ . (٢) الشورى /١١ . (٣) معانيه ٤/٣٩٥ .
(٤) آل عمران /١١ . (٥) معانيه ١/٣٨٠ . (٦) الأنعام /١٣٣ .
(٧) معانيه ٢/٢٩٣ .

الفاء مفتوحة ، وإنما كسرت اللام في قولك : (لزيد) ليفصل بين لام القسم ولام الإضافة ، ألا ترى أنك لو قلت : (إن هذا لَزيد) علم أن المشار إليه هو زيد ، فلذلك كسرت اللام في قولك : { المال } لزيد ، ولو قلت : إن هذا المال لك ، وإن هذا لأنت فتحت اللام لأن اللبس قد زال ، وهذا الذي قلناه في اللام هو مذهب سيبويه ويونس والخليل وأبي عمرو بن العلاء وجميع النحويين الموثوق بعلمهم ، وكذلك تقول : أزيد في الدار ؟ فالألف مفتوحة ، وليس في الحروف المبتدأة مما هو على حرف حرف مكسور إلا الباء ولام الأمر وحدهما ، وإنما كسرتا للعلة التي ذكرنا ، وكذلك لام الإضافة والفتح أصلها "[1]، وأنكر حكاية فتحها في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ ، وسيأتي كلامه في ذلك في فصل عوامل الجزم .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ [2] : " وموضع (ما) في (مصدق لما معهم) جر بلام الإضافة " [3] .

ومن معاني اللام : التعليل

وقد أشار إليه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[4] فقال : " العرب تقول : أمرتك بأن تفعل ، وأمرتك أن تفعل ، وأمرتك لتفعل ، فمن قال : أمرتك أن تفعل فعلى حذف الباء ، ومن قال : أمرتك لتفعل فقد أخبر بالعلة التي لها وقع الأمر ، المعنى : أمرنا للإسلام " [5] .

كما أجازه في توجيه قوله تعالى : ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [6] حيث يقول : " فيه وجهان : أحدهما : معناه : وهم إليها سابقون ، كما قال : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [7] أي : أوحى إليها، ويجوز : وهم لها سابقون : وهم من أجل اكتسابها سابقون ، تقول: أنا أكرم فلانا لك ، أي : من أجلك " [8] ، وفي هذا إشارة إلى أن اللام تقع أحيانا موقع (إلى) .

ومن أمثلة لام التعليل : اللام التي تدخل على المضارع المنصوب بـ(أن) المصدرية، ويسميها الزجاج (لام كي) ، ويأتي حديثها في إعراب الفعل .

(١) معانيه ١/٤١ ، ٤٢ .
(٢) البقرة/ ١٠١ .
(٣) معانيه ١/١٨٢ .
(٤) الأنعام/ ٧١ .
(٥) معانيه ٢/٢٦٢ .
(٦) المؤمنون/ ٦١ .
(٧) الزلزلة/ ٥ .
(٨) معانيه ٤/١٧ .

ومن معاني اللام : الصيرورة

وقد نص عليه الزجاج ووضحه في توجيه قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [1] ، وفي ذلك يقول : " إن قال قائل : إنما صرفت الآيات ليقولوا : درست ؟ فالجواب في هذا أن السبب الذي أداهم إلى أن يقولوا درست هو تلاوة الآيات ، وهذه اللام يسميها أهل اللغة (لام الصيرورة) ، وهذا كقوله تعالى : ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [2] ، فهم لم يلتقطوه يطلبون بأخذه أن يعاديهم ، ولكن كانت عاقبة أمره أن صار لهم عدوا وحزنا ، وكما تقول : كتب فلان هذا الكتاب لحتفه ، فهو لم يقصد بالكتاب أن يهلك نفسه ، ولكن العاقبة كانت الهلاك " [3] .

وأشار الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ [4] إلى أن اللام قد تقع موقع (على) ، حيث أجاز أن يكون (لبيوتهم) بمعنى : على بيوتهم [5] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [6] : " هذه اللام أدخلت على المفعول للتبيين ، المعنى : إن كنتم تعبرون وعابرين ، ثم بين باللام فقال : (للرؤيا) " [7] .

واللام في هذه الآية زائدة عند أبي علي الفارسي [8] ، والغرض منها تقوية العامل الذي ضعف بتأخره عن المفعول [9] .

(الواو) هي واو القسم تجر المقسم به

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [10] : " (والذاريات) مجرور على القسم، المعنى: أحلف بالذاريات وبهذه الأشياء، والجواب :﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾[11]، وقال قوم : ورب الذاريات ذروا ، كما قال عز وجل : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[12] " [13] .

---

(1) الأنعام /١٠٥ . (2) القصص /٨ . (3) معانيه ٢/٢٨٠ .
(4) الزخرف /٣٣ . (5) انظر معانيه ٤/٤١٠ . (6) يوسف /٤٣ .
(7) معانيه ٣/١١٢ . (8) انظر الحجة ٣/٥٢ وما بعدها .
(9) انظر الحجة لأبي علي ٢/٢٣٠ وما بعدها ، والتصريح ٢/١١ . (10) الذاريات /١ .
(11) الذاريات /٥ . (12) الذاريات /٢٣ . (13) معانيه ٥/٢٦٥ .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ إلى قوله : ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ (١) : " هذه كلها مجرورة على القسم ، وجواب القسم : ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ (٢) ، وقال بعض أهل اللغة : المعنى : ورب المرسلات وهذه الأشياء ، كما قال : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ (٣) " (٤) .

ما بني على حرفين :

(في) ذكر الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (٥) أن معنى (في) هو الظرفية ، وقد عبر عن ذلك بقوله : " وأصل (في) إنما هو للوعاء ... " (٦) ، وسيأتي كلامه في توجيه الآية هنا .

وذكر في توجيه قوله تعالى : ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ﴾ (٧) مجيء (في) موضع (على) فقال : " وقال بعضهم : معنى (من الذين استحق عليهم الأوليان) معناه : استحق فيهم ، وقامت (على) مقام (في) كما قامت (في) مقام (على) في قوله : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (٨) ، ومعناه : على جذوع النخل " (٩) .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (١٠) : " معناه : على جذوع النخل ، ولكنه جاز أن تقع (في) ههنا لأنه في الجذع على جهة الطول ، والجذع مشتمل عليه ، فقد صار فيه ، قال الشاعر :

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة   فلا عطست شيبان إلا بأجدعا (١١) " (١٢)

وأشار الزجاج إلى أن (في) تقع موقع (من) ، وذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ (١٣) حيث قال : " (في) من صلة قوله : ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ (١٤) ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾ (١٥) ، ومثل قوله : (في تسع) ـ ومعناها : من تسع ـ قولك : خذ لي عشرا من الإبل فيها فحلان ، المعنى : منها فحلان " (١٦) .

(١) المرسلات /١ : ٥ . (٢) المرسلات /٧ . (٣) الذاريات /٢٣ .
(٤) معانيه ٥/٢٦٥ . (٥) آل عمران /٥٢ . (٦) معانيه ١/٤١٧ .
(٧) المائدة /١٠٧ . (٨) طه /٧١ . (٩) معانيه ٢/٢١٧ .
(١٠) طه /٧١ . (١١) من الطويل لسويد بن أبي كاهل اليشكري،اللسان (عبد)،والمغني (الشاهد ٣٠٣).
(١٢) معانيه ٣/٣٦٨ . (١٣) النمل /١٢ . (١٤) في الآية ١٠ من السورة .
(١٥) في الآية ١٢ من السورة . (١٦) معانيه ٤/١١٠ .

(كي) يشير الزجاج إلى أن (كي) الجارة تفيد التعليل عندما يفسر بها بها معنى لام التعليل ، وذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [1] ، فهو يقول عن اللام : " والكسر أجود على معنى : كي يكفروا وكي يتمتعوا " [2] يشير إلى قوله تعالى في صدر الآية : ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ...﴾ .

(من) يقرر الزجاج أن (من) هي الأصل في ابتداء الغاية والتبعيض ، فهو يقول في توجيه قوله تعالى : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [3] : " دخلت (من) في الزمان ، والأصل (منذ) و(مذ) هذا أكثر الاستعمال في الزمان ، و(من) جائز دخولها ؛ لأنها الأصل في ابتداء الغاية والتبعيض ، ومثل هذا قول زهير :

لمن الديار بقنة الحجر   أقوين من حجج ومن شهر [4]

وقيل : إن معنى هذا : من مر حجج ، ومن مر شهر " [5] .

قلت : وجعل (من) لابتداء الغاية الزمانية وافق فيه الكوفيين والأخفش والمبرد ، وأكثر البصريين على منع ذلك ، وقد استدل ابن هشام [6] بالآية على مجيء (من) لهذا المعنى .

ويقرر الزجاج في مواضع من معانيه أن (من) تأتي لبيان الجنس ، يقول في قوله تعالى : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [7] : " المعنى ـ والله أعلم ـ ولتكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير وتأمرون بالمعروف ، ولكن (من) تدخل ههنا لتخص المخاطبين من سائر الأجناس ، وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين ، ومثل هذا من كتاب الله : ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [8] ليس يأمرهم باجتناب بعض الأوثان ، ولكن المعنى : اجتنبوا الأوثان فإنها رجس ... " [9] .

ويقول في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ [10] : " إن قال قائل : إنما قيل : فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا ، فكيف يجوز أن يقبل الرجل المهر كله

(١) العنكبوت /٦٦ . (٢) معانيه ١٧٤/٤ . (٣) التوبة /١٠٨ .

(٤) البيت من الكامل ، وروايته هذه توافق ما في ديوان زهير ص٢٧ ومختارات الشعر الجاهلي ص٢٩٩ ، و(الحَجر) بفتح الحاء : موضع باليمامة ، و(أقوين) : خلون وأقفرن .

(٥) معانيه ٤٧٨/٢ . (٦) انظر التصريح ٨/٢ . (٧) آل عمران /١٠٤ .

(٨) الحج /٣٠ . (٩) معانيه ٤٥٢/١ . (١٠) النساء /٤ .

وإنما قيل له : منه ؟ فالجواب في ذلك أن (منه) ههنا للجنس ، كما قال عز وجل : ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ [1] فلم نؤمر أن نجتنب بعض الأوثان ، ولكن المعنى : اجتنبوا الرجس الذي هو وثن ، أي : فكلوا الشيء الذي هو مهر " [2] .

وفي توجيه آية الحج هذه يقول في موضعها من السورة : " (من) ههنا لتخليص جنس من أجناس ، المعنى : فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن " [3] .

ومن الأمثلة التي أجاز فيها أن تكون (من) للتبعيض أو بيان الجنس :

توجيه قوله تعالى : ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾[4]، وفيه يقول :" قال عز وجل : (بشيء من الصيد) فبعّض ، وهو يحتمل وجهين : أحدهما أنه على صيد البر دون صيد البحر ، والثاني أنه لما عنى الصيد ما داموا في الإحرام كان ذلك بعض الصيد ، وجائز أن يكون على وجه ثالث ، وتكون (من) هذه تبين جنسا من الأجناس ، تقول : لأمتحننك بشيء من الورق ، أي : لأمتحننك بالجنس الذي هو ورق ، كما قال جل ثناؤه : ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ [5] والأوثان كلها رجس ، المعنى : فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [7] : " دخول (من) للتبعيض ، { أي } من القرآن ... ويجوز أن تكون السبع هي المثاني وتكون (من) للصفة كما قال : ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾[8] ، المعنى : فاجتنبوا الأوثان " [9] .

ويشير الزجاج إلى أن (من) تأتي بمعنى بدل ، وذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً...﴾[10] حيث قال :" المعنى : لجعلنا منهم بدلا منكم "[11] .

ويذكر الزجاج في مواضع من معانيه أن (من) تجيء في الكلام على جهة التوكيد والزيادة ، ومن أمثلة ذلك :

ـ قال في قوله تعالى : ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ

---

(1) الحج /٣٠ . (2) معانيه ١٣/٢ . (3) معانيه ٤٢٥/٣ .
(4) المائدة /٩٤ . (5) الحج /٣٠ . (6) معانيه ٢٠٦/٢ .
(7) الحجر /٨٧ . (8) الحج /٣٠ . (9) معانيه ١٨٥/٣ .
(10) الزخرف /٦٠ . (11) معانيه ٤١٧/٤ .

مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [1] : " موضع (من خير) رفع ، المعنى : ما يود الذين كفروا والمشركون أن ينزل عليكم خير من ربكم ... ودخول (من) هنا على جهة التوكيد والزيادة ، كما في : ما جاءني من أحد ، وما جاءني أحد " [2] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ﴾ [3] : " (من) دخلت توكيدا ودليلا على نفي جميع من ادعى المشركون أنهم آلهة ... " [4] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [5] : " (من) دخلت للتوكيد ، المعنى : وما أرسلنا رسولا إلا ليطاع بإذن الله " [6] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [7] : " دخلت (من) مؤكدة ، والمعنى : ما إله إلا إله واحد " [8] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[9] :" وتقرأ (غيره) ، فمن رفع فالمعنى : ما لكم إله غيره ، ودخلت (من) مؤكدة ، ومن جر جعله صفة لـ(إله) ، وأجاز بعضهم النصب في (غير) ، وهو جائز في غير القرآن على النصب على الاستثناء ، وعلى الحال من النكرة ، ولا يجوز في القرآن لأنه لم يقرأ به " [10] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾ [11] : " قرئت (هل من خالق غير الله) برفع (غير) ، المعنى : هل خالق غير الله ؛ لأن (من) مؤكدة ، وقد قرئ بهما جميعا : (غيرِ) و(غيرُ) ، وفيها وجه آخر يجوز في العربية نصب (غير) : (هل من خالق غيرَ الله يرزقكم) ويكون النصب على الاستثناء ،كأنه : هل من خالق إلا اللهَ يرزقكم "[12].

ما بني على أكثر من حرفين :

(إلى) سيأتي هنا في توجيه الزجاج لقوله تعالى :﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ﴾ أن معناها الغاية، وأنها تقع في موقع (مع) .

---

(1) البقرة/ ١٠٥ . (2) معانيه ١٨٩/١ . (3) آل عمران/ ٦٢ .
(4) معانيه ٤٢٤/١ . (5) النساء/ ٦٤ . (6) معانيه ٧٠/٢ .
(7) المائدة/ ٧٣ . (8) معانيه ١٩٦/٢ . (9) الأعراف/ ٥٩ .
(10) معانيه ٣٤٨/٢ . (11) فاطر/ ٣ . (12) معانيه ٢٦٢/٤ .

(حتى) تناول الزجاج هذا الحرف وأشار إلى مجيئه لمعنى الغاية والتعليل ومجيئه للاستئناف ، وذلك في توجيه قوله تعالى :﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾[1] ، وفيه يقول: " قرئت : (حتى يقول الرسول) بالنصب ، و(يقول) بالرفع ، وإذا نصبت بـ(حتى) فقلت: (سرت حتى أدخلها) فزعم سيبويه [2] والخليل وجميع أهل النحو الموثوق بعلمهم أن هذا ينتصب على وجهين :

فأحد الوجهين أن يكون الدخول غاية السير ، والسير والدخول قد مضيا جميعا ، فالمعنى : سرت إلى دخولها وقد مضى الدخول ، فعلى هذا نصبت الآية ، والمعنى : وزلزلوا إلى أن يقول الرسول ، وكأنه : حتى قول الرسول.

ووجهها الآخر في النصب ـ أعني : سرت حتى أدخلها ـ أن يكون السير قد وقع والدخول لم يقع ، ويكون المعنى : سرت كي أدخلها ، وليس هذا وجه نصب الآية .

ورفع ما بعد (حتى) على وجهين : فأحد الوجهين هو وجه الرفع في الآية ، والمعنى: سرت حتى أدخلها وقد مضى السير والدخول ، كأنه بمنزلة قولك : سرت فأدخلها ، بمنزلة : سرت فدخلتها ، وصارت (حتى) ههنا مما لا يعمل في الفعل شيئا ؛ لأنها تلي الجمل ، تقول : سرت حتى إني داخل ، وقول الشاعر :

فيا عجبا حتى كليب تسبني ... كأن أباها نهشل أو مجاشع [3]

فعملها في الجمل في معناها لا في لفظها ، والتأويل : سرت حتى دخولها ، وعلى هذا وجه الآية .

ويجوز أن يكون السير قد مضى والدخول واقع الآن وقد انقطع السير ، تقول : سرت حتى أدخلها الآن ما أمنع ، فهذه جملة باب (حتى) " [4] .

(رب) تحدث الزجاج عن معناها وحكم لحاق (ما) بها في توجيه قوله تعالى : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ [5] ، وفيه يقول : " إن قال قائل : فلم كانت (رب) ههنا و(رب) للتقليل ؟ فالجواب في هذا أن العرب خوطبت بما تعقله في التهدد ، والرجل يتهدد الرجل فيقول له : لعلك ستندم على فعلك ، وهو لا يشك في أنه يندم ، ويقول : إنه ربما ندم الإنسان من مثل ما صنعت ، وهو يعلم أن الإنسان يندم كثيرا ،

(١) البقرة /٢١٤ . (٢) انظر الكتاب ١٦/٣ ، ١٧ .

(٣) البيت من الطويل ، وهو للفرزدق ، ديوانه ٤١٩/١ ، وهو من شواهد الكتاب ١٨/٣ ، وانظره في شرح الكافية للرضي ٢٨١/٤ ، والخزانة ٤١٤/٥ ، ٤٧٥/٩ وما بعدها .

(٤) معانيه ٢٨٦/١ . (٥) الحجر /٢ .

ولكن مجازه أن هذا ـ لو كان ـ مما يود في حال من أحوال العذاب ، أو (لو) كان الإنسان يخاف أن يندم على الشيء لوجب عليه اجتنابه ... فأما من قال : إن (رب) يعنى بها الكثير فهذا ضد ما يعرفه أهل اللغة ؛ لأن الحروف التي جاءت لمعنى على ما وضعت العرب ، فـ(رب) موضوعة للتقليل ، و(كم) موضوعة للتكثير ، وإنما خوطبوا بما يعقلون ويستفيدون ، وإنما زيدت (ما) مع (رب) ليليها الفعل ، تقول : رب رجل جاءني ، وربما جاءني زيد " [١] .

(على) سيأتي في توجيه الزجاج لقوله تعالى : ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ﴾ أن (على) لما علا الشيء .

وجاء في توجيهه لقوله تعالى : ﴿... مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ﴾ أن (على) قد تقوم مقام (في) ، وقد تقدم ذلك ، وجاء فيه أيضا أن (على) قد تقوم مقام (من) ، وفي ذلك يقول : " وقال بعضهم : معنى (على) من الذين استحق منهم الأوليان ، كما قال : ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [٢] ، أي : إذا اكتالوا من الناس يستوفون " [٣] .

(منذ) تقدم في كلام الزجاج هنا أنها و(مذ) تدلان على الزمان .

نيابة حرف جر عن مثله :

تناول الزجاج هذه القضية في توجيه قوله تعالى :﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ﴾[٤] فقال :" جاء في التفسير : من أنصاري مع الله ؟ و(إلى) ههنا إنما قاربت (مع) معنى ، بأن صار اللفظ لو عبر عنه بـ(مع) أفاد مثل هذا المعنى ، لا أن (إلى) في معنى (مع) ، لو قلت : (ذهب زيد إلى عمرو) لم يجز : ذهب زيد مع عمرو ؛ لأن (إلى) غاية ، و(مع) تضم الشيء إلى الشيء ، فالمعنى : يضيف نصرته إياي إلى نصرة الله .

وقولهم إن (إلى) في معنى (مع) ليس بشيء ، والحروف تقاربت في الفائدة ، فيظن الضعيف العلم باللغة أن معناهما واحد ، من ذلك قوله جل وعز : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [٥] ، ولو كانت (على) ههنا لأدت هذه الفائدة ؛ لأنك لو قلت : (لأصلبنكم على جذوع النخل) كان مستقيما ، وأصل (في) إنما هو للوعاء ، وأصل (على) لما علا الشيء كقولك : التمر في الجراب ، ولو قلت : (التمر على الجراب) لم

(١) معانيه ٣/١٧١ : ١٧٣ .
(٢) المطففين /٢ .
(٣) معانيه ٢/٢١٧ .
(٤) آل عمران /٥٢ ، الصف /١٤ .
(٥) طه /٧١ .

يصلح في هذا المعنى ، ولكن جاز (ولأصلبنكم في جذوع النخل) لأن الجذع يشتمل على المصلوب لأنه قد أخذ من أقطاره ، ولو قلت : زيد على الجبل وفي الجبل لصلح ؛ لأن الجبل قد اشتمل على زيد ، فعلى هذا مجاز هذه الحروف " (١) .

وظاهر كلامه أنه يسير على المذهب الصحيح عند البصريين ، وهو أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس ، وأن ما أوهم ذلك مؤول (٢) .

اقتران حرف الجر بـ(ما) :

تقدم الحديث هنا عن اقتران (رب) بـ(ما) ، وقد تناول الزجاج زيادة (ما) بين الجار والمجرور في توجيهه لقوله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ (٣) ، وفي ذلك يقول : " (ما) بإجماع النحويين ههنا صلة لا تمنع الباء من عملها فيما عملت ، المعنى : فبرحمة من الله لنت لهم ، إلا أن (ما) قد أحدثت بدخولها توكيد المعنى ... " (٤) .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ (٥) : " (ما) لغو في اللفظ ، المعنى : فبنقضهم ميثاقهم حقا ، فكما أن (حقا) لتوكيد الأمر فكذلك (ما) دخلت للتوكيد "(٦).

وقال في قوله تعالى : ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾(٧) :" (ما) زائدة بمعنى التوكيد ، ومعناه : عن قليل ليصبحن نادمين حقا " (٨) .

وإذا اتصل حرف الجر بـ(ما) الاستفهامية حذفت ألفها ، قال الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾(٩) :" وأصل (لم تكفرون) : لما تكفرون، والمعنى : لأي شيء تكفرون ؟ وكذلك : ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(١٠) ، وكذلك : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١١) و ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ (١٢) ، فإذا وقفت على هذه الحروف وقفت بالهاء فقلت : لِمَه ، وبِمَه ؛ لأن الألف حذفت في هذه الأسماء التي للاستفهام خاصة ، فجوز ذلك ، ولا يجوز ذلك في الموصولة ؛ لأن الألف فيهن ليست آخر الأسماء ، إنما الألف وسط (١٣) ، وحذفها لأن حروف الجر عوض منها فحذفت استخفافا ؛ لأن الفتحة دالة عليها ، ولا يجوز إسكان هذه الحروف " (١٤) .

(١) معانيه ٤١٧/١ . (٢) انظر التصريح ٤/٢ : ٧ . (٣) آل عمران /١٥٩ .
(٤) معانيه ٤٨٢/١ . (٥) النساء /١٥٥ . (٦) معانيه ١٢٧/٢ .
(٧) المؤمنون /٤٠ . (٨) معانيه ١٣/٤ . (٩) آل عمران /٧٠ .
(١٠) الصف /٢ . (١١) النبأ /١ . (١٢) الحجر /٥٤ .
(١٣) يعني بين (ما) وصلتها . (١٤) معانيه ٤٢٧/١ ، ٤٢٨ .

وقال في قوله تعالى : ﴿... لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ [1] : " الأصل : لما ، ولكن الألف تحذف مع حروف الجر ، نحو : لم ، وعم ، وبم ، قال الله تعالى : ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [2] ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [3] " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [5] : " حروف الجر مع (ما) في الاستفهام تحذف معها الألف من (ما) لأنهما كالشيء الواحد ، وليفصل بين الخبر والاستفهام ، تقول : (قد رغبت فيما عندك) فتثبت الألف ، وتقول : (فيم نظرت يا هذا ؟) فتحذف الألف " [6] .

الاهتمام ببيان متعلق الجار والمجرور :

اهتم بذلك الزجاج في مواضع كثيرة من معانيه ، وقد يسمي المتعلَّق الجالب للحرف كما تقدم هنا في توجيهه للبسملة ، وقد يسميه العامل في الحرف كما في توجيهه لقوله تعالى : ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ ...﴾ [7] حيث يقول : " الجالب للباء والعامل فيها قوله عز وجل : (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) " [8] .

وقد يعبر عن ذلك بأن الجار والمجرور من صلة المتعلق ، كما تقدم هنا في قوله تعالى : ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ [9].

أو يعبر عنه بأنه موصول به، كما في توجيه قوله تعالى :﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾[10] حيث يقول :"(من عند أنفسهم) موصول بـ(ود الذين كفروا)[11] لا بقوله (حسدا) ؛ لأن حسد الإنسان لا يكون من عند نفسه ، ولكن المعنى : مودتهم لكفركم من عند أنفسهم ، لا أنهم عندهم الحق الكفر ، ولا أن كتابهم أمرهم بما هم عليه من الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم ، الدليل على ذلك قوله : (من بعد ما تبين لهم الحق)[12] " [13] .

---

(1) الأعراف /١٦٤ .
(2) الحجر /٥٤ .
(3) النبأ /١ .
(4) معانيه ٣٨٥/٢ .
(5) النمل /٣٥ .
(6) معانيه ١٢٠/٤ .
(7) النساء /١٦٠ .
(8) معانيه ١٢٧/٢ .
(9) انظر ص٢٤٤ .
(10) البقرة /١٠٩ .
(11) في صدر الآية نفسها .
(12) من تمام الآية نفسها .
(13) معانيه ١٩٣/١ .

وقد يعبر بأنه معلق به ، كما في توجيه قوله تعالى :﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنكُمْ ﴾[1] ، وفيه يقول : " (كما) تصلح أن تكون جوابا لما قبلها ، فيكون (لعلكم تهتدون) [2] (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) ، والأجود أن تكون (كما) معلقة بقوله عز وجل : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[3] " [4] .

---

(١) البقرة /١٥١ .
(٢) آخر الآية ١٥٠ .
(٣) في الآية التي بعدها .
(٤) معانيه ٢٢٧/١ .

الفصل الثالث والعشرون

الإضافة

ما يحذف للإضافة :

يشير الزجاج إلى أن نون جمع المذكر السالم تحذف للإضافة ، وقد جاء ذلك في توجيهه لقوله تعالى : ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ [1] ، وفيه يقول : " القراءة بحذف النون ... والخفض على الإضافة ، ويجوز (والمقيمين الصلاةَ) إلا أنه خلاف المصحف ، ويجوز ـ على بعد ـ (والمقيمي الصلاةَ) على حذف النون لطول الاسم ، وأنشد سيبويه :

الحافظو عورة العشيرة لا   يأتيهم من ورائهم نطف [2] " [3]

قلت : ما أجازه من القراءة بالنون ونصب (الصلاة) وردت به قراءة غير متواترة نسبت إلى عبد الله بن مسعود والأعمش[4] ، وما أجازه من القراءة بغير نون مع نصب (الصلاة) قرئ به أيضا في قراءة غير متواترة ، ونسبت إلى الحسن وابن أبي إسحاق وغيرهما [5] .

وقد صرح في توجيه قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [6] بأن النون سقطت للإضافة فقال : " و(حاضري المسجد الحرام) أصله : حاضرين المسجد الحرام ، فسقطت النون للإضافة ، وسقطت الياء في الوصل لسكونها وسكون اللام في (المسجد) ، وأما الوقف فتقول فيه متى اضطررت : (حاضري) " [7] .

---

(١) الحج /٣٥ .

(٢) البيت من المنسرح لعمرو بن امرئ القيس الخزرجي ، من شواهد الكتاب ١/١٨٦ ، والشاهد فيه إعمال (الحافظين) مع حذف النون على نية إثباتها ؛ لأنها لا تعاقب الألف واللام ، والعورة : المكان الذي يخشى منه العدو ، والنطف : العيب أو التلطخ به ، وانظر الخزانة ٤/٢٧٢ .

(٣) معانيه ٣/٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٤) انظر البحر المحيط ٦/٣٦٩ ، ومعاني الفراء ٢/٢٢٥ .

(٥) انظر الإملاء ٤/٣٩ ، والبحر ٦/٣٦٩ .

(٦) البقرة /١٩٦ .

(٧) معانيه ١/٢٦٩ .

وذكر في توجيه قوله تعالى : ﴿هَلْ أَنتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ [1] أن نون الجمع السالم إذا أضيف لا تثبت إلا في الشعر ، فهو يقول : " ومن قرأ (مطلعونِ) بكسر النون قرأ (فأُطلعَ) ، ومن قرأ بفتح النون (مطلعونَ) وجب أن يقرأ (فأَطلعَ) ، ويجوز (فأُطْلع) على معنى : هل أنتم مطلعون أحدا .

فأما الكسر للنون فهو شاذ عند البصريين والكوفيين جميعا ، وله عند الجماعة وجه ضعيف ، وقد جاء مثله في الشعر :

هـم القـائلون الـخير والآمـرونـه ... إذا ما خشوا من محدث الأمر معظما [2]

وأنشدوا :

وما أدري وظني كل ظني ... أمسلمني إلى قومي شراح [3]

والذي أنشدنيه محمد بن يزيد : أيسلمني إلى قومي ، وإنما الكلام : أمسلمي وأيسلمني ، وكذلك : هم القائلون الخير والآمروه ، وكل أسماء الفاعلين إذا ذكرت بعدها المضمر لم تذكر النون ولا التنوين ، تقول : زيد ضاربي ، وهما ضارياك ، ولا يجوز : وهو ضاربني ، ولا هم ضاربونك ، ولا يجوز : هم ضاربونك عندهم إلا في الشعر ، إلا أنه قد قرئ بالكسر : هل أنتم مطلعون ، على معنى (مطلعوني) فحذفت الياء كما تحذف في رؤوس الآي ، وبقيت الكسرة دليلا عليها ، وهو في النحو ـ أعني كسر النون ـ على ما أخبرتك " [4] .

قلت : ما ذكره من أن النون أو التنوين عند إضافة الوصف إلى الضمير لا يثبتان إلا في ضرورة الشعر يناسب مذهب سيبويه [5] الذي يذهب إلى أن الضمير معه في محل جر بالإضافة ، وأن حذف النون أو التنوين معه لازم ، ويرى الأخفش وهشام أن الضمير في محل نصب ، وتحذف النون أو التنوين للتخفيف جوازا ، ولهذا ورد إثباتهما [6] .

---

(١) الصافات /٥٤ .

(٢) البيت من الطويل ، وينسب إلى عمر بن أبي ربيعة ، وهو من شواهد الكتاب ١/١٨٨ ، وانظره في الخزانة ٤/٢٦٩ وما بعدها .

(٣) البيت من الوافر ، وينسب إلى يزيد بن محمد الحارثي ، وانظره في معاني الفراء ٢/٣٨٦ ، وشرح التسهيل لابن مالك ١/١٥١ ، واللسان (شرحل) .

(٤) معانيه ٤/٣٠٤ ، ٣٠٥ .

(٥) انظر الكتاب ١/١٨٧ .

(٦) الأشموني ٢/٢٤٦ .

عامل الجر في المضاف إليه :

ذكر ابن هشام وغيره [1] أن الزجاج يرى أن المضاف إليه يجر بمعنى اللام ، ولم أجد في كلام الزجاج تصريحا بذلك .

وذكر المصرح [2] أن الزجاج اقتصر على أن الإضافة تكون بمعنى اللام ، وهذا غير مسلم ، فقد أشار الزجاج إلى أن الإضافة في قوله تعالى : ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [3] بمعنى (في) عندما قال : " الليل والنهار لا يمكران ، إنما معناه : بل مكرهم في الليل والنهار " [4] .

فإذا كان القائلون بأنه يرى أن المضاف إليه يجر بمعنى اللام مستندين إلى نحو ما قرره المصرح لم يكن قولهم صحيحا .

وربما أمكن الاستدلال بما ذكره الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [5] على أنه يذهب مذهب سيبويه ، وهو أن المضاف إليه مجرور بالمَضاف ، فهو يقول : " (والمستضعفين) في موضع جر ، المعنى : وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وسبيل المستضعفين ... قال أبو العباس محمد بن يزيد : (والمستضعفين) في موضع جر من وجهين ، المعنى : ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي المستضعفين ، قال : وجائز أن يكون عطفا على اسم (الله) ، أي : في سبيل الله وسبيل المستضعفين ، قال : وأختار أن يكون على (والمستضعفين) لاختلاف السبيلين ؛ لأن معنى سبيل المستضعفين كأنه خلاص المستضعفين ، وقول أكثر النحويين كما اختار أبو العباس محمد بن يزيد ، والوجه الثاني عندي أشبه بالمعنى ؛ لأن سبيل المستضعفين هي سبيل الله " [6] .

أنواع الإضافة :

تكلم الزجاج في مواضع من معانيه عن الإضافة اللفظية لتمييزها عن المعنوية ، وذلك يبدو مما يلي :

- قال في توجيه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ [7] : " معنى (ملاقو ربهم): ملاقون ربهم ؛ لأن اسم الفاعل ههنا نكرة ، ولكن النون تحذف استخفافا ، ولا

(1) انظر التصريح ٢/٢٥ . (2) المصدر السابق . (3) سبأ/ ٣٣ .
(4) معانيه ٤/٢٥٤ . (5) النساء/ ٧٥ . (6) معانيه ٢/٧٧ ، ٧٨ .
(7) البقرة/ ٤٦ .

يجوز في القرآن إثباتها ؛ لأنه خلاف المصحف ولا يجوز أن يقع شيء في المصحف مجمع عليه فيخالف ؛ لأن اتباع المصحف أصل اتباع السنة " [1] .

- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [2] : " الأجود في (مخرج) التنوين ؛ لأنه إنما هو لما يستقبل أو للحال ، ويجوز حذف التنوين استخفافا فيقرأ : مخرجُ ما كنتم تكتمون ، فإن كان قرئ به وإلا فلا يخالف القرآن كما شرحنا " [3] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [4] : " (بالغ الكعبة) لفظه لفظ معرفة ومعناه النكرة ، المعنى : بالغا الكعبة ، إلا أن التنوين حذف استخفافا " [5] .

وقد أشار الزجاج في هذه الأمثلة وغيرها إلى أن الإضافة اللفظية لا تفيد تعريفا ولا تخصيصا ، وأن الغرض منها هو التخفيف بحذف التنوين أو نون الجمع من المضاف ، والعلماء يستدلون بالآية الأخيرة على أن هذه الإضافة لا تفيد المضاف تعريفا ؛ لكون (هديا) نكرة و(بالغ الكعبة) نعتا له ، ولا توصف النكرة بالمعرفة " [6] .

ما يكتسبه المضاف من المضاف إليه :

أولا : اكتسابه التذكير والتأنيث :

تناول الزجاج لفظ (خالصة) في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ [7] فقال : " هو على ضربين : أجودهما أن يكون أنث الخبر وجعل معنى (ما) التأنيث لأنها في معنى الجماعة ، كأنهم قالوا : جماعة ما في بطون هذه الأنعام ، والذي في بطون الأنعام ليس بمنزلة بعض الشيء ؛ لأن قولك : سقطت بعض أصابعه ، بعض الأصابع إصبع وهي واحدة منها ، والذي في بطون الأنعام ما في بطون كل واحدة غيرها ، ومن قال : يجوز على أن الجملة أنعام فكأنه قال : وقالوا الأنعام التي في بطون الأنعام خالصة لذكورنا ، والقول الأول الذي شرحنا أبين لقوله : (ومحرم) ؛ لأنه دليل على الحمل في (ما) على اللفظ ... " [8] .

وفي كلامه ذكر اكتساب المضاف وهو (بعض) التأنيث من المضاف إليه وهو

(1) معانيه ١٢٧/١ .
(2) البقرة /٧٢ .
(3) معانيه ١٥٤/١ .
(4) المائدة /٩٥ .
(5) معانيه ٢٠٨/٢ .
(6) انظر التصريح ٢٨/٢ .
(7) الأنعام /١٣٩ .
(8) معانيه ٢٩٤/٢ ، ٢٩٥ .

(أصابعه) فلذلك اتصل الفعل بتاء التأنيث فقيل : سقطت .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [1] : " أكثر القراءة بالياء ، وقرأ الحسن : (تلتقطه) بالتاء ، وأجاز ذلك جميع النحويين ، وزعموا أن ذلك إنما جاز لأن بعض السيارة سيارة ، فكأنه قال : تلتقطه سيارة بعض السيارة ، وأنشدوا :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته   كما شرقت صدر القناة من الدم [2] " [3]

والزجاج يشير إلى اشتراط كون المضاف بعض ما أضيف إليه حتى يكتسب منه التأنيث .

وقد تحدث عن اكتساب المضاف التذكير في توجيه قوله تعالى : ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [4] فقال : " معناه : فتظل أعناقهم ؛ لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل ، تقول : إن تأتني أكرمتك ، معناه : أكرمك ، وإن أتيتني فأحسنت وأجملت ، معناه : فتحسن وتجمل ، وقال : (خاضعين) وذكر الأعناق ؛ لأن معنى خضوع الأعناق هو خضوع أصحاب الأعناق ، فلما لم يكن الخضوع إلا بخضوع الأعناق جاز أن يخبر عن المضاف إليه ، كما قال الشاعر :

رأت مر السنين أخذن مني   كما أخذ السرار من الهلال [5]

لما كانت السنون لا تكون إلا بمر أخبر عن السنين ، وإن كان أضاف إليها المرور ، ومثل ذلك أيضا قول الشاعر :

مشين كما اهتزت رماح تسفهت   أعاليها مر الرياح النواسم [6]

كأنه قال : تسفهتها الرياح ، لما كانت الرياح لا تكون إلا بالمرور ، وجاء في التفسير: (أعناقهم) يعني بها كبراؤهم ورؤساؤهم، وجاء في اللغة : أعناقهم : جماعاتهم ، يقال: جاءني عنق من الناس ، أي جماعة .

---

(١) يوسف /١٠ .

(٢) البيت أنشده سيبويه (الكتاب ٥٢/١) وهو من الطويل ، وقائله الأعشى (ديوانه ص٩٤) ، وانظره في المغني ٧٥٦/٢ ، واللسان (شرق) .

(٣) معانيه ٩٤/٣ .   (٤) الشعراء /٤ .

(٥) البيت من الوافر وقائله جرير (ديوانه ص١٣٩)،وانظر مجاز القرآن ٩٨/١ ،والسرار : آخر ليلة من الشهر.

(٦) البيت من الطويل لذي الرمة،من شواهد الكتاب٥٢/١ ، ٦٥،وانظره في منهج السالك٢٤٨/٢ واللسان (سفه).

وذكر بعضهم وجها آخر ، قالوا : معناه : فظلت أعناقهم لها خاضعين هم ، وأضمر (هم) ، وأنشد :

ترى أرباقهم متقلديها   إذا صدئ الحديد على الكمات [1]

وهذا لا يجوز مثله في القرآن ، وهو على بدل الغلط يجوز في الشعر ، كأنه قال : ترى أرباقهم ترى متقلديها ، كأنه قال : ترى قوما متقلدين أرباقهم ، ولو كان على حذف (هم) لكان مما يجوز في الشعر أيضا " [2] .

ثانيا : اكتسابه البناء :

يقرر الزجاج أن الظرف يكتسب البناء بإضافته إلى غير متمكن ، وقد جاء ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [3] ، فهو يقول : " ... وزعم بعضهم أن (يوم) منصوب لأنه مضاف إلى الفعل وهو في موضع رفع بمنزلة (يومئذ) مبني على الفتح في كل حال ، وهذا عند البصريين خطأ ، لا يجيزون (هذا يومَ آتيك) يريدون : هذا يوم إتيانك ؛ لأن (آتيك) فعل مضارع ، فالإضافة إليه لا تزيل الإعراب عن جهته ، ولكنهم يجيزون: ذلك يوم نفع زيدا صدقه ؛ لأن الفعل الماضي غير مضارع، فهي إضافة إلى غير متمكن وإلى غير ما ضارع المتمكن ..." [4] .

وتحدث عن ذلك أيضا في توجيه قوله تعالى : ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ [5] فقال : " ومن فتح (يوم) فلأنه مضاف إلى غير متمكن ، مضاف إلى (إذ) و(إذ) مبهمة، ومعناه : يوم إذ يكون كذا وكذا ، فلما كانت مبهمة وأضيف إليها بني المضاف إليها على الفتح ، كذلك أنشدوا قول الشاعر :

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت   حمامة في غصون ذات أوقال [6]

فلما أضاف (غير) إلى (أن) بناها على الفتح ، وهي في موضع رفع " [7] .

---

(١) البيت من الوافر للفرزدق ، في معاني الفراء ٢/٢٧٧ ، ومجاز القرآن ٢/٨٤ ، والأرباق : جمع ربق وهو حبل فيه عدة عرى يشد فيها صغار الشاء لئلا ترضع .

(٢) معانيه ٤/٨٢ ، ٨٣ .   (٣) المائدة /١١٩ .

(٤) معانيه ٢/٢٢٤ ، ٢٢٥ .   (٥) المعارج /١١ .

(٦) البيت من البسيط ، وينسب في الكتاب ٢/٣٢٩ إلى الكناني ، ونسب في غيره إلى قيس بن الأسلت ، وقد تقدم في فصل الاستثناء .

(٧) معانيه ٥/٢٢٥ .

وذكر نحو ذلك في توجيه قوله تعالى :﴿ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾[1] فقال :" من رفع (مثل) فهي من صفة الحق ، المعنى : إنه لحق مثل نطقكم ، ومن نصب فعلى ضربين أحدهما : أن يكون في موضع رفع إلا أنه أضيف إلى (أن) ، ويجوز أن يكون منصوبا على التوكيد على معنى : إنه لحق حقا مثل نطقكم " [2] .

إضافة الاسم إلى مرادفه :

منعها الزجاج وفاقا للبصرين ، قال في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ...﴾ [3] : " من قال : (الدار الآخرة) فالآخرة نعت للدار ؛ لأن لجميع الخلق دارين ... ومن قال : (دارُ الآخرة) فكأنه قال : دار الحال الآخرة ؛ لأن للناس حالين : حال الدنيا وحال الآخرة ، ومثل هذا في الكلام : الصلاة الأولى وصلاة الأولى ، فمن قال : الصلاة الأولى جعل الأولى نعتا للصلاة ، ومن قال : صلاة الأولى أراد : صلاة الفريضة الأولى والساعة الأولى " [4] .

أقول : والاختلاف بين السبعة لم يقع في هذه الآية ، وإنما وقع في سورة الأنعام آية ٣٢ حيث قرأ فيها ابن عامر (ولدار الآخرة) بالإضافة ، وقرأ الباقون : (وللدار الآخرة) بلامين وبرفع الآخرة [5] .

ما يلزم الإضافة من الأسماء :

(كل) تناول الزجاج قوله تعالى : ﴿ احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [6] فقدر في قراءة التنوين في (كل) مضافا إليه ، وذكر القراءة الأخرى بالإضافة ، وفي ذلك يقول : " (من كلٍّ زوجين اثنين) : من كل شيء ، والزوج في كلام العرب واحد ، ويجوز أن يكون معه واحد ، والاثنان يقال لهما : زوجان ، يقول الرجل : علي زوجان من الخفاف ، وتقول : عندي زوجان من الطير ، إنما تريد ذكرا وأنثى فقط ، وتقرأ : (من كلِّ زوجين اثنين) على الإضافة ، والمعنى واحد في الزوجين أضفت أم لم تضف " [7] .

(أي) تناول الزجاج (أيا) فذكر أنها مبنية على الضم في الإضافة ، وذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ ﴾ [8] ، فهو يقول : " وقال سيبويه : إنها

(١) الذاريات /٢٣ .
(٢) معانيه ٥/٥٤ .
(٣) يوسف /١٠٩ .
(٤) معانيه ٣/١٣١ ، ١٣٢ .
(٥) انظر حجة القراءات ص٢٤٦ ، والدر المصون ٤/٦٠٠ .
(٦) هود /٤٠ .
(٧) معانيه ٣/٥١ .
(٨) مريم /٦٩ .

مبنية على الضم ؛ لأنها خالفت أخواتها واستعمل معها حذف الابتداء ، تقول : اضرب أيهم أفضل ، تريد : أيهم هو أفضل ، فيحسن الاستعمال في ذلك ، ولا يحسن : اضرب مَن أفضل حتى تقول : من هو أفضل ، ولا يحسن أن تقول : كل ما أطيب حتى تقول: ما هو أطيب ؛ لأنك لا تقول أيضا :خذ الذي أفضل حتى تقول : خذ الذي هو أفضل، قال : فلما خالفت (ما) و(من) و(الذي) هذا الخلاف بنيت على الضم في الإضافة ، والنصب حسن وإن كنت قد حذفت (هو) لأن (هو) قد يجوز حذفها ، وقد قرئت : (تماما على الذي أحسن) على معنى : الذي هو أحسن " [1] .

(كلتا) تناولها الزجاج في توجيه قوله تعالى :﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ﴾[2] فقال:" قال: آتت ، ولم يقل : آتتا ، رده على (كلتا) لأن لفظ (كلتا) لفظ واحدة ، والمعنى : كل واحدة منهما آتت أكلها ، ولو كان (آتتا) لكان جائزا ، يكون المعنى : الجنتان كلتاهما آتتا أكلهما " [3] .

وهو يشير إلى أن (كلتا) يجوز مراعاة لفظها كما في الآية ، ومراعاة معناها وهو قليل [4] ، وقد اجتمعتا في قول الفرزدق :

كلاهما حين جد الجري بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابي [5]

(عند) تقدم حديثها في فصل المفعول فيه .

(إذ وإذا وحيث) تقدم حديثها في فصل المفعول فيه .

(لما) عرفها الزجاج في توجيه قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ [6] فقال: " (لما) يقع بها الشيء لوقوع غيره [7] ، وهو بمعنى ما اشتهر لدى النحويين من أن (لما) حرف وجود لوجود ، وذكر صاحب المغني [8] أن بعضهم يقول : حرف وجوب لوجوب، قال: وزعم ابن السراج وتبعه الفارسي وتبعهما ابن جني وتبعهم جماعة أنها ظرف بمعنى (حين) وقال ابن مالك: بمعنى (إذ)، وهو حسن؛لأنها مختصة بالماضي

(١) معانيه ٣/٣٣٩ ، ٣٤٠ .
(٢) الكهف /٣٣ .
(٣) معانيه ٣/٢٨٤ ، ٢٨٥ .
(٤) انظر التصريح ٢/٤٣ .
(٥) البيت من البسيط ، انظر الخصائص ٢/٤٢١ ، وشرح التسهيل ١/٧١ ، والمغني ١/٢٠٤ .
(٦) البقرة /١٠١ .
(٧) معاني الزجاج ١/١٨٢ .
(٨) ١/٢٨٠ .

وبالإضافة إلى الجملة ، وليس في تناول الزجاج (لما) المتقدم تصريح بحرفيتها ولا باسميتها .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [(١)] : " تقرأ : (لما صبروا) بالتخفيف ، و(لما صبروا) بتشديد الميم ، فإذا خففت فالمعنى : جعلناهم أئمة لصبرهم ، ومن قرأ (لما صبروا) فالمعنى معنى حكاية المجازاة : لما صبروا جعلناهم أئمة ، وأصل الجزاء في هذا كأنه قيل : إن صبرتم جعلناكم أئمة ، فلما صبروا جعلوا أئمة " [(٢)] .

وقراءة التخفيف مع كسر اللام في (لما) قرأ بها حمزة والكسائي ، والباقون يقرءون بالتشديد وفتح اللام [(٣)] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [(٤)] : " جواب (ولما جاءهم) محذوف ؛ لأن معناه معروف دل عليه ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [(٥)] " [(٦)] .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا﴾ [(٧)] : " (يجادلنا) حكاية حال قد مضت ؛ لأن (لما) جعلت في الكلام لما قد وقع لوقوع غيره ، تقول : لما جاء زيد جاء عمرو ،ويجوز : لما جاء زيد يتكلم عمرو على ضربين : أحدهما أن (إن) لما كانت شرطا للمستقبل وقع الماضي فيها في معنى المستقبل ، يجوز : إن جاء زيد جئت ، والوجه الثاني ـ وهو الذي أختاره ـ أن يكون حكاية لحال قد مضت ، المعنى : فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى أخذ يجادلنا في قوم لوط وأقبل يجادلنا ، ولم تذكر في الكلام (أخذ) و(أقبل) ؛ لأن في كل كلام يخاطب به المخاطب معنى أخذ وأقبل إذا أردت حكاية الحال ، لأنك إذا قلت : (قام زيد) دللت على فعل ماض ، وإذا قلت : (أخذ يقوم) دللت على حال ممتدة من أجلها ذكرت (أخذ) و(أقبل) ، وكذلك : جعل زيد يقول كذا وكذا ، وكرب يقول كذا وكذا " [(٨)] .

(١) السجدة /٢٤ . (٢) معانيه ٤/٢٠٩ . (٣) انظر حجة القراءات ص٥٦٩ .
(٤) البقرة /٨٩ . (٥) البقرة /٨٩ . (٦) معانيه ١/١٧١ .
(٧) هود /٧٤ . (٨) معانيه ٣/٦٤ ، ٦٥ .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [1] : " فأما جواب (فلما أسلما وتله للجبين) - ومعنى تله : صرعه - فقد اختلف الناس فيه ، فقال قوم : جوابه (وناديناه) والواو زائدة ، وقال قوم : إن الجـواب محذوف ؛ لأن في الكلام دليلا عليه ، المعنى : فلما فعل ذلك سعد ، وآتاه الله نبوة ولده وأجزل الثواب في الآخرة " [2] .

(لدن ومع وقبل وبعد) تقدم حديثها في فصل المفعول فيه .

حذف المضاف :

اهتم الزجاج اهتماما شديدا بتقدير المضاف المحذوف في أسلوب القرآن ، وصرح في مواضع كثيرة بقيام المضاف إليه مقام المضاف المحذوف ، وصرح في بعض المواضع بأن حذف المضاف لقيام الدليل عليه ، ونظر في كثير منها بقوله تعالى : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [3] ، ومن أمثلة ذلك :

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [4] ، وفيه يقول : " معناه : سقوا حب العجل ، فحذف (حب) وأقيم (العجل) مقامه " [5] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ﴾[6]، وفيه يقول : " الكلام يدل على أنهم سألوا عن الصيد فيما سألوا عنه،ولكن حذف ذكر (صيد) ما علمتم؛لأن في الكلام دليلا عليه ، كما قال :﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[7] ، والمعنى: واسأل أهل القرية "[8].

- توجيه قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾[9]، وقد أثبته بلفظ (شركاء) ثم قال : " ومن قرأ (شركا) فهو مصدرشركت الرجل أشركه شركا ، قال بعضهم : كان ينبغي على قراءة من قرأ (شركا) : جعلا لغيره شركا ، يقول : لأنهما لا ينكران أن الأصل الله عز وجل ، فالشرك إنما يجعل لغيره ، وهذا على معنى : جعلا له ذا شرك، فحذف (ذا) ، مثل ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[10] " [11] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [12]، وفيه يقول: " قرأ الحسن وابن سيرين:

---

(1) الصافات /١٠٣ . (2) معانيه ٣١١/٤ . (3) يوسف /٨٢ .
(4) البقرة /٩٣ . (5) معانيه ١٧٥/١ . (6) المائدة /٤ .
(7) يوسف /٨٢ . (8) معانيه ١٤٩/٢ . (9) الأعراف /١٩٠ .
(10) يوسف /٨٢ . (11) معانيه ٣٩٦/٢ . (12) هود /٤٦ .

(عمِلَ غير صالح) وكان مذهبهما أنه ليس بابنه لم يولد من صلبه ... وقال ابن عباس وابـن مـسعود : إنه ابنه ... فأما من قرأ : (إنه عملٌ غيرُ صالح) فيجوز أن يكون يعني به أنه ذو عمل غير صالح ، كما قالت الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار [1]

أي ذات إقبال " [2] .

حذف المضاف إليه :

تقدمت أمثلة له في حديث الزجاج عن (قبل) و(بعد) في فصل المفعول فيه .

الفصل بين المضاف والمضاف إليه :

تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ [3] فقال : " قرئت (مخلف وعدَه رسلِه) ، وهذه القراءة التي تنصب الوعد وتخفض الرسل شاذة رديئة ، لا يجوز أن يفرق بين المضاف والمضاف إليه ، وأنشدوا في مثل هذا :

فزججـتـها بـمـزجـة زج القلوص أبي مزاده [4]

... والقراءة : (مخلف وعدِه رسلَه) ، كما تقول : هذا معطي درهم زيدا " [5] .

---

(١) من البسيط ، من شواهد الكتاب١/٣٣٧ ، وخزانة الأدب١/٤٣١ ، وقد تقدم .

(٢) معانيه ٣/٥٥ ، ٥٦ .

(٣) إبراهيم /٤٧ .

(٤) من مجزوء الكامل ،ولم يعلم قائله،وهو في معاني الفراء١/٣٥٨ وابن يعيش٣/١٩ ،وانظر الكتاب ١/١٧٦ .

(٥) معانيه ٣/١٦٨ ، ١٦٩ .



الفصل الرابع والعشرون

إعمال المصدر

المصدر يعمل عمل فعله :

أشار الزجاج إلى ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا . أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [1] حيث قال : " (أحياءً) منصوب بقوله (كفاتا) ، يقال : كفت الشيء أكفته إذا جمعته وضممته " [2] .

المصدر المضاف إلى الفاعل :

أشار الزجاج إلى أن المصدر مضاف إلى الفاعل ، وإلى أنه يحل محله فعل مع (أن) في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ﴾ [3] حيث قال : " المعنى : ولولا أن دفع الله الناس " [4] .

المصدر المنون :

من مواضع حديثه ما تقدم في توجيه المصدر (كفاتا) ، وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا . رَسُولًا﴾ [5] : " يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون (رسولا) منصوبا بقوله (ذكرا) أو يكون المعنى : قد أنزل الله إليكم ذا ذكر رسولا يتلو عليكم ، ويكون (رسولا) بدلا من (ذكرا) ، ويكون يعني به جبريل عليه السلام " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [7] : " أي : ومزاجه من ماء مسنم عينا تأتيهم من علو تتسنم عليهم من الغرف ، فـ(عينا) في هذا القول منصوبة مفعولا كما قال : ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا﴾[8] ، ويجوز أن يكون (عينا) منصوبا بقوله : (يسقون عينا) أي : من عين ، ويجوز أن يكون (عينا) منصوبا على الحال ، ويكون (تسنيم) معرفة " [9] .

---

(1) المرسلات /٢٥ ، ٢٦ .　(2) معانيه ٢٦٧/٥ .　(3) الحج /٤٠ .
(4) معانيه ٤٣٠/٣ .　(5) الطلاق /١٠ ، ١١ .　(6) معانيه ١٨٨/٥ .
(7) المطففين /٢٧ ، ٢٨ .　(8) البلد /١٤ ، ١٥ .　(9) معانيه ٣٠١/٥ .

تأويل المصدر باسم الفاعل ورفعه لما بعده :

ذكر الزجاج تأويل المصدر باسم الفاعل في توجيه قوله تعالى : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ (١) حيث قال : " وترفع (سواء) بالابتداء ، وتقوم (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) مقام الخبر ، كأنه بمنزلة قولك : سواء عليهم الإنذار وتركه ، و(سواء) موضوع موضع مستوي ؛ لأنك لا تقيم المصادر مقام أسماء الفاعلين إلا وتأويلها تأويل أسمائهم " (٢) .

وتكلم عن تأويله باسم الفاعل ورفعه لما بعده في توجيه قوله تعالى : ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ (٣) حيث قال : " موضع (من) رفع بـ(سواء) ، وكذلك (من) الثانية ، يرتفعان جميعا بـ(سواء) ؛ لأن سواء يطلب اثنين ، تقول : سواء زيد وعمرو ؛ ولأن (سواء) مصدر فلا يجوز أن يرفع ما بعده إلا على الحذف ، تقول : عدل زيد وعمرو ، المعنى : ذوا عدل زيد وعمرو ؛ لأن المصادر ليست بأسماء الفاعلين ، وإنما يرفع الأسماء أوصافها ، فإذا رفعتها المصادر فهي على الحذف ، كما قالت الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت … فإنما هي إقبال وإدبار (٤)

المعنى : فإنما هي ذات إقبال وذات إدبار ، وكذلك : زيد إقبال وإدبار ، وهذا مما كثر استعماله ـ أعني سواء ـ فجرى مجرى أسماء الفاعلين ، ويجوز أن يرتفع على أن يكون في موضع (مستو) إلا أن سيبويه يستقبح ذلك ، لا يجيز (مستو زيد وعمرو) ؛ لأن أسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرة لا يبدأ بها لضعفها عن العمل فلا يبتدئ بها ويجريها مجرى الفعل " (٥) .

(١) البقرة /٦ . (٢) معانيه ١/٧٧ . (٣) الرعد /١٠ .
(٤) تقدم هذا البيت . (٥) معانيه ٣/١٤١ .

الفصل الخامس والعشرون

إعمال اسم الفاعل

مدلول فاعل ومفعول في اللغة :

ذكر الزجاج ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ (١) فقال : " العرب تسمي الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه فيقولون : هذا مقتول ، وهذا ذبيح ، أي : قد وقع بهم ذلك ، وهذا قاتل ، أي : قد قتل ، وهذه أضحية آل فلان لما قد ضحوا به ، وكذلك : هذه قتوبة ، وهذه حلوبة ، أي ما يقتب وما يحلب " (٢) .

إعمال اسم الفاعل المقترن بـ(أل) :

يدخل في ذلك ما قاله الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾(٣) ، وهو : " (فيه) ليست بصلة الزاهدين ، المعنى : وكانوا من الزاهدين ، ثم بين في أي شيء زهدوا ، فكأنه قال : زهدوا فيه ، وهذا في الظروف جائز ، فأما المفعولات فلا يجوز فيها ، لا يجوز : كنت زيدا من الضاربين ؛ لأن زيدا من صلة الضاربين فلا يتقدم الموصول صلته " (٤) .

إعمال اسم الفاعل الذي ليس صلة لـ(أل) :

أشار الزجاج إلى إعماله في توجيه قوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ (٥) حيث ذكر أنه يقرأ بتشديد الهاء في (موهن) وبالنصب في (كيدَ) ، ثم قال : " ويجوز الجر في (كيد) وإضافة (موهن) إليه ، ففيه أربعة أوجه ، في النصب وجهان وفي الجر وجهان " (٦) .

وهذه الآية وردت بثلاث قراءات سبعية ، وهي (٧) :

---

(١) النساء /٢٣ . (٢) معانيه ٢/٣٤ ، ٣٥ . (٣) يوسف /٢٠ .
(٤) معانيه ٣/٩٨ . (٥) الأنفال /١٨ . (٦) معانيه ٢/٤٠٧ .
(٧) انظر السبعة ص٣٠٤ ، ٣٠٥ ، والحجة لأبي علي الفارسي ٤/١٢٧ ، ١٢٨ .

١ـ (مُوَهِّنُ كيدَ) ، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو .
٢ـ (مُوهِنٌ كيدَ) ، وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم .
٣ـ (مُوهِنُ كيدِ) ، وهي رواية حفص عن عاصم .

وظاهر كلام الزجاج أنها تقرأ بوجه رابع وهو (مُوَهِّنُ كيدِ) ، وهذا الوجه ذكره العكبري [١] أيضا .

وأشار الزجاج إلى إعمال اسم الفاعل ، وأنه يكون بمعنى الحال أو الاستقبال في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [٢] حيث قال : " القراءة الكثيرة خفض (غيب) ، ويجوز (عالمٌ غيبَ) بتنوين (عالم) ونصب (غيب) ، على معنى: إن الله يعلم ، ومن قرأ (عالمُ غيبِ) على معنى : قد علم ذاك " [٣] .

وقال في توجيه قوله تعالى:﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا﴾[٤]:" النصب في (الشمس والقمر) هو القراءة ، والجر جائز على معنى : وجاعل الشمس والقمر حسبانا ؛ لأن في (جاعل) معنى (جعل) وبه نصبت (سكنا) ، ولا يجوز (جاعلُ الليلَ سكنا) ؛ لأن أسماء الفاعلين إذا كان الفعل قد وقع أضيفت إلى ما بعدها لا غير ، تقول : هذا ضارب زيد أمس ، فإجماع النحويين أنه لا يجوز في (زيد) النصب ، وعلى ذلك أكثر الكوفيين ، وبعض الكوفيين يجيز النصب ، فإذا قلت : هذا معطي زيد درهما فنصب الدرهم محمول على أعطى " [٥] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ... هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [٦] بعد أن ذكر قراءة التنوين في (كاشفات) و(ممسكات) : " وتقرأ : (كاشفات ضرَّه) بترك التنوين والجر في (ضره) و(رحمته) ، فمن قرأ بالتنوين فلأنه غير واقع في معنى : هل يكشفن ضره أو يمسكن رحمته ؟ ومن أضاف وجر فعلى الاستخفاف وحذف التنوين ، وكلا الوجهين حسن جميل ، وقد قرئ بهما " [٧] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾[٨]:" وقرئت:(منذرٌ) بالتنوين

(١) الإملاء ١٠١/٣ . (٢) فاطر /٣٨ . (٣) معانيه ٢٧٢/٤ .
(٤) الأنعام /٩٦ . (٥) معانيه ٢٧٤/٢ . (٦) الزمر /٣٨ .
(٧) معانيه ٣٥٥/٤ . (٨) النازعات /٤٥ .

على معنى : إنما أنت في حال إنذار من يخشاها ، وتنذر أيضا فيما يستقبل من يخشاها ، و(فاعل) و(مُفْعِل) إذا كان واحد منهما وما كان في معناهما لما يستقبل وللحال نونته ؛ لأنه يكون بدلا من الفعل ، والفعل لا يكون إلا نكرة ، وقد يجوز حذف التنوين على الاستخفاف ، والمعنى معنى ثبوته ـ يعني ثبوت التنوين ـ فإذا كان لما مضى فهو غير منون ألبتة ، تقول : أنت منذر زيد ، أي أنت أنذرت زيدا " [1] .

الأوجه الجائزة في اسم الفاعل

إذا كان المرفوع به جمع تكسير :

ذكرها الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ [2] فقال : " قوله عز وجل : (خشعا أبصارهم) منصوب على الحال ، المعنى : يخرجون من الأجداث خشعا أبصارهم ، وقرئت (خاشعا أبصارهم) ، وقرأ ابن مسعود : (خاشعةً أبصارهم) ، ولك في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة : التوحيد نحو (خاشعا أبصارهم) ، ولك التوحيد والتأنيث لتأنيث الجماعة (خاشعة أبصارهم) ، ولك الجمع نحو (خشعا أبصارهم) ، تقول : مررت بشباب حسن أوجههم ، وحسان أوجههم ، وحسنةٍ أوجههم ، قال الشاعر :

وشـباب حسـن أوجـههم ... من إياد بن نزار بن معد [3] " [4]

تحويل صيغة (فاعل) إلى وزن آخر للمبالغة :

ذكر الزجاج من أمثلة المبالغة (فعول) فقال في قوله تعالى: ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ﴾[5]: " (فعول) من أسماء المبالغة ، تقول : فلان أكول إذا كان كثير الأكل ، وضروب إذا كان كثير الضرب ، ولذلك قيل للشيطان : غَرور ؛ لأنه يغر ابن آدم كثيرا " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[7] : " (فعول) من أسماء الفاعلين التي تستعمل للمبالغة في الوصف نحو : رجل صبور وشكور ، وتوبة نصوح " [8] .

---

(1) معانيه ٥/٢٨٢ . (2) القمر /٧ .
(3) البيت من الرمل ، وينسب إلى الحارث بن دوس الأنصاري وإلى أبي دؤاد الأنصاري ، انظر معاني الفراء ١٠٥/٣ ، والبحر المحيط ١٧٥/٨ . (4) معانيه ٥/٨٦ .
(5) الحديد /١٤ . (6) معانيه ٥/١٢٥ .
(7) التحريم /٨ . (8) معانيه ٥/١٩٤ .

وذكر منها (مِفعال) فقال في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾[1]: " (مفعال) من أسماء المبالغة ، يقال : ديمة مدرار ، إذا كان مطرها غزيرا دائما ، وهذا كقولهم : امرأة مذكار إذا كانت كثيرة الولادة للذكور ، وكذا مئناث في الإناث " [2] .

وذكر منها (فعّيل) فقال في قوله تعالى : ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [3] : " (صديق) فعيل ، من أمثلة المبالغة ، كما تقول : فلان سكيت أي : مبالغ في السكوت " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [5] : " واحدهم صديق ، وهو اسم للمبالغة في الفعل ، فتقول : رجل صديق : كثير التصديق ، وكذلك رجل سكيت : أي كثير السكوت " [6] .

(١) الأنعام /٦ . (٢) معانيه ٢/٢٢٩ . (٣) المائدة /٧٥ .
(٤) معانيه ٢/١٩٧ . (٥) الحديد /١٩ . (٦) معانيه ٥/١٢٦ .

الفصل السادس والعشرون

التعجب

العبارات السماعية للتعجب :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ﴾ (١) : " تأويل (كيف) أنها استفهام في معنى التعجب ، وهذا التعجب إنما هو للخَلق والمؤمنين ، أي : اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم ؟ " (٢) .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ (٣) : " هذه كلمة يوقف بها المخاطب على أمر يعجب منه ، ولفظها لفظ الاستفهام ، تقول في الكلام : ألم تر إلى فلان صنع كذا وكذا " (٤) .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (٥) : " (ما) رفع بالابتداء ، والمعنى : وأصحاب الميمنة ما هم ؟ أي شيء هم ؟ وأصحاب المشأمة أي شيء هم ؟ وهذا اللفظ مجراه في العربية مجرى التعجب ، ومجراه من الله تعالى في مخاطبة العباد مجرى ما يعظم به الشأن عندهم ، ومثله : ﴿الْحَاقَّةُ . مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٦) و﴿الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ﴾ (٧) " (٨) .

الصيغ القياسية :

أ. صيغة (ما أفعله)

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (٩) : " فيه غير وجه ، قال بعضهم : أي شيء أصبرهم على النار؟ وقال بعضهم : فما أصبرهم على عمل يؤدي إلى

---

(١) البقرة /٢٨.
(٢) معانيه ١/١٠٧ .
(٣) البقرة /٢٥٨ .
(٤) معانيه ١/٣٤٠ .
(٥) الواقعة /٨ .
(٦) الحاقة /١ ، ٢ .
(٧) القارعة /١ ، ٢ .
(٨) معانيه ٥/١٠٨ ، ١٠٩ .
(٩) البقرة /١٧٥ .

النار ! لأن هؤلاء كـانوا علماء بأن من عاند النبي صـلى الله عليه وسـلم صار إلى النار " [1] .

وقال في قوله تعالى : ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[2] : " يكون على جهة لفظ التعجب ، ويكون التعجب كما يؤمر به الآدميون ،ويكون المعنى كقوله :﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[3] أي اعجبوا أنتم من كفر الإنسان ، ويجوز على معنى التوبيخ ولفظه لفظ الاستفهام ،أي : أي شيء أكفره ؟ " [4] .

ب. صيغة (أفعل به)

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾[5] :" المعنى: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾[7] : " أي : ما أسمعه وأبصره " [8] .

وقد تأول الصيغة في الآيتين بصيغة (ما أفعله) ، وليس في كلامه ما يدل على ما نسبه إليه ابن هشام وغيره من أنه يرى أن (أفعِل) في هذه الصيغة لفظه ومعناه الأمر حقيقة [9] ، وقد ذكر أبو البقاء أنه حكي عن الزجاج أن (أفعل) في التعجب أمر حقيقة، والجار والمجرور نصب ، والفاعل مضمر ، فهو ضمير المتكلم ، كأن المتكلم يقول لنفسه : أوقع بهم سمعا [10] ، ولعله بذلك يشير إلى ما نسبه إليه الواسطي في شرح اللمع بقوله : " وقال الزجاج : موضع الجار والمجرور نصب ، والفاعل مضمر ، والمعنى ـ في أحسن بزيد ـ ما أحسن ، قال : ولم يثن ولم يجمع لأنه قد جرى مجرى المثل ، والأمثال لا تغير " [11] .

---

(1) معانيه ١/٢٤٥ . (2) عبس /١٧ . (3) البقرة /١٧٥ .
(4) معانيه ٥/٢٨٤ ، ٢٨٥ . (5) مريم /٣٨ . (6) معانيه ٣/٣٣٠ .
(7) الكهف /٢٦ . (8) معانيه ٣/٢٨٠ . (9) راجع التصريح ٢/٨٨ ، ٨٩ .
(10) انظر التبيان ص١٨٦ . (11) شرح اللمع ص١٨٦ .

الفصل السابع والعشرون

القسم

حروف القسم :

تقدم الحديث في فصل حروف الجر عن واو القسم وتائه .

حذف فعل القسم وخبر المقسم به :

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١) : " قال سيبويه وجميع أهل اللغة : العَمْر والعُمْر في معنى ، فإذا استعمل في القسم فتح لا غير ، وإنما آثروا الفتح لأنه أخف عليهم وهم يكثرون القسم بـ(لعمري) و(لعمرك) ، فلما كثر استعمالهم إياه آثروا الأخف عليهم ، وارتفع (لعمرك) بالابتداء والخبر محذوف ، المعنى: لعمرك قسمي أو ما أقسم به ، وحذف الخبر لأن في الكلام دليلا عليه ... وباب القسم يحذف فيه الفعل ، تقول : والله لأفعلن ، المعنى : أحلف والله ، وأحلف بالله ، فتحذف (أحلف) لعلم المخاطب بذلك ، وكذلك يحذف خبر الابتداء كما ذكرنا " (٢) .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ (٣) : " اللام الأولى التي في (لمن) لام إن ، واللام التي في (ليبطئن) لام القسم ، و(من) موصولة بالجالب للقسم ، كأن هذا لو كان كلاما لقلت : إن منكم لمن أحلف والله ليبطئن ، والنحويون يجمعون على أن (من) و(ما) و(الذي) لا يوصلن بالأمر والنهي إلا بما يضمر معها من ذكر الخبر ، وأن لام القسم إذا جاءت مع هذه الحروف فلفظ القسم وما أشبه لفظه مضمر معها " (٤) .

---

(١) الحجر /٧٢ .

(٢) معانيه ٣/١٨٣ .

(٣) النساء /٧٢ .

(٤) معانيه ٢/٧٥ ، ٧٦ .

اللام الموطئة للقسم ، ولام جواب القسم :

في توجيه قوله تعالى : ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [(١)] أجاز أن تكون (ما) للشرط وأن تكون موصولة ، وذكر أن كونها للشرط والجزاء أجود الوجهين ؛ لأن الشرط يوجب أن كل ما وقع من أمر الرسل فهذه طريقته ، وقال : " واللام دخلت في (ما) كما تدخل في (إن) التي للجزاء إذا كان في جواب القسم ، قال الله عز وجل : ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [(٢)] ، وقال : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [(٣)] ، فاللام في (إن) دخلت مؤكدة موطئة للام القسم ، ولام القسم هي التي لليمين ؛ لأن قولك : والله لئن جئتني لأكرمنك إنما حلفك على فعلك ، إلا أن الشرط معلق به ، فلذلك دخلت اللام على الشرط ، فإذا كانت (ما) في معنى الجزاء فموضعها نصب بقوله : (لما آتيتكم) ، والجزاء قوله : (لتؤمنن به) " [(٤)] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [(٥)] : " دخول اللام في (لقد) على جهة القسم والتوكيد ، وقال النحويون في (لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق) قولين :

جعل بعضهم (من) بمعنى الشرط ، وجعل الجواب (ما له في الآخرة من خلاق) ، وهذا ليس بموضع شرط ولا جزاء ، ولكن المعنى : ولقد علموا للذي اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ، كما تقول : والله لقد علمت للذي جاءك ما له من عقل ، فأما دخول اللام في الجزاء في غير هذا الموضع وفيمن جعل هذا موضع شرط وجزاء مثل قوله : ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [(٦)] ونحو : ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [(٧)] ، فاللام الثانية هي لام القسم في الحقيقة ؛ لأنك إنما تحلف على فعلك لا فعل غيرك في قولك : والله لئن جئتني لأكرمنك ، فزعم بعض النحويين أن اللام لما دخلت في أول الكلام أشبهت القسم فأجيبت بجوابه ، وهذا خطأ ؛ لأن جواب القسم ليس يشبه القسم ، ولكن اللام الأولى دخلت إعلاما أن الجملة بكمالها معقودة للقسم ؛ لأن الجزاء وإن كان القسم عليه فقد صار للشرط فيه حظ ، فلذلك دخلت اللام " [(٨)] .

---

(١) آل عمران /٨١ . (٢) الإسراء /٨٦ . (٣) الإسراء /٨٨ . (٤) معانيه ١/٤٣٧ .
(٥) البقرة /١٠٢ . (٦) الروم /٥٨ . (٧) البقرة /١٤٥ . (٨) معانيه ١/١٨٦ ، ١٨٧ .

تقدير حرف القسم والمقسم به :

تقدم ذلك هنا ، ومن أمثلته أيضا :

- قال في قوله تعالى : ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [1] : " هذه لام القسم ، كقولك : والله ليجمعنكم " [2] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ...﴾ [3] في سورة الأنعام : " هذه اللام في (ليجمعنكم) لام قسم ، فجائز أن يكون تمام الكلام (كتب ربكم على نفسه الرحمة) ، ثم استأنف فقال : (ليجمعنكم) وكأن المعنى : والله ليجمعنكم ، وجائز أن يكون (ليجمعنكم) بدلا من (الرحمة) مفسرا لها ..." [4] .

حذف اللام الواقعة في الجواب :

يقول الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ إلى قوله : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [5] : " هذا قسم وجوابه ، المعنى : لقد أفلح ، ولكن اللام حذفت لأن الكلام طال فصار طوله عوضا منها " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [7] : " جواب القسم في (ق والقرآن المجيد) إنكم مبعوثون ، فعجبوا فقالوا : أإذا متنا وكنا ترابا ، أي : أنبعث إذا متنا وكنا ترابا ، ولو لم يكن لـ(إذ) متعلق لم يكن في الكلام فائدة ... ويجوز أن يكون الجواب : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [8] فيكون المعنى : ق والقرآن المجيد لقد علمنا ما تنقص الأرض منهم ، وحذفت اللام لأن ما قبلها عوض منها كما قال : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ إلى قوله : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [9] ، والمعنى : لقد أفلح من زكاها " [10] .

جواب القسم :

اهتم الزجاج في مواضع كثيرة ببيان جواب القسم ، وتقدمت هنا أمثلة لذلك ، ومن أمثلة ذلك أيضا :

---

(١) النساء / ٨٧ . (٢) معاني الزجاج ٨٧/٢ . (٣) الأنعام / ١٢ .
(٤) معانيه ٢٣٢/٢ . (٥) الشمس / ١ : ٩ . (٦) معانيه ٣٣١/٥ .
(٧) ق / ١ . (٨) ق / ٤ . (٩) الشمس / ١ : ٩ .
(١٠) معانيه ٤١/٥ .

قال في توجيه قوله تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ ﴾[1] :" ورفع (لا تعبدون) بالتاء على ضربين : على أن يكون (لا) جواب القسم ؛ لأن أخذ الميثاق بمنزلة القسم ، والدليل على ذلك قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾[2] فجاء جواب القسم باللام ، فكذلك هو بالنفي بـ(لا) ، ويجوز أن يكون رفعه على إسقاط (أن) ... "[3] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾[4] : " جواب (والنازعات) ـ والله أعلم ـ محذوف ، والمعنى كأنه أقسم فقال : وهذه الأشياء لتبعثن ، والدليل على ذلك: ﴿ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَةِ ﴾[5] "[6] .

---

(١) البقرة /٨٣ . (٢) آل عمران /١٨٧ . (٣) معانيه ١٦٢/١ .
(٤) النازعات /١ . (٥) النازعات /١٠ . (٦) معانيه ٢٧٧/٥ .

الفصل الثامن والعشرون
نعم وبئس وما جرى مجراهما

حقيقة نعم وبئس :

يسير الزجاج على مذهب سيبويه وجمهور النحويين في أن نعم وبئس فعلان كما يتبين من هذا الفصل .

اللغات الجائزة في نعم وبئس :

تحدث الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [1] عن ثلاث لغات في (نعم) فقال : " روى أبو عبيد أن أبا جعفر وشيبة ونافعا وعاصما وأبا عمرو بن العلاء قرءوا (فنِعْمّا هي) بكسر النون وجزم العين وتشديد الميم ، وروي أن يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي قرءوا (فنَعِما هي) بفتح النون وكسر العين ، وذكر أبو عبيد أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله لابن العاص :" نعْمّا بالمال الصالح للرجل الصالح" فذكر أبو عبيد أنه يختار هذه القراءة من أجل هذه الرواية ، ولا أحسب أصحاب الحديث ضبطوا هذا ، ولا هذه القراءة عند النحويين البصريين جائزة البتة ؛ لأن فيها الجمع بين ساكنين من غير حرف مد ولين.

فأما ما قرأناه من حرف عاصم ورواية أبي عمرو (فنِعِما هي) بكسر النون والعين فهذا جيد بالغ ؛ لأن ههنا كسر العين والنون ، وكذلك قراءة أهل الكوفة (نعِما هي) جيدة ؛ لأن الأصل في (نِعْم) : نَعِم ونِعِم ونَعْم ، فيها ثلاث لغات ، ولا يجوز إسكان العين مع إدغام الميم (نِعْما هي) " [2] .

ما يرفع بهما على الفاعلية :

بين ذلك الزجاج في توجيهه لقوله تعالى : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا﴾ [3] فقال : " (بئس) إذا وقعت على (ما) جعلت معها بمنزلة اسم منكور ، وإنما ذلك في

---

(١) البقرة/٢٧١ . (٢) معانيه ١/٣٥٣ ، ٣٥٤ . (٣) البقرة/٩٠ .

نعم وبئس لأنهما لا يعملان في اسم علم ، إنما يعملان في اسم منكور دال على جنس أو اسم فيه ألف ولام يدل على جنس ، وإنما كانتا كذلك لأن (نعم) مستوفية لجميع المدح و(بئس) مستوفية لجميع الذم ، فإذا قلت : (نعم الرجل زيد) فقد استحق زيد المدح الذي يكون في سائر جنسه ... وكذلك إذا قلت : (بئس الرجل) دللت على أنه استوفى الذم الذي يكون في سائر جنسه ، فلم يجز إذا كان يستوفي مدح الأجناس أن يعمل في غير لفظ جنس ، فإذا كان معها اسم جنس بغير ألف ولام فهو نصب أبدا ، وإذا كانت فيه الألف واللام فهو رفع أبدا ، وذلك قولك : نعم رجلا زيد ونعم الرجل زيد ، فأما نصب (رجلا) فعلى التمييز ، وفي (نعم) اسم مضمر على شريطة التفسير ، و(زيد) مبين من هذا الممدوح ؛ لأنك إذا قلت : (نعم الرجل) لم يعلم من تعني ، فقولك : (زيد) تريد به : هذا الممدوح هو زيد .

وقال سيبويه والخليل [1] جميع ما قلنا في (نعم) و(بئس) ، وقالا : إن شئت رفعت زيدا لأنه ابتداء مؤخر ، كأنك قلت حين قلت : نعم رجلا زيد : زيد نعم الرجل ، وكذلك كانت (ما) في نعم بغير صلة ؛ لأن الصلة توضح وتخصص ، والقصد في (نعم) أن يليها اسم منكور أو جنس ، فقوله : ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ : بئس شيئا اشتروا به أنفسهم ، وقوله عز وجل : ﴿ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ موضعه رفع ، المعنى : ذلك الشيء المذموم أن يكفروا بما أنزل الله " [2] .

ومن أمثلة مجيء الفاعل ضميرا مفسرا بتمييز :

- قال في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [3] : " (قرينا) منصوب على التفسير ، كما تقول : زيد نعم رجلا ، وكما تقول : ﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ [4] " [5] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [6] : " (مرتفقا) منصوب على التمييز " [7] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴾ [8] : " المعنى : وساء لهم الوزر حملا ، منصوب على التمييز " [9] .

(١) انظر الكتاب ١٧٧/٢ . (٢) معانيه ١٧٢/١ . (٣) النساء /٣٨ .
(٤) الأعراف /١٧٧ . (٥) معانيه ٥٢/٢ . (٦) الكهف /٢٩ .
(٧) معانيه ٢٨٢/٣ . (٨) طه /١٠١ . (٩) معانيه ٣٧٦/٣ .

حكم (ما) الواقعة بعد فعل المدح أو الذم

إذا تليت بجملة فعلية :

تقدم هذا الحكم هنا في توجيه قوله تعالى : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ ، وهناك آيات أخرى أشار فيها إلى ذلك الحكم ، وهي :

- قوله تعالى : ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [1] ، يقول : " أي : ما كنتم مؤمنين فبئس الإيمان إيمانا يأمركم بالكفر " [2] .

- قوله تعالى :﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[3]، يقول :"المعنى : بئس شيئا عملهم"[4].

- قوله تعالى : ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[5] ، يقول : " أي : لبئس شيئا فعلهم ، واللام دخلت للقسم والتوكيد " [6] .

- قوله تعالى : ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [7] في سورة الأنعام ، يقول : " أي : بئس الشيء شيئا يزرونه أي يحملونه " [8] .

- قوله تعالى : ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [9] في سورة النحل ، يقول : " (ما) في موضع رفع كما يرفع بـ(نعم) و(بئس) ، المعنى : ساء الشيء وزرهم هذا ، كما تقول : بئس الشيء " [10] .

- قوله تعالى : ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [11] ، يقول : موضع (ما) نصب على معنى : ساء حكما يحكمون ، كما تقول : نعم رجلا زيد ، ويجوز أن يكون رفعا على معنى : ساء الحكم حكمهم " [12] .

ويستفاد من أقواله تلك أنه يجيز في (ما) المتلوة بجملة فعلية وجهين ويختار أحدهما ، فالوجه المختار عنده هو أن تكون نكرة موصوفة بالجملة الفعلية الواقعة بعدها في موضع نصب على التمييز ، وإنما قلنا (هو المختار عنده) لاقتصاره عليه في بعض المواضع .

---

(1) البقرة /٩٣ . (2) معانيه ١٧٦/١ . (3) المائدة /٦٦ .
(4) معانيه ١٩٢/٢ . (5) المائدة /٧٩ . (6) معانيه ١٩٩/٢ .
(7) الأنعام /٣١ . (8) معانيه ٢٤٢/٢ . (9) النحل /٢٥ .
(10) معانيه ١٩٥/٣ . (11) العنكبوت /٤ . (12) معانيه ١٦٠/٤ .

والوجه الثاني أن تكون (ما) معرفة تامة بمعنى الشيء في موضع رفع على الفاعلية ، وقد اقتصر المصرح [1] على نسبة الأول إليه ، ونسبه الأشموني [2] إلى الزجاجي ، وهو مذهب الأخفش كما ذكر مكي وغيره [3] .

حكم (ما) المتلوة بمفرد :

ذكر ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [4] فقال : " (ما) في تأويل الشيء، زعم البصريون أن (نعما) هي : نعم الشيء هي ، وقد فسرنا هذا فيما مضى "[5].

وكان قد تناول ذلك أيضا عقب توجيه قوله تعالى : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ [6] حيث قال : " وقوله عز وجل : (فنعما هي) كأنه قال : فنعم شيئا هي ، وقال قوم : إن (نعم) مع (ما) بمنزلة (حب) مع (ذا) ، تقول : حبذا زيد ، وحبذا هي ، ونعما هي ، والقول الأول هو مذهب النحويين ، وروى جميع النحويين : بئسما تزويج ولا مهر ، والمعنى فيه : بئس شيئا تزويج ولا مهر " [7] .

إعراب المخصوص بالمدح أو الذم :

تقدم في كلام الزجاج هنا إيراد وجهين في إعراب المخصوص بالمدح أو الذم ، والظاهر أنه يرجح إعرابه خبرا لمبتدأ محذوف .

وقال في قوله تعالى : ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ [8] : " المعنى : ساء مثلا مثل القوم "[9].

(١) التصريح ٩٦/٢ . (٢) منهج السالك ٣٥/٣ . (٣) المشكل ٦٢/١ ، وانظر هامش ١ ، ٢ .
(٤) البقرة / ٢٧١ . (٥) معانيه ٣٥٤/١ . (٦) البقرة / ٩٠ .
(٧) معانيه ١٧٣/١ . (٨) الأعراف / ١٧٧ . (٩) معانيه ٣٩١/٢ .

الفصل التاسع والعشرون

أفعل التفضيل

حقيقة أفعل التفضيل :

أشار إليها الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [1] فقال : " إن قال قائل : كيف يقال : (الجنة خير أم النار) وليس في النار خير ألبتة ؟ وإنما يقع التفضيل فيما دخل في صنف واحد ، فالجنة والنار قد دخلا في باب المنازل في صنف واحد ، فلذلك قيل : أذلك خير أم جنة الخلد ، كما قال عز وجل : ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [2] " [3] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[4] : " فيه غير قول ، فمنها أن الهاء تعود على الخلق ، والمعنى أن الإعادة والبعث أهون على الإنسان من إنشائه ؛ لأنه يقاسي في النشأة ما لا يقاسيه في الإعادة والبعث ، وقال أبو عبيدة وكثير من أهل اللغة : إن معناه : وهو هين عليه ، أي كل ذلك هين عليه عز وجل ، وأن (أهون) ههنا ليس معناه أن الإعادة أهون عليه من الابتداء ؛ لأن الإعادة والابتداء كل ذلك سهل عليه ، قالوا : ومثل ذلك من الشعر :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل ... على أينا تعدو المنية أول [5]

فمعنى (لأوجل) : لوجل ، وقالوا : الله أكبر ، أي : الله كبير ، وهذا غير منكر ، وأحسن من هذين أنه جل وعز خاطب العباد بما يعقلون فأعلمهم أنه يجب عندهم أن يكون البعث أسهل من الابتداء والإنشاء ، وجعله مثلا لهم فقال : ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [6] ، أي قوله : (وهو أهون عليه) قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل " [7] .

(1) الفرقان /١٥ .
(2) الفرقان /٢٤ .
(3) معانيه ٤/٦٠ .
(4) الروم /٢٧ .
(5) البيت من الطويل ، وقائله معن بن أوس ، انظره في شرح الكافية للرضي ٣/٥٢٧ ، وخزانة الأدب ٦/٥٠٥ ، ومنهج السالك ٢/٢٦٨ .
(6) الروم /٢٧ .
(7) معانيه ٤/١٨٣ ، ١٨٤ .

حكم المجرد من (أل) والإضافة :

في حديث الزجاج عن قوله تعالى : ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ إشارة إلى حذف (من) الجارة للمفضول مع مجرورها للعلم بها ، وقد صرح بوقوع ذلك الحذف في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [1] فقال : " معناه: ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالذي هو الحق وأحسن فسيرا من مثلهم ، إلا أن (من) حذفت لأن في الكلام دليلا عليها ، لو قلت : رأيت زيدًا وعمرًا فكان عمرو أحسن وجها كان الكلام فيه دليل على أنك تريد : من زيد " [2].

ويذكر النحويون أن حذف (من) مع المفضول يكثر إذا كان أفعل التفضيل خبرا في الأصل أو الحال [3] .

حكم المقرون بـ(أل) :

أشار الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [4] إلى أن (أفعل) المجرد يلزم الإفراد والتذكير ، ولهذا منع ما رواه الأخفش : (وقولوا للناس حسنى) ، وعلل المنع بأن باب الأفعل والفعلى نحو الأحسن والحسنى والأفضل والفضلى لا يستعمل إلا بالألف واللام [5] ، وفي هذا التعليل إشارة إلى التلازم بين اقتران أفعل التفضيل بـ(أل) ومطابقته لموصوفه في الإفراد وغيره ، وفي والتذكير والتأنيث ، وهي مطابقة واجبة .

حكم المضاف :

قال الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [6] : " معنى (أول كافر) : أول الكافرين ، قال بعض البصريين : في هذا قولين : قال الأخفش : معناه : أول من كفر به ، وقال البصريون أيضا : معناه : ولا تكونوا أول فريق كافر به ، أي بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وكلا القولين صواب .

وقال بعض النحويين : إن هذا إنما يجوز في فاعل ومفعول ، تقول : الجيش منهزم والجيش مهزوم ، ولا يجوز فيما ذكر : الجيش رجل والجيش فرس ، وهذا في فاعل ومفعول أبين ؛ لأنك إذا قلت : (الجيش منهزم) فقد علم أنك تريد هذا الجيش فنطقت

(١) الفرقان /٣٣ . (٢) معانيه ٤/٦٧ . (٣) انظر التصريح ٢/١٠٢ .
(٤) البقرة /٨٣ . (٥) معانيه ١/١٦٣ ، ١٦٤ . (٦) البقرة /٤١ .

في لفظه بفاعل ؛ لأن المعنى الذي وضع عليه الجيش معنى يدل على جمع ، فهو فاعل ومفعول يدل على ما يدل عليه الجيش ، وإذا قلت : الجيش رجل فإنما يكره من هذا أن يتوهم أنك تقلله ، فأما إذا عرف معناه فهو سائغ جيد ، تقول : جيشهم إنما هو فرس ورجل ، أي ليس بكثير الأتباع ، فيدل المعنى على أنك تريد : الجيش خيل ورجال ، وهذا في فاعل ومفعول أبين كما وصفنا .

وقد أشار الزجاج في بحثه لهذه الآية إلى ما قرره جمهور النحويين من أنه يلزم فيما أضيف إليه (أفعل) إذا كان نكرة أن يطابق الموصوف في الإفراد وغيره والتذكير وغيره ، والآية أفرد فيها المضاف إليه ، ومقتضى القاعدة أن يجمع ليطابق الواو في (ولا تكونوا) فكان حقه أن يقال : أول كافرين ، فكيف جاءت بالإفراد ؟ وقد أجاب الزجاج عن ذلك بقول الأخفش ، والقول الآخر ، وما نسبه إلى بعض النحويين ، وهو قول الفراء [1] .

(١) انظر معاني الفراء ٣٢/١ .



الفصل الثلاثون

النعت

تعبير الزجاج عنه :

جاء في همع الهوامع للسيوطي أن التعبير بالنعت اصطلاح الكوفيين وربما قاله البصريون ، والأكثر عندهم الوصف والصفة [1] ، وقد عبر عنه الزجاج بالاصطلاحين كما يتبين من أمثلة هذا الفصل .

أغراض النعت :

أشار الزجاج في توجيهه للبسملة إلى أن من أغراضه المدح ، حيث ذكر ان (الرحمن) و(الرحيم) صفتان لله عز وجل ، وأنهما خفضتا لأنهما ثناء على الله عز وجل [2] ، وكذلك في توجيهه لقوله تعالى : ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[3] حيث قال : " جر (ربنا) على النعت والثناء لقوله (والله) ، ويجوز : (والله ربَّنا) بنصب (ربنا) ، ويكون النصب على وجهين : على الدعاء ، قال : والله يا ربنا ما كنا مشركين ، ويجوز نصبه على (أعني) ، المعنى : أعني ربنا وأذكر ربنا ، ويجوز رفعه على إضمار (هو) ويكون مرفوعا على المدح ... " [4] .

موافقة النعت لما قبله في أوجه الإعراب :

ورد في توجيه الزجاج للبسملة أن النعت إعرابه إعراب ما قبله [5] .

موافقة النعت لما قبله في التعريف والتنكير :

أشار الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [6] إلى وجوب تلك الموافقة عندما أجاز كون (غير) صفة للذين قائلا : " ويستقيم أن يكون (غير) من صفة

---

(١) الهمع ١١٦/٢ . (٢) انظر معانيه ٤٣/١ . (٣) الأنعام /٢٣ .
(٤) معانيه ٢٣٦/٢ . (٥) معانيه ٤٣/١ . (٦) الفاتحة /٧ .

(الذين) وإن كان (غير) أصله أن يكون في الكلام صفة لنكرة ... وإنما وقع ههنا صفة لـ(الذين) لأن (الذين) ههنا ليس بمقصود قصدهم ، فهو بمنزلة قولك : إني لأمر بالرجل مثلك فأكرمه " [١] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ﴾ [٢] : " أما خفض (غير) فصفة للتابعين وإن كانت (غير) يوصف بها النكرة فإن (التابعين) ههنا ليس بمقصود به إلى قوم بأعيانهم ، إنما معناه : لكل تابع غير أولي إربة " [٣] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ [٤] : " و(مصدق) رفع صفة لـ(رسول) لأنهما نكرتان " [٥] .

حكم النعت في الإفراد والتنكير وغيرهما :

يقول الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [٦] : " قيل (خاوية) للنخل ؛ لأن النخل يذكر ويؤنث ، يقال : هذا نخل حسن ، وهذه نخل حسنة، فـ(خاوية) على التأنيث ، وقال في موضع آخر : ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [٧] " [٨] .

ويقول في توجيه قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾[٩]: " (الظالم أهلها) نعت للقرية ، ووحد (الظالم) لأنه صفة تقع موقع الفعل ، فتقول : مررت بالقرية الصالح أهلها ، كقولك : التي صلح أهلها " [١٠] ، وتوضيح قوله هذا أن النعت إذا رفع الاسم الظاهر يعطى في الإفراد والتذكير وغيرهما حكم الفعل الذي يقع موقعه ، ولا يعتبر فيه حال الموصوف " [١١] .

توجيه مجيء نعت مفرد لمنعوت جمع وعكسه :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [١٢] : " معناه : ذات حسن ، ويجوز في غير القراءة : ذوات بهجة ؛ لأنها جماعة ، كما تقول : نسوتك ذوات حسن ، وإنما جاز (ذات بهجة) لأن المؤنث يخبر عنه في الجمع بلفظ الواحد إذا أردت جماعة ، كأنك قلت : جماعة ذات بهجة " [١٣] .

---

(١) معانيه ٥٣/١ . (٢) النور /٣١ . (٣) معانيه ٤٢/٤ .
(٤) البقرة /١٠١ . (٥) معانيه ١٨٢/١ . (٦) الحاقة /٧ .
(٧) القمر /٢٠ . (٨) معانيه ٢١٤/٥ . (٩) النساء /٧٥ .
(١٠) معانيه ٧٧/٢ . (١١) راجع التصريح ١١٠/٢ . (١٢) النمل /٦٠ .
(١٣) معانيه ١٢٨/٤ .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [1] : " (حاجزين) من نعت (أحد) ، و(أحد) في معنى جميع ، المعنى : فما منكم قوم يحجزون عنه " [2] ، وقد وافقه في هذا التوجيه مكي [3] .

توجيه مجيء نعت مذكر لمنعوت مؤنث :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [4] : " لو كان (ميتة) لجاز ، وقيل : (ميتا) ولفظ البلدة مؤنث ؛ لأن معنى البلد والبلدة واحد " [5] .

النعت بالمشتق والجامد المشبه للمشتق :

من أمثلة النعت بالمشتق والنص على كونه نعتا :

- قول الزجاج في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾[6]: " (مظلما) من نعت القطع " [7] .

- وقوله في توجيه قوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[8] : " أما قوله : (أذلة على المؤمنين) فمخفوض على نعت (قوم) ، وإن شئت كان نصبا على وجهين : أحدهما الحال على معنى : يحبهم ويحبونه في حال تذللهم على المؤمنين وتعززهم على الكافرين ، ويجوز أن يكون نصبا على المدح " [9] .

ومن أمثلة النعت بالجامد المشبه للمشتق ما تقدم في توجيه قوله تعالى : ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ .

النعت بالجملة :

أشار الزجاج إلى ما يشترطه النحويون في النعت بالجملة من اشتمالها على ضمير يربطها بالمنعوت ملفوظ أو مقدر ، وذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [10] حيث قال : " وفيها وجه ثالث (هذا يومٌ ينفع الصادقين صدقهم) ، بتنوين (يوم) على إضمار : (هذا يوم ينفع فيه الصادقين صدقهم) ، ويكون كقوله : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [11] ، ومثله قول الشاعر :

---

(1) الحاقة /٤٧ . (2) معانيه ٢١٨/٥ . (3) المشكل ٤٠٤/٢ .
(4) الفرقان /٤٩ . (5) معانيه ٧١/٤ . (6) يونس /٢٧ .
(7) معانيه ١٦/٣ . (8) المائدة /٥٤ . (9) معانيه ١٨٤/٢ .
(10) المائدة /١١٩ . (11) البقرة /٤٨ .

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح [1]

المعنى : فمنهما تارة أموت فيها " [2] .

النعت بالمصدر :

قال الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [3] : " في قوله : (حسنا) بالتنوين قولان : المعنى : قولوا للناس قولا ذا حسن ، وزعم الأخفش أنه يجوز أن يكون (حُسنا) في معنى حَسَنا ... " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [5] : " ويجوز (حرجا) بكسر الراء ، فمن قال : (حرَجا) فهو بمنزلة قولهم : رجل دنف ؛ لأن قولك (دنف) ههنا و(حرج) ليس من أسماء الفاعلين، إنما هو بمنزلة قولهم: رجل عدل ، أي ذو عدل" [6].

وقال في قوله تعالى : ﴿هُنَالِكَ الوَلَايَةُ للهِ الحَقِّ﴾ [7] : " من قرأ : (الحقِّ) فهو نعت لله ، ومن قرأ : (الحقُّ) فهو نعت للولاية " [8] ، وإنما جعل (الحق) وهو مذكر صفة لـ(الولاية) وهي مؤنثة لأن الوصف هنا بالمصدر ، والمصدر يأتي بالإفراد والتذكير وصفا للمذكر والمؤنث .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي البَحْرِ يَبَسًا﴾ [9] : " ويجوز (يابسا) و(يبْسا) بتسكين الباء ، فمن قال : يابسا جعله نعتا للطريق ، ومن قال : يبَسا فإنه نعته بالمصدر " [10] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [11] :" يقال للواحد : رجل جنب ، ورجلان جنب ، وقوم جنب ، وامرأة جنب ، كما يقال : رجل رضا ، وقوم رضا ، وإنما هو على تأويل ذو جنب ؛ لأنه مصدر ، والمصدر يقوم مقام ما أضيف إليه ، ومن العرب من يثني ويجمع ويجعل المصدر بمنزلة اسم الفاعل ، وإذا جمع (جنب) قلت في

---

(1) من بحر الطويل لتميم بن مقبل أو العجير السلولي ، من شواهد الكتاب ٣٤٦/٢ ، وانظره في شرح الكافية للرضي ٣٤٦/٢ ، وخزانة الأدب ٥٥/٥ .

(2) معاني الزجاج ٢٢٥/٢ . (3) البقرة /٨٣ . (4) معانيه ١٦٤/١ .

(5) الأنعام /١٢٥ . (6) معاني الزجاج ٢٩٠/٢ . (7) الكهف /٤٤ .

(8) معانيه ٢٨٩/٣ . (9) طه /٧٧ . (10) معانيه ٣٦٩/٣ .

(11) المائدة /٦ .

الرجال : جنبون ، وفي النساء : جنبات ، وللاثنين : جنبان " [1] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ [2] : " المعنى : ذوات القسط ، و(قسط) مثل (عدل) مصدر يوصف به ، تقول : ميزان قسط ، وميزانان قسط ، وموازين قسط " [3] .

لا يجوز اتحاد لفظ النعت لمنعوت
متعدد إذا اختلف العامل :

قرر ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ [4] فقال : " قال أبو العباس محمد بن يزيد : (اللاتي دخلتم بهن) نعت للنساء اللواتي هن أمهات الربائب لا غير ، قال : والدليل على ذلك إجماع الناس أن الربيبة تحل إذا لم يدخل بأمها ، وأن من أجاز أن يكون قوله : (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) هو لأمهات نسائكم ، يكون المعنى على تقديره : وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فيخرج أن يكون (اللاتي دخلتم بهن) لأمهات الربائب .

والدليل على أن ما قاله أبو العباس هو الصحيح أن الخبرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحدا : لا يجيز النحويون : مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على أن تكون (الظريفات) نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء ... " [5] .

جواز القطع في النعت :

يشير الزجاج في مواضع من معانيه إلى أنه إذا تكررت النعوت لواحد وكان معلوما بدون النعت جاز إتباعها وقطعها والجمع بين الإتباع والقطع ، وأن حقيقة القطع أن يجعل النعت خبرا لمبتدأ أو مفعولا لفعل ، وفيما يلي بيان ذلك :

- قال في توجيه البسملة : " وقوله عز وجل : (الرحمن الرحيم) هذه الصفات لله عز وجل ... وخفضت هذه الصفات لأنها ثناء على الله عز وجل فكان إعرابها إعراب اسمه ، ولو قلت في غير القرآن : بسم الله الكريمَ والكريمُ ، والحمد لله ربُّ العالمين

---

(1) معانيه ٢/١٥٤ ، ١٥٥ . (2) الأنبياء /٤٧ . (3) معانيه ٣/٣٩٤ .
(4) النساء /٢٣ . (5) معانيه ٢/٣٤ .

وربُّ العالمين جاز ذلك ، فمن نصب (رب العالمين) فإنما ينصب لأنه ثناء على الله ، كأنه لما قال : الحمد لله استدل بهذا اللفظ أنه ذاكر لله ، فقوله : ربَّ العالمين كأنه قال: اذكر رب العالمين ، وإذا قال : ربُّ العالمين فهو على قولك : هو رب العالمين، قال الشاعر :

وكل قوم أطاعوا أمر مرشدهم ... إلا نميرا أطاعت أمر غاويها

الظاعنين ولما يظعنوا أحدا ... والقائلين لمن دار نخليها [1]

فيجوز أن ينصب (الظاعنين) على ضربين : على أنه تابع (نميرا)، وعلى الذم ، كأنه قال: اذكر الظاعنين ، ولك أن ترفع تريد : هم الظاعنون ، وكذلك لك في (القائلين) النصب والرفع ، ولك أن ترفعهما جميعا ، ولك أن تنصبهما جميعا ، ولك أن ترفع الأول وتنصب الثاني ، ولك أن تنصب الأول وترفع الثاني ، لا خلاف بين النحويين فيما وصفنا " [2] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [3] : " الاختيار في (فاطر) الجر ؛ لأنه من صفة الله عز وجل ، والرفع والنصب جائزان على المدح لله جل وعز والثناء عليه ، فمن رفع فعلى إضمار (هو) ، المعنى : هو فاطر السماوات والأرض ، وهو يطعم ولا يطعم ، ومن نصب فعلى معنى (اذكر) " [4] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [5] : " ويجوز (والله ربِّنا) على جر (ربنا) على النعت والثناء لقوله (والله) ، ويجوز (والله ربَّنا) بنصب (ربنا) ويكون النصب على وجهين : على الدعاء : قالوا والله يا ربنا ما كنا مشركين ، ويجوز نصبه على : أعني ، المعنى : أعني ربنا ، واذكر ربنا ، ويجوز رفعه على إضمار (هو) ويكون مرفوعا على المدح ، والقراءة الجر والنصب ، فأما الرفع فلا أعلم أحدا قرأ به " [6] ، وسيأتي موضع لذلك في باب العطف .

حذف المنعوت مع النعت المفرد :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ [7] : " معنى (سابغات) : أي

(١) من بحر البسيط لابن خياط العكلي ، وقد تقدما ، وهما من شواهد الكتاب ٢/٦٤ ، وانظر الإنصاف ٢/٤٧٠.

(٢) معانيه ١/٤٣ ، ٤٤ . (٣) الأنعام /١٤ . (٤) معانيه ٢/٢٣٣ .

(٥) الأنعام /٢٣ . (٦) معانيه ٢/٢٣٦ . (٧) سبأ /١١ .

دروعا سابغات ، فذكر الصفة لأنها تدل على الموصوف " [1] .

حذف المنعوت مع النعت غير المفرد :

قال في قوله تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [2] : " يجوز أن يكون : من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم ، ويكون (يحرفون) صفة ، والموصوف محذوف ، وأنشد سيبويه [3] في مثل هذا قول الشاعر :

وما الدهر إلا تارتان فمنهما   أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح [4]

المعنى : منهما تارة أموت فيها ... وكذلك قول الشاعر :

لو قلت ما في قومها لم تيثم

يفضلها في حسب وميسم [5]

المعنى : ما في قومها أحد يفضلها ، وزعم النحويون أن هذا إنما يجوز مع (من) و(في) ، وهو جائز إذا كان فيما بقي دليل على ما ألقي ، لو قلت : ما فيهم يقول ذلك، أو : ما عندهم يقول ذاك جازا جميعا جوازا واحدا ، المعنى : ما عندهم أحد يقول ذاك " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [7] : " المعنى : وما منهم أحد إلا ليؤمنن به ، وكذلك قوله : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [8] ، المعنى : ما منكم أحد إلا واردها ، وكذلك : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [9] ، المعنى : وما منا أحد إلا له مقام معلوم ، ومثله قول الشاعر :

لو قلت ما في قومها لم تيثم

يفضلها في حسب وميسم

المعنى : ما في قومها أحد يفضلها " [10] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ﴾ [11] : " المعنى : ومن آياته آية يريكم بها البرق خوفا وطمعا ، هذا أجود في العطف لأنه قال : (ومن آياته خلق) فنسق

---

(1) معانيه ٢٤٤/٤ .   (2) النساء/ ٤٦ .   (3) الكتاب ٣٤٦/٢ .   (4) تقدم هذا البيت .

(5) من مشطور الرجز قائلهما حكيم بن معية الربعي ، من شواهد الكتاب ٣٤٥/٢ ، والخزانة٦٢/٥ .

(6) معانيه ٥٧/٢ ، ٥٨ .   (7) النساء/ ١٥٩ .   (8) مريم/ ٧١ .   (9) الصافات/ ١٦٤ .

(10) معانيه ١٢٩/٢ .   (11) الروم/ ٢٤ .

باسم على اسم ، ومثله من الشعر :

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

المعنى : فمنهما تارة أموتها ، أي أموت فيها ، ويجوز أن يكون المعنى : ويريكم البرق خوفا وطمعا من آياته فيكون عطفا بجملة على جملة " [1] .

حذف النعت :

أشار الزجاج إلى أن النعت قد يحذف إذا كان في الكلام دليل عليه فقال في قوله تعالى : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [2] : " والسنة : الطريقة ، وقول الناس : (فلان على السنة) معناه : على الطريقة ، ولم يحتاجوا أن يقولوا (على السنة المستقيمة) لأن في الكلام دليلا على ذلك " [3] .

(١) معانيه ٤/١٨٢ .
(٢) آل عمران/ ١٣٧ .
(٣) معانيه ١/٤٧٠ .

الفصل الحادي والثلاثون

التوكيد

التوكيد المعنوي بلفظ (كل) :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لله ﴾ [1] : " من نصب ـ يعني (كله) ـ فعلى توكيد الأمر ، ومن رفع فعلى الابتداء و(لله) الخَبر " [2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ [3] : " ويجوز النصب (كلَّهن) توكيدا للهاء والنون " [4] .

قلت : قد ورد النصب في قراءة غير متواترة تنسب إلى أبي إياس جوية بن عائذ[5].

وقد ذكر فائدة التوكيد بكل في توجيه قوله تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [6] ، وتقدم في أول فصل المستثنى [7] .

التوكيد بلفظ (أجمعين) :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [8] : " قال سيبويه والخليل [9] : (أجمعون) توكيد بعد توكيد ، وقال محمد بن يزيد : المعنى يدل على اجتماعهم في السجود ، المعنى : فسجدوا كلهم في حال واحدة ، وقول سيبويه والخليل أجود ؛ لأن (أجمعين) معرفة فلا يكون حالا " [10] .

قلت : وهذه الآية يمثل بها النحويون لإتباع (كلهم) بـ(أجمعين) تطبيقا لما تقرر من أنه إذا أريد تقوية التوكيد جاز أن يتبع كله بأجمع ،وكلها بجمعاء ، وكلهم بأجمعين ،

---

(1) آل عمران /١٥٤ . (2) معانيه ٤٨٠/١ . (3) الأحزاب /٥١ .
(4) معانيه ٢٣٣/٤ . (5) روح المعاني ٦٣/٢٢ . (6) العنكبوت /١٤ .
(7) انظر ص٢٣٣ (8) الحجر /٣٠ .
(9) الكتاب ١٥١/١ ، ٣٧٨/٢ ، ٣٧٩ . (10) معاني الزجاج ١٧٩/٣ .

وكلهن بجمع [١] ، وقد رد أبو البقاء العكبري [٢] ما نسبه الزجاج هنا إلى المبرد واستبعده فقال : (أجمعون) توكيد ثان عند الجمهور ، وزعم بعضهم أنها أفادت ما لم تفده (كلهم)، وهو أنها دلت على أن الجميع سجدوا في حال واحدة ، وهذا بعيد؛ لأنك تقول : (جاء القوم كلهم أجمعون) وإن سبق بعضهم بعضا ، ولأنه لو كان كما زعم لكان حالا لا توكيدا .

وذكر الزجاج في كتابه (ما ينصرف) التوكيد بـ(أكتع) و(أبصع) بعد (أجمع) فقال: " هذا باب (أفعل) الذي لفظه لفظ النكرة ومعناه معنى المعرفة ، وذلك قولك : (أنفقت الدرهم أجمع يا هذا) ، ومثل ذلك (أكتع) و(أبصع) ، إلا أن (أكتع) لا يستعمل إلا بعد (أجمع) ، و(أبصع) لا يستعمل إلا بعد (أكتع) ، تقول : مررت بقصرك أجمع أكتع أبصع ، ومعنى (أجمع) و(أكتع) و(أبصع) التوكيد ، والمعنى إذا قلت: مررت به أجمع: مرت بجميعه " [٣] .

التوكيد اللفظي :

أمثلته كثيرة ، ومنها :

- قال في توجيه قوله تعالى : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [٤] : " وقعت (فلا تحسبنهم) مكررة لطول القصة ، والعرب تعيد إذا طالت القصة في (حسبت) وما أشبهها إعلاما أن الذي جرى متصل بالأول وتوكيدا للأول ، فتقول : لا تظن زيدا إذا جاءك وكلمك بكذا وكذا فلا تظنه صادقا ، تعيد (فلا تظن) توكيدا ، ولو قلت : (لا تظن زيدا إذا جاءك وحدثك بكذا وكذا صادقا) جاز ، ولكن التكرير أوكد وأوضح للقصة " [٥] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [٦] : " كرر (رأيتهم) توكيدا ، المعنى : رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين ، فكرر (رأيتهم) لما طال الكلام " [٧] .

- وقال في قوله تعالى:﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[٨] : " القراءة

(١) انظر التصريح ١٢٤/٢ .
(٢) انظر الإملاء ٤٢٥/٤ .
(٣) ما ينصرف ص١٢ .
(٤) آل عمران /١٨٨ .
(٥) معانيه ٤٩٨/١ .
(٦) يوسف /٤ .
(٧) معانيه ٩٠/٣ .
(٨) التوبة /٦٣ .

بالفتح والكسر في (فأن له) ، فمن كسر فعلى الاستئناف بعد الفاء ، كما تقول : فله نار جهنم ، ودخلت (إن) مؤكدة ، ومن قال : (فأن له) فإنما أعاد (فأن) توكيدا ؛ لأنه لما طال الكلام كان إعادتها أوكد " [1] .

ـ وقال في قوله تعالى :﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ﴾[2] : " وحقيقة (أن) الثانية أنها مكررة على جهة التأكيد ؛ لأن المعنى : كتب عليه أنه من تولاه أضله " [3] .

ـ وقال في قوله تعالى :﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾[4]: " هذا جواب الملأ من قوم ثمود ، فأما (أنكم) الأولى فإنها منصوبة على معنى أيعدكم بأنكم إذا متم، وموضع (أن) الثانية عند قوم كموضع الأولى ، وإنما ذكرت توكيدا ، والمعنى على هذا القول : أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم ؟ فلما بعد ما بين (أن) الأولى والثانية بقوله :(إذا متم وكنتم ترابا وعظاما) أعيد ذكر (أن) "[5] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [6] : " ذكر (فيها) ثانية على جهة التوكيد " [7] ، وفي توجيه هذه الآية يقول الشيخ خالد الأزهري [8] : " (في) الثانية توكيد لـ(في) الأولى ، وأعيد مع (في) الثانية ضمير (رحمة) ، ولا يكون الجار والمجرور توكيدا للجار والمجرور ؛ لأن الضمير لا يؤكد الظاهر ؛ لأن الظاهر أقوى منه ، ولا يكون المجرور بدلا من المجرور بإعادة الجار؛ لأن العرب لم تبدل مضمرا من مظهر، لا يقولون: قام زيد هو، وإنما جوز ذلك بعضهم بالقياس ".

قلت : والآية يستشهد بها النحويون على ما تقرر من أنه إذا كان المؤكد حرفا غير جواب وجب أن يعاد مع التوكيد لفظ المتصل بالمؤكد أو ضميره إن كان المتصل اسما ظاهرا ، والأولى إعادة ضميره كما في الآية .

إعادة ظاهر مضاف لظاهر :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾[9] : " فأما تكرير (قبل) ففيه وجهان : قال قطرب : إن (قبل) الأولى للتنزيل ، و(قبل) الثانية

(١) معانيه ٢/٤٥٩ . (٢) الحج /٤ . (٣) معانيه ٣/٤١١ .
(٤) المؤمنون /٣٥ . (٥) معانيه ٤/١١ . (٦) آل عمران /١٠٧ .
(٧) معانيه ١/٤٥٥ . (٨) التصريح ٢/١٢٩ . (٩) الروم /٤٩ .

للمطر، وقال الأخفش وغيره من البصريين: تكرير (قبل) على جهة التوكيد ، والمعنى: وإن كانوا من قبل تنزيل المطر لمبلسين ، والقول كما قالوا ؛ لأن تنزيل المطر بمعنى المطر؛ لأن المطر لا يكون إلا بتنزيل،كما أن الرياح لا تعرف إلا بمرورها، قال لبيد:

مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها مر الرياح النواسم [١]

فمعنى مر الرياح كقولك : تسفهت أعاليها الرياح النواسم " [٢] .

وقد استشهد المصرح [٣] بهذه الآية على أنه إذا أعيد ظاهر مضاف إلى ظاهر فإنه يختار إضافة التوكيد لضميره ، ولا يعاد الحرف المؤكد وحده .

---

(١) البيت من الطويل ، وقائله ذو الرمة لا لبيد ، والنواسم : الرياح حين تهب بليل قبل أن تشتد ، و(تسفهت أعاليها) : مرت به ، وقد تقدم في فصل الإضافة .

(٢) معانيه ١٨٩/٤ ، ١٩٠ .

(٣) التصريح ١٣٠/٢ .

الفصل الثاني والثلاثون

العطف

أولا : عطف البيان :

أمثلة له :

من أمثلته عند الزجاج قوله تعالى : ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ﴾ [1] ، وفي توجيهه يقول : " (سنين) جائز أن يكون نصبا وجرا ، النصب على : لبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة ، ويكون على تقدير العربية (سنين) معطوفا على (ثلاث) عطف البيان ، ويجوز أن يكون (سنين) من نعت المائة وهو راجع في المعنى إلى (ثلاث) ، كما قال عنترة :

فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... سودا كخافية الغراب الأسحم [2]

فجعل (سودا) نعتا لـ(حلوبة) ، وهو في المعنى نعت لجملة العدد " [3] .

قلت: ما أجازه من إعراب (سنين) عطف بيان لـ(ثلاث) مخالف لمذهب الجمهور؛ لأنهم خصوا عطف البيان بالمعارف محتجين بأن البيان بيان كاسمه، والنكرة مجهولة، ولا يبين المجهول بمجهول [4] ، وقد اختار الزمخشري [5] هذا الإعراب ولم يذكر غيره ، ويؤيده قول بعضهم : إن بعض النكرات يكون أخص من بعض ، والأخص يبين غير الأخص [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [7] :

---

(١) الكهف /٢٥ .

(٢) البيت من الكامل ، من معلقته المشهورة ، وخافية الغراب : آخر ريش الجناح مما يلي الظهر ، والأسحم : الأسود ، انظر الخزانة ٣٩٠/٧ ، ومعاني الفراء ١٣٨/٢ .

(٣) معاني الزجاج ٢٧٨/٣ ، ٢٧٩ . (٤) انظر البحر المحيط ١١٧/٦ . (٥) الكشاف ٥٥٩/٢ .

(٦) انظر التصريح ١٣١/٢ . (٧) الزخرف /٣١ .

" معنى (لولا) : هلا ... و(هذا) في موضع رفع ، و(القرآن) هنا مبين عن (هذا) ، ويسميه سيبويه [1] عطف البيان ؛ لأن لفظه لفظ الصفة ، وما يبين به هذا أنه عطف البيان قولك : مررت بهذا الرجل ، وهذه الدار ، وهذا القرآن ، إنما يذكر بعد (هذا) أسماء يبين بها اسم الإشارة " [2] .

وتقدم من أمثلته توجيه قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في فصل النكرة والمعرفة [3] .

ثانيا : عطف النسق :

حروف العطف التي تقتضي
التشريك في اللفظ والمعنى مطلقا :

[الواو] يتبين من توجيه الزجاج لقوله تعالى : ﴿... وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [4] أنه يذهب مذهب الجمهور في أن الواو لمطلق الجمع بين المتعاطفين ولا تفيد الترتيب ، وفي ذلك يقول : " قوله : (وأرجلكم إلى الكعبين) القراءة بالنصب ، وقد قرئت بالخفض ، وكلا الوجهين جائز في العربية ، فمن قرأ بالنصب فالمعنى : فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم ، على التقديم والتأخير ، والواو جائز فيها ذلك كما قال جل وعز : ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [5] ، والمعنى : واركعي واسجدي ؛ لأن الركوع قبل السجود " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ : " معنى الركوع قبل السجود ، المعنى : اركعي واسجدي ، إلا أن الواو إذا ذكرت فمعناها الاجتماع ، وليس فيها دليل أن أحد الشيئين قبل الآخر ؛ لأنها تؤذن بالاجتماع ، والعمل والحال تدل على تقدم المتقدم من الاثنين " [7] .

وقد قرر هذا المعنى للواو أيضا في توجيه قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ...﴾[8]،وقوله:﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾[9].

(1) الكتاب٢/١٨٤-١٩٣.(٢) معانيه ٤/٤٠٩ . (٣) انظر ص٧٥ .
(٤) المائدة /٦ . (٥) آل عمران /٤٣ . (٦) معانيه ٢/١٥٢ ، ١٥٣ .
(٧) معانيه ١/٤١٠ . (٨) الأحزاب/٧،انظر معانيه٤/٢١٦. (٩) الجاثية/٢٤،انظر معانيه٤/٤٣٤.

وقال في قوله تعالى : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ (1) : " قالوا : الصلاة الوسطى العصر ، وهو أكثر الرواية ، وقيل : إنها الغداة ، وقيل : إنها الظهر ، والله قد أمر بالمحافظة على جميع الصلوات ، إلا أن هذه الواو إذا جاءت مخصصة فهي دالة على الفضل للذي تخصصه ، كما قال عز وجل : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لله وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ (2) فذكرا مخصوصين لفضلهما على الملائكة ، وقال يونس النحوي في قوله عز وجل : ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (3) : إنما خص النخل والرمان وقد ذكرت الفاكهة لفضلهما على سائرها " (4) .

وقد مثل المصرح(5) بقوله تعالى:﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ...﴾ لتقرير أن الواو تنفرد من بين سائر حروف العطف بأنها تعطف ما تضمنه الأول إذا كان المعطوف ذا مزية .

حركة واو العطف :

يقول الزجاج في توجيهه للبسملة : " أصل الحروف التي يتكلم بها وهي على حرف واحد الفتح أبدا ، إلا أن تجيء علة تزيله ؛ لأن الحرف الواحد لا حظ له في الإعراب ولكن يقع مبتدأ في الكلام ولا يبتدأ بساكن ، فاختير الفتح لأنه أخف الحركات، تقول: رأيت زيدا وعمرا ، فالواو مفتوحة ، وكذلك : فعمرا ، الفاء مفتوحة " (6) .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ (7) : " هذه الواو مفتوحة لأنها واو عطف دخلت عليها ألف التوبيخ وهي ألف الاستفهام فبقيت الواو مفتوحة على ما يجب لها " (8) .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ (9) : " هذه الواو واو النسق ، دخلت عليها ألف الاستفهام فبقيت مفتوحة على هيئتها قبل دخولها ، ومثل ذلك في الكلام قول القائل : تكلم فلان بكذا وكذا ، فيقول قائل مجيبا له : أوَهو ممن يقول ذلك ؟ " (10) .

---

(1) البقرة /138 . (2) البقرة /98 . (3) الرحمن /68 .
(4) معانيه 97/5 . (5) التصريح 136/2 . (6) معانيه 41/1 .
(7) البقرة /170 . (8) معانيه 242/1 . (9) آل عمران /165 .
(10) معانيه 487/1 .

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ ... ﴾ [1] : " هذه الواو واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام فبقيت مفتوحة ... " [2] .

وقال في قوله تعالى :﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى ... ﴾[3]:" الفاء في قوله : (أفأمن)[4] والواو في قوله : (أوأمن) فتحت لأنها واو عطف وفاء عطف دخلت عليها ألف الاستفهام "[5].

الاستغناء عن الواو :

تحدث عن ذلك الزجاج وأجازه في توجيه قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ...﴾ [6] حيث قال : " المعنى : وكتب عليكم إذا حضر ، إلا أن الكلام إذا طال استغني عن العطف بالواو ، وعلم أن معناه معنى الواو لأن القصة الأولى قد استتمت وانقضى معنى الغرض فيها ، فعلم أن المعنى : فرض عليكم القصاص وفرض عليكم الوصية " [7] .

قلت : والذي سار عليه الزجاج في الآية من حذف واو العطف سار عليه القرطبي في تفسيره [8] ، ولم يرتضه أبو حيان [9] .

واو العطف لا تزاد :

يسير الزجاج على ذلك وهو مذهب البصريين ، يقول في قوله تعالى : ﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ ﴾ [10] : " قال بعض النحويين : إن الواو مسقطة ، قال : المعنى : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا لو افتدى به ، وهذا غلط ؛ لأن الفائدة في الواو بينة ، وليست الواو مما يلغى " [11] .

ويقول في قوله تعالى : ﴿ وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ ﴾ [12] : " قال بعضهم : معنى الواو الطرح ، المعنى : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق ، وذهب إلى

---

(1) الأعراف /٦٣ . (2) معانيه ٣٤٦/٢ . (3) الأعراف /٩٨ .
(4) الأعراف /٩٧ ، وهي أيضا في النحل /٤٥ . (5) معانيه ٣٦٠/٢ .
(6) البقرة /١٨٠ . (7) معانيه ٢٤٩/١ . (8) ٢٥٨/٢ .
(9) انظر البحر المحيط ١٦/٢ . (10) آل عمران /٩١ .
(11) معانيه ٤٤١/١ . (12) الأنبياء /٩٧ .

أن هذا جواب قوله :﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾[1]، والواو عند البصريين لا يجوز أن تطرح ويكون معناها الطرح ، والجواب عند البصريين ـ ههنا ـ (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا) ، وههنا قول محذوف ، والمعنى : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق قالوا : يا ويلنا قد كنا ... " [2] .

ويقول في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً﴾[3] : " جاء عن ابن عباس رحمه الله أنه يرى حذف الواو ، وقال بعض النحويين : معناه : الفرقان ضياء، وعند البصريين أن الواو لا تزاد ولا تأتي إلا بمعنى العطف " [4] .

وقد ورد في كلامه ما يوهم ظاهره تجويز ما يمنعه البصريون وهو زيادة الواو ، فقال في قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[5] : " دخول الواو هنا وإخراجها من الأول واحد ، ويجوز أن تكون الواو تدخل على انقطاع القصة وأن الشيء قد تم " [6]، وهذا محمول ـ عندي ـ على أن مراده التسوية بين ما دخلته الواو وما لم تدخله من جهة المعنى والارتباط .

وقد أشار إلى أن (لا) النافية يؤتى بها مع واو العطف إذا تقدم الواو ما يفيد النفي، وذلك في توجيه قوله تعالى :﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[7] حيث قال: " عطف بـ(الضالين) على (المغضوب عليهم) ، وإنما جاز أن يقع (لا) في قوله تعالى : (ولا الضالين) لأن معنى (غير) متضمن معنى النفي " [8] .

[الفاء] ذكر الزجاج معنى الفاء العاطفة في توجيهه لقوله تعالى : ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [9] حيث قال : " زعم سيبويه أن معنى (وبينك) التوكيد ، والمعنى : هذا فراق بيننا ... ومثله في الكلام : أخزى الله الكاذب مني ومنك [10] ... وهذا لا يكون إلا بالواو ، ولا يجوز : فراق بيني فبينك ؛ لأن معنى الواو الاجتماع ، ومعنى الفاء أن يأتي الثاني في أثر الأول " [11] .

---

(١) من الآية ٩٦ من سورة الأنبياء . (٢) معانيه ٣/٤٠٥ . (٣) الأنبياء /٤٨ .
(٤) معانيه ٣/٣٩٤ . (٥) الكهف /٢٢ . (٦) معانيه ٣/٢٧٧ .
(٧) الفاتحة /٧ . (٨) معانيه ١/٥٤ . (٩) الكهف /٧٨ .
(١٠) انظر الكتاب ٤/٢٢٥ . (١١) معانيه ٣/٣٠٤ .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ (1) : " القراءة : (فتصبح الأرض) لا غير ، قال سيبويه(2) : سألت الخليل عن قوله تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض ...) فقال : هذا واجب ، ومعناه التنبيه ، كأنه قال : استمع أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا ، وقال غيره مثل هذا القول ، ومجاز هذا الكلام مجاز الخبر ، كأنه قال : أنزل فتصبح ، وأنشدوا :

ألم تسأل الربع القواء فينطق ... وهل تخبرنك اليوم بيداء سملق (3)

قال الخليل : معناه : فهو ينطق " (4) .

وهذه الآية استشهد بها ابن هشام وغيره (5) على أن الفاء تختص بأنها تعطف على الصلة ما لا يصلح كونه صلة لخلوه من العائد ، قال المصرح (6) : جملة (تصبح الأرض) بالرفع معطوفة على جملة (أنزل) الواقعة خبر (أن) ، وكان القياس أن لا يصح العطف لخلوها من ضمير يعود على اسم (أن) ؛ إذ المعطوفة على الخبر خبر ، ولكنها لما قرنت بالفاء ساغ ذلك " .

الفاء العاطفة لا يعمل ما بعدها فيما قبلها :

ذكر الزجاج ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ (7) فقال : " قوله : (وثمودًا فما أبقى) نسق على (عادًا) (8) ولا يجوز أن ينصب بقوله : (فما أبقى) ؛ لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها ، لا تقول : زيدا فضربت ، فكيف وقد أتت (ما) بعد الفاء ؟ وأكثر النحويين لا ينصب ما قبل الفاء بما بعدها ، والمعنى : وأهلك ثمود فما أبقاهم " (9) .

[ثم] أفاد الزجاج أن العطف بـ(ثم) يفيد الترتيب كما يتبين مما يلي :

ـ في توجيه قوله تعالى : ﴿... ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾(10) قال : " أما دخول (ثم)

---

(1) الحج /63 . (2) الكتاب 3/40 .
(3) البيت من الطويل ، وقائله جميل ، وهو من شواهد الكتاب 3/37 ، والقواء : القفر ، وسملق : جرداء ، وانظر شرح الكافية للرضي 4/66 ، 71 ، والخزانة 8/524 .
(4) معانيه 3/436 . (5) انظر التصريح 2/139 . (6) المصدر السابق .
(7) النجم /51 . (8) في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ ، آية 50 .
(9) معانيه 5/77 . (10) الأنعام /154 ، وقبلها : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ .

في قوله : (ثم آتينا) وقد علمنا أن (ثم) لا يكون الذي بعدها أبدا معناه التقديم ، وقد علمنا أن القرآن أنزل من بعد موسى وبعد التوراة ... فإنما دخلت (ثم) في العطف على التلاوة " [١] .

- في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾[٢] قال : " زعم الأخفش أن (ثم) ههنا في معنى الواو ، وهذا خطا لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعربيته ، إنما (ثم) يكون للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير " [٣] .

- في توجيه قوله تعالى : ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[٤] قال :" (ثم) لا تكون إلا لشيء بعد شيء " [٥] .

ما يفيد التشريك لفظا ومعنى

بشرط أن لا يقتضي إضرابا :

[معاني أو] [معناها الأصلي]

ذكر الزجاج المعنى الأصلي لـ(أو) في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[٦] فقال : " ... ومعنى (أو) وقوع أحد الشيئين، فالمعنى أن فرعون قال:إني أخاف أن يبدل دينكم أو يفسد،فجعل طاعة الله عز وجل هي الفساد، فيكون المعنى : إني أخاف أن يبطل دينكم البتة ، فإن لم يبطله أوقع فيه الفساد، ومن قرأ : (وأن) فيكون المعنى : أخاف إبطال دينكم والفساد معه "[٧].

وقال في قوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [٨] : " قال غير واحد : معناها : بل يزيدون ، قال ذلك أبو عبيدة والفراء ، وقال غيرهما : أويزيدون في تقديركم أنتم ، إذا رآهم الرائي قال : هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على المائة ، وهذا هو القول ؛ لأنه على أصل (أو) ، وقال قوم : معناها معنى الواو ، و(أو) لا تكون بمعنى الواو ؛ لأن الواو معناها الاجتماع ، وليس فيها دليل على أن أحد الشيئين قبل الآخر ، و(أو) معناها إفراد أحد الشيئين أو الأشياء " [٩] .

---

(١) معانيه ٢/٣٠٥ ، ٣٠٦ . (٢) الأعراف /١١ . (٣) معانيه ٢/٣٢١ .
(٤) الزمر /٦ . (٥) معانيه ٤/٣٤٥ . (٦) غافر /٢٦ .
(٧) معانيه ٤/٣٧١ . (٨) الصافات /١٤٧ . (٩) معانيه ٤/٣١٤ .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [1] : " هذا الموضع يحتاج إلى شرح ؛ لأن القائل قد يقول : ليس يخلو (أو) من أن يكون للشك أو لغير الشك، فإن كان للشك فمحال أن يكون موضع شك ، وإن كان معناها : بل أدنى : بل أقرب، فما كانت الحاجة إلى أن يقول : (قاب قوسين) ؟ كان ينبغي أن يكون : كان أدنى من قاب قوسين ، فالجواب عن هذا ـ والله أعلم ـ أن العباد خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم ، وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحزر ، فالمعنى : فكان على ما تقدرونه أنتم قدر قوسين أو أقل من ذلك ، كما تقول في الذي يقدر : هذا قدر رمحين أو أنقص من رمحين أو أرجح ، وقد مر مثل هذا في (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) [2] " [3] .

مجيء (أو) لمعان أخرى :

قال الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [4] : " (أو) دخلت ههنا لغير شك ، وهذه يسميها الحذاق باللغة (أو) الإباحة ، فتقول : جالس القراء أو الفقهاء أو أصحاب الحديث أو أصحاب النحو ، فالمعنى أن التمثيل مباح لكم في المنافقين ، إن مثلتموهم بالذي استوقد نارا فذاك مثلهم ، وإن مثلتموهم بأصحاب الصيب فهذا مثلهم ، أو مثلتموهم بهما جميعا فهما مثلاهم ، كما أنك إذا قلت : (جالس الحسن أو ابن سيرين) فكلاهما أهل أن يجالس ، إن جالست الحسن فأنت مطيع ، وإن جمعتهما فأنت مطيع " [5] .

وقد عقب محقق (معاني القرآن وإعرابه) على كلام الزجاج هنا نافيا أن تكون (أو) في الآية للإباحة ؛ لأنها ـ كما قال ـ تأتي في شيء يتوهم منعه ، وقرر أن (أو) فيها للتنويع ، أي يصلح مثلهم أن يكون هذه الحالة أو تلك .

قلت : قد نقل ابن هشام [6] أن أكثر ورود (أو) للإباحة في التشبيه ، وذلك يؤيد مذهب الزجاج في توجيه هذه الآية ونحوها .

وقال الزجاج في قوله تعالى : ﴿... فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [7] : " دخول

---

(١) النجم /٩ . (٢) الصافات /١٤٧ . (٣) معانيه ٥/٧١ . (٤) البقرة /١٩ .

(٥) معانيه ١/٩٦ ، ٩٧ . (٦) المغني ١/٦ . (٧) البقرة /٧٤ .

(أو) ههنا لغير معنى الشك ، ولكنها (أو) التي للإباحة ، تقول : (الذين ينبغي أن يؤخذ عنهم العلم الحسن أو ابن سيرين) فلست بشاك ، وإنما المعنى ههنا : هذان أهل أن يؤخذ عنهما العلم ، فإن أخذته عن الحسن فأنت مصيب ، وإن أخذته عن ابن سيرين فأنت مصيب ، وإن أخذته عنهما جميعا فأنت مصيب ، فالتأويل : اعلموا أن قلوب هؤلاء إن شبهتم قسوتها بالحجارة فأنتم مصيبون ، أو بما هو أشد فأنتم مصيبون ، ولا يصلح أن تكون (أو) ههنا بمعنى الواو " [(١)] .

وقد أنكر السهيلي[(٢)] على الزجاج ذهابه إلى أن (أو) في هذه الآية للإباحة ، وقال : " وعندي أن (أو) لم توضع للإباحة في شيء من الكلام ، ولكنها على بابها " ، ثم فسر (أو) في الآية بأن الله تعالى ذكر قلوبا ولم يذكر قلبا واحدا ، فهي على الجملة قاسية ، وعلى التعيين إما كالحجارة ففيها ما هو كذلك ، وإما أشد قسوة ففيها ما هو كذلك أيضا ، قال : " وأما (أو) التي زعموا أنها للإباحة نحو : جالس الحسن أو ابن سيرين ، فلم توجد الإباحة من لفظ (أو) ولا من معناها ، وإنما أخذت من صيغ الأمر مع قرائن الأحوال " .

ونظير ما قاله السهيلي قول ابن هشام [(٣)] : " التحقيق أن (أو) موضوعة لأحد الشيئين أو الأشياء ، وهو الذي يقوله المتقدمون ، وقد تخرج إلى معنى (بل) وإلى معنى الواو ، وأما بقية المعاني فمستفادة من غيرها ... " .

وقال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ ... مِنْۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ [(٤)] : " إن قال قائل : فلم قال : (أو دين) ؟ وهلا كان (من بعد وصية يوصى بها ودين) ؟ فالجواب في هذا أن (أو) تأتي للإباحة فتأتي لواحد واحد على انفراد ، وتضم الجماعة ، فيقال: جالس الحسن أو الشعبي ، والمعنى : كل واحد من هؤلاء أهل أن يجالس ، فإن جالست الحسن فأنت مصيب ، ولو قلت : جالس الرجلين فجالست واحدا منهما وتركت الآخر كنت غير متبع ما أمرت به ، فلو كان : (من بعد وصية يوصى بها ودين) احتمل اللفظ أن يكون : هذا إذا اجتمعت الوصية والدين ، فإذا انفردا كان حكم

(١) معانيه ١/١٥٦ .
(٢) انظر نتائج الفكر ص٢٥٣ ، ٢٥٤ .
(٣) المغني ١/٦٧ .
(٤) النساء /١٢ .

آخر، فإذا كانت (أو) دلت على أن أحدهما إن كان فالميراث بعده، وكذلك إن كانا كلاهما " [1] .

وهذه الآية عقب عليها محقق المعاني بأن الزجاج يطلق الإباحة على التنويع ، ولست أرى فيما فصله الزجاج في الآية ما يحمل على القول بذلك ، والذي ذهب إليه الزجاج فيها من كون (أو) للإباحة هو المختار عند الزمخشري [2] وغيره [3] .

وقال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ [4] : " (أو) دخلت على طريق الإباحة كما قال عز وجل : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [5] ، فالمعنى : كل هؤلاء أهل أن يعصى ، فاعص هذا واعص هذا ، و(أو) بليغة في هذا المعنى ؛ لأنك إذا قلت : لا تطع زيدا وعمرا فجائز أن تكون نهيتني عن طاعتهما معا ، في حال إن أطعت زيدا على حدته لم أكن عصيتك ، وإذا قلت : لا تطع زيدا أو عمرا أو خالدا ، فالمعنى أن هؤلاء كلهم أهل ألا يطاع ، فلا تطع واحدا منهم ولا تطع الجماعة ، ومثله : جالس الحسن أو ابن سيرين أو الشعبي ، فليس المعنى أني آمرك بمجالسة واحد منهم ، ولكن معنى (أو) الإباحة ، المعنى : كلهم أهل أن يجالس ، فإن جالست واحدا منهم فأنت مصيب ، وإن جالست الجماعة فأنت مصيب " [6] .

وقد ذكر مثل هذا في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [7] في معاني سورة الإنسان [8] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ [9] : " (أو) ههنا دخلت على جهة تصرف الشيء ووقوعه إما مرة كذا وإما مرة كذا ، فهي في الخبر هنا بمنزلة (أو) في الإباحة ، تقول : جالس زيدا أو عمرا ، أي كل واحد منهما أهل أن يجالس ، و(أو) ههنا أحسن من الواو ؛ لأن الواو يتضمن اجتماع الشيئين،

---

(1) معانيه ٢/٢٣ ، ٢٤ .
(2) انظر الكشاف ١/٥٠٨ .
(3) انظر البحر المحيط ٣/١٨٦ ، والدر المصون ٣/٦٠٣ .
(4) الأنعام /١٧٦ .
(5) الإنسان /٢٤ .
(6) معانيه ٢/٣٠١ ، ٣٠٢ .
(7) الإنسان /٢٤ .
(8) انظر معانيه ٥/٢٦٣ .
(9) الأعراف /٤ .
(10) معانيه ٢/٣١٨ .

لو قلت : (ضربت القوم قياما وقعودا) لأوجبت الواو أنك ضربتهم وهم على هاتين الحالتين ، وإذا قلت : ضربتهم قياما أو قعودا ولم تكن شاكا فإنما المعنى أنك ضربتهم مرة على هذه الحال ومرة على هذه الحال " (1) .

مجيء (أو) للتخيير :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾(2) : " يجوز أن تكون (أو) ـ وهو الأجود في اللغة ـ للتخيير ، فإن شاء أهدى ، وإن شاء قوم له الهدي وأطعم بدله على ما وصفنا ، أو جعل مثل ذلك صياما ؛ لأن (أو) للتخيير ، وقال بعضهم : كأنه إن لم يقدر على الإبل والغنم فينبغي أن يطعم أو يصوم ، والذي يوجبه اللفظ التخيير ، وأهل الفقه أعلم بالسنة في ذلك إلا أني أختار على مذهب أهل اللغة أنه مخير " (3) .

قلت : وقد فرق العلماء بين التخيير والإباحة بأن التخيير يمتنع فيه الجمع بين المتعاطفين أو المتعاطفات ، في حين يجوز ذلك في الإباحة (4) .

مجيء (أو) للتفصيل :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾(5): " المعنى: قالت اليهود : كونوا هودا ، وقالت النصارى : كونوا نصارى " (6) ، وفي كلامه إشارة إلى أن (أو) في الآية للتفصيل بعد الإجمال ، قال المصرح في توجيه الآية : " (قالوا) كلام خبري ، وهو مشتمل على الواو العائدة على اليهود والنصارى ، فذكر الفريقين على الإجمال بالضمير العائد عليهما ثم فصل ما قاله كل فريق ... فـ(أو) لتفصيل الإجمال في فاعل (قالوا) وهو الواو " (7) .

(أم) المتصلة أو المعادلة :

تناول الزجاج (أم) المتصلة في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾(8) حيث قال : " وترفع (سواء) بالابتداء ، وتقوم (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) مقام الخبر ، كأنه بمنزلة قولك : سواء عليهم الإنذار وتركه ، و(سواء) موضوع

(1) معانيه 2/318 . (2) المائدة/95 . (3) معانيه 2/207 ، 208 .
(4) انظر أوضح المسالك ص188 . (5) البقرة/135 . (6) معانيه 1/213 .
(7) التصريح 2/145 . (8) البقرة/6 .

موضع (مستوي) ؛ لأنك لا تقيم المصادر مقام أسماء الفاعلين إلا وتأويلها تأويل أسمائهم ، فأما دخول ألف الاستفهام ودخول (أم) التي للاستفهام والكلام خبر فإنما وقع ذلك لمعنى التسوية ، والتسوية آلتها ألف الاستفهام و(أم) ، تقول : أزيد في الدار أم عمرو ؟ فإنما دخلت الألف و(أم) لأن علمك قد استوى في زيد وعمرو ، وقد علمت أن أحدهما في الدار لا محالة ، ولكنك أردت أن يبين لك الذي علمت ويخلص لك علمه من غيره ، فلهذا تقول : قد علمت أزيد في الدار أم عمرو ، وإنما تريد أن تسوي عند من تخبره العلم الذي قد خلص عندك ، وكذلك (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) دخلت الألف و(أم) للتسوية ... " [1] .

وقال في قوله تعالى :﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ... ﴾ [2] : " قال الخليل وسيبويه [3] : عطف (أنا) بـ(أم) على (أفلا تبصرون) لأن معنى (أم أنا خير) معنى : أم تبصرون ؟ كأنه قال : أفلا تبصرون أم تبصرون ؟ قال : لأنه إذا قالوا له : (أنت خير منه) فقد صاروا عنده بصراء " [4] .

ويقول ابن هشام [5] في توجيه الآية : المعطوف جملة (أنا خير) ، ووجه المعادلة بينها وبين الجملة التي قبلها أن الأصل : أم تبصرون ، ثم أقيمت الاسمية مقام الفعلية والسبب مقام المسبب ؛ لأنهم إذا قالوا له : (أنت خير) كانوا عنده بصراء ، وهذا معنى كلام سيبويه .

(أم) المنقطعة :

ذكر الزجاج ضابطها وفسرها بـ(بل) وهمزة الاستفهام في توجيه قوله تعالى : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ [6] فقال : " معنى (أم) ههنا وفي كل مكان لا تقع فيه عطفا على ألف الاستفهام - إلا أنها لا تكون مبتدأة - أنها تؤذن بمعنى (بل) ومعنى ألف الاستفهام " [7] ، وكذلك فسرها بـ(بل) والهمزة في قوله تعالى : ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾[9] ، وقوله تعالى :

---

(١) معانيه ٧٧/١ . (٢) الزخرف /٥١ ، ٥٢ . (٣) الكتاب ١٧٣/٣ .
(٤) معانيه ٤١٥/٤ . (٥) المغني ٤٤/٢ . (٦) البقرة /١٠٨ .
(٧) معانيه ١٩٢/١ . (٨) البقرة /١٣٣ ، معانيه ٢١٢/١ . (٩) النساء /٥٣ ، معانيه ٦٢/٢ .

﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ [2] .

ما يقتضي التشريك

في اللفظ دون المعنى :

[بل] تكلم الزجاج عن هذا الحرف في توجيه قوله تعالى :﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [3] فقال: " (بل) استدراك وإيجاب بعد نفي ، تقول : ما جاءني زيد بل عمرو " [4] .

عطف الظاهر على الضمير المنصوب :

أجاز الزجاج في قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ [5] أن يكون (أخي) في موضع نصب من جهتين : الأولى : أن يكون نسقا على الياء في (إني) ، والمعنى : إني وأخي لا نملك إلا أنفسنا ... والثانية : أن يكون معطوفا على (نفسي) ، فيكون المعنى : لا أملك إلا نفسي ولا أملك إلا أخي " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ...﴾ [7] : " نصب عطفا على الهاء والميم التي في قوله : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ [8] ، ويجوز أن يكون معطوفا على معنى (وأعتدنا للظالمين عذابا أليما) ويكون التأويل : وعدنا الظالمين بالعذاب ووعدنا عادًا وثمود وأصحاب الرس " [9] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ [10] : " (الجبلة الأولين) عطف على الكاف والميم ، المعنى : اتقوا الذي خلقكم وخلق الجبلة "[11].

وقد أجاز في توجيه قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [12] أن يكون (يوم) منصوبا من جهة كونه معطوفا على الهاء في الآية التي قبله في قوله : (وأن أقيموا الصلاة واتقوه ...)، والمعنى: واتقوا يوم يقول كن فيكون ، وأجاز أن يكون منصوبا

---

(1) النمل /٢٠ ، معانيه ١١٣/٤ .
(2) القمر /٤٤ ، معانيه ٩١/٥ .
(3) الأنعام /٤١ .
(4) معانيه ٢٤٧/٢ .
(5) المائدة /٢٥ .
(6) انظر معانيه ١٦٤/٢ ، ١٦٥ .
(7) الفرقان /٣٨ .
(8) الفرقان /٣٧ .
(9) معانيه ٦٨/٤ .
(10) الشعراء /١٨٤ .
(11) معانيه ١٠١/٤ .
(12) الأنعام /٧٣ .

بـ(اذكر) محذوفا ، وأن يكون منصوبا بالعطف على (السماوات والأرض) في قوله في الآية : (وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ...) أي : وخلق يوم يقول كن فيكون " [1] .

عطف الظاهر على الضمير المرفوع :

تحدث عن ذلك الزجاج في ثمانية مواضع وهي :

١- توجيه قوله تعالى : ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾[2] ، وفيه يقول : " كلام العرب: اذهب أنت وزيد ، والنحويون يستقبحون : اذهب وزيد ؛ لأنه لا يعطف بالاسم الظاهر على المضمر ، والمضمر في النية لا علامة له ، فكأن الاسم يصير معطوفا على ما هو متصل بالفعل غير مفارق له،فأما قوله :﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[3] فمن رفع فإنما يجوز ذلك لأن المفعول يقوي الكلام ، وكذلك : ضربت زيدا وعمرو، كما يقوي الكلام دخول (لا) ، قال الله جل ثناؤه : ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [4] " [5] .

٢- توجيه قوله تعالى : ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ [6] حيث أجاز فيه أن يكون (أخي) في موضع رفع من جهتين : الأولى : أن يكون نسقا على موضع (إني) ، والثانية : أن يكون عطفا على الضمير في قوله (أملك) ، والمعنى : أنا لا أملك أنا وأخي إلا أنفسنا [7] .

٣- توجيه قوله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ﴾ [8] حيث أجاز في توجيه القراءة برفع (العين) أن يكون عطفه على موضع (النفس) والعامل فيها ، وأن يكون رفعه على الاستئناف ، وأن يكون عطفا على المضمر في (بالنفس) لأنه في موضع رفع ، والمعنى أن النفس مأخوذة هي بالنفس ، والعين معطوفة على (هي) [9] .

٤- توجيه قوله تعالى : ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [10] ، وفيه يقول : " زعم

---

(١) معانيه ٢٦٣/٢ . (٢) المائدة /٢٤ . (٣) يونس /٧١ ، وانظر توجيهها في فصل المفعول معه ص٢٣٢. (٤) الأنعام /١٤٨ . (٥) معانيه ١٦٤/٢ .
(٦) المائدة /٢٥ . (٧) معانيه ١٦٤/٢ ، ١٦٥ . (٨) المائدة /٤٥ .
(٩) انظر معانيه ١٧٩/٢ . (١٠) الأنعام /١٤٨ .

سيبويه أن العطف بالظاهر على المضمر المرفوع قبيح ، يستقبح : قمت وزيد ، وقام وزيد ، فإذا جاءت (لا) حسن الكلام فقلت : قمت ولا زيد ، كما أنه إذا أكد فقال: (قمت أنت وزيد) حسن ، وهو جائز في الشعر " [1] .

٥ـ توجيه قوله تعالى : ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [2] ، وفيه يقول : " هذا الاختيار ـ أعني ذكر (أنت) ـ تقول : اذهب أنت وزيد ، ولو قلت : (اذهب وزيد) كان قبيحا " [3] .

٦ـ توجيه قوله تعالى : ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [4] حيث أجاز في القراءة برفع (شركاؤكم) أن يكون معطوفا على الواو في (فأجمعوا) ، وقال : " لأن المنصوب قد قوى الكلام ، لو قلت : لو تركت اليوم وزيد لعلمت ، ولو قلت : لو تركت وزيد لقبح ؛لأنك لا تعطف على الضمير المرفوع حتى تقوي المرفوع بلفظ معه"[5].

٧ـ توجيه قوله تعالى : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[6] حيث قال: "ويجوز (والطير) على النسق على ما في (يسبحن) ، ولا أعلم أحدا قرأ بها "[7] .

قلت : ورفع (الطير) في الآية قراءة أثبتها أبو البقاء العكبري [8] وأبو حيان [9] والسمين [10] والألوسي [11] ، ولم ينسبوها ، ووصفها العكبري بالشذوذ ، وما ذكره الزجاج في توجيهها اقتصر عليه مكي [12] ومشى عليه أبو البقاء ، وفيها وجه آخر ذكره هو وغيره ، وهو إعراب (الطير) مبتدأ محذوف الخبر ، والتقدير : والطير كذلك ، أو : مسخرات .

٨ـ توجيه قوله تعالى : ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾[13] ، وفيه يقول :" قال بعض أهل اللغة : (هو) ههنا يعني به النبي صلى الله عليه وسلم ، المعنى : فاستوى جبريل والنبي عليهما السلام بالأفق الأعلى،وهذا عند أهل اللغة لا يجوز مثله إلا في

---

(١) معانيه ٣٠٢/٢ . (٢) الأعراف / ١٩ . (٣) معانيه ٣٢٦/٢ .
(٤) يونس / ٧١ . (٥) معانيه ٢٧/٣ ، ٢٨ . (٦) الأنبياء / ٧٩ .
(٧) معانيه ٤٠٠/٣ . (٨) إملاء ما من به الرحمن ١٠/٤ . (٩) البحر المحيط ٣٣١/٦ .
(١٠) الدر المصون ١٨٥/٨ . (١١) روح المعاني ٧٦/١٧ .
(١٢) مشكل إعراب القرآن ٨٦/٢ . (١٣) النجم / ٦ ، ٧ .

الشعر إلا أن يكون مثل قولك : استويت أنا وزيد ، ويستقبحون : استويت وزيد ، وإنما المعنى : فاستوى جبريل وهو بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية " [1] .

عطف الظاهر على الضمير المخفوض :

تناول ذلك الزجاج في أربعة مواضع أطال القول في موضع منها ، وسنبدأ بالثلاثة التي لم يطل فيها ونختتم بالموضع الذي أطال فيه :

١ـ قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [2] : " القراءة نصب (الأرحام) ، المعنى : اتقوا الأرحام أن تقطعوها ، فأما الجر في الأرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر ، وخطأ أيضا في أمر الدين عظيم ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تحلفوا بآبائكم " ، فكيف يكون : تساءلون به وبالرحم على هذا ؟ رأيت أبا إسحاق إسماعيل بن إسحاق يذهب إلى أن الحلف بغير الله أمر عظيم ، وأن ذلك خاص لله عز وجل على ما أتت به الرواية ، فأما العربية فإجماع النحويين أنه يقبح أن ينسق باسم ظاهر على اسم مضمر في حال الجر إلا بإظهار الجار ، يستقبح النحويون : مررت به وزيد ، وبك وزيد ، إلا مع إظهار الخافض حتى يقولوا : بك وبزيد ، فقال بعضهم : لأن المخفوض حرف متصل غير منفصل ، فكأنه كالتنوين في الاسم ، فقبح أن يعطف باسم يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه ، وقد فسر المازني هذا تفسيرا مقنعا فقال : الثاني في العطف شريك للأول ، فإن كان الأول يصلح شريكا للثاني وإلا لم يصلح أن يكون الثاني شريكا له ، قال : فكما لا تقول : مررت بزيد وك فكذلك لا يجوز : مررت بك وزيد ، وقد جاء ذلك في الشعر ، أنشد سيبويه :

فاليم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب [3] " [4]

---

(١) معانيه ٥/٧٠ . (٢) النساء /١ .

(٣) البيت من البسيط ، قربت : أخذت وشرعت ، وانظر البيت في الكتاب ٢/٣٨٣ ، والخزانة ٥/١٢ : ١٣١ ، والأشموني ٣/١١٥ .

(٤) معانيه ٢/٦ ، ٧ .

وأقول : القراءة بخفض (الأرحام) قرأ بها حمزة من القراء السبعة [1] فهي قراءة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول أبو حيان [2] : " وقد قرأ بها سلف الأمة واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير واسطة كعثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وأقرأ الصحابة أبي بن كعب، فلا يسوغ لأحد أن يردها أو يسيء الظن بها ويقارئها ، والمأثور عن حمزة رضي الله عنه أنه لم يقرأ حرفا من كتاب الله إلا بأثر ، وكان صالحا ورعا ثقة في الحديث ، وقد قال فيه الثوري وأبو حنيفة ويحيى بن آدم:" غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض ".

وقد خطأ الزجاج ـ كما ترى ـ قراءة حمزة بجر (الأرحام) من جهتي اللفظ والمعنى، ودعواه الإجماع على قبح العطف المذكور لا نسلمها له ؛ لأنه إن أراد به ما يشمل البصريين والكوفيين جميعا لم يكن صحيحا ؛ إذ المنقول عن الكوفيين أنهم يذهبون إلى جوازه في الكلام والشعر[3]، وإن أراد به البصريين خاصة لم يكن دقيقا ؛ فقد ذكر العلماء أن بعض البصريين وافقوا الكوفيين فيما ذهبوا إليه من إجازة ذلك ، ومنهم يونس والأخفش وقطرب [4] .

والعلة التي نسبها لبعض النحويين هي لسيبويه [5] حيث يقول : " ومما يقبح أن يشركه المظهر علامة المضمر المجرور ، وذلك قولك : مررت بك وزيد ، وهذا أبوك وعمرو ، كرهوا أن يشرك المظهر مضمرا داخلا فيما قبله ؛ لأن هذه العلامة الداخلة فيما قبلها جمعت أنها لا يتكلم بها إلا معتمدة على ما قبلها ، وأنها بدل من اللفظ بالتنوين ... " ، والعلة التي نسبها للمازني نقلها السيرافي [6] عن المازني أيضا ، وذكر أن المبرد يتبع المازني في القول بها .

وهاتان العلتان مردودتان عند المحققين ومنهم ابن مالك وابن هشام ، أما الأولى فقالوا : لو كان شبه الضمير بالتنوين مانعا من العطف عليه لكان مانعا من توكيده والإبدال منه كما يمنع ذلك في التنوين ، والتوكيد والإبدال لا يمنعان مع الضمير بإجماع .

(١) انظر السبعة لابن مجاهد ص٢٢٦ ، والحجة لأبي علي الفارسي ٣/١٢١ .

(٢) البحر ٣/١٥٨ .

(٣) و(٤) انظر : همع الهوامع ٢/١٣٩ ، والأشموني ٣/١١٤ ، ١١٥ .

(٥) الكتاب ٢/٣٨١ .

(٦) حاشية الكتاب ٢/٣٨١ .

وأما الثانية فقالوا : ليس شرطا أن يصلح المتعاطفان لحلول كل منهما محل الآخر، ولو كان شرطا لما جاز نحو : رب رجل وأخيه ، ولا : كل شاة وسخلتها بدرهم ونحو ذلك مما لا يصلح فيه الحلول [١] .

وقال أبو حيان [٢] : تعليل المازني معترض بأنه يجوز أن تقول : رأيتك وزيدا ، ولا يجوز : رأيت زيدا وك ، فكان القياس في (رأيتك وزيدا) أن لا يجوز .

وأما تخطئة الزجاج لقراءة حمزة من جهة المعنى فجوابه ما قاله بعضهم من أن هذا حكاية ما كان عليه المخاطبون بالآية ، فإنه كثر على ألسنتهم قولهم : سألتك بالله وبالرحم [٣] .

٢- وقال الزجاج في قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾[٤] : " موضع (ما) رفع ، المعنى : الله يفتيكم فيهن ، وما يتلى عليكم في الكتاب أيضا يفتيكم فيهن ، ويجوز أن يكون (ما) في موضع جر ، وهو بعيد جدا ؛ لأن الظاهر لا يعطف على المضمر ، فلذلك اختير الرفع ... " [٥] .

وقوله : لا يعطف على المضمر يعني المجرور كما هو الشأن في الآية .

٣- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ [٦] : " من فتح - يعني همزة (أن) - فذكر بعض النحويين أنه معطوف على الهاء [٧] ، المعنى عنده : فآمنا به وبأنه تعالى جد ربنا ، وكذلك ما بعد هذا عنده ، وهذا رديء في القياس ، لا يعطف على الهاء المكنية المخفوضة إلا بإظهار الخافض ، ولكن وجهه أن يكون محمولا على معنى (آمنا به) ؛ لأن معنى (آمنا به) : صدقناه وعلمناه ، ويكون المعنى : وصدقنا أنه تعالى جد ربنا " [٨] .

٤- وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [٩] : " (المقيمين الصلاة) نسق على (ما) ، المعنى: يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة، أي : ويؤمنون بالنبيين المقيمين

(١) انظر همع الهوامع٢/١٣٩. (٢) البحر المحيط٣/١٥٧. (٣) انظر الخزانة٥/١٢٨. (٤) النساء/١٢٧.
(٥) معانيه ٢/١١٤ . (٦) الجن /٣ . (٧) في قوله تعالى في الآية ٢ : ﴿يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾
(٨) معانيه ٥/٢٣٣ . (٩) النساء /١٦٢ .

الصلاة ، وقال بعضهم : (المقيمين) عطف على الهاء والميم ، المعنى : لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك ، وهذا عند النحويين رديء ، أعني العطف على الهاء والميم ؛ لأنه لا يعطف بالظاهر المجرور على المضمر المجرور إلا في شعر ... ولسيبويه والخليل وجميع النحويين في هذا باب يسمونه باب المدح قد بينوا فيه صحة هذا وجودته ، وقال النحويون : إذا قلت: (مررت بزيد الكريم) وأنت تريد أن تخلص زيدا من غيره فالجر هو الكلام حتى تعرف زيدا الكريم من زيد غير الكريم ، وإذا أردت المدح والثناء فإن شئت نصبت فقلت : مررت بزيد الكريمَ كأنك قلت : أذكر الكريم ، وإن شئت قلت : بزيد الكريمُ على : هو الكريم ، وجاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد ، وعلى هذا الآية ؛ لأنه لما قال : (يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) علم أنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فقال : والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة ، على معنى : اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة ، وأنشدوا بيت الخرنق بنت بدر ابن هفان :

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر (١)

على معنى : اذكر النازلين ، رفعه ونصبه على المدح ، وبعضهم يرفع النازلين وينصب الطيبين ، وكله واحد جائز حسن ، فعلى هذا الآية ... والذي ذكرناه من الاحتجاج في ذلك مذهب أصحابنا البصريين " (٢) .

عطف الفعل على الفعل :

من مواضعه عند الزجاج :

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (٣) ، وقد أثبته على القراءة المشهورة برفع (يكون) وقال : " رفع (يكون) من جهتين : إن شئت على العطف على (يقول) ، وإن شئت على الاستئناف ، المعنى : فهو يكون " (٤) .

---

(١) البيتان من بحر الكامل ، من شواهد الكتاب ٢٠٢/١ ، ٥٨/٢ ، ٦٤ ، وانظرهما في شرح الكافية للرضي ٢/ ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، وخزانة الأدب ٤١/٥ ، ٤٢ .

(٢) معانيه ١٣١/٢ ، ١٣٢ .   (٣) البقرة /١١٧ .   (٤) معانيه ١٩٩/١ .

- توجيه قوله تعالى : ﴿سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [1] ، وفيه يقول : " نصب (ليفسد) على إضمار (أن) ، المعنى : لأن يفسد فيها ، وعطف (ويهلك) على (يفسد) ، ويجوز أن يكون (ويهلكُ الحرث والنسل) على الاستئناف ، أي : وهو يهلك الحرث والنسل ، أي يعتقد ذلك " [2] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ [3] ، وفيه يقول : " القراءة (فيضاعفَه) وقرءوا (فيضاعفُه) ، بالنصب والرفع ، فمن رفع عطف على (يقرض) ، ومن نصب على جواب الاستفهام " [4] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [5] ، وقد أثبته على القراءة بفتح الميم في (ويعلم الصابرين) ثم قال : " وقرأها الحسن : (ويعلمِ الصابرين) بالكسر على العطف ، ومن قرأ (ويعلمَ الصابرين) فعلى النصب بالواو ، المعنى : ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين " [6] .

وهو يشير إلى شرط اتحاد زمان الفعلين إذا عطف أحدهما على الآخر ، وذلك في موضعين :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[7]، وفيه يقول : " (ونطبع على قلوبهم) ليس بمحمول على (أصبناهم) ، المعنى : ونحن نطبع على قلوبهم ؛ لأنه لو حمل على (أصبناهم) لكان : (ولطبعنا) ؛ لأنه على لفظ الماضي وفي معناه ، ويجوز أن يكون محمولا على الماضي ولفظه لفظ المستقبل كما أن (لو نشاء) معناه : لو شئنا " [8] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[9] ، وفيه يقول: " (يصدون) لفظ مستقبل عطف به على لفظ الماضي ؛ لأن معنى (إن الذين كفروا) : الذين هم كافرون ، فكأنه قال : إن الكافرين والصادين " [10] .

هذا ، وفي فصل (إعراب الفعل) أمثلة كثيرة لهذا النوع من العطف .

---

(1) البقرة /205 . (2) معانيه 277/1 . (3) البقرة /245 .
(4) معانيه 324/1 . (5) آل عمران /142 . (6) معانيه 472/1 .
(7) الأعراف /100 . (8) معانيه 361/2 . (9) الحج /25 .
(10) معانيه 420/3 .

عطف الفعل على اسم مشبه له :

قال الزجاج في قوله تعالى:﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾[1]: " معطوف على (وجيها)[2]، المعنى : يبشرك به وجيها ومكلما الناس في المهد ، وجائز أن يعطف (يفعل) على (فاعل) لمضارعة (يفعل) (فاعل) ، قال الشاعر :

بات يعشيها بعضب باتر
يقصد في أسوقها وجائر [3] " [4]

عطف الجار والمجرور على الاسم :

قال الزجاج في قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾[5]:" معناه: ومضطجعين ، وصلح في اللغة أن يعطف بـ(على) على (قياما وقعودا) لأن معناه ينبئ عن حال من أحوال تصرف الإنسان ، تقول : أنا أسير إلى زيد ماشيا وعلى الخيل ، المعنى: ماشيا وراكبا " [6] .

العطف على الموضع :

قال الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [7] : " وقرأ الحسن : أولئك عليهم لعنة الله والملائكةُ والناسُ أجمعون ، وهو جيد في العربية إلا أني أكرهه لمخالفته المصحف ، والقراءة إنما ينبغي أن يلزم فيها السنة ، ولزوم السنة فيها أيضا أقوى عند أهل العربية ؛ لأن الإجماع في القراءة إنما يقع على الشيء الجيد البالغ ، ورفع (الملائكة) في قراءة الحسن على تأويل : أولئك جزاؤهم أن لعنهم الله والملائكةُ ، فعطف (الملائكة) على موضع إعراب (الله) في التأويل ، ويجوز على هذا : عجبت من ضرب زيد وعمرٌو ، ومن قيامك وأخوك ، المعنى :عجبت من أن ضرب زيد وعمرو ، ومن أن قمت أنت وأخوك " [8] .

قلت : ومقتضى توجيه الزجاج لقراءة الحسن هنا ثلاثة أمور :

---

(١) آل عمران /٤٦ .
(٢) في قوله تعالى : ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ، آل عمران /٤٥ .
(٣) من مشطور الرجز ، و(يعشيها) : يطعمها العشاء ، والضمير للإبل ، والعضب : السيف ، وانظره في معاني الفراء ٢١٣/١ ، والخزانة ١٤٠/٥ .
(٤) معانيه ٤١٢/١ . (٥) آل عمران /١٩١ . (٦) معانيه ٤٩٨/١ ، ٤٩٩ .
(٧) البقرة /١٦١ . (٨) معانيه ٢٣٦/١ .

أولها : أن (لعنة) من المصادر التي تعمل وأنه ينحل لـ(أن) والفعل ، والثاني : أن لفظ الجلالة له موضع من الإعراب ، وموضعه رفع على الفاعلية ، والثالث : أنه يجوز العطف على الموضع ولو لم يكن ثم طالب له ومحرز لا يتغير ، وذلك مذهب الكوفيين وبعض البصريين [1] ومنهم الزجاج كما رأينا .

وبيان انعدام المحرز المذكور في هذا التوجيه أنه لو رفع الفاعل بعد ذكر المصدر لم يجز ذلك إلا بعد تنوين المصدر ، وإذا نون المصدر فقد تغير بتنوينه ، فليس في الآية محرز أو طالب للموضع لا يتغير .

وقد منع أبو حيان [2] توجيه قراءة الحسن بما وجهها به الزجاج ، وذكر أن المصدر وهو (لعنة) لا ينحل لـ(أن) والفعل ؛ لأنه لا يراد به العلاج ، وأن شرط جواز العطف على الموضع وجود محرز له لا يتغير ، وهو غير متحقق في الآية ، ثم ذكر لتخريجها ثلاثة أوجه : الأول : أنها على إضمار فعل رافع لما لم يمكن العطف ، والتقدير : وتلعنهم الملائكة ، والثاني : أن (الملائكة) وما بعده معطوف على (لعنة الله) على حذف مضاف ، أي : لعنة الله ولعنة الملائكة ، فلما حذف المضاف أعرب المضاف إليه بإعرابه ، والثالث : أنه مبتدأ حذف خبره لفهم المعنى ، أي : والملائكة والناس أجمعون يلعنونهم .

وقال الزجاج في قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ ...﴾ [3] : " يجوز (ولا طائرٌ) بالرفع على العطف على موضع (دابة) ، التأويل : وما دابة في الأرض ولا طائر ، والجر أجود وأكثر على معنى : وما من دابة ولا طائر " [4] .

قلت : وهذا الرفع الذي أجازه قراءة غير متواترة تنسب لابن أبي عبلة [5] .

وقال في قوله تعالى : ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ [6] : " يجوز الجزم والرفع في (يذرهم) ، فمن جزم عطف على موضع الفاء ، المعنى : من يضلل الله يذره في طغيانه عامها ، ومن قرأ (ويذرُهم) بالرفع فهو رفع على الاستئناف " [7] .

(1) المغني ٢/٤٧٤ .
(2) البحر المحيط ١/٤٦٠ ، ٤٦١ .
(3) الأنعام /٣٨ .
(4) معانيه ٢/٢٤٥ .
(5) البحر ٤/١١٩ ، وروح المعاني ٧/١٤٣ .
(6) الأعراف /١٨٦ .
(7) معانيه ٢/٣٩٣ .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [1] : " يقرأ (يعقوبُ) و(يعقوبَ) بالرفع والنصب ... فأما من قرأ (ومن وراء إسحاق يعقوبَ) فـ(يعقوب) في موضع نصب محمول على موضع (فبشرناها بإسحاق) أو محمول على المعنى ، المعنى : وهبنا لها إسحاق ووهبنا لها يعقوب ، ومن قرأ (ويعقوبُ) فرفعه على ضربين : أحدهما الابتداء مؤخر معناه التقديم ، المعنى : ويعقوب محدث لها من وراء إسحاق ، ويجوز أن يكون مرفوعا بالفعل الذي يعمل في (من وراء) كأنه : وثبت لها من وراء إسحاق يعقوب ، ومن زعم أن (يعقوب) في موضع جر فخطأ زعمه ذلك؛ لأن الجار لا يفصل بينه وبين المجرور ، ولا بينه وبين الواو العاطفة ، لا يجوز : مررت بزيد في الدار والبيت عمرو ، ولا : وفي البيت عمرو ، حتى تقول : وعمرو في البيت " [2] .

وقال في قوله تعالى :﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ﴾[3]:" القراءة النصب في قوله : (يدخلكم) عطفا على (أن يكفر) ، ولو قرئت بالجزم لكان وجها ، يكون محمولا على موضع : عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ؛ لأن تأويله : توبوا إلى الله توبة نصوحا يكفر عنكم سيئاتكم ؛ لأن (عسى) من الله واجبة " [4] .

قلت : القراءة بالجزم هنا قراءة غير متواترة نسبها الزمخشري[5] إلى ابن أبي عبلة ، ووجهها بنحو ما ذكره الزجاج ، وحقيقة العطف هنا أنه عطف على المعنى لا على الموضع .

وتقدم من مواضع ذلك توجيه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ في فصل إن وأخواتها ، وكلامه هناك يتفق مع ما ذهب إليه الجمهور من اشتراط وجود المحرز في العطف على الموضع ، ويمكن أن يقال إن الزجاج يتساهل في هذا الشرط إذا كان العامل في محل المعطوف عليه اسما مشبها للفعل ولم يكن منونا ولا مضافا إلى غير المعمول ولا مقرونا بـ(أل) كما اتضح هنا من توجيه قراءة الحسن المذكورة .

---

(١) هود /٧١ . (٢) معانيه ٦٢/٣ . (٣) التحريم /٨ .
(٤) معانيه ١٩٥/٥ . (٥) الكشاف ٤٥٧/٤ .

العطف على المعنى :

تقدم من أمثلته هنا توجيه قوله تعالى : ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ ، وقوله : ﴿يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلكُمْ﴾ ، وفيما يلي أمثلة أخرى :

ـ ذكر في توجيه قوله تعالى :﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ ...﴾[1] أنه قرئ (والعينُ) بالرفع ، وأن رفعه على وجهين : الأول : على العطف على موضع (النفس بالنفس) والعامل فيها ، المعنى : وكتبنا عليهم فيها : النفسُ بالنفس ، أي قلنا لهم : النفس بالنفس ... ، والثاني : أن يكون رفعه على الاستئناف ، ثم أجاز وجها آخر وهو أن يكون (العينُ) عطفا على المضمر في (بالنفس) لأنه في موضع رفع، والمعنى : أن النفس مأخوذة هي بالنفس ، و(العين) معطوفة على هي [2] .

ـ قال في قوله تعالى : ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ﴾ [3] : " (أو) نسق على (من شفعاء) كأنهم قالوا : هل يشفع لنا شافع أو نرد " [4] .

ـ قال في قوله تعالى : ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ [5] : " قرئت : (وقومِ نوح) بالجر ، و(قومَ نوح) بالنصب ، فمن جر فالمعنى : وفي قوم نوح آية ، ومن نصب فهو عطف على معنى قوله :﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[6]، ومعنى (أخذتهم الصاعقة) : أهلكناهم ، فالمعنى : وأهلكنا قوم نوح من قبل ، والأحسن ـ والله أعلم ـ أن يكون محمولا على قوله : ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ﴾ [7] ؛ لأن المعنى : فأغرقناه وجنوده وأغرقنا قوم نوح من قبل " [8] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾[9] : " (وحورٍ عين) ، وقرئت بالرفع ، والذين قرءوا بالرفع كرهوا الجر ؛ لأنه عطف على قوله : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ ... بِأَكْوَابٍ﴾ [10] فقال : والحور العين ليس مما يطاف به ، ولكنه مجرور على غير ما ذهب إليه هؤلاء؛ لأن المعنى : يطوف عليهم ولدان بأكواب ، ينعمون بهذا ، وكذلك ينعمون بلحم طير، وكذلك ينعمون بحور عين ، ومن قرأها بالرفع فهو أحسن الوجهين ؛ لأن معنى يطوف

---

(1) المائدة/ ٤٥ . (2) انظر معانيه ٢/١٧٩ . (3) الأعراف/ ٥٣ .
(4) معانيه ٢/٣٤٢ . (5) الذاريات/ ٤٦ . (6) الذاريات/ ٤٤ .
(7) الذاريات/ ٤٠ . (8) معانيه ٥/٥٧ . (9) الواقعة/ ٢٢ .
(10) الواقعة/ ١٧ ، ١٨ .

عليهم ولدان مخلدون بهذه الأشياء بمعنى ما قد ثبت لهم، فكأنه قال: ولهم حور عين، ومثله مما حمل على المعنى قول الشاعر :

بادت وغير آيهن مع البلى — إلا رواكد جمرهن هباء
ومشجج أما سواء قذاله — فبدا وغير ساره المعزاء [1]

لأنه لما قال :(إلا رواكد) كان المعنى : بها رواكد ، فحمل (مشجج) على المعنى ، وقد قرئت (وحورا) بالنصب على الحمل على المعنى أيضا ؛ لأن المعنى : يعطون هذه الأشياء ويعطون حورا عينا ، إلا أن هذه القراءة تخالف المصحف الذي هو الإمام ، وأهل العلم يكرهون أن يقرأ بما خالف الإمام " [2] .

قلت : وما سار عليه الزجاج في توجيه رفع (حور) بالعطف حملا على المعنى هو ما سار عليه سيبويه [3] ، وقد اقتصر عليه مكي في المشكل [4] ، وما أجازه من العطف حملا على المعنى في توجيه جره تبعه في إجازته مكي ، والقراءة بنصبه قراءة غير متواترة تنسب إلى أبيّ وعبد الله [5] ، وقد وجهها الفارسي [6] والعكبري [7] ومكي [8] والزمخشري [9] والألوسي [10] كما وجهها الزجاج .

وقال في قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ﴾ [11] : " من قرأ (فأصدق وأكنْ من الصالحين) فـ(أصدق) جواب (لولا أخرتني) ، ومعناه : هلا أخرتني، وجزم (وأكن) على موضع (فأصدق) لأنه على معنى : إن أخرتني أصدق وأكن من الصالحين ، ومن قرأ (وأكونَ) فهو على لفظ : (فأصدقَ وأكونَ) " [12] .

وما ذكره الزجاج في توجيه جزم (وأكن) ذكر مثله أبو علي الفارسي في الحجة [13]، وسار عليه مكي[14] والزمخشري[15] ، ونسبه ابن هشام [16] إلى السيرافي والفارسي وقال :

---

(1) البيتان من بحر الكامل،والراجح أنهما للشماخ ، ونسبا لذي الرمة،وهما من شواهد الكتاب١/١٧٣ ، ١٧٤ ، والرواكد : الأثافي ، والمشجج : الوتد ، وقذاله : أعلاه ، وساره : سائره أي جميعه ، والمعزاء : الأرض الغليظة ذات الحجارة ، وانظر كتاب الشعر لأبي علي ٢/٥٣٨ ، ٥٣٩ .

(2) معانيه ٥/١٠٧ . (3) الكتاب ١/١٧٢ . (4) ٢/٣٥١ .

(5) روح المعاني ٢٧/١٣٨ . (6) الحجة ٦/٢٥٥ . (7) الإملاء ٤/٣٧٥ .

(8) المشكل ٢/٣٥١ . (9) الكشاف ٤/٣٦٦ . (10) روح المعاني ٢٧/١٣٨ .

(11) المنافقون /١٠ . (12) معانيه ٥/١٧٨ . (13) ٦/٢٩٣ .

(14) الكشف ٢/٣٢٢ . (15) الكشاف ٤/٤٣٦ . (16) المغني ٢/٢٧٧ .

يرده أنهما يسلمان أن الجزم في نحو : (ائتني أكرمك) بإضمار الشرط ، فليست الفاء هنا وما بعدها في موضع جزم ؛ لأن ما بعد الفاء منصوب بـ(أن) مضمرة ، و(أن) والفعل في تأويل مصدر معطوف على مصدر متوهم مما تقدم، فكيف تكون الفاء مع ذلك في موضع الجزم وليس بين المفردين المتعاطفين شرط مقدر ؟ ، وقال الألوسي [1] بعد نقل توجيه الزجاج وأبي علي : حكى سيبويه [2] عن الخليل أنه على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ؛ لأن الشرط غير ظاهر ، ولا يقدر حتى يعتبر العطف على الموضع ... بيد أن التعبير بالتوهم هنا ينشأ منه توهم قبيح ، والفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهم أن العامل في العطف على الموضع موجود وأثره مفقود ، والعامل في العطف على التوهم مفقود وأثره موجود ، قال : واستظهر أن الخلاف لفظي، فمراد أبي علي والزجاج العطف على الموضع المتوهم أي المقدر ؛ إذ لا موضع هنا في التحقيق ، لكنهما فرا من قبح التعبير .

وقد مشى أبو البقاء العكبري [3] وابن هشام [4] على أن الجزم في (وأكن) بالحمل على المعنى وفاقا للخليل وسيبويه ، وهو مراد الزجاج وأبي علي كما ذكر الألوسي .

العطف على معمولي عاملين :

تناوله الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [5] ، وفيه يقول : " تقرأ (آياتٌ) و(آياتٍ) بخفض التاء ، وهي في موضع نصب على العطف على قوله : ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ﴾ [6] ، المعنى : إن في خلقكم لآيات ، ومن قرأ (آياتٌ) فعلى ضربين : على الاستئناف على معنى : وفي خلقكم آيات ، وعلى موضع (إن) مع ما عملت فيه ، تقول : إن زيدا قائم وعمراً وعمرٌو ، فتعطف بـ(عمرا) إذا نصبت ، وإذا رفعت فعلى موضع (إن) مع (زيدًا) ، فإن معنى (إن زيدًا قائم) : زيد قائم ، وقوله : (واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) إلى قوله : (آيات لقوم يعقلون) يقرأ بالرفع وبكسر التاء والتنوين ، والموضع موضع نصب ، ويكون قوله : (واختلاف الليل والنهار) عطف على قوله :

---

(1) روح المعاني ١١٧/٢٨ . (2) الكتاب ١٠٠/٣ . (3) الإملاء ٤٠٠/٤ .
(4) روح المعاني ١١٧/٢٨ . (5) الجاثية /٤ . (6) الجاثية /٣ .

(وفي خلقكم) وعلى قوله : (إن في السماوات والأرض) وإن في (اختلاف الليل والنهار) آيات ، وهذا عطف على عاملين ، ومثله من الشعر :

أكل امرئ تحسبين امرءا ونار توقد بالليل نارا (1)

عطف على ما عملت فيه (كل) وما عملت فيه (تحسبين) ، وقد أباه بعض النحويين وقالوا : لا يجوز إلا الرفع في قوله : ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ﴾ وجعله عطفا على عامل واحد على معنى : واختلاف الليل والنهار وتصريف الرياح آيات ، وهذا أيضا عطف على عاملين ؛ لأنه يرفع (آيات) على العطف على ما قبلها كما خفض (واختلاف) على العطف على ما قبلها، ويكون معطوفا إن شئت على موضع (إن) وما عملت فيه ، وإن شئت على قراءة من قرأ ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ﴾ " (2) .

حذف الواو ومعطوفها للدليل :

من أمثلته عند الزجاج قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ (3) ، وفيه يقول : " ويجوز أن يكون (ولا ينفقونها) : ولا ينفقون الفضة ، وحذف الذهب لأنه داخل في الفضة ، كما قال الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف (4)

يريد : نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض ، فحذف (راضون) فكذلك يكون المعنى : والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل الله ، والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله " (5) .

وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ (6) ، وفيه يقول : " يجوز أن يكون المعنى : وقدرها منازل ، فحذف أحدهما اختصارا وإيجازا ، كما قال الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف " (7)

---

(1) البيت من المتقارب ، لأبي دؤاد وينسب لعدي بن زيد ، من شواهد الكتاب ٦٦/١ ، وانظره في كتاب الشعر لأبي علي ٤٤/١ ، والمسائل الشيرازيات ٢٣٥/١ .

(2) معانيه ٤٣١/٤ ، ٤٣٢ . (3) التوبة /٣٤ .

(4) البيت من المنسرح لقيس بن الخطيم ، ديوانه ص٤٥ وجمهرة أشعار العرب ٦٦٢/٢ ، وانظر الكتاب ٧٤/١ .

(5) معانيه ٤٤٥/٢ . (6) يونس /٥ . (7) معانيه ٧/٣ .



الفصل الثالث والثلاثون

البدل

النص على البدل وبيان المبدل منه :

من أمثلته :

ـ قول الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[1] : " يخفض (غير) على وجهين : على البدل من (الذين) كأنه قال : صراط غير المغضوب عليهم ، ويستقيم أن يكون (غير المغضوب عليهم) من صفة (الذين) ... " [2] .

ـ وقوله في توجيه قوله تعالى : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ [3] : " الرفع والخفض جائزان جميعا ـ يعني رفع (فئة) وجره ـ فأماَ من رفع فالمعنى : إحداهما تقاتل في سبيل الله والأخرى كافرة ، ومن خفض جعل (فئةٍ تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) بدلا من (فئتين) ، المعنى : قد كان لكم آية في فئة تقاتل في سبيل الله وفي أخرى كافرة ، وأنشدوا بيت كثير على جهتين :

وكنت كذي رجلين رجلٌ صحيحة ورجلٌ رمى فيها الزمان فشلت [4]

وأنشدوا أيضا: رجلٍ صحيحةٍ ورجلٍ رمى فيها الزمان، على البدل من الرجلين "[5].

ـ قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾ [6] ، وفيه يقول : " الرفع في (جنات) القراءة ، والخفض جائز على أن تكون (جنات) بدلا من (خير) [7] ، المعنى : أؤنبئكم بجنات تجري من تحتها الأنهار ، ويكون (للذين اتقوا عند ربهم) من تمام الكلام الأول " [8] .

---

(١) الفاتحة /٧ .　(٢) معانيه ١/٥٣ .　(٣) آل عمران /١٣ .

(٤) من بحر الطويل ، وهو من شواهد الكتاب ١/٤٣٣ ، وانظره في شرح الكافية للرضي ٢/٤١١ ، وخزانة الأدب ٥/٢١١ .

(٥) معانيه ١/٣٨١ .　(٦) آل عمران /١٥ .

(٧) في قوله تعالى في صدر الآية : ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ .　(٨) معانيه ١/٣٨٤ .

ـ قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1]، وفيه يقول: " موضع (من) خفض على البدل من (الناس) ، المعنى : ولله على من استطاع من الناس حج البيت " [2] ، وهذه الآية مثل بها ابن هشام [3] لما تقرر من أنه لا بد في بدل البعض من اتصاله بضمير يرجع إلى المبدل منه ليربط البعض بكله ، وأن ذلك الضمير قد يكون مقدرا كما في الآية ، والتقدير : من استطاع منهم .

ـ قوله تعالى : ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ [4] ، وفيه يقول : " (كثير منهم) يرتفع من ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون بدلا من الواو ، كأنه لما قال : (عموا وصموا) أبدل الكثير منهم ، أي عمي وصم كثير منهم ، كما تقول : جاءني قومك أكثرهم ، وجائز أن يكون جمع الفعل مقدما كما حكى أهل اللغة (أكلوني البراغيث) ، والوجه أن يكون (كثير منهم) خبر ابتداء محذوف ، المعنى : ذو العمى والصم كثير منهم " [5].

وهذه الآية مثل بها ابن هشام والمصرح [6] لاشتمال بدل البعض على ضمير يرجع إلى المبدل منه ، وأن الضمير هنا ليس متصلا بالبدل ، وحكمه حكم المتصل به ، قال المصرح : فـ(كثير) بدل من الواو الأولى فقط ، والواو الثانية عائدة على (كثير) لأنه مقدم رتبة ، والأصل ـ والله أعلم ـ ثم عموا كثير منهم وصموا .

ـ قوله تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي﴾ [7] ، وفيه يقول : " يجوز (هارونَ) بالفتح وهو في موضع جر بدلا من (أخيه) ، ويجوز (لأخيه هارونُ) بضم النون ويكون المعنى : وقال موسى لأخيه : يا هارون اخلفني في قومي " [8] .

ـ قوله تعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [9] ، وفيه يقول : " من قرأ (خلْقه) بتسكين اللام فعلى وجهين : أحدهما : المصدر الذي دل عليه (أحسن) ، فالمعنى: الذي خلق كل شيء خلقه ، ويجوز أن يكون على البدل فيكون المعنى : أحسن في كل شيء خلقه ... " [10] .

---

(1) آل عمران /٩٧ . (2) معانيه ٤٤٧/١ . (3) أوضح المسالك ص١٩٣ .
(4) المائدة /٧١ . (5) معانيه ١٩٥/٢ ، ١٩٦ . (6) التصريح ١٥٦/٢ .
(7) الأعراف /١٤٢ . (8) معانيه ٣٧٢/٢ . (9) السجدة /٧ .
(10) معانيه ٢٠٤/٤ .

ـ قوله تعالى : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ﴾ [1] ، وفيه يقول : " على إضافة الزينة إلى الكواكب ، وعلى هذا أكثر القراء ، وقد قرئت بالتنوين ، والمعنى أن الكواكب بدل من الزينة ، المعنى : إنا زينا السماء الدنيا بالكواكب ، ويجوز : (بزينةٍ الكواكبَ) وهي أقل القراءة على معنى بأن زينا الكواكب ، ويجوز أن تكون (الكواكبَ) في النصب بدلا من قوله :(بزينةٍ) ؛ لأن (بزينة) في موضع نصب ..."[2].

ـ قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [3] ، وفيه يقول : " تقرأ (بخالصةِ ذكرى الدار) على إضافة (خالصة) إلى (ذكرى) ، ومن قرأ بالتنوين جعل (ذكرى الدار) بدلا من (خالصة) ويكون المعنى : إنا أخلصناهم بذكرى الدار "[4] .

الغرض من البدل :

بين الزجاج في مواضع من معانيه أن الغرض منه بيان المبدل منه وتفسيره ، وفيما يلي مواضع ذلك :

ـ قال في قوله تعالى : ﴿نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [5] : " القراءة على الجمع ، وقال بعضهم : (وإله أبيك) ، كأنه كره أن يجعل العم أباه ، وجعل (إبراهيم) بدلا من (أبيك) مبينا عنه ... " [6] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [7] : " (شياطين الإنس والجن) منصوب على البدل من (عدوا) ومفسرا له ، ويجوز أن يكون منصوبا على أنه مفعول ثان ، المعنى : وكذلك جعلنا شياطين الجن والإنس أعداء للأنبياء وأممهم " [8] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ . جَهَنَّمَ﴾ [9] : " (جهنم) بدل من قوله (دار البوار) ومفسره " [10] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [11] :

(١) الصافات /٦ . (٢) معانيه ٢٩٨/٤ . (٣) سورة ص /٤٦ .
(٤) معانيه ٣٣٦/٤ . (٥) البقرة /١٣٣ . (٦) معانيه ٢١٢/١ .
(٧) الأنعام /١١٢ . (٨) معانيه ٢٨٤/٢ . (٩) إبراهيم /٢٨ ، ٢٩ .
(١٠) معانيه ١٦٢/٣ . (١١) الحجر /٦٦ .

" موضع (أن) نصب ، وهو بدل من قوله : (وقضينا إليه ذلك الأمر) ، ثم فسر ما الأمر " [1] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ [2] : " (عبدنا) منصوب بوقوع الفعل عليه ، و(أيوب) بدل من (عبدنا) ؛ لأن (أيوب) هو الاسم الخاص ، لا يكون نعتا إنما يكون بدلا مبينا " [3] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا . نِصْفَهُ ...﴾[4] : " المعنى - والله أعلم - أن (نصفه) بدل من (الليل) ، وهو أوكد من قولك : ضربت رأس زيد ، فالمعنى : قم نصف الليل إلا قليلا أو انقص من النصف أو زد على النصف " [5] .

أنواع البدل :

لم يهتم الزجاج بذكر نوع البدل إلا في بدل الاشتمال ، وقد جاء ذكره في توجيه قوله تعالى : ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ [6] ، وفيه يقول : " موضع (أن) نصب على البدل من (الساعة) ، المعنى : فهل ينظرون إلا أن تأتيهم الساعة بغتة ، وهذا من البدل المشتمل على الأول في المعنى ، وهو نحو قوله : ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ﴾ [7] ، المعنى : لولا أن تطؤوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات " [8] .

إبدال الظاهر من الضمير :

من أمثلته عند الزجاج :

- توجيه قوله تعالى : ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ﴾ [9] ، وفيه يقول :"(أوليان) في قول أكثر البصريين يرتفعان على البدل مما في (يقومان) ، المعنى: فليقم الأولياء بالميت مقام هذين الخائنين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ، فإذا ارتفع (الأوليان) على البدل فالذي في (استحق) من الضمير معنى الوصية، المعنى: فليقم الأوليان من الذين استحقت الوصية عليهم أو استحق الإيصاء عليهم ، وقال

(١) معانيه ١٨٢/٣ . (٢) سورة ص /٤١ . (٣) معانيه ٣٣٤/٤ .
(٤) المزمل /٢ ، ٣ . (٥) معانيه ٢٣٩/٥ . (٦) محمد /١٨ .
(٧) الفتح /٢٥ . (٨) معانيه ١١/٥ . (٩) المائدة /١٠٧ .

بعضهم : معنى (من الذين استحق عليهم الأوليان) معناه : استحق فيهم، وقامت (على) مقام (في) كما قامت (في) مقام (على) في قوله : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[1]، وقال بعضهم : معنى (على) : من الذين استحق منهم الأوليان ، كما قال : ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [2] ، أي : إذا اكتالوا من الناس يستوفون ، وقيل : إن في (استحق) ذكر الإثم ... وقيل : إن (الأوليان) جائز ان يرتفعا بـ(استحق) ويكون معناهما : الأوليان باليمين ... وأجود هذه الأقوال أن يكون (الأوليان) بدلا على أن المعنى : ليقم الأوليان من الذين استحقت عليهم الوصية ... " [3] .

- قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا . ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾[4]، وفيه يقول: "(ذرية) فعلية من الذر ، وهي منصوبة على النداء ، كذا أكثر الأقوال ، المعنى : يا ذرية من حملنا مع نوح ... ويجوز الرفع في (ذرية) على البدل من الواو، المعنى: (ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذريةُ) ، ولا تقرأن بها إلا أن تثبت رواية صحيحة ؛ فإن القراءة سنة لا تخالف بما يجوز في العربية " [5] .

- قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [6] ، وفيه يقول : " (أن) بدل من الهاء ... المعنى : فما أنساني أن أذكره إلا الشيطان " [7] .

- قوله تعالى : ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[8]، وقد تقدم نصه في فصل الفاعل[9].

- قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [10] حيث قال : " من رفع (علام الغيوب) فعلى وجهين : أحدهما أن يكون صفة على موضع (إن ربي) لأن تأويله : قل ربي علام الغيوب يقذف بالحق ، و(إن) مؤكدة ، ويجوز الرفع على البدل مما في (يقذف) ، المعنى : قل إن ربي يقذف هو بالحق علام الغيوب "[11] .

وتقدم من أمثلته هنا توجيه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ .

(١) طه /٧١ . (٢) المطففين /٢ . (٣) معانيه ٢/٢١٦ ، ٢١٧ .
(٤) الإسراء /٢ ، ٣ . (٥) معانيه ٣/٢٢٦ . (٦) الكهف /٦٣ .
(٧) معانيه ٣/٣٠٠ . (٨) الأنبياء /٣ . (٩) انظر ص ؟؟؟؟ .
(١٠) سبأ /٤٨ . (١١) معانيه ٤/٢٥٧ .

وليس منه عند الزجاج قوله تعالى : ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾(1) حيث يقول : " ذكر الأخفش أن (الذين) بدل من الكاف والميم، المعنى : ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم إلى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به ، والذي عندي أن قوله : (الذين خسروا أنفسهم) في موضع رفع على الابتداء ، وخبره (لا يؤمنون) ؛ لأن (ليجمعنكم) مشتمل على سائر الخلق ، على الذين خسروا أنفسهم وغيرهم " (2) .

بدل الفعل من الفعل :

من أمثلته عند الزجاج قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ ...﴾ (3) ، فهو يقول : " قال سيبويه (4) : جزمت (يضاعف له العذاب) لأن مضاعفة العذاب لقي الآثام ، فلذلك جزمت (يضاعف) ، كما قال الشاعر :

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا (5)

لأن الإتيان هو الإلمام ، فجزم (تلمم) لأنه بمعنى (تأتي) " (6) .

التعبير عن البدل بالصفة :

قد يعبر الزجاج عن البدل بلفظ (الصفة) ، وذلك عنده قليل ، ومثاله :

- قال في قوله تعالى : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (7) : " (الرسل) صفة لـ(تلك) " (8) .

---

(1) الأنعام/ 12 . (2) معانيه 2/232 .
(3) الفرقان/ 68 ، 69 . (4) الكتاب 3/87 .
(5) من الطويل لعبيد الله الحر أو الحطيئة ، من شواهد الكتاب 3/86 ، وانظره في الكشاف 1/253 ، والإنصاف ص583 ، والجزل : الغليظ .
(6) معانيه 4/76 . (7) البقرة/ 253 .
(8) معانيه 1/333 .

الفصل الرابع والثلاثون

النداء

حقيقة (يا) التي للنداء :

تحدث عنها الزجاج في توجيه قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[1] حيث قال : " وأما إعراب (يا أيها) فـ(أي) اسم مبهم مبني على الضم لأنه منادى مفرد ، و(الناس) صفة لـ(أي) لازمة ، تقول : يا أيها الرجل أقبل ، ولا يجوز : يا الرجل ؛ لأن (يا) تنبيه بمنزلة التعريف في (الرجل) ، فلا يجمع بين (يا) وبين الألف واللام ، فتصل إلى الألف واللام بـ(أي) ، و(ها) لا زمة لـ(أي) للتنبيه ، وهي عوض من الإضافة في (أي) ؛ لأن أصل (أي) أن تكون مضافة في الاستفهام والخبر "[2] .

وجه نداء ما لا يعقل :

تحدث عنه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾[3] فقال : " معنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب ولا تعقل إنما هو تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة، إذا قلت : (يا عجباه) كأنك قلت : اعجبوا ، ويا أيها العجب هذا من حينك ، وكذلك إذا قال : (يا بشرى) فكأنه قال : أبشروا ، وكأنه قال : يا أيتها البشرى هذا من إبانك وأوانك "[4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾[5] : " إن قال قائل : ما معنى دعاء الحسرة وهي لا تعقل ولا تجيب ؟ فالجواب عن ذلك أن العرب إذا اجتهدت في الإخبار عن عظيم تقع فيه جعلته نداء ، فلفظه لفظ ما ينبه والمنبه غيره ، مثل قوله عز وجل: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾[6] ، وقوله : ﴿يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾[7]، وقوله :﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾[8] ، فهذا أبلغ من أن تقول : أتحسر على العباد ،

---

(١) البقرة /٢١ . (٢) معانيه ٩٨/١ . (٣) يوسف /١٩ . (٤) معانيه ٩٧/٣ .
(٥) الأنعام /٣١ . (٦) الزمر /٥٦ . (٧) هود /٧٢ . (٨) يس /٥٢ .

وأبلغ من أن تقول : الحسرة علينا في تفريطنا ، قال سيبويه[1] : إذا قلت : (يا عجباه) فكأنك قلت : احضر وتعال يا عجب فإنه من أزمانك ، وتأويل (يا حسرتنا) : انتبهوا على أننا قد حسرنا ، وهذا مثله في الكلام في أنك أدخلت عليه (يا) للتنبيه وأنت تريد الناس قولك : لا أرينك ههنا ، فلفظك لفظ الناهي نفسه، ولكنه لما علم ان الإنسان لا يحتاج أن يلفظ بنهي نفسه دخل المخاطب في النهي فصار المعنى : لا تكونن ههنا فإنك إذا كنت رأيتك ، وكذلك (يا حسرتنا) قد علم أن الحسرة لا تدعى فوقع التنبيه للمخاطبين " [2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ﴾ [3] : " والنداء لغير الآدميين نحو : (يا حسرتنا على العباد) [4] ، و(يا ويلتا أألد وأنا عجوز) [5] ، و(قال يا ويلتا أعجزت) ،فإنما وقع في كلام العرب على تنبيه المخاطبين وأن الوقت الذي تدعى له هذه الأشياء هو وقتها ، فالمعنى : يا ويلتا تعالي فإنه من إبانك ، فإنه قد لزمني الويل ، وكذلك : يا عجبا ، المعنى : يا أيها العجب هذا وقتك ، فعلى هذا كلام العرب " [6] .

حذف حرف النداء :

من مواضعه عند الزجاج قوله تعالى : ﴿الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾[7] وقوله : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[8]، حيث أجاز توجيه نصب (رب العالمَين) و(مالك) على النداء، وقال : " كما تقول : الحمد لله يا ربَّ العالمين ، ويا مالك يوم الدين، كأنك بعد أن قلت : (الحمد لله) قلت : لك الحمد يا رب العالمين ويا مالك يوم الدين " [9] .

قلت : وقد صرح الزجاج بأنه لا يستحسن القراءة بالنصب ، وجاءت القراءة بنصب (مالك) في غير المتواتر ، ونسبها الزمخشري [10] إلى أبي هريرة رضي الله عنه ، ونسبها أبو حيان [11] إلى الأعمش وغيره ، وتوجيه النصب فيها على النداء اقتصر عليه أبو عبيدة في مجاز القرآن [12] .

(١) الكتاب ٢١٧/٢ . (٢) معانيه ٢٤١/٢ ، ٢٤٢ . (٣) المائدة / ٣١ .
(٤) يس / ٣٠ . (٥) هود / ٧٢ . (٦) معانيه ١٦٨/٢ .
(٧) الفاتحة / ٢ . (٨) الفاتحة / ٤ . (٩) معانيه ٤٧/١ .
(١٠) الكشاف ٩/١ . (١١) البحر ٢٠/١ . (١٢) ٢٢/١ ، ٢٣ .

ومنها قوله تعالى : ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [1] ، وفيه يقول : " يجوز (والله ربِّنا) على جر (ربنا) على النعتَ والثناء لقوله (والله) ، ويجوز (والله ربَّنا) بنصب (ربنا) ويكون النصب على وجهين : على الدعاء ، قالوا : والله يا ربنا ما كنا مشركين ، ويجوز نصبه على (أعني) ، المعنى : أعني ربنا وأذكر ربنا ، ويجوز رفعه على إضمار (هو) ويكون مرفوعا على المدح ، والقراءة الجر والنصب ، فأما الرفع فلا أعلم أحدا قرأ به " [2] .

قلت : والقراءة بنصب (ربنا) قراءة متواترة قرأ بها حمزة والكسائي ، وقرأ باقي السبعة بالجر [3] .

ومنها قوله تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ ، وقد تقدم في فصل البدل [4] .

ومنها قوله تعالى : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [5] ، وفيه يقول : " أراد : يا يوسف، والنداء يجوز في المعرفة حذف (يا) منه فتقول : يا زيد أقبل ، وزيد أقبل، وقال الشاعر :

محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا [6]

أراد : يا محمد " [7] .

ومنها قوله : ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا . ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ، وقد تقدم في فصل البدل [8] .

ومنها قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[9]، وفيه يقول : " (أهلَ البيت) منصوب على المدح ، ولو قرئت (أهل البيت) بالخفض والرفع لجاز ذلك ، ولكن القراءة النصب ، وهو على وجهين : على معنى (أعني أهل البيت) ، وعلى

---

(1) الأنعام /٢٣ . (٢) معانيه ٢٣٦/٢ . (٣) السبعة /١٥٥ ، والحجة لأبي علي ٢٩١/٣.

(٤) انظر ص (٥) يوسف /٢٩ .

(٦) من الوافر ، وينسب لحسان بن ثابت وغيره ، من شواهد الكتاب ٨/٣ ، و(التبال) سوء العاقبة ، وانظره في ابن يعيش ٣٥/٧ ، وشرح الكافية للرضي ٨٨/٤ ، والخزانة ١١/٩ .

(٧) معانيه ١٠٤/٣ . (٨) انظر ص . (٩) الأحزاب /٣٣ .

النداء على معنى : يا أهل البيت " [1] .

ومنها قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[2]، فقد ذكر فيها أنها تقرأ بلفظ (ادخلوا) بهمزة وصل ، وقال : " على معنى الأمر لهم بالدخول ، فالمعنى : ويوم تقوم الساعة يقول : ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب " [3] .

ومنها قوله تعالى : ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ﴾ [4] ، وفيه يقول : " وجائز أن يكون (عباد الله) منصوبا على النداء ، ويكون المعنى : أن أدوا إلي ما أمركم الله به يا عباد الله " [5] .

دخول (يا) على غير منادى :

تحدث عن ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى:﴿أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ﴾[6] فقال: "وتقرأ: (ألاَ يسجدوا لله) [7] ، فمن قرأ بالتشديد فالمعنى : وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أن لا يسجدوا لله ، أي فصدهم لأن لا يسجدوا لله ، وموضع (أن) نصب بقوله : (فصدهم) ، ويجوز أن يكون موضعها خفضا وإن حذفت اللام ، ومن قرأ بالتخفيف فـ(ألا يا) لابتداء الكلام والتنبيه ، والوقف عليه (ألا يا) ثم تستأنف فتقول : اسجدوا لله ، ومن قرأه بالتخفيف فهو موضع سجدة من القرآن ، ومن قرأ (ألاّ يسجدوا) فليس بموضع سجدة ، ومثل قوله : (ألا يا اسجدوا) بالتخفيف قول ذي الرمة :

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر [8]

وقال الأخطل :

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بدر وإن كان حيّانا عدى آخر الدهر [9]

---

(١) معانيه ٤/٢٢٦ . (٢) غافر /٤٦ . (٣) معانيه ٤/٣٧٦ .

(٤) الدخان /١٨ . (٥) معانيه ٤/٤٢٥ . (٦) النمل /٢٥ .

(٧) يعني بفتح اللام غير مشددة في (ألا) وهي قراءة الكسائي ، انظر السبعة ص٤٨٠ .

(٨) هو من الطويل ، انظره في المسائل الشيرازيات ص١٨٥ ، وكتاب الشعر ص٦٧ ، والتصريح ٥٩٣/١ (تحقيق د/بحيري) ، والجرعاء : رملة مستوية لا تنبت شيئا .

(٩) ديوانه ص١٢٨ ، والبيت من الطويل ، وانظره في مجاز القرآن ١٦/٢ ، واللسان (عدا) .

وقال العجاج :

يا دار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي
عـن سـمسـم وعـن يمين سـمسـم [1]

وإنما أكثرنا الشاهد في هذا الحرف كما فعل من قبلنا ، وإنما فعلوا ذلك لقلة اعتياد العامة لدخول (يا) إلا في النداء ، لا تكاد العامة تقول : يا قد قدم زيد ، ولا : يا اذهب بسلام " [2] .

أنواع المنادى وأحكامه :

أولا : المنادى المفرد المعرفة

تقدم من مواضعه هنا توجيه قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ وقوله تعالى : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [3] : " قوله (والطيرُ) ، (والطيرَ) يقرآن بالرفع والنصب ، والرفع من وجهين : أحدهما أن يكون نسقا على ما في (أوبي) ، المعنى : يا جبال رجعي التسبيح معه أنت والطير .

ويجوز أن يكون مرفوعا على النداء،المعنى: يا جبال ، ويا أيها الطير أوبي معه.

والنصب من ثلاث جهات : أحدها أن يكون عطفا على قوله : (ولقد آتينا داود منا فضلا ... والطيرَ) ، أي : وسخرنا الطير ، حكى ذلك أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء .

ويجوز أن يكون نصبا على النداء ، المعنى : يا جبال أوبي معه والطيرَ ، كأنه قال : أدعو الجبال والطيرَ ، فـ(الطير) معطوف على موضع الجبال في الأصل ، وكل منادى عند البصريين كلهم في موضع نصب ، وقد شرحنا حال المضموم في النداء ، وأن المعرفة المفرد مبني على الضم .

ويجوز أن يكون (والطيرَ) منصوبا على معنى (مع) كما تقول : قمت وزيدا ، أي: قمت مع زيد ، فالمعنى : أوبي معه ومع الطير " [4] .

---

(1) ديوانه القسم الثاني ص١٨٣ .
(2) معانيه ٤/١١٥ ، ١١٦ .
(3) سبأ /٦ .
(4) معانيه ٤/٢٤٣ .

ثانيا : المنادى المضاف

من أمثلته عند الزجاج :

- توجيه قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ [(1)] ، وقد وجهه مرتين فقال في الأولى : " نصب (بني إسرائيل) لأنه نداء مضاف ، وأصل النداء النصب ؛ لأن معناه معنى (ناديت) و(دعوت) " [(2)] .

وقال في الثانية : " (بني إسرائيل) نصب لأنه نداء مضاف وأصل النداء النصب، ألا ترى أنك إذا قلت : (يا بني زيد) فقال لك قائل : ما صنعت ؟ قلت : ناديت بني زيد ، فمحال أن تخبره بغير ما صنعت " [(3)] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [(4)] ، وفيه يقول : " (أولي) نصب لأنه نداء مضاف " [(5)] .

- ما تقدم ذكره هنا من توجيه قوله تعالى:﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقوله:﴿... ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ وقوله : ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ .

ما يجوز ضمه وفتحه من المنادى :

إذا كان المنادى علما مفردا موصوفا بابن متصل به مضاف إلى علم نحو : (يا زيد ابن عمرو) جاز فيه الضم والفتح ، والمختار عند البصريين غير المبرد الفتح [(6)] .

وقد تناول ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [(7)] فقال : " جائز أن يكون موضع (عيسى) نصبا ، كما تقول : يا زيد بن عمرو ؛ لأن ابنا إذا أضيف إلى اسم معروف علم أو أضيف إلى كنية معروفة جعل وما قبله كالشيء الواحد ، جميع النحويين يختارون (يا زيدَ بن عمرو) ، وكلهم يجيزون (يا زيدُ بن عمرو) ، وعلى هذا جائز أن يكون موضع (عيسى) موضع اسم مبني على الضم ، قالوا كلهم : فإن قلت : يا زيدُ ابن أخينا ، ويا زيدُ ابن الرجل الصالح ضممت زيدا لا غير ؛ لأن النصب إنما يكون إذا أضيف ابن إلى علم كما وصفنا " [(8)] .

(1) البقرة/ ٤٠ ، ٤٧ . (2) معانيه ١/ ١١٩ . (3) معانيه ١/ ٢٠٣ . (4) البقرة/ ١٩٧ .
(5) معانيه ١/ ٢٧١ . (6) التصريح ٢/ ١٦٨ ، ١٦٩ . (7) المائدة/ ١١٢ .
(8) معانيه٢/ ٢٢٠.

وتفسير الفتح في هذا المنادى بكون الوصف معه كالشيء الواحد يعزى في كتب المتأخرين من النحويين إلى الشيخ عبد القاهر الجرجاني [1] ، والواضح أنه تفسير الزجاج ، ويلحظ أن الزجاج أطلق القول بالإجماع في المسألة ولم يشر إلى خروج المبرد عنه .

توجيه قول العرب (اللهم) وحكم وصفه :

تحدث الزجاج في ذلك حديثا مستفيضا في توجيه قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [2] فقال : " أما إعراب (اللهم) فضم الهاء وفتح الميم لا اختلاف في اللفظ به بين النحويين ، فأما العلة فقد اختلف فيها النحويون فقال بعضهم [3] : معنى الكلام : يا ألله أم بخير ، وهذا إقدام عظيم ؛ لأن كل ما كان من هذا الهمز الذي طرح فأكثر الكلام الإتيان به ، يقال : ويلمه وويل أمه ، والأكثر إثبات الهمز ، ولو كان كما يقول لجاز : أؤمم ، والله أم ، وكان يجب أن تلزمه ياء النداء ؛ لأن العرب تقول : يا ألله اغفر لنا ، ولم يقل أحد من العرب إلا اللهم ، ولم يقل أحد : يا اللهم ، قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ﴾ [4] ، وقال : ﴿اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [5] ، فهذا القول يبطل من جهات : إحداها أن (يا) ليست في الكلام ، وأخرى أن هذا المحذوف لم يتكلم به على أصله كما يتكلم بمثله ، وأنه لا يقدم أمام الدعاء هذا الذي ذكره ، وزعم أن الضمة التي في الهاء ضمة الهمزة التي كانت في (أم)، وهذا محال أن يترك الضم الذي هو دليل على النداء للمفرد وأن يجعل في (الله) ضم (أم) ، هذا إلحاد في اسم الله .

وزعم أن قولنا : (هلم) مثل ذلك ، أي أصلها : هل أم ، وإنما هي (لُمَّ) ، والهاء للتنبيه ، وقال المحتج بهذا القول : إن (يا) قد يقال مع (اللهم) فيقال : يا اللهم ، ولا يروي أحد عن العرب هذا غيره ، زعم أن بعضهم أنشده :

وما عليك أن تقولي كلما
صليت أو سبحت يا اللهم ما
أردد علينا شيخنا مسلما [6]

---

(١) انظر التصريح ١٦٩/٢ ، والأشموني ١٤١/٣ ، ١٤٢ .
(٢) آل عمران/٢٦.
(٣) هو الفراء ، انظر معانيه ٢٠٣/١ .
(٤) الأنفال /٣٢ .
(٥) الزمر /٤٦ .
(٦) الأبيات من مشطور الرجز وهي في معاني الفراء ٢٣٠/١ والخزانة ٢٦٩/٢.

وليس يعارض الإجماع وما أتى به كتاب الله تعالى ووجد في جميع ديوان العرب بقول قائل : (أنشدني بعضهم) ، وليس ذلك البعض بمعروف ولا مسمى .

وزعم سيبويه [1] أن هذا الاسم لا يوصف ؛ لأنه قد ضمت إليه الميم فقال في قوله عز وجل : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [2] : إن (فاطر) منصوب على النداء، وكذلك (مالك الملك) ولكن لم يذكره في كتابه ، والقول عندي أن (مالك الملك) صفة (الله) وأن (فاطر السماوات والأرض) كذلك ، وذلك أن الاسم ومعه الميم بمنزلته ومعه (يا) ، فلا تمنع الصفة مع الميم كما لا تمنع مع (يا) ، فهذا جملة تفسير وإعراب (اللهم) " [3] .

وقد وصف ابن عطية [4] قول الزجاج هنا : (هذا إلحاد في اسم الله) بأنه غلو منه .

تابع المنادى المبني وأحكامه :

تقدم من أمثلته هنا توجيه الزجاج لقوله تعالى : ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [5] : " وزعم سيبويه [6] عن الخليل أن المنادى المفرد مبني وصفته مرفوعة رفعا صحيحا؛ لأن النداء يطرد في كل اسم مفرد ، فلما كانت البنية مطردة في المفرد خاصة شبه بالمرفوع فرفعت صفته .

والمازني يجيز في (يا أيها الرجل) النصب في (الرجل) ، ولم يقل بهذا القول أحد من البصريين غيره ، وهو قياس ؛ لأن موضع المفرد المنادى نصب ، فحملت صفته على موضعه ، وهذا في غير (يا أيها الرجل) جائز عند جميع النحويين نحو قولك : يا زيد الظريفُ والظريفَ ، والنحويون لا يقولون إلا : يا أيها الرجلُ ، ويا أيها الناسُ ، والعرب لغتها في هذا الرفع ، ولم يرد عنها غيره ، وإنما المنادى في الحقيقة الرجل ، ولكن (أي) صلة إليه ، وقال أبو الحسن الأخفش : إن (الرجل) أن يكون صلة لـ(أي) أقيس ، وليس أحد من البصريين يتابعه على هذا القول " [7] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾[8]: " (يا أيها) نداء مفرد مبهم ، و(الذين) في موضع رفع صفة لـ(أيها) ، هذا مذهب الخليل وسيبويه ،

---

(١) الكتاب ١٩٦/٢ ، ١٩٧ . (٢) الزمر /٤٦ . (٣) معانيه ٣٩٣/١ : ٣٩٥ .
(٤) المحرر الوجيز ٣٧٤/٢ . (٥) البقرة /٢١ . (٦) انظر الكتاب ١٨٣/٢ .
(٧) معانيه ٩٨/١ ، ٩٩ . (٨) البقرة /١٢٣ .

ومذهب الأخفش أن (الذين) صلة لـ(أي) ، وموضع (الذين) رفع بإضمار الذكر العائد على (أي) ، كأنه على مذهب الأخفش بمنزلة قولك : يا من الذين ، أي : يا من هم الذين ، و(ها) لازمة لـ(أي) عوض عما حذف منها للإضافة وزيادة في التنبيه ، و(أي) في غير النداء لا يكون معها (ها) ويحذف معها الذكر العائد عليها ، تقول : اضرب أيهم أفضل ، وأيهم هو أفضل ، تريد : الذي هو أفضل .

وأجاز المازني أن تكون صفة (أي) نصبا فأجاز : يا أيها الرجلَ أقبل ، وهذه الإجازة غير معروفة في كلام العرب ، ولم يجز أحد من النحويين هذا المذهب قبله ، ولا تابعه عليه أحد بعده ، فهذا مطروح مرذول ؛ لمخالفته كلام العرب والقرآن وسائر الأخبار " [1] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ في أول الحج : " (يا أيها الناس) نداء مبهم مفرد ، و(ها) للتنبيه ، وهو مبني على الضم، و(الناس) رفع تبعا لـ(يا أيها) ، والنحويون لا يجيزون إلا رفع (الناس) ههنا، والمازني أجاز النصب في (يا أيها الرجل افعل) ، كما تقول : يا زيد الظريفُ والظريفَ ، وهذا غلط من المازني ؛ لأن زيدا يجوز الوقف والاقتصار عليه دون الظريف ، و(يا أيها) ليس بكلام ، وإنما القصد الناس ، فكأنه بمنزلة : يا ناس اتقوا ربكم " [2] .

أوجه المنادى المضاف إلى ياء المتكلم :

يقول الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[3] : " القراءة (يا قومِ) بكسر الميم ، وهو نداء مضاف ، والاختيار فيه حذف الياء ؛ لأن الياء حرف واحد ، والنداء باب حذف ، وهي في آخر الاسم ، كما أن التنوين في آخره ، فحذفت الياء وبقيت الكسرة تدل عليها ، ويجوز في الكلام أربعة أوجه ، فأما في القرآن فالكسر وحذف الياء ؛ لأنه أجود الأوجه ، وهو إجماع القراء .

فالذي يجوز في الكلام أن تقول : (يا قومِ إنكم) كما قرئ في القرآن ، ويجوز : (يا قومي) بإثبات الياء وسكونها ، ويجوز : (يا قوميَ) بتحريك الياء ، فهذه ثلاثة أوجه في الإضافة ، ويجوز (يا قومُ) بضم الميم ، على معنى : يا أيها القوم " [4] .

---

(١) معانيه١/٢٢٨، ٢٢٩. (٢) معانيه٣/٤٠٩. (٣) البقرة/٥٤. (٤) معانيه١/١٣٤ ، ١٣٥.

ويلحظ أن ترتيب الزجاج لما ذكره من الأوجه روعي فيه تقديم الأفصح والأكثر .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ (١) : " الكسر أجود القراءة ـ أعني كسر الياء ـ ويجوز فتحها ، وكسرها من جهتين : إحداهما أن الأصل (يا بنيِّي) والياء تحذف في النداء ـ أعني ياء الإضافة ـ وتبقى الكسرة تدل عليها .

ويجوز أن تحذف الياء لسكون الراء من (اركب) وتقره في الكتاب على ماهي في اللفظ .

والفتح من جهتين : الأصل (يا بنيّا) فتبدل الألف من ياء الإضافة ، والعرب تقول: يا غلاما أقبل ، ثم تحذف الألف لسكونها وسكون الراء ، وتقره في الكتاب على حذفها في اللفظ .

ويجوز أن تحذف ألف النداء كما تحذف ياء الإضافة ، وإنما حذفت ياء الإضافة وألف الإضافة في النداء كما يحذف التنوين ؛ لأن ياء الإضافة زيادة في الاسم كما أن التنوين زيادة فيه ، ويجوز وجه آخر ولم يقرأ به ، وهو إثبات الياء وفتحها : يا بنيِّيَ ، وهذه تثقل لاجتماع الياءات " (٢) .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ (٣) : " المصحف فيه (يا ويلتى) بالياء ، والقراءة بالألف ، عن شئت على التفخيم وإن شئت على الإمالة ، والأصل : يا ويلتي ، فأبدل من الياء والكسرة الألف ؛ لأن الفتح والألف أخف من الياء والكسرة " (٤) .

وقال في قوله تعالى :﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾(٥):" في قوله : (يا أبت) قراءتان : (يا أبتِ إني) و(يا أبتَ إني) ، وأجاز بعض أهل العربية (يا أبتُ) ، فمن قرأ : يا أبتِ بكسر التاء فعلى الإضافة إلى نفسه وحذف الياء ؛ لأن ياء الإضافة تحذف في النداء... فأما إدخال تاء التأنيث في الأب فإنما دخلت في النداء خاصة، والمذكر قد يسمى باسم فيه علامة التأنيث ويوصف بما فيه هاء التأنيث ، فأما المذكر الذي يسمى بمؤنث فقولهم : (عين) و(نفس) يراد به الرجل (٦) ، وأما الصفة فقولهم :

(١) هود /٤٢ . (٢) معانيه ٣/٥٤ . (٣) هود /٧٢ .
(٤) معانيه ٣/٦٣ . (٥) يوسف /٤ .
(٦) الظاهر التمثيل لذلك بنحو (حمزة) و(طلحة) و(ربيعة) .

غلام يفعة ، ورجل ربعة [1] ، والتاء كثرت ولزمت في الأب عوضا من ياء الإضافة ، وزعم قطرب أن الفتح على جهات : أحدها أنك أردت (يا أبةً) ثم حذفت التنوين ، وعلى : يا أبتاه ، وعلى قول الطرماح :

يا دار أقوت بعد أصرامها عاما وما يعنيك من عامها [2]

فهذا والذي قاله قطرب خطأ كله ، التنوين لا يحذف من المنادى المنصوب ؛ لأن النصب إعراب ، والمنادى لا يكون معربا منصوبا غير منون في حال النصب ، وأما قوله: (يا دار أقوت) بنصب الدار فلم يروه أحد من أصحابنا ولا أعرف له وجها ، أنشد سيبويه [3] والخليل وجميع البصريين : يا دارُ أقوت ، بضم الراء ، وأما (يا أبتاه) فالندبة هنا لا معنى لها ، ولكن الفتح يجوز على أنه أبدل من ياء الإضافة ألفا ثم حذف الألف وبقيت الفتحة كما تحذف ياء الإضافة ، وأما (يا أبتُ إني) بالرفع فلا يجوز ؛ لأن التاء ههنا جعلت بدلا من ياء الإضافة " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ [5] : " فيه ثلاثة أوجه : أجودها (يا بشراي) بألف وياء مفتوحة ، وقرئت : (يا بشريَّ) ... وتفسيره أن ياء الإضافة تغير ما قبلها ولا يتبين معها الإعراب ، فإذا كان قبلها ألف فالاختيار ألا تغير الألف ، وبعض العرب تبدل الألف معها [6] فيكون بدلها بمنزلة تغيير الحروف قبلها ، وقرئت (يا بشرى هذا غلام) بغير ياء " [7] .

وقال في قوله تعالى : ﴿... يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ [8] : " الأصل : يا أسفي ، إلا أن ياء الإضافة يجوز أن تبدل ألفا لخفة الألف والفتحة " [9] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾[10]: " العرب تقول في النداء : يا أبتِ ويا أبتَ ، ولا يقل قائل: يا أبتي كذا ، ويا أمتي ، وزعم الخليل وسيبويه[11] أنه

---

(١) (يفعة) أي شاب ، و(ربعة) بسكون الباء وفتحها : مربوع الخلق ، لا بالطويل ولا بالقصير ، وانظر اللسان (يفع) و(ربع) .

(٢) من السريع ، و(أقوت) : أقفرت ، و(الأصرام) : الفرق من الناس ، والبيت من شواهد الكتاب ٢/٢٠٠ ، ٢٠١ ، وفي اللسان (صرم) .

(٣) الكتاب ٢/٢٠١ . (٤) معانيه ٣/٨٨ : ٩٠ . (٥) يوسف /١٩ .

(٦) يعني تقلبها ياء . (٧) معانيه ٣/٩٧ . (٨) يوسف /٨٤ .

(٩) معانيه ٣/١٢٥ . (١٠) مريم /٣١ . (١١) الكتاب ٢/٢١٠ ، ٢١١ .

بمنزلة قولهم : يا عمه ، ويا خاله ، وأن (أبة) للمذكر والمؤنث كأنك تقول للمؤنث أبة وللمذكر أبة ، والدليل على أن التاء خطأ في الأبوة أنه يقال : أبوان ، قال الله تعالى : ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ [1] ، وزعم أنه بمنزلة قولهم : رجل ربعة وغلام يفعة، وأن الهاء عوض من الإضافة ، ومن قال : يا أبي ويا أمي لم يقل : يا أبتي ويا أمتي ، وكذلك لم تقع الهاء في غير النداء ؛ لأن حذف الياء يقع في النداء كثيرا ، تقول : يا أبتِ لا تفعل ويا أبي لا تفعل ، ولا تقل : (يا الأب كذا وكذا) تريد : أبي ... وقرئت : يا أبتَ ، فمن فتح حذف الألف التي هي بدل من ياء الإضافة ، إلا أن الواجب حذفها إذ كانت بدلا مما يحذف " [2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾ [3] : " (يا حسرتا) أي يا ندما ، وهذا النداء يدل على تمكن القصة من صاحبها ، إذا قال القائل : (يا حسرتاه) و(يا ويلاه) فتأويله أن الحسرة والويل قد حلا به وأنهما لازمان له غير مفارقين، ويجوز : يا حسرتي ، وزعم الفراء [4] أنه يجوز : يا حسرتاهَ على كذا وكذا ، بفتح الهاء ، ويا حسرتاهِ بالضم والكسر ، والنحويون أجمعون لا يجيزون أن تثبت هذه الهاء مع الوصل ، وزعم أنه أنشده أبو فقعس (رجل من بني سعد) :

يا رب يا رباه إياك أسل
عفراء يا رباه من قبل الأجل [5]

وأنشد أيضا :

يا مرحباه بحمار ناجيه [6]

ولا أدري لم استشهد بهذا ، ولم يقرأ به قط ، ولا يقع في تفسير هذه الآية ، وهو خطأ " [7] .

---

(1) النساء / ١١ .
(2) معانيه ٣/٣٣١ ، ٣٣٢ .
(3) الزمر / ٥٦ .
(4) معاني الفراء ٢/٤٢٢ .
(5) البيتان من مشطور الرجز لعروة بن حزام في معاني الفراء ٢/٤٢٢ ، وشرح الكافية للرضي ٣/٣٤٠ ، والخزانة ٧/٢٧٠ ، ١١/٤٥٨ .
(6) البيت من مشطور الرجز ، في معاني الفراء ٢/٤٢٢ ، وشرح الكافية للرضي ١/٣٨٤ ، والخزانة ٢/٣٨٨، ١١/٤٦٠ .
(7) معانيه ٤/٣٥٨ ، ٣٥٩ .

قلت : وقد وردت القراءة في الآية بإثبات ياء المتكلم ، وهي قراءة تنسب إلى أبي جعفر [1] ، وقول الزجاج في (يا حسرتاه) : "والنحويون لا يجيزون أن تثبت هذه الهاء مع الفصل" لعله يريد به عدم الجواز في الكلام ؛ فإن النحويين استشهدوا بنحو قوله :

يا مرحباه بحمار ناجيه

مع أن هاء السكت الواقعة بعد الألف يضمها بعض العرب ويفتحها في حال الوصل في الشعر كما قال البغدادي [2] .

المنادى المضاف إلى ما أضيف إلى الياء :

تحدث عنه الزجاج في موضعين :

الأول : في توجيه قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ﴾ [3] حيث قال : " (ابن أمَّ) بالفتح ، وإن شئت (ابن أمِّ) بالكسر ، فمن قال (ابن أمَّ) بالفتح فإنه إنما فتحوا في (ابن أم) و(ابن عم) لكثرة استعمالهم هذا الاسم وأن النداء كلام محتمل للحذف ، فجعلوا ابن وأم شيئا واحدا نحو (خمسة عشر) ، ومن قال (ابن أمِّ) بالكسر فإنه أضافه إلى نفسه بعد أن جعله اسما واحدا ، ومن العرب من يقول : يا ابن أمي ، بإثبات الياء ، قال الشاعر :

يا ابن أمي ويا شقيِّق نفسي أنت خليتني لدهر شديد [4] " [5]

والثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ في سورة طه [6] حيث قال : " فتحت (أم) والموضع موضع جر ؛ لأن (ابن) و(أم) جعلا اسما واحدا فبني ابن وأم على الفتح ، ومن كسر الميم أضافه إلى نفسه ، وفيها وجه ثالث : (يا ابن أمي) ، ولكنها ليست ثابتة في المصحف فلا تقرأن بها ، ومثل هذا في الشعر :

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي أنت خليتني لدهر شديد

ولم يجئ هذا إلا في ابن أم وابن عم ، وذلك أنه يقال لمن ليس بأخ لأم ولا بأخ ألبتة :

---

(١) انظر روح المعاني ١٧/٢٤ . (٢) انظر الخزانة ٣٨٨/٢ . (٣) الآية /١٥٠ .

(٤) البيت من الخفيف ، لأبي زبيد الطائي ، من شواهد الكتاب ٣١٢/٢ ، وانظره في التصريح ٧/٢ ، والأشموني ١٥٧/٣ .

(٥) معانيه ٣٧٨/٢ ، ٣٧٩ . (٦) الآية ٩٤ .

يا ابن أم ، كذلك يقال للأجنبي : يا ابن عم ، فلما أزيل عن بابه بني على الفتح ، وإن كان قد يقول القائل لأخيه من أمه أيضا : يا ابن أم ، فإنما أدخل أخاه في الجملة من يقول له : يا ابن أم، وقد قيل في هارون إنه لم يكن أخا موسى لأمه "[1].

الترخيم :

تعرض له الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ ...﴾ [2] حيث أورده بلفظ (يا مالك) وقال : " وقد رويت (يا مالِ ...) بغير كاف وبكسر اللام ، وهذا يسميه النحويون : الترخيم ، وهو كثير في الشعر في مالك وعامر ، ولكني أكرهها لمخالفتها المصحف " [3] .

قلت : والقراءة بحذف الكاف وكسر اللام قراءة غير متواترة تنسب إلى علي كرم الله وجهه وإلى ابن مسعود وابن وثاب وغيرهم [4] ، والترخيم : حذف آخر المفرد المعرفة في النداء من غير علة موجبة بل لنوع من التخفيف ، وهو في الآية على لغة من ينتظر [5] ، وقرأ أبو السوار أيضا : (يا مالُ ...) [6] بضم اللام ، وفيه ترخيم على لغة من لا ينتظر .

(1) معانيه ٣/٣٧٣ .
(2) الزخرف /٧٧ .
(3) معانيه ٤/٤٢٠ .
(4) روح المعاني ٢٥/١٠٢ .
(5) انظر ابن يعيش ٢/٢١ ، والأشموني ٣/١٨١ .
(6) روح المعاني ٢٥/١٠٢ .

الفصل الخامس والثلاثون

أسماء الأفعال

أولا : ما جاء منها على فعالِ قياسا :

تحدث الزجاج في كتابه (ما ينصرف) عن أقسام ما جاء على (فعالِ) من الأسماء فذكر أن منها ما يكون اسما للأمر نحو : دراك ونزال ومناع ، قال : " وهو في الأمر مكسور أبدا ، وأصله الوقف لأنه اسم للأمر ، فإنما وجب أن يوقف لأنه بمنزلة الأصوات نحو : غاقِ غاقِ ، وإنما كان كالأصوات لأن المصدر الذي عنه صدر المنع ، ومصدر تركت : الترك ، فلما بناه على فعالِ جعله خارجا مما جرى على الفعل فصار غير معرب، وحرك بالكسر لأنه مؤنث ، تقول : مناع زيدًا من هذا ، واختير له الكسر لأن الكسر من علامات التأنيث نحو : إنكِ ذاهبة ، ونحو : ذاكِ يا امرأة ، ونحو : أنتِ فعلتِ ، لولا ذلك لفتح لالتقاء الساكنين لأن الفتح من جنس الألف ، ومثل ذلك قول الشاعر :

مناعها من إبل مناعها
أما ترى الموت لدى أرباعها (1)

وقال :

تراكها من إبل تراكها
قد نزل الموت لدى أوراكها (2)

وقال :

نعاءِ جذاما غير موت ولا قتل ... ولكن فراقا للدعائم والأصل (3)

---

(1) من مشطور الرجز الذي استشهد به سيبويه،انظر الكتاب١/٢٤٢ ، ٣/٢٧٠ ، وابن يعيش ٤/٥١ .

(2) من مشطور الرجز لطفيل الحارثي ، من شواهد سيبويه ، انظر الكتاب ١/٢٤١ ، ٣/٢٧١ ، وشرح الكافية للرضي ٢/٣٨٦ ، والخزانة ٥/١٦٠ .

(3) من بحر الطويل للكميت بن معروف ، من شواهد الكتاب ١/٢٧٦ ، وانظر ابن يعيش ٤/٥١ ، والإنصاف ص٥٣٨ .

وقال أيضا :

نعـاء أبا ليلى لـكـل طـمرة وجرداء مثل القوس باد حجولها [1]

فعلى هذا الباب ، وأكثر النحويين يقيسونه فيقولون : ضراب زيدا ، وبعضهم يقول : لا يجوز من هذا إلا ما عدلته العرب ، وذلك أنه يجعل اسما للفعل ، وعمل الأسماء إليهم، وهذا هو عندي القياس " [2] .

ثم ذكر أن أسماء الأمر لم تجزم لأنها في موضع الأمر ، ولكنها بنيت لأنها بمنزلة الأصوات ، وذكر منها (دراك) وقال : زعم سيبويه أنه اسم لقولك : أدرك ، ثم ذكر أن هذه الأسماء عند سيبويه [3] مؤنثات والدليل على ذلك قول زهير :

ولأنت أشجع من أسامة إذ دعيت نزال ولج في الذعر [4]

فقال : دعيت ؛ لأن (نزال) عنده مؤنث [5] .

والزجاج يرى أن اسم الفعل الذي للأمر من غير الثلاثي قليل عند العرب غير مقيس، فهو يقول : " فأما ذوات الأربعة فهذا العدل قليل فيها ، إنما تتكلم به في أحرف حكيت نحو قوله :

قالت له ريح الصبا قرقارِ

واختلط المعروف بالإنكار [6]

المعنى : قال ريح الصبا للسحاب : قرقر بالرعد ...

ومن ذلك قولهم : (عرعارِ) للعبة لهم ، ولا يجوز أن تقول : سلسال يا رجل أي سلسل ، ولا زلزالِ أي زلزل ؛ لأن ذوات الأربعة لا تتصرف فيقع منها ما يقع في ذوات الثلاثة ، فلذلك قلت هذه الأبنية في ذوات الأربعة " [7] .

---

(١) من بحر الطويل،من شواهد الكتاب٣/٢٧٢،وفيه ينسب لجرير ، وروايته : "... سمح حجولها"، وكذلك الأمر في الإنصاف ص٥٣٨،والطمرة:الخفيفة من الخيل،والجرداء: القصيرة الشعر.

(٢) ما ينصرف ص٧٢ ، ٧٣ . (٣) الكتاب ٣/٢٧٠ .

(٤) من بحر الكامل ، من شواهد سيبويه ، انظر الكتاب ٣/٢٧١ ، وابن يعيش ٤/٢٦ ، ٥٠ ، ٥٢ .

(٥) ما ينصرف ص٧٥ .

(٦) من مشطور الرجز أو السريع لأبي النجم العجلي ، من شواهد الكتاب ٣/٢٧٦ ، والبيت الأول في شرح الكافية للرضي ٣/١٩١ ، وانظر خزانة الأدب ٦/٣٠٧ .

(٧) ما ينصرف ص٧٧ ، ٧٨ .

وقد أورد في معانيه مما جاء على فعالِ قياسا (مساسِ) ، وذلك في توجيه قوله تعالى: ﴿... أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [1] ، وفيه يقول : " من قرأ (لا مساسَ) بفتح السين فهو منصوب على التبرئة ، ومن قرأ (لا مساسِ) فهو مبني على الكسر ، وهو نفي من قولك : (مساسِ القوم) تأمره بذلك ، فإذا قلت : لا مساس فهو مبني ، وهو نفي ، وبنيت (لا مساسِ) على الكسر وأصلها الفتح لمكان الألف ، ولكن (لا مساسِ) و(دراك) مؤنث، فاختير الكسر لالتقاء الساكنين ؛ لأنك تقول في المؤنث : فعلت يا امرأة ، وأعطيتك يا امرأة " [2] .

ثانيا : ما سمع من أسماء الأفعال :

[هيهات] تحدث عنه الزجاج في كتاب ما ينصرف ناقلا عن سيبويه فقال : " قال سيبويه [3] : وسألته عن (هيهاتِ وهيهاتَ يا هذا) فقال : الكسر في (هيهات) نظير الفتح في (هيهاتَ يا هذا) ، وهما جميعا غير معربتين ؛ لأنهما جميعا بمنزلة الأصوات ، ومعنى ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [4] : في البعد ما توعدون .

وتحدث عنه حديثا مفصلا في معانيه عند تناول هذه الآية فقال : " (هيهات) تقرأ بفتح التاء وكسرها، ويجوز : هيهاتٍ هيهاتٍ بالتنوين ، ويجوز : هيهاتًا هيهاتًا، فأما الكسر والفتح بغير تنوين فكثيران في القراءة ذكرهما القراء والنحويون .

وقد قرئت بالكسر والتنوين ، فأما التنوين والفتح فلا أعلم أحدا قرأ بها ، فلا تقرأن بها ، فأما الفتح فالوقف فيه بالهاء ، تقول في (هيهات) : هيهاه إذا فتحت ووقفت بعد الفتح ، فإذا كسرت وقفت على التاء كنت ممن ينون في الوصل أو كنت ممن لا ينون ، ومن فتحها فموضعها الرفع ، وتأويلها : البعد لما توعدون ؛ لأنها بمنزلة الأصوات وليست مشتقة من فعل فبنيت هيهات كما بنيت ذية .

وإذا كسرت جعلتها جمعا وبنيتها على الكسر ، قال سيبويه [5] : هي بمنزلة علقاة، يعني في تأنيثها ، ومن جعلها جمعا فهي بمنزلة قول العرب : استأصل الله عرقاتِهم وعرقاتَهم ، فالذي يقول : عرقاتِهم بالكسر جعلها جمعا واحدتها كأنها عرقة ، وواحد هيهات على هذا اللفظ وإن لم يكن حالة واحدة : هيهة ، قال : هذا تقديره وإن لم

(1) طه /97 . (2) معانيه 3/374 ، 375 . (3) انظر الكتاب 3/291 .
(4) المؤمنون /36 . (5) الكتاب 3/291 .

ينطق به ، فأما عرقات فقد تكلم بواحدتها ، يقال : عرق وعرقات وعرقة وعرقات ، وإنما كسر في الجمع لأن بناء الفتح في الجمع كسر ، تقول : مررت بالهندات ، وكذلك : رأيت الهندات ، ويقال : أيهات في معنى : هيهات ، ويقال : هيهات ما قلت،وهيهات لما قلت،[فمن قال:هيهات ما قلت فمعناه البعد قولك][1]، ومن قال : هيهات لما قلت فمعناه : البعد لقولك ، وأنشدوا :

فأيهات أيهات العقيق وأهله   وهيهات خل بالعقيق نواصله [2]

فأما من نون (هيهات) فجعلها نكرة ، فيكون المعنى : بعد لما توعدون " [3] .

وظاهر كلام الزجاج هنا أن (هيهات) عنده اسم للمصدر لا للفعل ، وقد خطأه أبو علي في ذلك في كتاب الإغفال [4] وذهب إلى أن (هيهات) اسم للفعل لا المصدر ، وحذا حذو أبي علي في تضعيف رأي الزجاج ورده أبو البقاء العكبري [5] وأبو البركات الأنباري [6] ، وتعقبه أبو حيان [7] والألوسي [8] بأنه ينبغي أن يكون تفسير معنى لا تفسير إعراب ؛ لأنه لم تثبت مصدرية (هيهات) ، والذي ذهب إليه أبو علي هو المشهور كما قال الأشموني [9] ، وهو مذهب جمهور العلماء ، وإليه ذهب العكبري وأبو البركات وأبو السعود [10] وأبو حيان والسمين والألوسي وغيرهم .

[شتان] تحدث عنه الزجاج في كتابه ما ينصرف ناقلا عن سيبويه فقال : " قال : وسألت الخليل عن (شتّان) ما هما ؟ فقال : فتحة (شتّان) بمنزلة فتحة (هيهات) ، ونونها كنون (سبحان) [11] ، وتفسير قوله في (شتّان) أن فتحة (شتّان) بناء وقع لالتقاء الساكنين ؛ لأن (شتّان) موضوعٍ موضع المصادرٍ مبني عليٍ (فعْلانٍ) ، والفعل من هذا مصدره (الفَعْل) ، تقول : شَتَ أمرهم يشِتُ شتا ، وتشتت تشتّتًا ، فلما بني على (فعْلان) جعل بمنزلة الأصوات ، وكان معناه في التشتت مشبها باب (صهْ ومهْ) كما أشبه

(1) زيادة من الإغفال ، وليست في المعاني ، انظر الإغفال ٤٧٧/٢ .

(2) البيت من الطويل وينسب لجرير ، وقد رواه الفراء هكذا مع استبدال كلمة (خل) بكلمة (وصل) ، معانيه ٢٣٥/٢ ، ورواه أبو علي في الشيرازيات ٢٨٩/١ والإغفال ٤٨١/٢ ، وابن جني في الخصائص ٤٢/٢ :

* فهيهات هيهات العقيق ...* .

(3) معانيه ١٢/٤ ، ١٣ . (4) انظر المسألة ٩٣ ج٢ ص٤٧٦ : ٤٨٣ . (5) الإملاء ٥٦/٤ .

(6) البيان ١٨٤/٢ . (7) البحر ٤٠٥/٦ . (8) روح المعاني ٣٠/١٨ .

(9) منهج السالك١٩٩/٣ . (10) تفسيره ١٩٦/٢ . (11) انظر الكتاب ٢٩٣/٣.

باب (دراك) الأصوات وإن كان من (أدرك يدرك) " [١] .

والذي يفهم من كلامه هنا أن (شتان) ليس مصدرا بل هو اسم بني على (فعلان) ووضع موضع المصدر ، وهذا يخالف قول أبي حيان في الارتشاف : " وزعم الزجاج أنه مصدر جاء على (فعلان) " [٢] .

[أف] تناوله الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[٣] فقال : " في قوله : (أف) سبع لغات : الكسر بغير تنوين ، وبتنوين ، والضم بتنوين وبغيره ، وكذلك الفتح ، وفيه لغة سابعة ولا تجوز في القراءة هي (أفي) بياء ، فأما الكسر فلالتقاء الساكنين ، و(أف) غير متمكن بمنزلة الأصوات ، فإذا لم ينون فهو معرفة ، وإذا نون فهو نكرة بمنزلة (غاقٍ غاقٍ) في الصوت ، والفتح لالتقاء الساكنين أيضا ، والضم لأن قبله مضموم حسن أيضا ، والتنوين فيه كله على جهة النكرة " [٤] .

وتناوله في توجيه قوله تعالى : ﴿أُفٍّ لَكُمْ﴾ في سورة الأنبياء [٥] فقال : " فأما الكسر بغير تنوين فلالتقاء الساكنين وهما الفاءان في قولك (أف) ، وإنما أصل الكلمة السكون لأنها بمنزلة الأصوات ، وحذف التنوين لأنها معرفة لا يجب إعرابها ، وتفسيرها: النتن لكم .

ومن نون جعله نكرة بمنزلة تبا لكم ، وكسر لأن أصل التقاء الساكنين الكسر ، ولأن أكثر الأصوات مبني على الكسر نحو : غاق ، وجير ... ويجوز الفتح لالتقاء الساكنين لثقل التضعيف والكسر ، ويجوز الضم لضمة الألف كما قالوا : رُدُّ يا هذا، ورُدٌّ ، ورُدٌّ بالكسر ، ومن نون مع الضم فبمنزلة التنوين مع الكسر " [٦] .

قلت : الظاهر أن الزجاج يذهب إلى أن (أف) مدلوله المصدر ، والمشهور عند العلماء تقديره بمعنى الفعل المضارع ، وعلى ذلك سار أبو البقاء العكبري [٧] وابن هشام [٨] والمصرح [٨] والأشموني [٩] .

---

(١) ما ينصرف ص٩٦ . (٢) ارتشاف الضرب ٥/٢٣٠٤ . (٣) الإسراء /٢٣ .
(٤) معانيه ٣/٢٣٤ . (٥) آية /٦٨ . (٦) معانيه ٣/٣٩٨ .
(٧) الإملاء ٣/٤٧٧ . (٨) انظر التصريح ٢/١٩٧ . (٩) منهج السالك ٣/١٩٨ .

[وي] تناوله الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [1] ، وفي ذلك يقول : " هذه اللفظة أعني (ويكأنه) أشكلت على جماعة من أهل اللغة ، وجاء في التفسير أن معناها : ألم تر أنه لا يفلح الكافرون ، وقال بعض النحويين ـ وهذا غلط عظيم ـ : إن معناها : ويلك إنه لا يفلح الكافرون ، فحذف اللام وبقيت (ويك)، وحذف اعلم أنه لا يفلح الكافرون ، وهذا خطأ من غير جهة : لو كان كما قال لكانت (إن) مكسورة كما تقول : ويلك إنه قد كان كذا وكذا ، ومن جهة أخرى أنه حذف اللام من (ويل) .

والقول الصحيح في هذا ما ذكره سيبويه [2] عن الخليل ويونس قال : سألت عنها الخليل فزعم أنها (وي) مفصولة من (كأن) وأن القوم تنبهوا فقالوا : (وي) متندمين على ما سلف منهم ، وكل من تندم أو ندم فإظهار ندامته أن يقول : وي ، كما تعاتب الرجل على ما سلف منه فتقول : وي كأنك قصدت مكروهي ، فحقيقة الوقف عليها : ويْ ، وهو أجود في كلام العرب ، ومعناه التنبيه والتنديم ، قال الشاعر :

سالتاني الطلاق أن رأتاني   قل مالي قد جئتماني بنكر
ويكأن من يكن له نشب يحـ   ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر [3]

فتفسير الخليل مشاكل لما جاء في التفسير ؛ لأن قول المفسرين (أما ترى) هو تنبيه " [4] .

والقول الذي خطأه الزجاج هنا ذكره الفراء أيضا وخطأه [5] ، وهو قول نسبه الأشموني [6] إلى أبي عمرو بن العلاء ، وقد استدل ابن هشام وغيره بالآية على أن (وي) اسم فعل مضارع بمعنى (أعجب) ، والكاف اللاحقة به قيل: هي كاف الخطاب، وقيل : حرف تعليل [7] .

[آمين] تناوله الزجاج بعد فراغه من الفاتحة فقال : " وقول القائلين بعد الفراغ من الحمد ومن الدعاء : (آمين) فيه لغتان ، تقول العرب : أمين وآمين ، قال الشاعر :

---

(١) القصص /٨٢ .   (٢) الكتاب ١٥٤/٢ .
(٣) البيتان من الخفيف لزيد بن عمرو بن نفيل ، من شواهد الكتاب ١٥٥/٢ ، والخصائص ٤١/٣ ، والأشموني ١٩٩/٣ ، والبيت الثاني في شرح الكافية للرضي ٢١٠/٣ ، وانظر الخزانة ٤٠٤/٦ وما بعدها .
(٤) معانيه ١٥٦/٤ ، ١٥٧ .   (٥) انظر معاني الفراء ٣١٢/٢ .
(٦) منهج السالك ١٩٨/٣ ، ١٩٩ .   (٧) انظر المصدر السابق والتصريح ١٦٨/٢ ، ١٩٩ .

تباعد عني فطحل إذ دعوته   أمينَ فزاد الله ما بيننا بعدا [(١)]

وقال الشاعر أيضا :

يا رب لا تسلبني حبها أبدا   ويرحم الله عبداً قال آمينا [(٢)]

ومعناه : اللهم استجب ، وهما موضوعان في موضع اسم الاستجابة كما أن قولنا (صه) موضوع موضع (سكوتا) ، وحقهما من الإعراب الوقف ؛ لأنهما بمنزلة الأصوات إذ كانا غير مشتقين من فعل ، إلا أن النون فتحت فيهما لالتقاء الساكنين، فإن قال قائل : ألا كسر ت النون لالتقاء الساكنين ؟ قيل : الكسرة تثقل بعد الياء ، ألا ترى أن (أين) و(كيف) فتحتها لالتقاء الساكنين ولم تكسرا لثقل الكسرة بعد الياء " [(٣)] .

[صه] تقدم تناول الزجاج له مع (آمين) .

[هلم] تناوله الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾ [(٤)] ، وفي ذلك يقول: " زعم سيبويه [(٥)] أنها (ها) ضمت إليها (لم) وجعلتا كالكلمة الواحدة ، وأكثر اللغات : هلم للواحد والجميع والاثنين كقوله : ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [(٦)] ، ومن العرب من يثني ويجمع ويؤنث ، فيقول للذكر : هلم، وللاثنين : هلما ، وللجماعة : هلموا، وللمرأة : هلمي ، وللاثنتين : هلما ، وللنسوة : هلممن ، وفتحت لأنها مدغمة كما فتحت (ردَّ يا هذا) في الأمر لالتقاء الساكنين ، ولا يجوز فيها (هلمُّ) بالضم كما يجوز في (ردّ) الفتح والكسر والضم ؛ لأنها لا تتصرف " [(٧)] .

[هيت] تناوله الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [(٨)] ، وفي ذلك يقول: " أما الفتح - يعني فتح التاء فيه - فهو أكثر كلام العرب ، قال الشاعر :

أبلغ أمير المؤمنيـ   ـن أخا العراق إذا أتيتا

أن العـراق وأهـله   عـنـق إليك فهـيت هـيتا [(٩)]

---

(١) البيت من الطويل ، وينسب لجـبير بن الأضبط ، وانظره في ابن يعيش ٣٤/٤ ومنهج السـالك ١٩٧/٣ ، واللسان (أمن) .

(٢) البيت من البسيط ، وقائله مجنون ليلى أو عمر بن أبي ربيعة ، وانظره في ابن يعيش ٣٤/٤ ، ومنهج السالك ١٩٧/٣ ، واللسان (أمن) .

(٣) معانيه ٥٤/١ .   (٤) الأنعام /١٥٠ .   (٥) الكتاب ٣٣٢/٣ ، ٣٣٣ .

(٦) الأحزاب /١٨ .   (٧) معانيه ٣٠٣/٢ .   (٨) يوسف /٢٣ .

(٩) البيتان من الكامل المجزوء ، والثاني منهما أنشد الفراء عجزه برواية : " سلم عليك ... "(معانيه ٤٠/٢)، وأنشده ابن جني كالزجاج (الخصائص ٢٧٩/١) وانظرهما في مجاز أبي عبيدة ٣٠٥/١ .

أي : فأقبل وتعال ... فأما الفتح في (هيت) فلأنها بمنزلة الأصوات ليس فيها فعل يتصرف ففتحت التاء لسكونها وسكون الياء ، واختير الفتح لأن قبل التاء ياء كما قالوا: كيف وأين ، ومن قال : هيتِ لك بكسر التاء فلأن أصل التقاء الساكنين حركته الكسر ، ومن قال : (هيتُ) ضمها لأنها في معنى الغايات ، كأنها قالت : دعائي لك ، فلما حذفت الإضافة وتضمنت (هيت) معناها بنيت على الضم كما بنيت: حيث ومنذ يا هذا " [1] .

[إيه] تحدث عنه الزجاج في كتابه (ما ينصرف) في أثناء شرحه لقول العرب (فداءٍ لك)، وفي ذلك يقول : " فأما قولهم (فداءٍ لك) فقال [2] : كثر استعمالهم إياه وكان الجر أخف عليهم من الرفع ، قال أبو إسحاق : (فداءٍ لك) موضوع موضع الدعاء والأمر ، فلذلك كسر لالتقاء الساكنين ووضع موضع (ليفدِكَ أبي وأمي) ، ونون لأنه استعمل نكرة ، ولا يجوز حذف التنوين ، كما أنك إذا قلت : (إيهًا) تريد (اكفف عنا) لم يجز حذف التنوين .

وزعم الأصمعي أن قولك (إيهٍ) تريد (حدثنا) لا يجوز فيه حذف التنوين في الوصل، وزعم أن قول ذي الرمة :

وقفنا فقلنا إيهِ عن أم سالمٍ   وما بال تكليم الديار البلاقع [3]

شاذ لأنه ترك التنوين ، وهذا كما قال الأصمعي في أنه شاذ ، والقياس يوجبه على قياس (غاق) فيمن لم ينون " [4] .

[حيهل] ذكره الزجاج في باب المركبات من كتابه (ما ينصرف) فقال : " ومن هذا الباب (حيَّهَلَ) ، فأكثر العرب يبنيه على الفتح لأنهما شيئان جعلا اسمًا واحدًا ، تقول: حيَّهَلَ بفلان ، وزعم سيبويه [5] أن بعضهم يقول : حيَّ هلَ الصلاة ، بمنزلة : إيت الصلاة ، وزعم أن بعضهم يجعله اسمًا بمنزلة (حضرموت) ، وأنشد :

وهيج الحي من دار فظل لها   يوم كثير تناديه وحيهله [6]

---

(1) معانيه ٣/١٠٠ .   (2) الضمير لسيبويه ، انظر الكتاب ٣/٣٠٢ .
(3) البيت من بحر الطويل ، انظره في ابن يعيش ٤/٣١ ، ٧١ ، ٩/٣٠ ، وشرح الكافية للرضي ٣/١٧٢ ، والخزانة ٦/٢٠٨ .
(4) ما ينصرف ص١٠٨ ، ١٠٩ .   (5) الكتاب ٣/٣٠٠ .
(6) البيت من بحر البسيط ، من شواهد سيبويه ٣/٣٠٠ ، وانظر ابن يعيش ٤/٤٦ ، وشرح الكافية للرضي ٣/١٨٢ ، والخزانة ٦/٢٦٦ .

ويعضهم يقول : (حيَّهلا) يجعل (هلا) مع (حي) بمنزلة شيء واحد ، وأنشد :

بحيهلا يزجون كل مطية ... أمام المطايا سيرها المتقاذف [1] " [2]

تنوين اسم الفعل :

تقدم حديثه هنا في توجيه قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ .

هل يتقدم معمول اسم الفعل عليه ؟

منع ذلك الزجاج حيث قال في توجيه قوله تعالى : ﴿كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾[3]:" يجوز أن يكون منصوبا على جهة الأمر ، ويكون (عليكم) مفسرا له ، فيكَون المعنى : الزموا كتاب الله ، ولا يجوز أن يكون منصوبا بـ(عليكم) ؛ لأن قولك : عليك زيدا ليس له ناصب متصرف فيجوز تقديم منصوبه ، وقول الشاعر :

يا أيها المائح دلوي دونكا

إني رأيت الناس يحمدونكا [4]

يجوز أن يكون (دلوي) في موضع نصب بإضمار : خذ دلوي ، ولا يجوز على أن يكون (دونك دلوي) لما شرحناه، ويجوز أن يكون (دلوي) في موضع رفع ، والمعنى : هذا دلوي دونكا " [5] .

(١) من بحر الطويل ، للنابغة الجعدي ، من شواهد سيبويه ٣/٣٠١ ، وانظر ابن يعيش ٤/٤٦ وشرح الكافية للرضي ٣/١٨٣ .

(٢) ما ينصرف ص١٠٧ ، ١٠٨ .

(٣) النساء /٢٤ .

(٤) من مشطور الرجز لراجز جاهلي أو لجارية من بني مازن ، وانظره في شرح الكافية للرضي ٣/١٧٠ ، والخزانة ٦/٢٠٠ ، ومنهج السالك ٣/٢٠٦ .

(٥) معانيه ٢/٣٦ .

الفصل السادس والثلاثون

نونا التوكيد

أمثلة للنون الثقيلة :

يقول الزجاج في توجيه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] :" موضع (تتبعان) جزم ، إلا أن النون الشديدة دخلت للنهي مؤكدة ، وكسرت لسكونها وسكون النون التي قبلها ، واختير لها الكسر لأنها بعد الألف فشبه بنون الاثنين "[2] .

كما ذكر في توجيه قوله تعالى :﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[3] أن المجيء بالنون الثقيلة أو الخفيفة يكون أوكد للكلام[4] ، وتقدم نحو ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾[5] في فصل المعرب والمبني ، وسيأتي نحوه في فصل عوامل الجزم في الحديث عن فعل الشرط .

أمثلة للنون الخفيفة :

يقول الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾[6] : " القراءة الجيدة تخفيف (ليكونن) والوقف عليها بألف ؛ لأن النون الخفيفة يبدل منها في الوقف الألف ، تقول : اضربن ، فإذا وقفت قلت : اضربا ، كما أبدلت في رأيت زيدا الألف من التنوين ، وقد قرئت (ليكوننْ) بتشديد النون ، وأكرهها لخلاف المصحف؛ لأن الشديدة لا يبدل منها شيء "[7] .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾[8] : " تقرأ : ليسوء وجوهكم ، المعنى : فإذا جاء وعد الآخرة ليسوء الوعد وجوهكم ، ومن قرأ (ليسوءوا) فالمعنى : ليسوء هؤلاء القوم وجوهكم ، وقد قرئت (ليسوءنْ وجوهكم)

---

(١) يونس /٨٩ . (٢) معانيه ٣/٣١ . (٣) الأنفال /٢٥ .
(٤) معانيه ٣/٣١ . (٥) البقرة /٣٨ . (٦) يوسف /٣٢ .
(٧) معانيه ٣/١٠٨ . (٨) الإسراء /٧ .

بالنون الخفيفة، ومعناه : ليسوءن الوعد وجوهكم ، والوقف عليها : ليسوءا ، والأجود: ليسوء بغير نون ، وليسوءوا ، ويجوز : ليسُؤ وجوهكم ، ويكون الفعل للوعد على الأمر، ولم يقرأ به " [1] .

قلت : ما ذكره في القراءة بالنون الخفيفة خلاف ما نص عليه العلماء بعده كالزمخشري [2] وأبي حيان [3] والألوسي [4] ، فقد نصوا على أن القراءة بالنون الخفيفة هي (لِنسوءن) بلام الأمر والنون التي للعظمة ، وهي قراءة غير متواترة قرأ بها أبيّ ، كما نصوا على أن القراءة بالياء يصحبها نون التوكيد الشديدة ، وهي قراءة علي كرم الله وجهه .

الغرض من المجيء بالنونين :

تقدم هنا ما يفيد أن الغرض من المجيء بهما هو التوكيد ، وسيأتي نحوه في بعض أساليب الشرط .

الوقف على النونين :

تقدم في كلامه هنا أن الوقف على النون الخفيفة بإبدالها ألفا ، وأن النون الثقيلة لا يبدل منها شيء عند الوقف .

توجيه كسر النون الثقيلة في نحو (لا تضربان) :

تقدم ذلك هنا في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

أثر التوكيد بالنونين على الفعل المضارع :

تقدم ذكره في فصل المعرب والمبني .

---

(1) معانيه ٣/٢٢٨ .
(2) الكشاف ٢/٥٠٧ .
(3) البحر ٦/١١ .
(4) روح المعاني ١٥/١٩ .

الفصل السابع والثلاثون

ما لا ينصرف

هذا الفصل يعد أوفر الفصول النحوية عند الزجاج بحثا ودرسا ، وذلك لأن الزجاج خصه بكتاب من مؤلفاته ، وهو كتاب (ما ينصرف وما لا ينصرف) ، كما أنه نشر مباحثه في كتابه (معاني القرآن وإعرابه) ، وهذه محاولة لجمع ما كتبه الزجاج في هذين الكتابين .

الفرق بين المنصرف وغير المنصرف :

بين الزجاج في أول كتابه (ما ينصرف وما لا ينصرف) أن الذي ينصرف هو الذي يدخله مع الرفع والنصب الخفض ، ويدخله مع الحركات التنوين [1] ، وبين أن التنوين عند العرب علامة لأمكن الأشياء عندهم ، وقد يكون متمكن لا تنوين فيه ، وكل ما لا ينصرف غير منون ؛ لأنه ناقص التمكن ، فمنع التنوين للفصل بين الاسم المستوفي التمكن ، وهو المنصرف ، وبين الناقص التمكن وهو الذي لا ينصرف [1] .

لماذا امتنع الخفض في ما لا ينصرف ؟

بين ذلك الزجاج في كتابه (ما ينصرف ...) بقوله : " فأما الجر ـ وهو الخفض ـ فإنما امتنع فيما لا ينصرف من قبل أن ما لا ينصرف فرع في الأسماء كما أن الأفعال فرع عن الأسماء ؛ لأن الاسم قبل الفعل ، فقد أشبه ما لا ينصرف الفعل فلا يكون في أنحاء إعرابه ما لا يدخل الفعل ، فلذلك جعل المخفوض فيه مفتوحا ، فالفتح فيه بناء إذ لم يمكن أن يدخله إعراب لا يدخل في الفعل مثله فأبدل من الكسر بناء الفتح ، كما أن الأفعال حين ضارعت الأسماء أعطيت الإعراب ، كذلك إذا ضارع الاسم الفعل منع ما لا يدخل الفعل ، وكرهوا إذ لم يخفضوا أن يقفوا الاسم وهو في موضع تجب له فيه حركة إعراب فلا يكون بين الأسماء المتمكنة ، وبين الأسماء التي هي غير متمكنة وهي

---

(١) ما ينصرف ص١ .

مبنية على الوقف فرق ، ألا ترى أنك تقول : مررت بمن عندك ، فـ(من) موقوفة ، ولو قلت : مررت بعمرْ يا هذا فوقفت الراء كنت قد سويت بين (من) التي هي مبهمة وبين (عمر) الذي هو غير مبهم [(١)] .

سبب المنع من الصرف :

يقول الزجاج مبينا ذلك في كتابه (ما ينصرف ...) : " واعلم أن جميع ما لا ينصرف من الأسماء فإنما امتنع من الصرف لشيئين من الفرع يدخلان فيخرجانه من أصل التمكن وأصول الأسماء ، وذلك نحو رجل سميته بـ(أحمد) اجتمع فيه شيئان وهما أنه على مثال الفعل نحو : أذهب وأعلم ، وأنه معرفة فاجتمع فيه شيئان وهما : شبه الفعل والتعريف ، تقول: مررت بأحمدَ فتحذف التنوين وتفتح في موضع الخفض، فإن نكرت الاسم فقلت : مررت بأحمدَ وأحمدٍ آخر ، أي مررت بأحمد الذي تعرفه وبأحمدٍ آخر لا تعرفه، فلما حط الاسم عن التعريف بقي فيه شبه الفعل وحده فانصرف، فإن قال قائل : ما باله ينصرف ولفظه لفظ الفعل ؟ فالجواب في ذلك أنه دخله جهة واحدة من الفرع ، وله في نفسه جهة تمكن الأصل ، فلم تمنع الجهة الأصلية جهة واحدة فرعية فكان الأصل أغلب وأقوى ، فإذا اجتمعت جهتان من الفرع غلبتا جهة واحدة من الأصل ، فصار الفرع أملك ، فعلى هذا قياس كل ما لا ينصرف " [(٢)] .

الفروع أو العلل المانعة من الصرف :

ذكر الزجاج تلك الفروع على سبيل الإجمال في أول كتابه (ما ينصرف) قائلا : " ونحن نقدم قبل ذكر الأبواب كل الجهات التي هي فروع التي إذا اجتمع منها اثنان على الاسم منعا الصرف ، وتلك الجهات :

- هي الصفة ، فالصفة فرع لأن الموصوف قبل الصفة .
- وهي التأنيث ؛ لأن التذكير قبل التأنيث ، ألا ترى أنك تقول : قائم ، ثم تقول : قائمة فيدخل التأنيث على التذكير ، وتقول في كل معلوم : هو شيء قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى ، والشيء ذكر .
- ومن جهات الفروع: المعرفة؛ لأن الاسم يكون نكرة ثم يعرف كقولك: رجل، والرجل.
- ومن جهات الفروع : شبه لفظ الفعل ؛ لأن الفعل فرع عن الاسم ...

(١) ما ينصرف وما لا ينصرف /١ ، ٢ .   (٢) المصدر السابق ص٢ ، ٣ .

- ومن الفروع الجمع ؛ لأن الواحد أول العدد ، فالجمع فرع ...
- ومنه عدل الاسم عن جهته ، فإن العدل فرع أيضا ؛ لأن عدلك إياه عن أصله هي إزالة عن الأصل .
- ومن الفروع أن تكون علامة التأنيث داخلة على غير جهة دخول الهاء ، فمخالفتها جهة التأنيث فرع ثان في التأنيث .
- ومن الفروع أن يكون الاسم أعجميا ؛ فالعجمية فرع في العربية .

فهذه الفروع هي جميع ما يمنع الصرف ، فإذا اجتمع منها شيئان في الاسم منعا الصرف كما وصفنا " [1] .

ما منع من الصرف لعلة واحدة

أولا : ما ختم بألف التأنيث المقصورة :

تحدث الزجاج في كتابه ما ينصرف عما ختم بهذه الألف فقال : " هذا باب ما كانت فيه ألف التأنيث ... اعلم أن ما كانت فيه ألف التأنيث لم ينصرف في معرفة ولا نكرة ، وذلك نحو : سكرى وغضبى وعطشى ، وحبارى وجمادى ، وأنثى وتقوى وشروى، ومعنى شروى الشيء : مقداره ، وإنما لم ينصرف هذا الباب في معرفة ولا نكرة لأن فيه ألف التأنيث ، وهو مع ذلك مبني على الألف ، لم تلحقه الألف بعد تمام بنائه نحو قائم وقائمة ، فلم يكن قولك : حُبْلَ لشيء ثم لحقته ألف للتأنيث ، فاجتمع شيئان : ألف التأنيث ومخالفة جهة تاء التأنيث " [2] .

حكم المنتهي بألف مختلف فيها :

عقد الزجاج لذلك بابا في كتابه (ما ينصرف) عنوانه : (هذا باب ما لحقته الألف فجعله بعض العرب للتأنيث وجعله بعضهم لغير التأنيث) ، وقد ذكر في هذا الباب ثلاثة أسماء ، وهي : علقى وتترى وذفرى ، وقال في (علقى) : " أكثرهم يقول : علقًى فينون، ويدخل عليها هاء التأنيث فيقول : علقاة ، وذكر سيبويه [3] أن بعض العرب يجعل الألف فيه للتأنيث فيقول : (هذه علقى) غير منونة ، وزعم أن العجاج كان ينشد قوله :

---

(١) ما ينصرف ص٣ : ٥ .   (٢) ما ينصرف ص٢٧ .   (٣) الكتاب ٣/٢١٢ .

يستن في علقى وفي مكور [1]

والعلقى والمكور : نبتان " [2] .

وقال في (تترى) : " فيها لغتان : بعض العرب لا ينونها ، وبعضهم ينونها فيقول : ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ [3] ، فمن لم ينون جعل ألفها للتأنيث ، ومن نونها جعل ألفها تلحق الثلاثة بالأربعة " [4] ، ثم رجح عدم التنوين في الآية بأنها في المصحف مرسومة بالياء ، وألف النصب لا تكون ياء ، قال : " وإنما تكتب ألف التأنيث ياء لأنها إذا ثنيت أبدل من الألف ياء فقيل : حبليان " [5] .

وقال في (ذفرى) : " أكثر العرب لا يصرفها ، وهما ذفريان ، وهما العظمان الناتئان في قفا البعير وغيره ، ومن العرب من ينونها ويصرفها فيقول : هذه ذفرًى أسيلة " [6] .

وتناول كلمة (تترى) في موضع آخر من كتابه (ما ينصرف) قائلا : " فأما (تترى) فإنما هو من المواترة ، وأصلها (وترى) ولكن الواو قلبت تاء ... فمن لم يصرف (تترى) جعلها (فعلى) والألف ألف تأنيث ، ومن صرف جعل الألف ألف نصب وجعل (وترا) على تقدير (فَعْل) وألحق الألف للنصب " [7] .

حكم المنتهي بألف الإلحاق أو ألف زائدة :

وأمثلته : معزى ، وأرطى ، وحبنطى ، ودلنظى (شديد) ، وقد عقد له الزجاج بابا في كتاب (ما ينصرف) عنوانه : (هذا باب ما لحقته الألف في آخره فمنعه ذلك من الانصراف في المعرفة وانصرف في النكرة) ، وفيه يقول : " وإنما انصرف هذا الضرب في النكرة لأن ألفه لغير التأنيث ، يقال لضرب من الشجر : (أرطى) ، والواحدة (أرطاة) ، و(معزى) يذكر ، قال الشاعر :

ومعزى هيدبا يعلو قران الأرض سودانا [8]

---

(1) من مشطور الرجز ، من شواهد الكتاب ٢١٢/٣، وانظره في التكملة لأبي علي الفارسي ص٣١٢، والخصائص ٢٧٤/١ ، ٣٠٩/٣ .

(2) ما ينصرف ص٢٨ . (3) المؤمنون /٤٤ . (4) و(5) ما ينصرف ص٢٨ ، ٢٩ .

(6) ما ينصرف ص٢٩ . (7) المصدر السابق ص١٧ ، وانظر معانيه ١٤/٤ .

(8) من بحر الوافر ، من شواهد الكتاب ٢١٩/٣ ، وانظر ابن يعيش ٦٣/٥ ، ١٤٧/٩ ، والهيدب : الكثير الهدب، والمراد به الشعر .

فهذه الألف ألحقت الثلاثة بالأربعة ، فـ(أرطى) أصله (أرط) من قولهم : أديم مأروط أي مدبوغ بالأرطى ، فالألف ألحقته ببناء جعفر وسلهب، وألف (معزى) زائدة، يدلك على ذلك قولهم (مَعْز)، فمعزى ملحق بدرهم، وحبنطى ملحق بجحنفل، وكذلك قبعثرى الألف فيه زائدة ، ويؤنث فيقال : قبعثراة ، وإذا سميت رجلا (معزى) أو (حبنطى) أو بشيء من هذه التي ذكرناها في هذا الباب لم ينصرف في المعرفة وانصرف في النكرة ، وإنما لم ينصرف في المعرفة لأن فيه ألفا تشبه التأنيث في الزيادة وأنه معرفة، فإذا نكر انصرف في النكرة ليفرق بين الألف الزائدة التي لغير التأنيث وبين ألف التأنيث " [1] .

ثانيا : ما ختم بألف التأنيث الممدودة :

عقد له الزجاج بابا في كتابه (ما ينصرف) عنوانه : (هذا باب ما لحقته ألف التأنيث بعد ألف زائدة فمنعه ذلك من الانصراف في المعرفة والنكرة) ، ثم قال : " وذلك نحو : سوداء وصفراء ، فإنما الأصل في (حمراء) أن الثانية قد أبدلت همزة لحقت بعد ألف فالتقى ساكنان فلم يجز حذف الأولى ؛ لأنك لو حذفت من حمراء لبقي حمرى مثل سكرى ، فلم يكن بين الممدود والمقصور فرق ، فأبدلت من الألف الثانية همزة ، ومنع هذا البناء الصرف ؛ لأنك تريد بالهمزة ما تريد بالألف ... فمعنى هذه الهمزة كمعنى ألف التأنيث فأجريت مجراها ... قال سيبويه [2] : ومن هذا الباب قولك : كبرياء ، وقُوَباء ، ورُحَضاء ، ومنه : براكاء القتال وبروكاء القتال ـ الصبر على القتال ، مشتق من البرك ـ ومنه : القاصعاء ، والدأماء ، والنافقاء ـ لحجرة اليربوع ـ ومنه زكرياء ، ومنه شركاء ، وفقهاء ، ومنه : خشَشاء يا هذا ، وهو العظم الذي خلف الأذن " [3] .

ثم ذكر أن (غوغاء) اختلفت فيه العرب ، فمنهم من لا يصرفه ويجعله بمنزلة (صحراء) ، ومنهم من يصرفه ويجعله بمنزلة (زلزال) و(قلقال) ، وهو المختار عنده .

ثم ذكر أن (قوباء) إذا أسكنت واوها فلا يجوز فيها إلا الصرف ؛ لأن ألف التأنيث لم تلحق شيئا على هذا المثال ، وكذلك الشأن فيمن قال في خُشَشاء : خشّاء بالإدغام [4] .

---

(١) ما ينصرف ص٣٠ ، ٣١ .
(٢) الكتاب ٣/٢١٣ : ٢١٥ .
(٣) ما ينصرف ص٣٢ ، ٣٣ .
(٤) ما ينصرف ص٣٤ .

وفي معاني القرآن وإعرابه ستة مواضع تدخل في هذه المسألة ، وهي :

١ـ يقول الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[١]: " (شهداء) في موضع نصب خبر (تكونوا) إلا أن (شهداء) لا ينون ؛ لأنه لا ينصرف لأن فيه ألف التأنيث ، وألف التأنيث يبنى معها الاسم ، ولم يلحق بعد الفراغ من الاسم ، فلذلك لم تنصرف (شهداء) " [٢] .

وقد أشار بقوله : (يبنى معها الاسم) إلى لزوم ألف التأنيث لما وقعت فيه ، ويقول النحويون : إن المختوم بألف التأنيث يمنع من الصرف لعلتين : إحداهما معنوية وهي كونه دالا على مؤنث ، والأخرى لفظية وهي لزوم علامته [٣] .

٢ـ ويقول في توجيه قوله تعالى : ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [٤] : " في هذا غير وجه ، يجوز (وكفلها زكرياء) بالمد (كلما دخل عليها زكرياء) ، (وكفلها زكريا) بالقصر (كلما دخل عليها زكريا) بالقصر ، وفي (زكريا) ثلاث لغات هي المشهورة المعروفة : زكرياء بالمد ، وزكريا بالقصر غير منون في الجهتين جميعا ، وزكريٌّ بحذف الألف معرب منون ، فأما ترك صرفه فلأن في آخره ألفي التأنيث في المد ، وألف التأنيث في القصر ، وقال بعض النحويين : إنه لم يصرف لأنه أعجمي ، وما كانت فيه ألف التأنيث فهو سواء في العربية والعجمية ؛ لأن ما كان أعجميا فهو ينصرف في النكرة ؛ لأن فيها علامة التأنيث ، وأنها مصوغة مع الاسم صيغة واحدة ، فقد فارقت هاء التأنيث ، فلذلك لم تصرف في النكرة ... " [٥] .

٣ـ وقال في قوله تعالى : ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ ...﴾ [٦] : " لا يصرف (أنبياء) لأنه مبني على ألف التأنيث ، وهو غير مصروف في المعرفة والنكرة لأن فيه علامة التأنيث، وهي مع أنها علامة التأنيث مبنية مع الاسم على غير خروج التأنيث عن التذكير نحو : قائم وقائمة " [٧] .

(١) البقرة /١٤٣ .
(٢) معانيه ٢١٩/١ ، ٢٢٠ .
(٣) انظر التصريح ٢١٠/٢ ، والأشموني ٢٣٠/٣ ، وانظر ص٥ من كتاب ما ينصرف .
(٤) آل عمران /٣٧ .
(٥) معانيه ٤٠٢/١ .
(٦) المائدة /٢٠ .
(٧) معانيه ١٦٥/٢ .

٤ـ وقال في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ...﴾ [(١)] " (أشياء) في موضع جر ، إلا أنها فتحت لأنها لا تنصرف ، وقال الكسائي : أشبه آخرها آخر حمراء ، ووزنها عنده (أفعال) ، وكثر استعمالهم فلم تصرف ، وقد أجمع البصريون وأكثر الكوفيين على أن قول الكسائي خطأ في هذا ، وألزموه أن لا يصرف (أبناء) و(أسماء) .

وقال الأخفش سعيد بن مسعدة والفراء : أصلها أفعلاء ، كما تقول : هيْنٌ وأهوناء ، إلا أنه كان الأصل : أشيئاء على وزن أشيعاع ، فاجتمعت همزتان بينهما ألف فحذفت الهمزة الأولى ، وهذا غلط أيضا ؛ لأن شيئا فعْلٌ ، وفعْلٌ لا يجمع على أفعلاء ، فأما هيْنٌ فأصله : هيِّنٌ ، فجمع على أفعلاء كما يجمع فعيل على أفعلاء مثل نصيب وأنصباء .

وقال الخليل : أشياء اسم للجميع كأن أصله فعلاء : شيئاء فاستثقلت الهمزتان فقلبت الأولى إلى أول الكلمة فجعلت لفعاء كما قالوا : أنوُق فقلبوا : أينُق ، كما قلبوا قووس فقالوا : قِسِيّ ، ويصدق قول الخليل جمعهم أشياء على أشاوى وأشايا .

وقول الخليل هو مذهب سيبويه وأبي عثمان المازني وجميع البصريين إلا الزيادي منهم فإنه كان يميل إلى قول الأخفش ، وذكروا أن المازني ناظر الأخفش في هذا فقطع المازني الأخفش ، وذلك أنه سأله : كيف تصغر أشياء ؟ فقال : أُشَيَّاء فاعلم ، ولو كانت أفعلاء لردت في التصغير إلى واحدها فقيل : شييئات ، وإجماع البصريين أن تصغير أصدقاء إذا كان للمؤنثات : صديْقات ، وإن كان للمذكرين : صديقون " [(٢)] .

٥ـ وقال في قوله تعالى : ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [(٣)] : " وقرأ بعض الشيخة : (وعلم أن فيكم ضعفاء) على فعلاء ، على جمع ضعيف وضعفاء ، ولم يصرف ولم ينون ؛ لأن فعلاء في آخرها ألف التأنيث " [(٤)] .

٦ـ وقال في قوله تعالى : ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ [(٥)] : " من قال : سَيناء فهو

(١) المائدة /١٠١ . (٢) معانيه ٢/٢١٢ ، ٢١٣ . (٣) الأنفال /٦٦ .
(٤) معانيه ٢/٤٢٤ . (٥) المؤمنون /٢٠ .

على وزن صحراء لا ينصرف، ومن قال: (سِيناء) بكسر السين فليس في الكلام على وزن فِعلاء على أن الألف للتأنيث ؛ لأنه ليس في الكلام ما فيه ألف على وزن فِعلاء، ونحو (عِلباء) منصرف ، إلا أن سيناء ههنا اسم للبقعة فلا ينصرف "[1] .

ثالثا : ما كان جمعا موازنا لمفاعل ومفاعيل :

عقد الزجاج في كتابه (ما ينصرف) بابا أسماه (باب ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل) [2] ، وقال : " نحو (مساجد) و(مفاتيح) وكل جمع يأتي بعد ألفه حرفان أو ثلاثة الأوسط منها حرف لين نحو : خواتيم ، ودوانيق ، وكواهل ، وجواهر ، ودراهم ، ودنانير " ، ثم قال : " اعلم أن ما كان على ما وصفنا لا ينصرف شيء من ذلك في النكرة ، فإن كان معرفة كان أبعد لصرفه ، وإنما منعهم من صرف هذا المثال أنه جمع، وأنه على مثال ليس يكون في الواحد ، ليس في الأسماء التي هي لواحد مثل شيء مما ذكرنا " .

ثم ضرب أمثلة لجموع لها نظير من الواحد وحقها الصرف مثل قلوب الذي نظيره قعود ، وغزلان الذي نظيره عرفان .

ثم ذكر أن (سراويل) اسم أعجمي أشبه من كلام العرب ما لا ينصرف ، وإنما هو بالفارسية (شروال) ، وقد بناه العرب على ما لا ينصرف من كلامهم فمنع من الصرف لذلك ، فإذا صغر صرف إلا أن يكون اسم رجل .

ثم ذكر أن (شراحيل) من الجمع والواحد شرحال فهو غير مصروف .

وذكر أن ما كان نحو (كراسيّ) و(دباسيّ) و(بخاتيّ) غير مصروف لكونه جمعا ، والواحد : كرسي ، ودبسي ، وبختي .

ونقل عن سيبويه أن عواديّ وعواريّ وحواليّ غير مصروفات ؛ لأن الياء التي فيها كانت في الواحد نحو عادية وعارية وحولي ، قال : " وإن سميت رجلا بـ(عباقي) أو (علاني) فإن الوجه فيه ألا ينصرف ؛ لأنه يشبه الجمع الذي ليس يكون عليه الواحد ، وجائز أن يشبه برباعٍ وثمانٍ فيصرف " .

قال سيبويه [3] : وقد شبه الشاعر (ثماني) بـ(جواري) فلم يصرفه ، قال :

---

(١) معانيه ٤/١٠ . (٢) ما ينصرف ص٤٦ : ٤٨ . (٣) الكتاب ٣/٢٣١ .

يحدو ثماني مولعا بلقاحها   حتى هممن بزيغة الإرتاج [1] "

ثم ذكر أن (هباي) جمع هبيٍّ وهبيَّة للصغير والصغيرة لا يصرف ، وأن (حضاجر) اسما للضبع منع من الصرف لكونه في معنى الجمع ، وقال : " زعم سيبويه أنها سميت بجمع الحضجر، والحضجر : الوطب العظيم ، فكأنها قيل لها (حضاجر) لعظم بطنها ".

وذكر في موضع آخر من كتاب (ما ينصرف) أن نحو : قواضٍ ودواعٍ وعذارٍ وصحارٍ مصروفة في الرفع والجر نحو : هؤلاء عذارٍ وصحارٍ ، فإذا كانت في حال النصب امتنعت من الصرف نحو : رأيت قواضيَ ودواعيَ، ورأيت صحاريَ وعذاريَ[2].

وفي معاني القرآن وإعرابه ستة أمثلة لهذا الموضع ، وهي :

الأول : (غواشي) في قوله تعالى : ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[3] ، وفي توجيهه يقول الزجاج : " وقوله (غواش) زعم سيبويه والخليل جميعا أن النون ههنا عوض من الياء ؛ لأن (غواشي) لا تنصرف ، والأصل : غواشيُ بالياء والضم ، إلا أن الضمة تحذف لثقلها في الياء ، فيبقى (غواشي) بسكون الياء ، فإذا ذهبت الضمة أدخلت النون عوضا منها ، كذلك فسر أصحاب سيبويه ، وكان سيبويه يذهب إلى أن التنوين عوض من ذهاب حركة الياء، والياء سقطت لسكونها وسكون التنوين"[4].

والثاني : (مواطن) في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [5] ، وفيه يقول الزجاج : " زعم بعض النحويين أن (مواطن) لم ينصرف ههنا لأنه جمع وأنها لا تجمع، قال أبو إسحاق : وإنما لم تجمع لأنها لا تدخل عليها الألف والتاء ، لا تقول : مواطنات ولا حدائدات إلا في شعر ، وإنما سمع قول الخليل : إنه جمع لا يكون على مثال الواحد ، وتأويله عند الخليل أن الجموع أبدا تتناهى إليه فليس بعده جمع ، لو كسرت ـ أي جمعت ـ على التكسير أقوال فقلت : أقاويل لم يتهيأ لك أن تكسر أقاويل، ولكنك قد تقول : أقاويلات ، قال الشاعر :

---

(1) من الكامل لابن ميادة ، من شواهد الكتاب ٢٣١/٣ ، وهو في شرح الكافية للرضي ٩٦/١ ، والخزانة ١٥٧/١ ، وانظر الأشموني ٢٤٨/٣ .

(2) ما ينصرف ص١١٢ .

(3) الأعراف /٤١ .

(4) معانيه ٣٣٨/٢ .

(5) التوبة /٢٥ .

فهن يعلكن حدائداتها [1]

وإنما لم ينصرف (مواطن) عند الخليل لأنه جمع وأنه ليس على مثال الواحد ، ومعنى (ليس على مثال الواحد) أي ليس في ألفاظ الواحد ما جاء على لفظه ، وأنه لا يجمع كما يجمع الواحد جمع تكسير " [2] .

والثالث : (صوافّ) في قوله تعالى : ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ [3] ، وفيه يقول : " (صوافّ) منصوب على الحال ولكنها لا تنون لأنها لَا تنصرف " [4] .

والرابع : (مثاني) في قوله تعالى : ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ [5] ، وفيه يقول : " لم ينصرف (مثاني) لما فسرنا من أنه جمع ليس على مثال الواحد " [6] .

والخامس : (سلاسل) ، يقول في قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ﴾ [7] : " الأجود في العربية ألا تصرف (سلاسل) ، ولكن لما جعلت رأس آية صرفت لتكون الآي على لفظ واحد " [8] ، ومراده تعليل الصرف بقصد الازدواج والمشاكلة .

والسادس : (قوارير) ، يقول الزجاج في قوله تعالى : ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا . قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [9] : " قرئت غير مصروفة ، وهذا الاختيار عند النحويين ؛ لأن كل جمع يأتي بعد ألفه حرفان لا ينصرف ، ومن قرأ (قواريرًا) فصرف الأول فلأنه رأس آية ، وترك صرف الثاني لأنه ليس بآخر آية ، ومن صرف الثاني أتبع اللفظ اللفظ ؛ لأن العرب ربما قلبت إعراب شيء لتتبع اللفظ اللفظ فتقول : هذا جحر ضبٍّ خربٍ ، وإنما الخرب من نعت الجحر ، فكيف بما يترك صرفه ؟ وجميع ما يترك صرفه يجوز صرفه في الشعر " [10] .

---

(١) من مشطور الرجز وينسب للأحمر ، وانظره في الخصائص ٢٣٦/٣ ، واللسان (صدد) ، ويقال : علكت الدابة اللجام : لاكته وحركته في فيها .

(٢) معانيه ٤٣٩/٢ . (٣) الحج /٣٦ . (٤) معانيه ٤٢٨/٣ .

(٥) الزمر /٢٣ . (٦) معانيه ٣٥١/٤ . (٧) الإنسان /٤ .

(٨) معانيه ٢٥٨/٥ . (٩) الإنسان /١٥ ، ١٦ . (١٠) معانيه ٢٦٠/٥ .

ما منع من الصرف لعلتين

وهو قسمان : ١ـ ما منع لعلتين إحداهما العلمية أو التعريف .
٢ـ وما منع لعلتين إحداهما الوصفية .

القسم الأول : ما منع من الصرف لعلتين إحداهما التعريف

١- ما منع للتعريف والتأنيث :

ما دخلته هاء التأنيث :

يقول الزجاج في كتابه (ما ينصرف) : " كل ما دخلته هاء التأنيث وكان معرفة لم ينصرف ، فإن كان نكرة انصرف ، وذلك نحو : حمزة وطلحة وحمدة إذا كان واحد من هذه اسما لمذكر أو مؤنث معروف فإنه لا ينصرف ، وذلك نحو قولك : رأيت حمدةَ وطلحةَ ، ومررت بحمدةَ وطلحةَ يا هذا ، لا تنونه ولا تصرفه ، فإن نكرته صرفته فقلت: مررت بحمزةٍ وحمزةٍ آخر ... وإذا صغرت ما فيه هاء التأنيث فهو على حاله في الصرف وترك الصرف ، تقول : مررت بحميزةَ يا هذا " (١) .

ومن التطبيق على ذلك ما ورد في المعاني من توجيه قوله تعالى: ﴿... بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾(٢) حيث يقول : " (مكة) لا تنصرف ؛ لأنها مؤنثة وهي معرفة " (٣) .

ويدخل في ذلك نحو (غدوة) و(بكرة) من الظروف ، وقد عقد لها الزجاج بابا في كتابه (ما ينصرف) ، وفيه يقول : " ذكر سيبويه (٤) أن (غدوة) و(بكرة) جعلا معرفتين اسما لقطعة من يومك الذي جعلتهما له ، كما أن أسامة للأسد اسم معروف ، تقول : أتيتك غدوةَ يا هذا وبكرةَ يا هذا ، تريد : غداةَ يومنا ، وبكرة يومنا ، فلما جعلا اسمين معروفين لم ينصرفا في المعرفة ؛ لأن فيهما هاء التأنيث فأشبها باب (حمزة) و(طلحة) .

وبعض العرب يجعلهما نكرة فيقول : أتيتك غدوةً وبكرةً ، يريد بذلك غدوة من الغدوات ، إلا أنك استدللت عليها بأنها ليومه بما شاهدت في الحال ، قال الله جل وعز : ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(٥) ، فـ(بكرة) ههنا تجمع أيامهم ، فكأنه قال :

---

(١) ما ينصرف ص٣٨ . (٢) الفتح /٢٤ . (٣) معانيه ٥/٢٦ .
(٤) الكتاب ٣/٢٩٣ ، ٢٩٤ . (٥) مريم /٦٢ .

لهم في بكرة كلِ يوم وعشيه رزقهم ، وليسا بمنزلة ما تريد به اليوم الواحد .

فأما (ضحوةٌ) و(غداةٌ) و(عشيةٌ) فنكرات ، الدليل على ذلك أنك تقول : في الغداة والعشية ، ولا تقول : في الغدوة والبكرة .

فأما (ضحوة) فالأكثر فيها الصرف ، وبعضهم لا يصرفها ، يجعلها بمنزلة (بكرة) .

وكذلك (عشية) الأجود فيها الصرف ، لأنك تقول : العشية ، فـ(عشية) بمنزلة (صباح) إذا قلت : أتيتك صباحا ومساء ، إنما تستدل على أنه ليومك أو غدك بأنك تقول : أتيتك اليوم صباحا ، وآتيك غدا صباحا .

فإذا كان في الليل فقال : (آتيك صباحا) فالحال تدل على أنه يريد صباح الليلة التي تخاطبا فيها " [1] ، " وزعم الخليل أن (عشيّةً) بعضهم يمنعها من الصرف يجعلها معرفة ، والاختيار صرفها " [2] .

وليس من المختوم بتاء التأنيث نحو (بنت) و(أخت) ، وقد نقل الزجاج في (ما ينصرف) عن سيبويه والخليل [3] قولهما : " إن سميت رجلا بـ(أخت) أو (بنت) صرفته في المعرفة والنكرة ؛ لأن ما كان على ثلاثة أحرف لا هاء فيه للتأنيث فهو مصروف ، وتاء (بنت) و(أخت) دخلتا بمنزلة ما حذف من الكلمة، فهي مصروفة "[4].

ما ليس مختوما بهاء التأنيث :

ذكر الزجاج في كتابه (ما ينصرف) أن كل مؤنث على ثلاثة أحرف أوسطه متحرك كان اسما لشيء مؤنث أو كان مخصوصا به المؤنث فإنه لا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة ، وذلك نحو امرأة سميتها بـ(قدم) أو (كتف) أو (عضد)، تقول : مررت بقدمَ يا هذا إذا كان اسما لامرأة ، فإذا كان نكرة انصرف فقلت : رأيت قدما من الأقدام [5] .

ومما يدخل في ذلك توجيهه لقوله تعالى : ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[6]، وفيه يقول: " (سقر) لا تنصرف ؛ لأنها معرفة وهي مؤنثة ، و(سقر) اسم من أسماء جهنم " [7] .

(١) ما ينصرف ص٩٨ . (٢) المصدر السابق ص٩٩ . (٣) الكتاب ٣/٢٢١ .
(٤) ما ينصرف ص٤١ . (٥) المصدر السابق ص٤٩ . (٦) المدثر /٢٦ .
(٧) معانيه ٥/٢٤٧ .

وقال في قوله تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ [1] : " (إرم) لم تنصرف لأنها جعلت اسما للقبيلة ، فلذلك فتحت وهي في موضع جر " [2] .

وذكر أيضا أنه إذا كان المؤنث على ثلاثة أحرف أوسطها ساكن وكان ذلك الاسم لشيء مؤنث أو مخصوص به التأنيث فلا ينصرف في المعرفة أيضا وينصرف في النكرة ، قال : " وزعم سيبويه والخليل وجميع البصريين أن الاختيار ترك الصرف وأنك إذا شئت صرفت ، وذلك نحو امرأة سميتها بـ(عين) أو (قدر) أو (عنز) ، فالاختيار ألا تصرف في المعرفة ، وكذلك إن كان اسما يغلب عليه التأنيث نحو : هند ودعد وجمل، فالاختيار أن تقول : رأيت دعدَ يا هذا ، وإنما لم تصرف جميع ما ذكرنا في هذا الباب لأن التأنيث فرع عن التذكير ، والتذكير هو الأصل ، قال سيبويه [3] : ألا ترى أن كل ما أخبرت عنه يقال له (شيء) مذكرا كان أو مؤنثا ، والشيء ذكر ، فالتذكير قبل التأنيث كما أن النكرة قبل المعرفة والواحد قبل الجمع ، فاجتمع في الاسم أنه لمؤنث وأنه معرفة ، فإن نكرت جميع ذلك صرفته " [4] .

والزجاج يخالف سيبويه والبصريين في العلم المؤنث الثلاثي الساكن الوسط ، ويوجب منعه من الصرف ، ويرد على البصريين ما ذهبوا إليه فيقول : " وزعموا أنه يجوز صرف المؤنث في المعرفة الذي أوسطه ساكن ، وأنشد سيبويه [5] :

لم تتلفع بفضل مئزرها دعد ولم تسق دعد في العلب [6]

فصرفها في البيت ومنعها من الصرف أيضا ، أما ما قالوه من أنه لا ينصرف فحق صواب، وأما إجازتهم صرفه فاحتجوا فيه بأنه لما سكن الأوسط وكان مؤنثا خف فصرفه وهذا خطأ ، لو كانت هذه العلة توجب الصرف لم يجز ترك الصرف ، فهم مجمعون معنا على أن الاختيار ترك الصرف ، وعليهم أن يبينوا من أين يجوز الصرف ؟ وإذا بينوا وجب ألا يكون ترك الصرف ، فأما الاستشهاد بأن الشاعر في البيت صرف وترك الصرف ، فأما ترك الصرف فجيد وهو الوجه ، وأما الصرف فعلى جهة الاضطرار، وقد أجمعوا أن جميع ما لا ينصرف يصرف في الشعر ، قال العجاج :

---

(١) الفجر /٧ . (٢) معانيه ٣٢٢/٥ . (٣) الكتاب ٢٤١/٣ .
(٤) ما ينصرف ص٤٩ ، ٥٠ . (٥) الكتاب ٢٤١/٣ .
(٦) من بحر المنسرح ، وهو لجرير ، من شواهد سيبويه ٢٤١/٣ ، وابن يعيش ١٧٠/١ .

قواطنا مكة من ورق الحمى [1]

وأجمعوا إلا عيسى وحده على أنهم إن سموا امرأة بزيد او عمرو لم يصرفوها ، وذلك لأنهم سموا المؤنث بالمذكر فكان عندهم أثقل ؛ لأن المذكر لا يجانس المؤنث ، وكان عيسى يذهب إلى أن السكون الذي في وسطه قد خففه فحطه عن الثقل " [2] .

ومن هذا القبيل أسماء الأرضين والبلدان، وقد عقد لها الزجاج بابا قال في أوله : " اعلم أنك إذا سميت أرضا باسم على ثلاثة أحرف أوسطها ساكن وكان ذلك الاسم مؤنثا أو اسما الغالب عليه التأنيث فالاختيار ترك الصرف ، وإن شئت صرفت على مذهب البصريين ... وترك الصرف مذهبي ، وذلك الاسم نحو قدر وشمس وعنز ، لو سميت بلدة بشيء من هذه الأسماء لم تصرفها " [3] .

ثم قسم أسماء البلدان إلى قسمين :

١ـ أسماء لا تستعمل إلا مؤنثة ولا يشار إليها إلا بالمؤنث ، وذلك نحو (عمان) ، لم يقولوا إلا : هذه عمان .

٢ـ أسماء استعملت على التأنيث والتذكير ، ومنها :

(منى) والأكثر فيه التذكير ، فيقال : هذا منى بالتنوين ، وبعضهم يقول : هذه منى فيترك التنوين .

(هجر) الأكثر فيه التذكير والصرف ، وبعضهم يقول : هذه هجرُ بلا تنوين ، قال الشاعر :

منهن أيام صدق قد عرفت بها … أيام فارس والأيام من هجرا [4]

وقال بعضهم : كجالب التمر إلى هجرَ ، فأنث ولم يصرف ، وفتح في موضع الجر .

(واسط) وهو اسم مذكر صفة سمي به المكان ، وهو مصروف ، تقول : دخلت واسطا، وواسط طيب ، قال : " وبعضهم ـ وهو قليل جدا ـ يجعله اسما للبلدة فلا يصرفه ، ويكون صفة سميت به البلدة .

---

(١) من مشطور الرجز ، من شواهد الكتاب ٢٦/١ ، ١١٠ ، وانظره في الأشموني ٢٢٥/٢ ، ٧٧/٣ (تحقيق حسن حمد) .

(٢) ما ينصرف ص٥٠ ، ٥١ .

(٣) ما ينصرف ص٥٢ .

(٤) من البحر البسيط ، للفرزدق ، من شواهد الكتاب ٢٤٣/٣ .

(دابق) وهو اسم غلب عليه التذكير فصرف ، كما قال الشاعر :

ودابق وأين مني دابق [١]

وإذا جعل اسما للبلدة لم يصرف .

(قباء) و(حراء) فمن العرب من يصرفهما ويجعلهما اسما للمكان فيقول : كنا في قباءٍ وحراءٍ ، ومنهم من لا يصرف ويجعلهما اسما للبقعة .

ثم نقل عن سيبويه [٢] قوله : " وإذا سميت رجلا بـ(قباء) و(حراء) صرفته ، وقال الخليل : قد كفتنا العرب مئونة ذلك ؛ لأن الرجل بمنزلة المكان ، فهما اسمان مشتقان إن أوقعتهما على مذكر صرفته ، وإن أوقعتهما على مؤنث لم تصرفه ، وليسا بمنزلة ما هو معلوم في الكلام مؤنث نحو (عناق) الذي قد علم أنه لمؤنث ، فإذا سميت به رجلا لم تصرفه " [٣] .

ثم عقد بابا لنوع آخر من المؤنث وهو ما كان على أربعة أحرف ، وفيه يقول : " اعلم أن ما كان على أربعة أحرف وكان مؤنثا أصلا في المؤنث أو مشتقا للمؤنث سميت به مذكرا لم ينصرف في المعرفة وانصرف في النكرة ، وذلك نحو : عناق وعقرب وعنكبوت وصعود وهبوط وحدور ، فإذا سميت بشيء من هذا مذكرا لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة ، وكذلك (ثلاث) التي للعدد ، وكذلك (ثمان) التي للعدد ، تقول : قد جاءني ثلاث يا هذا ، بغير تنوين إذا كان اسما لرجل "[٤]، ومثل ذلك أسماء الرياح كشمال وجنوب ودبور وقبول ، فإذا سميت رجلا شمالا أو دبورا أو جنوبا لم تصرفه [٥] .

وعقد بابا لأسماء القبائل والأحياء وما يضاف إلى الأب والأم نحو : هؤلاء بنو تميم وبنو أسد وبنو سلول ، وقال : " هي إذا جعلتها للقبائل غير مصروفة ، وإذا جعلتها للأحياء فمنزلة منزلة المذكرين " ، وذكر أنك إذا قلت مثلا : هذه تميم وأردت : هذه بنو تميم أو هذه جماعة تميم فإنك تصرف ، وفيه حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وكذلك إن جعلت تميما اسما للحي فإنه يصرف ، قال : " فإذا

---

(١) من مشطور الرجز ، لغيلان بن حريث ، من شواهد الكتاب٣/٢٤٣، وانظر لسان العرب (دبق) .

(٢) الكتاب ٣/٢٤٥ .

(٣) ما ينصرف ص٥٤ .

(٤) المصدر السابق ص٥٥ .

(٥) ما ينصرف ص٥٥ ، ٥٦ .

جعلت تميما اسما للقبيلة قلت : هذه تميمُ ، وهذا رجل من تميمَ ، ومن جذامَ يا هذا لم تصرفه ؛ لأنك جعلته اسما للقبيلة ، قال الشاعر :

بكى الخز من روح وأنكر جلده وعجت عجيجا من جذامَ المطارف [(١)]

فلم ينصرف في هذا الوجه ؛ لأنه معرفة ، ولأنه لمؤنث " .

ثم ذكر أن الأسماء التي تستعملها العرب اسما للحي نحو ثقيف وقريش ومعد الأكثر فيها الصرف ، وإن شئت جعلتها اسما للقبيلة فلم تصرفها ، فتقول : فلان من قريشَ يا هذا ، ومن معدَّ يا هذا [(٢)] .

ثم ذكر اسمين يستوي فيهما الصرف والمنع ، وهما ثمود وسبأ ، فمرة هما لقبيلة ومرة للحي [(٣)] .

ثم عقد بابا لما لم يستعمل إلا اسما للقبيلة نحو : يهود ومجوس وهو ممنوع من الصرف ، تقول : هذا رجل من مجوسَ يا هذا ، ومن يهودَ يا هذا ، قال : " وأنشد سيبويه [(٤)] :

أحار أريك برقا هب وهنا كنار مجوسَ يستعر استعارا [(٥)]

وقال رجل من الأنصار :

أولئك أولى من يهودَ بمدحة إذا أنت يوما قلتها لم تؤنب [(٦)]

ثم ذكر أن هذه الأسماء تجري على ثلاثة أوجه :

الأول : أن تكون اسما للجيل مثل : سند وهند وروم ، وقد جعل اسما للقبيلة فيمنع من الصرف .

الثاني : أن تستعمل بأل فيقال : من اليهود والمجوس ، فيكون جمعا ، فهذا إذا استعمل بدون أل صرف ، فيقال : هذا رجل من يهودٍ ومن مجوسٍ .

الثالث : أن تجعل اسمًا للحي فتصرف [(٧)] .

---

(١) من بحر الطويل ، من شواهد الكتاب ٢٤٨/٣ ، وروايته : "نبا الخز عن روح ..." ، والمطارف: جمع مطرف ، وهو ثوب معلم من طرفه ، وانظر المقتضب ٣٦٤/٣ .

(٢) ما ينصرف ص٥٨ . (٣) ما ينصرف ص٥٩ . (٤) الكتاب ٢٥٤/٣ .

(٥) من بحر الوافر ، لامرئ القيس ، من شواهد الكتاب ٢٥٤/٣ ، وانظر المقرب ٨١/٢ .

(٦) من بحر الطويل ، في الكتاب ٢٥٤/٣ ، واللسان (هود) . (٧) ما ينصرف ص٦٠ .

ثم عقد بابا لأسماء السور نحو هود ونوح فذكر فيه انك إن جعلت هودا ونوحا اسما للسورة لم تصرفها ، فتقول : هذه هودُ ، وقرأت هودَ ونوحَ ، قال : " وإنما لم تصرفه لأن السورة مؤنثة وهي معرفة ، فصار هود ونوح اسمين لمؤنثين وهما معرفتان " [1]، وكذلك الشأن في نون وقاف وصاد وطه [1] .

وذكر مما يمنع من الصرف للتعريف والتأنيث ما يستعمل اسما من الظروف نحو : فوق وتحت ودون وبعد وقبل ، تقول : هذه بعدُ وعجبت من بعدَ يا هذا ، وهذه فوقُ وتحتُ ودونُ ، وكذلك عند وأين وكيف .

وقال : " فإذا سميت رجلا بقدام أو وراء لم تصرفه ؛ لأنه مذكر سميته بمؤنث على أكثر من ثلاثة أحرف " .

وقال : " فإذا سميت كلمة بـ(كيف) أو (أين) فالاختيار أن تقول : هذه كيفُ وأينُ، معرب غير منون ... " .

وقال :" وإذا رأيت في الكتاب اسم عمرو مكتوبا فإن لك فيه غير وجه : أن تقول: هذه عمرُو يا هذا فتجعل عمرا اسما للكلمة ولا تصرفه ، ولك أن تقول : هذه عمرٌو بالتنوين تريد : هذه علامة عمرو أو كتابة عمرو ثم تحذف علامة وتقيم عمرا مقامها فتنون ، ولك أن تقول : هذا عمرٌو فتجعل عمرا اسما للحرف فتنونه وتصرفه ، ولك أن تقول : هذا عمرٌو تريد : هذا ذكر عمرو واسم عمرو ، فتحذف الاسم وتقيم عمرا مقامه " [2] .

اختلاف العرب في (فعالِ) علما لمؤنث :

ذكر الزجاج في (ما ينصرف) أنك إذا سميت امرأة بحذام أو قطام أو رقاش فإنها مبنية على الكسر في لغة أهل الحجاز ، تقول : هذه قطامِ قد جاء ت وحذامِ .

قال : " فأما مذهب سيبويه [3] فإنك سميتها بالاسم الذي كان في موضع الأمر فتركتها مبنية على الكسر ... فإذا سمى امرأة بقطام فهو عنده بمنزلة أسماء الأمر ، تقول : هذه قطامِ ورأيت قطامِ ، قال الشاعر :

---

(١) ما ينصرف ص٦١ ، ٦٢ .

(٢) ما ينصرف ص٧٠ ، ٧١ .

(٣) الكتاب ٣/٢٧٨ .

إذا قالت حذامِ فصدقوها   فإن القول ما قالت حذامِ [1]

وكان لأبي العباس مذهب في هذا ، كان يزعم أنك لو سميت امرأة بحاذمة كنت لا تصرفها ، فلما عدلت (حذام) عن (حاذمة) بنيته ، لا مرتبة في حط الإعراب بعد ترك الصرف إلا البناء [2] ، وهذا مذهب يفسده عندي أني أرى ما لا ينصرف من الأسماء إذا زادت علته على اثنتين لم يبلغ به أكثر من ترك الصرف ...

وأما بنو تميم فإذا سمت بـ(قطام) أعربت ومنعت الصرف فقالت : هذه قطامُ قد جاءت ... وتقول : رأيت قطامَ يا هذا ، ومررت بقطامَ يا هذا ، فإذا كان في آخر الاسم الراء فإن أهل الحجاز وبني تميم مجمعون على الكسرة ، يقولون : هذه حضارِ ورأيت حضارِ وطلعت حضارِ ... قال سيبويه[3]: وقد يعربون ما كان في آخره الراء، وأنشد :

ومر دهر على وبار   فهلكت جهرة وبارُ [4]

والقوافي مرفوعة .

قال سيبويه : وإذا سميت رجلا بشيء من هذه الأسماء لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة ؛ لأنه مؤنث بمنزلة عناقٍ ، قال : وبعض العرب إذا سمى رجلا بـ(رقاشِ) و(غلابِ) وما أشبههما صرف ، يجعله اسما مبنيا على فعالٍ نحو: صباح وذهاب"[5].

أمثلة تطبيقية للممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث :

في معاني القرآن وإعرابه مواضع بمثابة التطبيق لما تقدم ، وفيما يلي عرضها :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [6] : " الأكثر في القراءة إثبات الألف ، وقد قرأ بعضهم : (اهبطوا مصرَ فإن لكم) بغير ألف ، فمن قرأ : (مصرًا) بالألف فله وجهان : جائز أن يراد بها (مصرا من الأمصار) ؛ لأنهم كانوا في تيه ، وجائز أن يكون أراد (مصر) بعينها فجعل (مصر) اسما للبلد فصرف لأنه مذكر سمى مذكرا ، وجائز أن يكون (مصر) بغير ألف على أنه يريد (مصر) بعينها كما قال عز

(1) من بحر الوافر ، ينسب إلى لجيم بن صعب ، وإلى وشيم بن طارق ، انظر : ابن يعيش ٦٤/٤ ، واللسان (رقش) و(حذم) والأشموني المحقق ١٦٦/٣ .

(2) المقتضب ٣٧٤/٣ . (3) الكتاب ٢٧٩/٣ .

(4) من البسيط المجزوء المسمى بالمخلع ، وهو للأعشى ، من شواهد الكتاب ٢٧٩/٣ ، والمقتضب ٣٧٦/٣ .

(5) ما ينصرف ص٧٥ : ٧٧ . (6) البقرة /٦١ .

وجل : ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾ [1] وإنما لم يصرف لأنه للمدينة ، فهو مذكر سمي به مؤنث " [2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ [3] : " (مصر) مفتوحة في موضع الجر ؛ لأنها لا تنصرف ؛ لأنها اسم مدينة بعينها وهي معرفة " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [5] : " (مصر) مذكر سمي به مؤنث ؛ لأن المدينة الغالب عليها التأنيث ، وقد يجوز : (ملك مصرٍ) يذهب به إلى مصر اسم البلد ، وهذا فيه بعد من قِبَل أن أكثر ما يستعمل البلد لما يضم مدنا كثيرة نحو : بلاد الروم ، وبلاد الشام ، وبلاد خراسان ... ويجوز أن تصرف (مصرا) إذا جعلته اسما لبلد عند جميع النحويين البصريين " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[7] : " (مدين) لا ينصرف ؛ لأنه اسم للقبيلة أو البلدة ، وجائز أن يكون أعجميا " [8] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [9] : " (مدين) في موضع خفض ؛ لأنه اسم للبقعة " [10] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [11] : " (ثمود) في كتاب الله مصروف وغير مصروف ، فأما المصروف فقوله : ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ [12] الثاني غير مصروف ، فالذي صرفه جعله اسما للحي ، فيكون مذكرا سمي به مذكر ، ومن لم يصرفه جعله اسما للقبيلة " [13] .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ [14] : " (ثمود) لم ينصرف لأنه اسم قبيلة ، ومن جعله اسما للحي صرفه ، وقد جاء في القرآن مصروفًا ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾" [15] .

قلت : والصرف في (ثمود) قراءة حمزة وحفص، وعدم الصرف قراءة باقي السبعة [16].

(1) يوسف /99 . (2) معانيه 144/1 . (3) يوسف /21 . (4) معانيه 98/3 .
(5) الزخرف /51 . (6) معانيه 414/4 . (7) الأعراف /85 . (8) معانيه 353/2 .
(9) القصص /23 . (10) معانيه 139/4 . (11) الأعراف /73 . (12) هود /68 .
(13) معانيه 348/2 . (14) هود /68 . (15) معانيه 59/3 .
(16) انظر حجة القراءات ص344، 345.

وقال في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ . جَهَنَّمَ﴾ [1] : " (جهنم)بدل من قوله (دار البوار) ومفسره ، و(جهنم) لم تصرف لأنها مؤنثة وهي معرفة " [2] .

وتقدم أن (سِيناء) في القراءة بكسر السين اسم للبقعة فلا ينصرف [3] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[4] : " يقرأ بالصرف والتنوين ، ويقرأ (من سبأَ بنبأٍ يقينٍ) بفتح (سبأ) وترك التنوين ، فأما من لم يصرف فيجعله اسم مدينة ، وأما من صرفه فذكر قوم من النحويين أنه اسم رجل ، وذكر قوم آخرون أن الاسم إذا لم تدر ما هو لم يصرف ، وآخر هذين القولين خطأ ، والأسماء حقها الصرف ، فإذا لم يعلم الاسم للمذكر هو أم للمؤنث فحقه الصرف حتى يعلم أنه لا ينصرف ؛ لأن أصل الأسماء الصرف ، وكل ما لا ينصرف فهو يصرف في الشعر ، وأما الذين قالوا إن (سبأ) اسم رجل فغلط أيضا ؛ لأن سبأ هي مدينة تعرف بمأرب من اليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام ، قال الشاعر :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ   يبنون من دون سيله العرما [5]

فمن لم يصرف فلأنه اسم مدينة ، ومن صرفه ـ والصرف فيه أكثر في القراءة ـ فإنه يكون اسما للبلد ، فيكون سمى به مذكرا ، فإن صحت فيه رواية فإنما هو أن المدينة سميت باسم الرجل " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ [7] : " تقرأ (لسبأَ) بالفتح و(لسبإٍ) ، فمن فتح وترك الصرف فلأنه جعل (سبأ) اسما للقبيلة ، ومن صرف وكسر ونون جعل (سبأ) اسما لرجل واسما للحي ، وكل جائز حسن " [8] .

٢- ما منع للتعريف وزيادة الألف والنون :

عقد له الزجاج في كتاب (ما ينصرف) بابا سماه : (باب ما زيدت فيه الألف والنون مما ليست له فَعْلى) وقال : " جميع هذا الباب ينصرف في النكرة ولا ينصرف

---

(١) إبراهيم /٢٨ .   (٢) معانيه ١٦٢/٣ .
(٣) في أول الفصل .   (٤) النمل /٢٢ .
(٥) البيت للنابغة الجعدي ، وهو من المنسرح ، وانظره في الكتاب ٢٥٣/٣ ، ومجاز القرآن ١٤٧/٢، والكشاف ٢٨٣/٢ .

في المعرفة ، وإنما انصرف في النكرة لأنه أشبه (سكران) في الزيادتين وانحط عن باب (سكران) لأنه ليس مثله في الحركة والسكون وأنه ليس له مؤنث على حدته ، وهذا الباب نحو قولهم : هذا عريان وإنسان ، ونحو قولك : ضِبعان لذكر الضبع ، فهذا مصروف في النكرة ، فإذا سميت به رجلا لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة مثل (عثمان) وهو فُعلان من العثم وهو الجبر ، وكذلك إن سميت رجلا إنسانا لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة ، ومثله (سرحان) إذا سميت به رجلا لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة ، وإنما امتنع من الصرف في المعرفة لأن آخره يشبه آخر (سكران) وأنه معرفة ، فإذا نكرته حططته عن المعرفة درجة فانصرف في النكرة " [(١)] .

وقال في (رمان) : " إن سميت به رجلا لم تصرفه في المعرفة لأن هذا الباب ما لم يعرف منه اشتقاقه فبابه أن يحمل على أن الألف والنون زائدتان ، وليس في اللغة (رمن) فيكون (رمان) فُعّالا ، وليس اشتقاقه بالمعروف إلا أنه قد يخرج (فعلان) من الرمّ وهي الكثرة " ، وقال أيضا : " و(ظربان) اسم لبعض الدواب يقال له النمس منتن الرائحة ، إذا سميت رجلا ظربانا لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة ؛ لأن الألف والنون فيه زائدتان " ، وذكر ذلك الحكم أيضا في (كروان) و(ورشان) [(٢)] .

وقد ذكر في هذا الباب ألفاظا تحتمل الصرف والمنع وهي :

(تبان) فإن كان فعّالا من التبن فهو مصروف ، وإن كان (فعلان) من التب وهو الخسران لم يصرف في المعرفة ويصرف في النكرة .

(سمان) فهو إما (فعّال) من السمن وإما (فعلان) من السمّ .

(حسان) فهو إما (فعّال) من الحس وإما (فعلان) من الحسن .

(زِمّان) وفيه يقول : " الأجود فيه أن يكون غير مصروف ، ويكون اشتقاقه من الزمّ ، وجائز ان يصرف ، ويكون فِعّالا من الزمن أو من زمن الرجل " .

(مُرّان) وفيه يقول : " قال سيبويه [(٣)] : وسألت الخليل عن المرّان فقال : إن سميت رجلا مرّانا صرفته ؛ لأن (مرانا) فعّال من المرونة - وهي اللين - فالنون فيه من نفس الكلمة ، ومن بنى (مرّان) من الشيء المر لم يصرفه في المعرفة وصرفه في النكرة "[(٤)].

---

(١) ما ينصرف ص٣٦ .
(٢) ما ينصرف ص٣٧ .
(٣) الكتاب ٢١٨/٣ .
(٤) ما ينصرف ص٣٦ ، ٣٧ .

٣- ما منع للتعريف والعدل :

ذكر الزجاج في كتاب ما ينصرف أن (عمر) المعدول عن عامر لا ينصرف، وقال : " فإذا سميت رجلا بـ(عمر) هذا لم ينصرف في المعرفة وانصرف في النكرة ، ومثل عمر: قثم ، وزحل ، تقول : مررت بعمرَ وعمرٍ آخر ، والدليل على أن (عمر) يعدل به عن (عامر) أنك تقول في النداء : يا فسق ، وتقول للمؤنث : يا فساق ، تريد : أيها الفاسق ويا أيتها الفاسقة ، وكذلك (لكع) ... " [١] .

ثم قال : " وإنما امتنع (عمر) لأنه اجتمع فيه شيئان : أنه معرفة ، وأنه معدول عن عامر ، فأما دُلَف وابن أبي دلف فغير مصروف لأنه معدول عن دالف ، وإنما الفائدة في العدل أنه يقع في أول وهلة معرفة يغني عن الألف واللام ، وأصله الوقوع في باب النداء، لا يمتنع شيء من أسماء الفاعلين من العدل إلى فُعَلٍ في النداء ، تقول للخبيث: يا خبث ، وللفاسق : يا فسق ، ويا ضرب ، ويا قعد ، تريد بهذا كله : يا أيها الفاعل الكثير الفعل للضرب الذي تذكره " [٢] .

وتحدث في هذا الكتاب عن العدل في (جمع) و(كتع) فقال : " فأما (جمع) و(كتع) فاجتمع فيهما شيئان : أنهما معدولان عن جمع (جمعاء) وأنهما معرفة ، ألا ترى أنك تقول : مررت بنسوتك جمع يا هذا ، فيؤدي عن (جميعهن) قال سيبويه [٣] : سألت الخليل عن (جمع) و(كتع) فقال : هما معدولان عن جمع (جمعاء) ، قال أبو إسحاق : والأصل كان في جمع (جمعاء) جُمْع مثل حمراء وحُمْر ، ولكن (حمر) نكرة ، فأراد أن يعدل عن لفظ النكرة فعدل إلى فُعَل " [٤] .

ويدخل في هذا الموضع منع العرب للفظ (سحر) ، وقد تناوله الزجاج في كتابه ما ينصرف فقال : " فأما (سحر) فلا اختلاف بين النحويين أن (سحر) لا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة ، تقول : آتيك سحرَ يا هذا ، وقمت سحرَ ، إذا أردت : آتيك السحَرَ الذي هو لليلتنا ، فإن أردت سحَرا من الأسحار صرفت ، قال الله جل وعز : ﴿إِلَّا آَلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [٥] ، وإنما لم يصرف (سحَر) لأن استعماله في الأصل بالألف واللام ، تقول : قمت في أعلى السحَرِ يا هذا ، وأنا منذ السحَرِ أفعل

(١) ما ينصرف ص٣٩ . (٢) المصدر السابق ص٤٠ . (٣) الكتاب ٣/٢٢٤ .
(٤) ما ينصرف ص٤٠ . (٥) القمر /٣٤ .

ذاك ، ثم تقول : أتيتك منذ سحرَ يا هذا ، فيؤدي عن المعنى الذي كان في الألف واللام بعينه ، وقد حذفتا فاجتمع فيه : أنه معرفة بغير ألف ولام ، وأنه يراد به عهد الألف واللام " [1] .

وقال في قوله تعالى : ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾[2]: " (سحر) إذا كان نكرة يراد به سحر من الأسحار ، تقول : أتيت زيدا سحرا من الأسحار ، فإذا أردت سحر يومك قلت : أتيته بسحَرَ يا هذا ، وأتيته سحرَ يا هذا " [3] .

ويحتمل التعريف والعدل لفظ (طوى) في قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [4]، وقد وجهه الزجاج في المعاني فأجاز ذلك وأجاز منعه للتعريف والتأنيث، فهو يقول : " (طوى) اسم الوادي ، ويجوز معه أربعة أوجه : بضم أوله وكسره بغير تنوين وبتنوين ، فمن نونه فهو اسم الوادي وهو مذكر سمي بمذكر على (فُعَل) نحو : حطم ، وصرد ، ومن لم ينونه ترك صرفه من جهتين : إحداهما أن يكون معدولا عن (طاو) فيصير مثل (عمر) المعدول عن (عامر) ، ولا ينصرف كما لم يصرف (عمر) ، والجهة الأخرى أن يكون اسما للبقعة كما قال : ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ [5] ، وإذا كسر ونون (طِوًى) فهو مثل : مِعًى وضِلَعٍ مصروف ، ومن لم ينون جعله اسمًا للبقعة " [6] ، وذكر مثل هذا التوجيه في آية النازعات [7] .

٤- ما منع للتعريف ووزن الفعل :

تقدم في أول الفصل نقل حديث الزجاج عن جملة العلل المانعة من الصرف ، وقد جاء في أثناء ذلك الحديث توضيح لشبه الفعل الموجب لمنع الصرف ، وقد أخرت ذكره إلى هنا ، وفي ذلك يقول : " هذا موضع خفي جدا ، قد ذهب على كثير من النحويين شبه الفعل ، فلو قال قائل : إذا سميت رجلا بـ(جمل) لا ينبغي أن تصرفه لأنه على وزن ضرب وهو معرفة ، وكذلك إذا سميته بـ(جعفر) لا ينبغي أن تصرفه لأنه على وزن (دحرج) ، ولا اختلاف بين البصريين في أن هذه الأسماء مصروفة ، وكذلك لو سميته بـ(ضرب) نفسه وبـ(دحرج) نفسه كانا مصروفين ، حكى ذلك سيبويه والخليل

(١) ما ينصرف ص٩٩ . (٢) القمر /٣٤ . (٣) معانيه ٥/٩٠ .
(٤) طه /١٢ . (٥) القصص /٣٠ . (٦) معانيه ٣/٣٥١ ، ٣٥٢ .
(٧) الآية ١٦، وانظر معانيه ٥/٢٧٩ .

وجميع أصحابهم الموثوق بعلمهم ، فالجواب في هذا أن المثال إذا وقع في الأسماء والأفعال جميعا فلم يكن الفعل أحق به من الاسم فلا يقال فيه أشبه الفعل ؛ لأنه في أصله ، فليس هو بالفعل أشبه منه بالاسم .

وإذا وقع مثال في الأسماء الفعل أولى به لأن ذلك الفعل قد دخلته علامة مضارعة نحو (أذهب) و(أعلم) يدل على الاستقبال ، وإذا كان للماضي نحو : أدخل زيد عمرا، فالألف وهذا الوزن قد جاءا لمعنى في هذه الأفعال ، فالأفعال أحق بهذا المثال ، فإذا ورد اسم يشبه هذه الأفعال ذات الزوائد التي زوائدها لهذا المعنى ونحوه لم يكن ذلك المثال أصلا في الفعل ، كذلك إن جاء مثال من الفعل بغير زائد وليس ذلك المثال في الأسماء نحو : ضرب هو على وزن (فُعِل) وفُعِل ليس في الأسماء ، فإذا سميت رجلا (ضرب) لم تصرفه في المعرفة لأنه اجتمع فيه شبه الفعل وأنه معرفة ، وهذا المثال للأفعال خاصة ، فهو أجدر ألا ينصرف [1] .

حكم ما سمي به من الأسماء

وفي أوله أحد حروف المضارعة :

عقد الزجاج لذلك بابا في كتابه ما لا ينصرف ، عنوانه (هذا باب ما يكون في أوله هذه الزوائد الأربع وهن الياء والألف والتاء والنون [2]، وفيه يقول : " إذا دخل الاسم زيادة في أوله من هذه الأربع وكان على مثال الفعل فإنه لا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة ، وذلك نحو : يرمع وهو حجر الرِّجل ، فإذا سميت رجلا (يرمع) لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة ، وكذلك يزيد ويشكر ؛ لأنهن على وزن يفعَل ويفعِل ويفعُل ، تقول : رأيت يزيدَ ويزيدًا آخر ، وهذا من بني يشكرَ يا هذا " .

ويقول أيضا : " إذا سميت رجلا بـ(يعمل) لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة، تقول : مررت بيعملَ ويعملٍ آخر ، وكذلك (يعمر) اسم رجل " .

ويقول : " ومثل الياء في الزيادة الهمزة في أول الكلمة ، فإذا كان الاسم على مثال الفعل لم تصرفه وحكمت بأن الهمزة زائدة ، نحو : (أبلم) ـ وهو خوص المقل ، واحدته (أبلمة) ـ فهذا يحكم عليه بأنه (أفعل) على وزن (أقتل) فلا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة وإن لم يعلم بالاشتقاق أنه فيه زيادة " .

(١) ما ينصرف ص٤ ، ٥ . (٢) ما ينصرف من ص١٢ : ١٥ .

ويقول : " إذا سميت رجلا (إثمد) لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة " .

وقال في باب ما كانت في أوله التاء أو النون : " فأما (تألبٌ) فهو تفعَلٌ ؛ لأنه يقال : قد ألب الحمار طريدته إذا طردها ، فإذا سميت رجلا تألبا لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة ، وإذا سميت رجلا (تدرأ) - والتدرأ : الرجل الشديد الدفع في الخصومة وغيرها - لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة ... وإذا سميت رجلا (تُرتَب) لم تصرفه أيضا ، والترتب : العيش المقيم أي الراتب ... وإذا سميت رجلا (تَتفُل) لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة وحكمت بأن التاء زائدة لأنه ليس في الكلام اسم على مثال فَعلُل ، وكذلك من قال : تُتفُل لم يصرف ؛ لأن الأصل الفتح في التاء الأولى ولكنها ضمت تبعا للفاء ، والتتفل : الثعلب ... وإذا سميت رجلا (نرجس) لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة ؛ لأن (نرجسا) على وزن نَفعِل ... فأما من كسر فقال : نِرجس فهو أيضا لا يصرفه في المعرفة ؛ لأن الكسر يقع تابعا للكسر ، وقد ثبت أولا أنه نَفعِل ، فصار بمنزلة (تُتفل) المضموم الأول من (تَتفل) المفتوح الأول " [1] .

ويقول : " وإذا سميت رجلا بما في أوله زيادة تشبه زيادة الفعل ولم يكن على وزن الفعل صرفته ، وذلك نحو (يعسوب) و(تعضوض) و(يربوع) و(أنبوب) و(إبريق) ؛ لأنها ليست على وزن الفعل " [2] .

حكم ما سمي به إذا كان صفة على (أفعل) :

عقد له الزجاج بابا في كتابه ما ينصرف بين فيه آراء النحويين فقال [3] : " هذا باب أفعل الذي يكون صفة إذا سميت به رجلا نحو : أحمر وأسود ، زعم الخليل وسيبويه [4] وجماعة من أصحابهم أن هذه الصفة إذا سميت بها رجلا لم ينصرف في معرفة ولا نكرة ، إذا سميت رجلا (أحمر) قلت : جاءني أحمر يا هذا وأحمرُ آخر ، جميعا غير منونين .

وزعم الأخفش وجماعة من البصريين والكوفيين أن الصفة إذا سميت بها رجلانحو أحمر لم ينصرف في المعرفة وانصرف في النكرة ، قال : تقول : مررت بأحمرَ يا هذا

---

(١) ما ينصرف من ص١٦ : ١٨ .
(٢) المصدر نفسه ص١٩ .
(٣) ما ينصرف ص٧ ، ٨ .
(٤) انظر الكتاب ١٩٣/٣ وما بعدها .

وأحمرٍ آخر إذا كان اسما ، قالوا : لأنه قد خرج عن الصفة فصار بمنزلة (أحمد) إذا سمينا به فنصرفه في النكرة كما نصرف (أحمد) .

وقال الخليل وسيبويه : إذا نكرناه فقد رددناه إلى حال قد كان فيها لا ينصرف ؛ لأن أول أحواله النكرة نحو : مررت برجل أحمر ، فإذا نكرنا هذا المعروف رددناه إلى حال كان فيها لا ينصرف، وإذا نكرنا (أحمد) فأول وقوع (أحمد) المعرفة ، فإذا قلنا: (وأحمدٍ آخر) رددناه إلى حال لم تكن له ، فمعنى قولهم : (رددناه إلى حال لم تكن له) أنهم أرادوا أن يفصلوا بين ما رد إلى ما كان له فترك على ما كان له ، وبين ما رد إلى ما لم يكن له فحط عما كان له من ترك الصرف .

قال أبو إسحاق : وهذا القول هو الذي أختار ، وأبو العباس محمد بن يزيد كان يختار مذهب الأخفش ، وكلاهما عندي مذهب .

فإن كان (أحمر) إنما سمي بصفة غلبت عليه فإنه غير مصروف في المعرفة والنكرة؛ لأنك إذا نكرت فقلت : مررت بأحمر يا هذا وأحمر آخر فقد رددته إلى حال قد كان فيها لا ينصرف ، وتلك الحال صفة له ، فهذا لا ينبغي أن ينصرف البتة " .

وقال في موضع آخر : " فإن سميت رجلا بأفعل هذا نحو أحمد ـ لأن أصل أحمد أحمد منك ـ ونحو أصفر لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة ، تقول : مررت بأحمد وأحمدٍ آخر ، اجتمع فيه في المعرفة أنه على وزن الفعل وأنه معرفة فامتنع من الصرف ، فإذا نكرته فقد حططته عن شبه الفعل فانصرف في النكرة " (١) .

هذا ، وإذا كان وزن أفعل صفة غلبت عليها الاسمية نحو أجدل وأخيل وأفعى فالاختيار فيه الصرف عند سيبويه كما ذكر الزجاج ، وذلك نحو : مررت بأجدلٍ ، ونحو: أخيلٍ ، ونحو : أفعًى ، قال : " وبعض العرب يجعله صفة لأنه يذهب إلى أنه إنما سمي أجدل لقوته ، وزعم سيبويه أن الطائر الذي اسمه أخيل فيه خيلان ، زعم أن فيه لمعة تخالف لونه ، فلذلك يمنعه من يمنعه من الصرف ، وكذلك أفعى عنده ، زعم أنه وإن لم يكن من فعل ، وإنما معناه أنه يريد أنه خبيث ، والاختيار عنده ترك الصرف " (٢) .

---

(١) ما ينصرف ص٩ . (٢) ما ينصرف ص١٠ .

حكم (أفعل) المستعمل صفة لا غير :

وذلك قولهم للقيد : أدهم ، وللحية : أسود ، فالعرب لا تصرف هذا ألبتة، تقول : لسعه أسود يا هذا ، وتقول : جعل في رجله أدهم يا هذا غير مصروف ألبتة ، ومثل ذلك (أرقم) إذا أردت به الحية غير مصروف ، تقول : مررت بأرقم يا هذا [1] .

حكم (أفعل) المستعمل في التوكيد :

وهو (أجمع) و(أكتع) و(أبصع) ، وقد وصف الزجاج هذه الألفاظ بأن لفظها لفظ النكرة ومعناها معنى المعرفة ، ولهذا كانت ممنوعة من الصرف ، ثم قال : " فإذا سميت رجلا بشيء من هذه لم ينصرف في المعرفة وانصرف في النكرة ؛ لأن ما يمتنع من الصفات من الصرف في النكرة عند سيبويه والخليل (أحمر) وما أشبهه ؛ لأن هذه صفات للنكرة ـ أعني أحمر ـ فإذا سميت بشيء منها رجلا ثم نكرته رددته إلى حال قد كان في مثلها لا ينصرف ، فأما (أجمع) فإنما يكون صفة وهو معرفة ، فإذا نكرته فقد خرج من باب الصفات " [2] .

تعليل صرف (أربع) :

يقول الزجاج : " فأما (أربعٌ) في قولك : (مررت بنسوة أربع) فمصروف ؛ لأن أربعا ليس بصفة إنما هو اسم للعدد ، فإذا وصفت به فإنما وضعته في موضع الصفة ؛ لأنك إذا قلت : مررت بنسوة أربع فإنما تقصد بالعدد إلى تقليل أو تكثير ، فلهذا جاز أن تصف به وأصله التسمية ، ألا ترى أنك تقول : جاءني أربع نسوة وخمس نسوة ، كما تقول : جاءني بعض نسوة ، فإنما هو اسم كما وصفنا " [3] .

حكم العلم إذا كان منقولا من فعل على وزن (فُعِل) :

تحدث الزجاج في كتابه ما ينصرف عن حكمه في تلك الحالة وفي حالة إسكان عينه فقال أولا : " إذا سميت رجلا بـ(ضُرِب) و(جُلِب)وما أشبه هذا لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة ؛ لأن هذا المثال الفعل أولى به ، فاجتمع فيها شيئان : أنها على مثال ليست عليه الأسماء ، وأنها معرفة " [4] .

---

(1) ما ينصرف ص١١ .
(2) ما ينصرف ص١٢ .
(3) ما ينصرف ص١٢ .
(4) ما ينصرف ص٤١ ، ٤٢ .

أما المسمى بنحو (ضُرِبَ) إذا سكنت عينه فقد ذكر فيه الزجاج خلافا بين سيبويه والمبرد ، وصحح فيه مذهب سيبويه ، وفي ذلك يقول : " قال سيبويه [1] : إذا سميت رجلا بـ(ضرِب) ثم أسكنت الراء فقلت : ضرْب بإسكان الراء صرفته في المعرفة والنكرة، قال أبو العباس محمد بن يزيد [2] : إن سميت رجلا بـ(ضرب) ثم أسكنته فالكسرة منوية فلا أصرفه في المعرفة ؛ لأن النية فيها كالنطق بها ، قال : والدليل على ذلك أنك لو سميت رجلا بـ(يضع) لم تصرفه لأن الواو الساقطة بمنزلة ما لفظت به ؛ لأن أصله (يوضع) .

قال : فإن أسكنت (ضرب) وهو فُعِل ثم نقلته فسميت به صرفته ؛ لأن الكسرة ليست فيه ، إنما نقلت ما خرج إلى مثال الأسماء قبل أن يكون اسما .

قال أبو إسحاق : والذي ذهب إليه سيبويه هو الصواب ؛ لأن (قيل) و(بيع) في قول جميع البصريين مصروف ؛ لأنه قد صار على وزن (فيل) و(ديك) .

قال أبو العباس : الفصل بين (ضرب) وبين (قيل) أن (ضرب) يمكنك النطق به على التمام ، وأن (قيل) و(بيع) لا تقول فيه : قُول ولا بُيع .

والذي يقوي مذهب سيبويه أن هذا إنما امتنع من الصرف للفظه لا لمعناه ، فإذا تغير لفظه فأشبه ما ينصرف زالت العلة التي تمنعه من الصرف ، ألا ترى أن سيبويه ذكر أن (عمر) و(ضُرَب) وجميع هذه المعدولات إذا صغرتها صرفتها ، تقول في عمر: جاءني عميرٌ ، وكذلك زحيلٌ مصروف ، فعيلٌ أقل أمثلة الأسماء المصغرة وأخفها ، فكل ما كان على مثاله فمصروف ، فقد زالت بالتصغير ألفاظ العدل ، وإن كانت النية فيه ثابتة فقد زال ما يمنعه الصرف فانصرف [3] .

ما سُمّي باسم على وزن (فَعّل) :

قال الزجاج : " وإذا سميت رجلا بـ(بقّم) أو(ضرّب) لم تصرفه ؛ لأنه على مثال ليست عليه الأسماء ، فأما (بقم) و(شلم) اسم بيت المقدس فأعجميان ... وكذلك (خضّم) وهو العنبر بن أخي تميم ، قال سيبويه والخليل [4] : إذا صغرت (خضّم) وما أشبهه صرفته فقلت : رأيت خضيضما ، ومررت بخضيضم لا غير ؛ لأن فعيللا مثال ينصرف كل ما كان عليه " [5] .

(١) الكتاب ٣/٢٢٧ . (٢) انظر المقتضب ٣/٣١٤ ، ٣٢٤ .
(٣) ما ينصرف ص٤٢ ، ٤٣ . (٤) الكتاب ٣/٢٠٩ . (٥) ما ينصرف ص٢١ .

حكم ما سُمِّي به إذا كان على وزن مشترك في الاسم والفعل :

عقد له الزجاج بابا في كتابه (ما ينصرف) عنوانه : (هذا باب الأفعال إذا سميت رجلا بشيء منها فكان ذلك الشيء على مثال في الأسماء ليست الأفعال أحق به من الأسماء) ، وفيه يقول : " أكثر قول البصريين أنه منصرف في المعرفة والنكرة ، وذلك إذا سميت بها ولا ضمير فيها ، وذلك نحو رجل سميته بـ(ضارب) من قولك : ضاربْ زيدا ، أو ضارِب من قولك : قد ضارب زيد عمرا ؛ لأن (ضارب) مثل (حاجز) ، و(ضارَب) مثل (تابَل) و(خاتَن) ، فليس هذا المثال بأحق بالأفعال منه بالأسماء ، وكذلك (ضَرَب) إلا أن عيسى بن عمر كان لا يصرف شيئا من هذا اسم رجل ، ويحتج بقول الشاعر :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني [1]

قال سيبويه [2] : هذا على الحكاية وفيه ضمير ... وقول عيسى خطأ ، سمعنا العرب تصرف (كعسبا) وإنما هو فعل من الكعسبة ، والكعسبة : العدو مع تقارب الخطا ، كأنه يتدحرج في مشيته .

أمثلة تطبيقية لما منع للتعريف ووزن الفعل :

قد وردت مواضع في معاني الزجاج بمثابة التطبيق لما قدمته ، وفيما يلي ذكر تلك المواضع :

- قال في توجيه قوله تعالى : ﴿... اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[3] : " و(آدم) في موضع جر ، إلا أنه لا ينصرف لأنه على وزن أفعلَ ، يقول أهل اللغة : إن اشتقاقه من أديم الأرض ... فإذا قلت : مررت بآدم وآدم آخر فإن النحويين يختلفون في أفعل الذي يسمى به وأصله الصفة ، فسيبويه والخليل ومن قال بقولهما يقولون : إنه ينصرف في النكرة ؛ لأنك إذا نكرته رددته إلى حال قد كان فيها لا ينصرف ، وقال أبو الحسن الأخفش: إذا سميت به رجلا فقد أخرجته من باب الصفة ، فيجب إذا نكرته أن تصرفه فتقول : مررت بآدم وآدمٍ آخر " [4] .

---

(١) من بحر الوافر ، لسحيم بن وثيل ، من شواهد الكتاب ٢٠٧/٣ ، وانظره في شرح الكافية للرضي ١٤٦/١ ، والخزانة ٤٠٢/٩ .

(٢) الكتاب ٢٠٧/٣ .   (٣) البقرة /٣٤ .   (٤) معانيه ١١٢/١ ، ١١٣ .

- وقال في قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ﴾[1] : " (آدم) لا ينصرف ؛ لأنه على قدر أفعل وهو معرفة ، وهو مشتق من أدمة الأرض وهو وجهها ، فسمي بما خلق منه " [2] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ [3] : " (يحيى) لا ينصرف عربيا كان أو أعجميا ؛ لأنه إن كان أعجميا فقد اجتمعت فيه العجمة والتعريف ، ولو كان عربيا لم ينصرف لشبهه بالفعل وأنه معرفة علم " [4] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [5] : " و(يغوث) و(يعوق) لا ينصرفان ؛ لأنهما في وزن الفعل وهما معرفتان ، والقراءة التي عليها القراء والمصحف ترك الصرف ، وليس في (يغوث) و(يعوق) ألف في الكتاب ، ولذلك لا ينبغي أن يقرأ إلا بترك الصرف ، والذين صرفوا جعلوا هذين الاسمين الأغلب عليهما ، إذ كان أصل الأسماء عندهم الصرف ، أو جعلوهما نكرة وإن كانا معرفتين ، فإنهم تأولوا : ولا تذرن صنما من أصنامكم ، ولا ينبغي أن يقرأ بهما لمخالفتهما المصحف " [6] .

قلت: القراءة بصرف (يغوث) و(يعوق) تنسب إلى الأعمش والأشهب العقيلي[7]، والوجه الأول فيما ذكره الزجاج لتوجيهها ذكره السمين [8] والألوسي [9]، وتوضيحه أنهما جاءا على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا ، وهي لغة حكاها الكسائي ، وقد رده الألوسي بأنها لغة غير فصيحة لا ينبغي التخريج عليها ، والوجه الثاني مما ذكره الزجاج لتوجيهها اقتصر عليه العكبري[10] ، وعارضه مكي[11] بأنه لا معنى له ؛ إذ ليس كل صنم اسمه يغوث ويعوق، إنما هما اسمان لصنمين معلومين مخصوصين فلا وجه لتنكيرهما ، ووصف الزمخشري [12] تلك القراءة بأنها مشكلة ، ثم قال : " ولعله ـ يعني القارئ بهما ـ قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما منصرفات : ودا وسواعا ونسرا " ، وهذ التوجيه أجازه السمين والألوسي .

---

(1) الأعراف /٣٥ .
(2) معانيه ٣٣٤/٢ .
(3) آل عمران /٣٩ .
(4) معانيه ٤٠٦/١ .
(5) نوح /٢٣ .
(6) معانيه ٢٣١/٥ .
(7) المشكل ٤١٢/٢ ، وروح المعاني ٩٧/٢٩ .
(8) الدر المصون ٤٧٥/١٠ .
(9) روح المعاني ٩٧/٢٩ .
(10) الإملاء ٤٢٠/٤ .
(11) المشكل ٤١٢/٢ .
(12) الكشاف ١٦٤/٤ .

٥- ما منع للتعريف والعجمة :

عقد الزجاج في كتابه (ما ينصرف) بابا لبيان ما يمنع من الصرف من الأسماء الأعجمية ، وقال فيه : " اعلم أن كل اسم أعجمي جاوز ثلاثة أحرف وضع للواحد لا للجنس نحو : إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وهارون وفرعون ، وهرمز وفيروز وكابل ، وما أشبهها من الأعجمية نحو تكين وجباخ فإن هذه لا تنصرف في معرفة وتنصرف في النكرة لأنه اجتمع فيها شيئان: أن أصلها أنها أعجمية فهي فرع في كلام العرب وهي معرفة، فأما ما كان نحو سبك وما أشبهه مما عدته ثلاثة فمصروف ، وأما الأعجمية التي هي أسماء الأجناس نحو:ديباج وياسمين وفرند وإبريسم وآجرّ وجاموس فهذه كلها مصروفة في بابها ، ومصروفة أيضا إن سميت بها رجلا ، وكذلك (ياسمين) و(سوسن)، وإنما صرفت هذه لأنها دخلتها الألف واللام فتمكنت في العربية" [١] .

ومما يلحق بذلك عند الزجاج في منع الصرف قول العرب : سعفص وقريسيات وكلمن ، لقوله " فأما (سعفص) و(قريسيات) و(كلمن) فأعجمية غير مصروفة ، ويجوز في (قريسيات) الصرف وترك الصرف ... الأجود الصرف لأنها على لفظ الجمع ، ويجوز ترك الصرف لأنَ فيها تاء التأنيث " [٢] .

أمثلة تطبيقية لما منع للتعريف والعجمة :

تناول الزجاج في معانيه ما ورد في القرآن الكريم من الأعلام الأعجمية ، وفيما يلي مواضع ذلك :

- قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [٣] : " (إبليس) لم يصرف لأنه اسم أعجمي اجتمع فيه العجمة والمعرفة فمنع من الصرف " [٤] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي ...﴾ [٥] : " (إسرائيل) في موضع خفض ، إلا أنه فتح آخره لأنه لا ينصرف ، وفيه شيئان يوجبان منع الصرف وهما : أنه أعجمي ، وهو معرفة ، وإذا كان الاسم كذلك لم ينصرف إذا جاوز ثلاثة أحرف عند النحويين " [٦] .

(١) ما ينصرف ص٤٥ . (٢) ما ينصرف ص٦٨ . (٣) البقرة /٣٤ .
(٤) معانيه ١/١١٤ . (٥) البقرة /٤٠ . (٦) معانيه ١/١١٩ ، ١٢٠ .

- وقال في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[1]: " (طالوت) و(جالوت) و(داود) لا تنصرف ؛ لأنها أسماء أعجمية وهي معارف ، فاجتمع فيها شيئان : التعريف والعجمة ، وأما (جاموس) فلو سميت به رجلا لانصرف وإن كان أعجميا ؛ لأنه قد تمكن في العربية ؛ لأنك تدخل عليه الألف واللام فتقول : الجاموس ، والراقود ، فعلى هذا قياس جميع الباب " [2] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ...﴾ [3] : " (عيسى) اسم أعجمي عدل عن لفظ الأعجمية إلى هذا البناء ، وهو غير مصروف في المعرفة لاجتماع العجمة والتعريف فيه ، ومثال اشتقاقه من كلام العرب أن (عيسى) فِعلى ، والألف تصلح أن تكون للتأنيث فلا ينصرف في معرفة ولا نكرة ، ويكون اشتقاقه من شيئين أحدهما : العيس وهو بياض الإبل ، والآخر من العوْس والعياسة إلا أنه قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها " [4] .

وقال في كتابه (ما ينصرف) : " قال جميع البصريين في اسم (موسى) و(عيسى) إنهما أعجميان ، وهما معرفة ، تقول : جاءني موسى وموسًى آخر ، وجاءني عيسى وعيسًى آخر ، فإذا أردت موسى الحديد فهي مؤنثة ، وهي تنصرف في النكرة، تقول : هذه موسًى حادة ، وتقديرها مُفْعَلٌ ... فأما (عيسى) إذا لم تجعله أعجميا فتقديره (فِعْلَى) والألف فيه ألف إلحاق " [5] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [6] : " هما اسمان أعجميان لا ينصرفان لأنهما معرفة " [7] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [8] : " (هارون) لا ينصرف في المعرفة ؛ لأنه اسم أعجمي وهو معرفة " [9] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ ...﴾ [10] : " هذه الأسماء في موضع جر إلا أنها فتحت لأنها معرفة وهي أعجمية " [11] .

(١) البقرة /٢٤٧ . (٢) معانيه ٣٢٨/١ . (٣) آل عمران /٥٥ .
(٤) معانيه ٤١٩/١ ، ٤٢٠ . (٥) ما ينصرف ص٣١ . (٦) الكهف /٩٤ .
(٧) معانيه ٣١٠/٣ . (٨) مريم /٥٢ . (٩) معانيه ٣٣٣/٣ .
(١٠) غافر /٢٤ . (١١) معانيه ٣٧٠/٤ .

القسم الثاني : ما منع من الصرف لعلتين إحداهما الوصفية

الوصفية المعتبرة في باب ما لا ينصرف :

بين الزجاج في كتابه (ما ينصرف) أن المراد بها أخذ الوصف من الفعل على سبيل القياس مع قبوله التأنيث ، فهو يقول : " فأما قولهم : جمل يعملٌ وناقة يعملةٌ يريدون به كثرة العمل والقوة عليه فإنها مصروفة في النكرة ، تقول: مررت بجملٍ يعملٍ، وإنما نونت وإن كانت صفة لأنها ليست من أسماء الفاعلين ، لا تقول : عمل الرجل فهو يعملٌ ، إنما تقول : عمل الرجل فهو عامل ، فإذا أردت كثرة العمل قلت : عمّال وعمول ومِعمال ومِعمل وعمِل، فليس (يعملٌ) من أسماء الفاعلين ، إنما هو مخصوص به الإبل، وأنك تلفظ في المذكر والمؤنث بالياء ، ولو كان صفة لحقتها هذه الياء لوجب أن يلحقها في المؤنث التاء ، إلا أنك إذا سميت رجلا بـ(يعمل) لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة، تقول : مررت بيعمل ويعملٍ آخر ، وكذلك (يعمَر) اسم رجل " [(١)].

١- ما منع للوصفية وزيادة الألف والنون :

عقد الزجاج بابا للحديث عن الوصف المزيد بالألف والنون عنوانه : (باب ما لحقته الألف والنون زائدتين فكان على مثال فعلان وكانت أنثاه فعلى) ، قال : " وذلك نحو : سكران الذي أنثاه سكرى ، فهذا لا ينصرف في معرفة ولا نكرة ، وذلك نحو : غضبان وعطشان وريان ، قال سيبويه [(٢)] : إنما لم تصرف (فعلان) ههنا لأنه أشبه (حمراء) في عدة الحروف والتحرك والسكون ، وأن لـ(فعلان) مؤنثا على حدة كما أن لـ(حمراء) مذكرا على حدة ، فأشبه فعلاء هذا الشبه .

قال أبو إسحاق : ومع هذا أن سيبويه ذكر في موضع آخر أن النون تقع بدلا من ألف التأنيث نحو قولك في صنعاء : صنعاني ، وصنعاوي الأكثر ، وفي بهراء : بهراني ، فهذا قياس هذا الباب ، فالحجة في امتناعه من الصرف الحجة التي ذكرنا في (حمراء) إذ كان مثلها " [(٣)] .

وقد جاء في المعاني مثال تطبيقي لذلك ، حيث قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾[(٤)] : " (غضبان) على مثال فعلان وله فعلى نحو : غضبى ، ولم ينصرف لأن فيه الألف والنون كألفي (حمراء) " [(٥)] .

(١) ما ينصرف ص١٣ . (٢) الكتاب ٢١٥/٣ وما بعدها . (٣) ما ينصرف ص٣٥ .
(٤) الأعراف /١٥٠ . (٥) معانيه ٢٦/٣ .

٢- ما منع للوصفية والعدل :

تحدث الزجاج عن منع صرف (مثنى وثلاث ورباع) في موضعين من المعاني :

- قال في قوله تعالى : ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [١] : " قوله : (مثنى وثلاث ورباع) بدل من (ما طاب لكم) ومعناه : اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا، إلا أنه لم ينصرف لجهتين لا أعلم أحدا من النحويين ذكرهما، وهي أنه اجتمع فيه علتان : أنه معدول عن اثنين اثنين وثلاث وثلاث ، وأنه عدل عن تأنيث ، قال أصحابنا : إنه اجتمع فيه علتان : أنه عدل عن تأنيث وأنه نكرة ، والنكرة أصل للأسماء ، بهذا كان ينبغي أن نخففه ؛ لأن النكرة تخفف ولا تعد فرعا ، وقال غيرهم : هو معرفة ، وهذا محال ؛ لأنه صفة للنكرة ، قال الله جل وعز: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [٢] ، فهذا محال أن يكون أولي أجنحة الثلاثة والأربعة ، وإنما معناه : أولي أجنحة ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ..." .

- وقال في قوله تعالى : ﴿ أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ في سورة فاطر : " فتح (ثلاث ورباع) لأنه لا ينصرف لعلتين : إحداهما أنه معدول عن ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة واثنين اثنين ، والثانية أن عدله واقع في حال النكرة " [٣] .

واستشهد بالآيتين في كتابه (ما ينصرف وما لا ينصرف) في باب ما جاء معدولا من العدد [٤] ، وفيه يقول : " اعلم أن جميع ما جاء معدولا من هذا الباب لا ينصرف في النكرة ، وإنما ترك صرفه لأنه عدل به عن ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ، فاجتمع فيه أنه معدول عن هذا المعنى وأنه صفة لا يستعمل معدولا إلا صفة ، قال الله جل وعز : ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ أي أولي أجنحة اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ، فموضع (مثنى وثلاث ورباع) ههنا الخفض للأجنحة ، وقال جل وعز : ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ " .

وذكر في هذا الباب من المعدول أيضا أحاد وموحد وثناء ومثنى ، واستشهد بقول ساعدة بن جؤية :

---

(١) النساء /٣ . (٢) فاطر /١ . (٣) معانيه ٢٦١/٤ . (٤) ما ينصرف ص٤٤ .

ولكـنما أهـلـي بـواد أنـيـسـه　　　ذئاب تبغي الناس مثنى وموحد [1]

ثم قال : " وإن عدلت أسماء العدد إلى العشرة كلها على هذا قياسا [جاز] نحو : عشار وتساع وخماس وسداس ، ولكن (مثنى) و(موحد) لم يجئ في مثل (معشر) تريد به (عشار)، وكذلك (متسع) يراد به (تساع)، إنما استعمل من هذا ما استعملت العرب".

ثم ذكر أن العدل يقع لفائدة فقال : " إن قال قائل : لا ينبغي أن تصرف (طوالا) إذا قلت : مررت برجل طوالٍ ؛ لأنه معدول عن (طويل) ، فالجواب فيه أن (طوالا) و(خفافا) ليسا بمعدولين ؛ لأن العدل إنما يوقع لفائدة نحو (عمر) الذي عدل عن (عامر) ، وكان (عامر) يكون للنكرة ويكون للمعرفة إذا سمي به ، فالعدل يخلصه لباب المعرفة ، وكذلك (ثناء) يتضمن معنى اثنين اثنين ، وثلاث يتضمن معنى ثلاثة ثلاثة ، فهو يتضمن أن الثلاثة في جماعات كل واحدة منها ثلاثة ، و(طوال) لا يراد به غير معنى طويل ، فهما جميعا اسم للفاعل كما أن قولهم للمرأة الرزينة : رزان ورزينة ، معناهما واحد ، إلا أنهما اسمان للفاعل مختلفا اللفظ " [2] .

وتحدث عن العدل في (أخر) في كتاب (ما ينصرف) فقال : " وأما (أخر) فنكرة، إلا أنها لاتنصرف ، وزعم الخليل أنها معدولة عن الألف واللام وعما جاء عليه أخواتها ، وهذا الباب إنما أصله (أفعل منك) ، تقول : مررت برجل أفضلَ منك ، ومررت بامرأة أفضل منك ، فإذا حذفت (منك) قلت : مررت بالرجل الأفضل والمرأة الفضلى ، وقال: ألا ترى أنك لا تقول : نسوة فضل ، ولا : قوم أصاغر ، إنما تقول: الأصاغر والفضل ، فلما كان (آخر) يستعمل بغير (منك) جاز أن يستعمل جمعه بغير ألف ولام ، فاجتمع في (أخر) شيئان : أنها معدولة عن الألف واللام ، وأنها صفة ، وقولنا : صفة لم يذكره سيبويه وإنما ذكر ما يدل عليه ، والذي أذهب إليه أن (أخر) اجتمع فيها أنها استعملت بغير ألف ولام وأدت عن حقيقة (آخر منك) فأدت عن معنى الصفة ، وهذا كأنه شرح لمذهب سيبويه " [3] .

وتناول لفظ (أخر) في المعاني في موضعين :

الأول : قال في قوله تعالى : ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[4] : " (أخـر) في موضـع جـر ، إلا

(١) من بحر الطويل ، من شواهد الكتاب ٢٢٦/٣ ، والمقتضب ٣٨١/٣ .

(٢) ما ينصرف ص٤٤ .　(٣) ما ينصرف ص٤٠ ، ٤١ .　(٤) البقرة/١٨٥ .

أنها لا تنصرف ، ففتح فيها المجرور " [1] .

الثاني : قال في قوله تعالى : ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[2] : " فأما (أخر) فغير مصروفة ، زعم سيبويه والخليل أن (أخر) فارقت أخواتها والأصل الذي عليه بناء أخواتها ؛ لأن أصلها أن تكون صفة بالألف واللام كما تقول : الصغرى والصغر ، والكبرى والكبر ، فلما عدلت عن مجرى الألف واللام وأصل أفعل منك وهي مما لا تكون إلا صفة منعت الصرف " [3] .

٣- ما منع للوصفية ووزن الفعل :

تحدث الزجاج عن منع صرف ما جاء صفة على وزن أفعل في كتابه ما ينصرف فقال: " هذا باب (أفعل) إذا كان صفة ، وذلك نحو قولك : مررت برجل أسمر وآدم وما أشبه ذلك ، فإجماع النحويين أن (أفعل) ههنا لا ينصرف ، وإنما لم ينصرف لأنه اجتمع فيه أنه صفة وأنه على وزن أفعل ، نحو : أذهب وأعلم " [4] .

وقال أيضا : " اعلم أن أفعل منك نحو قولك : أحسن منك وأصغر منك لا ينصرف في قولك : مررت بأحسن منك ؛ لأنه اجتمع فيه أنه على وزن الفعل وأنه صفة، قال الله عز وجل : ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾[5] ، وكذلك إن سميت بها رجلا لم تصرفه في معرفة ولا نكرة من قبل أنه مع (منك) التي توجب أن تكون صفة " [6] .

وقد ورد في المعاني أمثلة لذلك ، وهي :

- قال الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[7]: " من قرأ: (أشدُّ قسوة) رفع (أشد) بإضمار (هي) ، كأنه قال : أو هي أشد قسوة ، ومن نصب (أو أشدَّ قسوة) فهو على خفض في الأصل بمعنى الكاف ، ولكن (أشد) أفعل لا ينصرف ؛ لأنه على لفظ الفعل وهو نعت ، ففتح وهو في موضع جر " [8] .

- وقال في قوله تعالى :﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[9] : " (أشد) في موضع خفض ،

(1) معانيه ٢٥٢/١ . (2) آل عمران /٧ . (3) معانيه ٣٧٧/١ .
(4) ما ينصرف ص٦ . (5) النساء /٨٦ . (6) ما ينصرف ص٩ .
(7) البقرة /٧٤ . (8) معانيه ١٥٦/١ ، ١٥٧ . (9) البقرة /٢٠٠ .

ولكنه لا ينصرف ؛ لأنه على مثال (أفعل) وهو صفة " [١] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ [٢] : " (أحسن) ههنا صفة ، لا ينصرف لأنه على وزن (أفعل) وهو صفة " [٣] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [٤] : " الفتح ـ يعني في أصغر وأكبر ـ على: ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر، والموضع موضع جر ، إلا أنه فتح لأنه لا ينصرف " [٥] .

الاسم المنقوص الممنوع من الصرف :

من المعلوم أن المنقوص من الأسماء التي لا تنصرف يجري مجرى جوارٍ وغواشٍ فيلحقه التنوين رفعا وجرا للتعويض عن الياء المحذوفة ، ويمنع من الصرف في حالة النصب عندما ترد إليه الياء ، وقد تعرض الزجاج لذلك في كتابه ما ينصرف مستعينا بالنقل عن سيبويه ، فهو يقول [٥] : " قال سيبويه : سألت الخليل عن الرجل يسمى بـ(قاضٍ) فقال : هو في التسمية على حاله قبل أن يكون اسما ، قال : وسألته عن امرأة تسمى بـ(قاض) فقال : مصروفة في الجر والرفع ، تقول : (هذه قاض قد جاءت) فتصرفها ، وكذلك : مررت بقاض العاقلة ، فالتنوين عنده عوض كما كان في (جوارٍ)، قال : وكذلك إن سميت الرجل بـ(جوارٍ) قلت : هذا جوارٍ قد جاء ، هذا مذهب الخليل ، وقال يونس [٦] : كل ما كان نظيره من غير المعتل لا ينصرف لم ينصرف من المعتل ذلك المثال ، مثال ذلك إذا سميت المرأة في قول يونس (قاضي) قلت : هذه قاضي قد جاءت ، بإثبات الياء وإسكانها بغير تنوين ، وكذلك تقول : مررت بقاضيَ العاقلة فتفتح في حال الجر ، كما أنك لو سميتها بـ(ضارب) قلت : هذه ضاربُ قد جاءت ، ومررت بضاربَ العاقلة ، وكذلك ـ عند يونس ـ إذا سميت رجلا أو امرأة (قواضيَ) أو (جواريَ) قلت : هذا جواري قد جاء ، بإثبات الياء وإسكانها .

(١) معانيه ١/٢٧٤ .　(٢) النساء /٨٦ .　(٣) معانيه ٢/٨٦ .
(٤) يونس /٦١ .　(٥) معانيه ٣/٢٦ .　(٦) ما ينصرف من ١١٢ إلى ١١٥ .
(٧) انظر الكتاب ٣/٣١٢ .

قال سيبويه : قال الخليل : هذا خطأ ـ يعني قول يونس ـ وقال : لو كان هذا كذلك لكانوا يثبتون الكسرة والضمة فيقولون : هؤلاء جواريُ يا هذا ، ومررت بجواريِ .

وقال : لا يكون شيء أبعد من الصرف من (فواعل) جمعا ، فلو منعوا هذا إذا سموا به في المعرفة الصرف ، كانوا خلقاء ألا يصرفوه في (فواعلَ) جمعًا في نحو (جوارٍ) .

قال [1] : وسألته عن بيت أنشدناه يونس ، وهو قول الشاعر :

قد عجبت مني ومن يعيليا

لما رأتني خلقا مقلوليا [2]

كان ينبغي أن يكون على قول الخليل من (يُعَيلٍ) لأن (يُعَيْلِيَ) عند الخليل وسيبويه بمنزلة (جوارٍ) و(دواعٍ) .

قال : فقال الخليل : هذا حين اضطر أخرجه على الأصل ، قال الشاعر :

خريع دواديَ في ملعبٍ ... تأزَّرُ طوراً وتُلقي الإزارا [3]

فـ(دوادٍ) في قول يونس والخليل ينصرف في الرفع والجر ، إلا أنه لما اضطر الشاعر أخرجه على الأصل فلم يصرفه ، كما قال الفرزدق :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ... ولكنَّ عبد الله مولى مواليا [4]

وكما قال الشاعر :

... ... سماء الإله فوق سبع سمائيا [5]

فهذا أخرجه على الأصل ، كما قال :

لا بارك الله في الغواني هل ... يصبحن إلا لهن مطَّلبُ [6]

(١) الكتاب ٣/٣١٤ ، ٣١٥ .

(٢) من بحر الرجز ، للفرزدق ، من شواهد الكتاب ٣/٣١٥ ، وانظر الأشموني المحقق ٣/١٧١ .

(٣) من بحر المتقارب ، للكميت ، من شواهد الكتاب ٣/٣١٦ ، وانظره في الخصائص ١/٣٣٤ ، والخريع : المرأة اللينة الناعمة ، والدوادي : جمع دوداة وهي الأرجوحة .

(٤) من بحر الطويل ، من شواهد الكتاب ٣/٣١٣ ، وانظره في شرح الكافية للرضي ١/١٣٣ ، والخزانة ١/٢٣٥ .

(٥) عجز بيت من الطويل لأمية بن أبي الصلت ، وصدره : * له ما رأت عين البصير وفوقه * ، وهو من شواهد الكتاب ٣/٣١٥ ، وانظره في شرح الكافية للرضي ١/١٣٤ ، والخزانة ١/٢٤٤ .

(٦) من بحر المنسرح ، من شواهد الكتاب ٣/٣١٣ .

قال سيبويه : سألته عن قولك : مررت بأُعَيْمٍ منك ، فقال : مصروف فيمن قال ذلك ، وهو بمنزلة (بخيرٍ منك) .

صرف غير المنصرف :

تقدم حديث ذلك فيما سبق هنا من توجيه قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا . قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (١) .

وقال الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾(٢) : " (سلسبيل) اسم العين ، إلا أنه صرف لأنه رأس آية " (٣) .

حكم الممنوع من الصرف إذا دخلته (أل) أو أضيف :

تحدث عن ذلك الزجاج في كتاب (ما ينصرف) فقال : " واعلم أن جميع ما لا ينصرف إذا أدخلت فيه الألف واللام قلت : مررت بالأحمر والأسود ، فإن نزعت الألف واللام قلت : (مررت بأحمر وأسود) ففتحت في موضع الجر ، وكذلك إذا أضفت ما لا ينصرف انصرف كقولك : مررت بأحمركم وأسودكم ، لا اختلاف بين النحويين فيما وصفنا ، وإنما انصرف لأن الألف واللام دخلتاه فزال شبه الفعل ؛ لأنهما لا تدخلان على الفعل ، وكذلك الإضافة تزيله عن شبه الفعل ؛ لأن الفعل لا يضاف ، فإن قال قائل : فما باله إذا أضيف إليه لم ينصرف نحو قولك : هذا غلام أحمر يا هذا ؟ فالجواب في هذا أن الخفض إنما وقع في الإضافة بمعنى اللام ، وجميع عوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال ، فلو صرفنا ما لا ينصرف إذا أضيف إليه لوجب ألا تمنعه الصرف في حال البتة ؛ لأن جميع عوامل الأسماء لا تدخل على الأفعال ، وتدخل عوامل الأسماء على الأسماء ، ولا يدخل فعل على فعل ، فليس تزيل الإضافة إلى ما لا ينصرف شبه الفعل كما أنه لا يزيله الناصب والرافع عن شبه الفعل ، ومع هذا أن الأفعال يضاف إليها أسماء الزمان ، مثل قوله جل وعز : ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ (٤) ، فإذا أضفت إليه ـ أعني ما لا ينصرف ـ لم تزله الإضافة عن شبه الفعل " (٥) .

---

(١) انظر ص　　(٢) الإنسان /١٨ .　　(٣) معانيه ٢٦١/٥ .
(٤) المائدة/ ١١٩ .　　(٥) ما ينصرف ص٦ .

باب ما ينصرف من الأمثلة وما لا ينصرف :

هذا ، وقد عقد الزجاج في كتابه (ما ينصرف) بابا سماه (باب ما ينصرف من الأمثلة وما لا ينصرف) ، وهو عبارة عن قضايا كلية تندرج في باب ما ينصرف وما لا ينصرف ، وأساسها الأوزان والأمثلة ، وهي تذكر الدارس بقواعد هذا الباب بطريق الاختصار ، وقد تبع فيه سيبويه[1] ، ونظرا لما فيه من الفائدة ألحقه بهذا الفصل ، يقول الزجاج [2]:

هذا باب ما ينصرف من الأمثلة وما لا ينصرف

قال سيبويه [3] وجميع النحويين : كل أفعل ـ بتنوين أفعل وخفضه ـ أردت به الوصف لا ينصرف في النكرة ، وكل أفعل يكون اسما ينصرف في النكرة .

قال سيبويه : فقلت للخليل : كيف قلت إنه لا ينصرف وقد صرفته ؟ فقال : (أفعل) ههنا مثال وليس بوصف ثابت في الكلام ، وإنما زعمت أن ما كان على هذا المثال وكان وصفا لا ينصرف وما كان اسما على هذا الكلام انصرف .

وتقول : كل آدمَ لا ينصرف ، مفتوح ؛ لأن آدم وصف ثايت في الكلام ، لا تحتاج إلى أن تقول : كل آدمَ يكون وصفا فتوهم أن آدم يكون غير وصف .

قال : وتقول : كل رجل أفعل يا هذا ، تفتح أفعل ، لا ينصرف .

قال : وذلك أن أفعل ههنا إنما مثلت به الوصف خاصة .

قال أبو إسحاق : والقول في أفعل ههنا ما قال ، فإن قال قائل : فلم تقول : مررت بنسوةٍ أربع فتصرف (أربعًا) وقد جعلته في موضع الصفة ؟ فالجواب في هذا : أن (أربعًا) اسم جعلته في موضع الوصف فأجريته علي بابه في الأسماء ، وليس (أربع) بتمثيل للأوصاف ، وقولك : (هذا رجل أفعلُ) أفعلُ تمثيل يجمع الأوصاف التي أنثاها فعلاء، وقد وقع موقع الوصف فجرى مجراه ، وهذا عندي الاختيار أعني أنك لا تصرف (هذا رجل أفعلُ)، وتقول : (أفعلُ) إذا كان صفة لم ينصرف في النكرة، وإذا كان اسمًا انصرف في النكرة ، وإنما قلت (أفعلُ) إذا كان نكرة فلم تنونه ؛ لأن أفعل ههنا معرفة ، وهو على وزن (أذهبُ) ، وتقول : كل أفعلٍ أردت به الفعل الماضي مفتوح أبدا ، وإنما قلت : كل أفعلٍ أردت به الفعل فنونته لأنك مثلت به الفعل كما مثلت به الوصف وأضفت (كلا) إليه ، فعلى هذا مجرى هذا الباب .

---

(١) انظر الكتاب ٣/٢٠٣ : ٢٠٦ . (٢) ما ينصرف ص٢٤ : ٢٦ .

(٣) الكتاب ٣/٢٠٣ .

فإن قلت : كل أفعل زيدٌ مفتوح أبدا بنيته على الفتح ؛ لأنك رفعت به كما ترفع بقولك : أقبل زيد ، وتقول : كل فعلان له فعلى لا ينصرف في معرفة ولا نكرة ، فتصرف في تمثيلك ، وقولك (كل فعلان) لأن فعلانا ليس بوصف ثابت ، وإنما زعمت أن كل ما كان على هذا المثال وكانت له فعلى لا ينصرف ، والمثال منصرف .

وتقول : كل فَعلى بفتح الفاء أو فِعلى كانت ألفها للتأنيث لم تنصرف في معرفة ولا نكرة ، وإن كانت ألفها لغير التأنيث انصرفت في النكرة ولم تنصرف في المعرفة ، فلك وجهان في قولك : كل فَعلى أو فِعلى ، بتنوين ، تجعلها لغير التأنيث .

والأجود أن تقول: كل فَعلى أو فِعلى بغير تنوين فتجعل ألف هذا المثال للتأنيث؛ لأن ألف التأنيث في هذا الباب أكثر .

ومذهب سيبويه والخليل أنك مخير : إن شئت قلت : (كل فَعلَى أو فِعلَى) بغير تنوين ، وإن شئت نونت .

وتقول : كل فُعلى في الكلام لا تنصرف ، ولا تحتاج إلى أن تقول كانت ألفها للتأنيث ؛ لأنها لم تقع في الكلام إلا للتأنيث ، نحو : أنثى وخنثى وطوبى ورجعى ، فإنما تقول : كل فُعلى في الكلام لا تنصرف ، ولا تنون (فُعلى) .

وتقول : كل فَعنْلَى في الكلام وكل فعنّلى مصروف ؛ لأن ألف هذا المثال أبدا لغير التأنيث ، نحو : حبنطى وقبعثرى ، فهذا مصروف في تمثيلك إياه .

وتقول : كل فعلاءَ في الكلام لا تنصرف ، وتفتح فَعلاء ولا تنونها ؛ لأن هذ المثال لا يكون إلا لما لا ينصرف .

وتقول : فعلانُ إذا لم تكن له فَعْلى انصرف في النكرة ولم ينصرف في المعرفة ، وإنما تركت صرفه ههنا لأنك جعلته معرفة وأومأت إليه من سائر الأمثلة .

وتقول : كل فَعالاءَ يا هذا أو فَعولاءَ أو فاعِلاءَ لا ينصرف في معرفة ولا نكرة ؛ لأن هذه الألف لا تدخل في هذه الأمثلة إلا للتأنيث ، فعلى هذا قياس هذا الباب .

وهذا الباب وضع لأن يعلم الإنسان بأي لفظ يعلم ما ينصرف وما لا ينصرف .

وتقول : كل فَعْلةٍ أو فعَلةٍ ، وكل ما دخلته هاء التأنيث من هذا الباب قلت فيه : كل فَعْلةٍ بتنوين ، تقول : كل فَعْلةٍ تكون معرفة لا تنصرف ، وتنصرف إذا كانت نكرة .

وتقول : فَعلةُ أو فُعلةُ إذا كانت نكرة انصرفت ، وإذا كانت معرفة لم تنصرف ، وفُعلةُ ههنا معرفة ، فعلى هذا قياس هذا الباب .



الفصل الثامن والثلاثون

إعراب الفعل

رافع الفعل المضارع :

مذهب الزجاج هو أن المضارع ارتفع لوقوعه موقع الاسم ، كما يتبين ذلك مما يلي :

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [1] : " (تأكلوا) جزم بـ(لا)؛ لأن (لا) التي ينهى بها تلزم الأفعال دون الأسماء ، وتأثيرها فيها الجزم؛ لأن الرفع يدخلها بوقوعها موقع الأسماء ، والنصب يدخلها لمضارعة الناصب فيها الناصب للأسماء فليس فيها بعد هذين الحرفين إلا الجزم " [2] .

وقد جاء في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [3] قوله : " لأن رفع المستقبل بالمضارعة " كما سيأتي ، واعترض عليه أبو علي في الإغفال [4] بما ملخصه أن المضارعة اقتضت إعراب الفعل بصفة عامة ثم يحتاج كل نوع من أنواع الإعراب إلى ما يقتضيه ، ورأى أن هذا القول الثاني جاء على سبيل الغلط والنسيان ، ويجوز - عندي - أن يكون أصل العبارة (لأن إعراب المستقبل بالمضارعة) ثم وقع فيها غلط أو سهو من الناسخ .

علة نصب ما ينصب المضارع :

تحدث الزجاج عن نواصب المضارع مع التعليل لعملها في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [5] ، وفي ذلك يقول : " جزم (لم) تفعلوا ؛ لأن (لم) أحدثت في الفعل المستقبل معنى المضي فجزمته ، وكل حرف لزم الفعل فأحدث فيه معنى فله فيه من الإعراب على قسط معناه ، فإن كان ذلك الحرف (أنْ) وأخواتها نحو

---

(١) البقرة /١٨٨ . (٢) معانيه ٢٥٧/١ ، ٢٥٨ . (٣) النساء /٥٣ .

(٤) انظر الإغفال ١٧١/٢ . (٥) البقرة /٢٤ .

(لن تفعلوا) و﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا﴾[1] فهو نصب ؛ لأن (أنْ) وما بعدها بمنزلة الاسم ، فقد ضارعت (أنْ) الخفيفة (أنّ) المشددة وما بعدها ؛ لأنك إذا قلت : (ظننت أنك قائم) فمعناه : ظننت قيامك ، وإذا قلت : (أرجو أن تقوم) فمعناه : أرجو قيامك ، فمعنى (أنْ) وما عملت فيه كمعنى (أنَّ) المشددة وما عملت فيه ، فلذلك نصبت (أنْ) وجزمت (لمْ) لأن ما بعدها خرج من تأويل الاسم ، وكذلك هي وما بعدها يخرجان من تأويل الاسم " [2] .

نواصب المضارع :

[لن] تناولها الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾[3] فقال : " (تمسنا) نصب بـ(لن) ، وقد اختلف النحويون في تفسير علة النصب بـ(لن) فروي عن الخليل فيها قولان : أحدهما : أنها تنصب كما تنصب (أن) وليس ما بعدها بصلة لها ؛ لأن (لن يفعل) نفي (سيفعل) فيقدم ما بعدها عليها نحو قولك : زيدا لن أضرب ، كما تقول : زيدا لم أضرب ، وقد روى سيبويه عن بعض أصحاب الخليل عن الخليل أنه قال : الأصل في (لن) : لا أن ، ولكن الحذف وقع استخفافا ، وزعم سيبويه أن هذا ليس بجيد ، لو كان كذلك لم يجز : زيدا لن أضرب ، وعلى مذهب سيبويه جميع النحويين ، وقد حكى هشام عن الكسائي في (لن) مثل هذا القول الشاذ عن الخليل ، ولم يأخذ به سيبويه ولا أصحابه " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾[5] : " (لن) نفي لما يستقبل " [6] .

[إذن] تناولها الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [7] فقال : " أما رفع (يؤتون) فعلى : فلا يؤتون الناس نقيرا إذن ، ومن نصب فقال : (فإذن لا يؤتوا الناس) جاز ذلك في غير القراءة ، فأما المصحف فلا يخالف ، قال سيبويه[8]: (إذن) في عوامل الأفعال بمنزلة (أظن) في عوامل الأسماء ، فإذا ابتدأت (إذن) وأنت تريد الاستقبال نصبت لا غير، تقول: إذن أكرمَك ، وإن جعلتها معترضة ألغيتها فقلت :

(١) التوبة /٣٢ . (٢) معانيه ١/١٠٠ ، ١٠١ . (٣) البقرة /٨٠ .
(٤) معانيه ١/١٦٠ ، ١٦١ . (٥) الأعراف /١٤٣ .
(٦) معانيه ٢/٣٧٣ . (٧) النساء /٥٣ .
(٨) الكتاب ٣/١٢ ، ١٣ ، وقد عبر الزجاج عن معنى كلامه ولم يأت بنصه.

أنا إذن أكرمك ، أي : أنا أكرمك إذن ، فإن أتيت بها مع الواو والفاء قلت : فإذن أكرمَك ، وإن شئت : فإذن أكرمُك ، فمن قال : فإذن أكرمَك نصب بها وجعل الفاء ملصقة بها في اللفظ والمعنى ، ومن قال : فإذن أكرمُك جعل (إذن) لغوا وجعل الفاء في المعنى معلقة بـ(أكرمك) ، والمعنى : فأكرمك إذن .

وتأويل (إذن) إن كان الأمر كما ذكرت أو كما جرى ، يقول القائل : زيد يصير إليك ، فتجيب فتقول: إذن أكرمَه ، تأويله : إن كان الأمر على ما تصف وقع إكرامه، فـ(أن) مع (أكرمه) مقدرة بعد (إذن)، المعنى : إكرامك واقع إن كان الأمر كما قلت.

قال سيبويه : حكى بعض أصحاب الخليل عن الخليل أن (أنْ) هي العاملة في باب (إذن) ، فأما سيبويه فالذي يذهب إليه ونحكيه عنه أن (إذن) نفسها الناصبة ، وذلك أن (إذن) لما يستقبل لا غير في حال النصب فجعلها بمنزلة (أنْ) في العمل كما جعلت (لكن) نظيرة (إنَّ) في العمل في الأسماء .

وكلا القولين حسن جميل ، إلا أن العامل عندي النصب في سائر الأفعال (أن) وذلك أجود ، إما أن تقع ظاهرة أو مضمرة ؛ لأن رفع المستقبل بالمضارعة ، فيجب أن يكون نصبه في مضارعة ما ينصب في باب الأسماء ، تقول : أظن أنك منطلق ، فالمعنى: أظن انطلاقك ، وتقول : أرجو أن تذهب ، أي : أرجو ذهابك ، فـ(أن) الخفيفة مع المستقبل كالمصدر كما أن (أنّ) الشديدة مع اسمها وخبرها كالمصدر ، وهو وجه المضارعة " [1] .

[أن] تقدم حديث الزجاج عنها فيما نقلناه عنه هنا في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ وقوله : ﴿فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ .

(أن) غير الناصبة :

يقسم النحويون (أنْ) إلى ناصبة وغير ناصبة ، وغير الناصبة أنواع ، وهي :

١ـ **المخففة من الثقيلة** ، وقد تقدم حديثها في فصل (إن وأخواتها) .

٢ـ **(أن) المفسرة بمعنى (أي)** ، وقد تناولها الزجاج في توجيه قوله تعالى:﴿... تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [2] ، وفيه يقول : " لو كان (أن لا نعبدُ إلا الله ولا نشركُ به شيئا) لجاز على أن يكون تفسيرا للقصة في تأويل (أي) ،

---

(١) معانيه ٢/٦٣ ، ٦٤ .   (٢) آل عمران /٦٤ .

كأنهم قالوا : أي لا نعبد إلا الله ، كما قال عز وجل : ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾[1]، وقال قوم : معنى (أن) ههنا معنى : يقولون امشوا ، والمعنى واحد ؛ لأن القول ههنا تفسير لما قصدوا له ، وكذلك (أي) يفسر بها ، ولوكان (أن لا نعبدْ إلا الله) بالجزم لجاز على أن يكون (أن) كما فسرنا في تأويل (أي) ويكون (لا نعبد) على جهة النهي ، والمنهي هو الناهي في الحقيقة ، كأنهم نهوا أنفسهم " [2].

وقد أجاز أن تكون (أن) مفسرة في توجيهه للآيات الآتية : قوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾ [3] ، وقوله : ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [4] ، وقوله : ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾[5]، وقوله : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ [6]، وقوله : ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [7] ، وقوله : ﴿أَنِ اشْكُرْ للهِ﴾ [8] ، وقوله : ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ [9] ، وقوله : ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [10] ، وقوله : ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [11] .

٣- (أن) الزائدة ، وقد تعرض لها بالحديث في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ ...﴾ [12] حيث قال : " زعم أبو الحسن الأخفش أن (أن) ههنا زائدة، قال : المعنى : وما لنا لا نقاتل في سبيل الله ، وأسقط (في) ، وقال بعض النحويين: إنما دخلت (أن) لأن معناه : ما يمنعنا ، فلذلك دخلت (أن) لأن الكلام : مالك تفعل كذا وكذا ؟ والقول الصحيح عندي أن (أن) لا تلغى ههنا ، وأن المعنى : وأي شيء لنا في أن لا نقاتل في سبيل الله ، أي : أي شيء لنا في ترك القتال وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ... ولكن (في) سقطت مع (أن) لأن الفعل مستعمل مع (أن) دالا على وقت معلوم ، فيجوز مع (أن) حذف حرف الجر كما تقول : هربت أن أقول لك كذا وكذا ، تريد : هربت من أن أقول لك كذا وكذا " [13] .

(١) سورة ص/٦ .
(٢) معانيه ١/٤٢٥ ، ٤٢٦ .
(٣) الأعراف /٤٣ ، انظر معانيه ٢/٣٤٠ .
(٤) الأعراف /٤٤ ، انظر معانيه ٢/٣٤٠ .
(٥) الأعراف /٤٤ ، انظر معانيه ٢/٣٤١ .
(٦) إبراهيم /٥ ، انظر معانيه ٣/١٥٥ .
(٧) النمل /٣١ ، معانيه ٤/١١٨ ، ١١٩ .
(٨) لقمان /١٢ ، معانيه ٤/١٩٥ .
(٩) سبأ /١١ ، معانيه ٤/٢٤٣ ، ٢٤٤ .
(١٠) الشورى /١٣ ، معانيه ٤/٣٩٦ .
(١١) الرحمن /٨ ، معانيه ٥/٩٦ .
(١٢) البقرة /٢٤٦ .
(١٣) معانيه ١/٣٢٧ .

(أن) الناصبة :

مواضع النصب بـــها واجبة الإضمار :

إضمارها بعد لام الجحود :

ذكر الزجاج لام الجحود في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[1] فقال : " هذه اللام هي التي يسميها النحويون لام الجحود ، وهي تنصب الفعل المستأنف وقد أحكمنا شرحها قبل هذا الموضع " [2] ، وهو يشير إلى ما ذكره استطرادا عند توجيه قوله تعالى : ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [3] حيث قال : " وكذلك (ما كان زيد ليضربك) ، اللام خافضة ، والناصب لـ(يضربك) (أن) المضمرة ، ولا يجوز إظهارها مع هذه اللام ، وإنما لم يجز لأنها جواب لما يكون مع الفعل وهو حرف واحد ... يقول القائل : سيضربك وسوف يضربك ، فجعل الجواب في النفي بحرف واحد كما كان في الإيجاب بشيء واحد " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[5] : " القراءة بكسر اللام الأولى من (لتزول) وفتح اللام الأخيرة ، وهي قراءة حسنة جيدة ، والمعنى : وما كان مكرهم ليزول منه أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأمر دين الإسلام وثبوته كثبوت الجبال الراسية ... وتقرأ : (وإن كان مكرهم لتزولُ منه الجبال) على الرفع وفتح اللام الأولى ، ومعناه معنى حسن صحيح ، المعنى : وعند الله مكرهم ، وإن كان مكرهم يبلغ في الكيد إلى إزالته الجبال ، فإن الله ينصر دينه ، ومكرهم عنده لا يخفى عليه " [6] .

إضمار (أن) بعد (أو) إذا صلح
في موضعها (حتى) أو (إلا) :

من أمثلة ذلك عند الزجاج قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [7] ، وفيه يقول : " نصب (أو يتوب) على ضربين : جائز أن يكون عطفا على قوله : (ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم) ، والوجه

---

(١) البقرة /١٤٣ . (٢) معانيه ٢٢١/١ . (٣) البقرة /١٢٠ .
(٤) معانيه ٢٠١/١ ، ٢٠٢ . (٥) إبراهيم /٤٦ . (٦) معانيه ١٦٦/٣ .
(٧) آل عمران /١٢٨ .

الثاني على النصب بـ(أو) إذ كانت في معنى : ليس لك من الأمر شيء ، أي ليس يؤمنون إلا أن يتوب الله عليهم أو حتى يتوب الله عليهم " [1] .

وظاهر كلامه أن النصب بـ(أو) نفسها ، لكنه صرح في غير هذا الموضع بأن عامل النصب في الأفعال (أن) إما ظاهرة وإما مضمرة ، وقد تقدم ذلك في هذا الفصل .

ومنها قوله تعالى : ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [2] ، وفيه يقول : " وقد قرئت : (أو يسلموا) فمن قرأ بالنون فعلى معنى : أو هم يسلمون ، ومن قرأ : (أو يسلموا) ، فالمعنى تقاتلونهم حتى يسلموا " [3] .

قلت : القراءة بحذف النون هنا قراءة غير متواترة تنسب إلى أبي وزيد بن علي[4]، وقد ذكرها الفراء [5] وأشار إلى أن (أو) فيها بمعنى (حتى) أو (إلا أن) ، وكذلك ذكر العكبري [6] الوجهين في (أو) هنا ، وقال مكي [7] : " معناه عند البصرين : إلا أن يسلموا ، وقال الكسائي : معناه : حتى يسلموا " ، وذهب الزمخشري [8] إلى أن المعنى : إلى أن يسلموا .

ومما يحتمل أن يكون من هذا الموضع عند الزجاج قوله تعالى : ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي﴾ [9] ، فهو يقول فيه : " (يحكم) نسق على (يأذن) ، ويجوز أن يكون (أو) على جواب (لن) ، المعنى : لن أبرح الأرض إلا أن يحكم الله لي " [10] .

إضمار (أن) بعد (حتى) :

تحدث عنه الزجاج في موضعين :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿... حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [11] حيث قال : " (تتبع) نصب بـ(حتى) ، والخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه يقولون إن الناصب للفعل بعد حتى (أن) إلا أنها لا تظهر مع (حتى)، ودليلهم أن (حتى) غير ناصبة هو أن (حتى) بإجماع

(1) معانيه ١/٤٦٨ .
(2) الفتح /٦ .
(3) معانيه ٥/٢٤ .
(4) روح المعاني ٢٦/١٠٤ .
(5) معاني الفراء ٣/٦٦ .
(6) الإملاء ٤/٢٣١ .
(7) المشكل ٢/٣١٠ .
(8) الكشاف ٤/٢٦٨ .
(9) يوسف /٨٠ .
(10) معانيه ٣/١٢٥ .
(11) البقرة /١٢٠ .

خافضة ، قال الله عز وجل : ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[1] فخفض (مطلع) بـ(حتى)، ولا نعرف في العربية أن ما يعمل في اسم يعمل في فعل ، ولا ما يكون خافضا لاسم يكون ناصبا لفعل ، فقد بان أن (حتى) لا تكون ناصبة كما أنك إذا قلت : جاء زيد ليضربك فالمعنى : جاء زيد لأن يضربك ؛ لأن اللام خافضة للاسم ولا تكون ناصبة لفعل " [2] .

الثاني : في توجيه قوله تعالى :﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾[3]، وفيه يقول:" قرئت: (حتى يقولَ الرسول) بالنصب ، و(يقولُ) بالرفع ، وإذا نصبت بـ(حتى) فقلت : سرت حتى أدخلها فزعم سيبويه [4] والخليل وجميع أهل النحو الموثوق بعلمهم أن هذا ينتصب على وجهين : فأحد الوجهين : أن يكون الدخول غاية السير ، والسير والدخول قد مضيا جميعا ، فالمعنى : سرت إلى دخولها وقد مضى الدخول ، فعلى هذا نصبت الآية ، والمعنى : وزلزلوا إلى أن يقول الرسول ، وكأنه : حتى قول الرسول .

ووجهها الآخر في النصب ـ أعني سرت حتى أدخلها ـ أن يكون السير قد وقع والدخول لم يقع ، والمعنى : سرت كي أدخلها ، وليس هذا وجه نصب الآية .

ورفع ما بعد (حتى) على وجهين : فأحد الوجهين هو وجه الرفع في الآية ، والمعنى: سرت حتى أدخلها وقد مضى السير والدخول كأنه بمنزلة قولك : سرت فأدخلها ، بمنزلة: سرت فدخلتها ، وصارت (حتى) ههنا مما لا يعمل في الفعل شيئا لأنها تلي الجمل ، تقول : سرت حتى إني داخل ، وقول الشاعر :

فيا عجبا حتى كليب تسبني ... كأن أباها نهشل أو مجاشع [5]

فعملها في الجمل في معناها لا في لفظها ، والتأويل : سرت حتى دخولها ، وعلى هذا وجه الآية، ويجوز أن يكون السير قد مضى والدخول واقع الآن وقد انقطع السير، تقول: سرت حتى أدخلها الآن ما أمنع ، فهذه جملة باب (حتى) " [6] .

---

(1) القدر /5 .
(2) معانيه 1/201 .
(3) البقرة/214 .
(4) الكتاب 3/16 ، 17 .
(5) البيت من الطويل ، وقائله الفرزدق ، ديوانه 1/419 ، وانظر كتاب سيبويه 3/18 ، وقد تقدم .
(6) معانيه 1/286 .

إضمار (أن) بعد فاء السببية
مسبوقة بنفي أو طلب محضين :

من أمثلته عنده :

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [1] ، وفيه يقول : " (لا تقربا) جزم بالنهي ، وقوله عز وجل : (فتكونا) نصب لأن جواب النهي بالفاء نصب ، ونصبه عند سيبويه والخليل بإضمار (أن) ، والمعنى : لا يكن منكما قرب لهذه الشجرة فكون من الظالمين ، ويجوز أن يكون (فتكونا) جزما على العطف على قوله : (ولا تقربا فتكونا) " [2] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ [3] ، وفيه يقول : " القراءة (فيضاعفَه) ، وقرءوا : (فيضاعفه) بالنصب والرفع ، فمن رفع عطف على (يقرض) ، ومن نصب على جواب الاستفهام " [4] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ ...﴾ [5] ، وفيه يقول : " (فأفوز) منصوب على جواب التمني بالفاء " [6] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ ...﴾[7]، وفيه يقول: " (أو) نسق على قوله : (من شفعاء)، كأنهم قالوا : هل يشفع لنا شافع أو هل نرد، وقوله عز وجل : (فنعملَ) منصوب على جواب الفاء للاستفهام ، ويجوز أن تنصب (أو نرد فنعملَ) أي : إن رددنا استغنينا عن الشفاعة " [8] .

قلت : وقد وافق العكبري [9] وأبو حيان [10] ما ذكره الزجاج هنا في توجيه القراءة بنصب (نعمل) مع رفع (نرد) من كونه منصوبا في جواب الاستفهام ، وهو استفهام بمعنى التمني ، ولهذا قال مكي [11] : " فـ(نعمل) نصب بجواب التمني بالفاء ، وهو نصب على إضمار (أن) حملا على المصدر الذي قبله ، فالفاء تعطف مصدرا على مصدر " .

---

(1) البقرة/ ٣٥ . (2) معانيه ١/ ١١٤ . (3) البقرة/ ٢٤٥ .
(4) معانيه ١/ ٣٢٤ ، ٣٢٥ . (5) النساء/ ٧٣ . (6) معانيه ٢/ ٧٦ .
(7) الأعراف/ ٥٢ . (8) معانيه ٢/ ٣٤٢ . (9) الإملاء ٣/ ١٧ .
(10) البحر ٤/ ٣٠٦ . (11) المشكل ١/ ٣١٩ .

والقراءة بنصب (نرد) و(فنعمل) قرأ بها ابن أبي إسحاق وأبو حيوة [1] ، وقد وجهها أبو حيان بقوله : " نصب (أو نرد) عطفا على (فيشفعوا لنا) جوابا على جواب ، فيكون الشفعاء في أحد أمرين : إما في الخلاص من العذاب ، وإما في الرد إلى الدنيا لاستئناف العمل الصالح ، وتكون الشفاعة قد انسحبت على الرد أو الخلاص ، و(فنعمل) عطف على (نردَّ) من باب لألزمنك أو تقضيني حقي على تقدير من قدر ذلك : حتى تقضيني حقي أو كي تقضيني حقي ، فجعل اللزوم مغيًّا بقضاء حقه أو معلولا له لقضاء حقه ، وتكون الشفاعة إذ ذاك في الرد فقط ... " .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [2] : " (فيطمع) بالنصب ـ وهو القراءة ـ جواب (فلا تخضعن فيطمعَ) ، ويقرأ : (فيطمع الذي) بتسكين العين نسقا على (فلا تخضعن فيطمع) " [3] .

قلت : وقوله : (بتسكين العين) ذهب به إلى أصل العين ، لأنها الآن محركة بالكسر للتخلص من التقاء الساكنين ، وهذه قراءة غير متواترة قرأ بها أبان بن عثمان وابن هرمز كما في البحر [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ [5] : " (أصدق) جواب (لولا أخرتني) ، ومعناه : هلا أخرتني " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾[7] : " ويقرأ : (فتنفعُه الذكرى)، فمن نصب فعلى جواب (لعل) [8] ، ومن رفع فعلى العطف على (يذكر) " [9] .

إضمار (أن) بعد واو المعية

مسبوقة بنفي أو طلب محضين :

من أمثلته عند الزجاج :

ـ قوله تعالى : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾[10]، وفيه يقول : " إعراب

(١) البحر ٤/٣٠٦ . (٢) الأحزاب /٣٢ . (٣) معانيه ٤/٢٢٤ .
(٤) البحر المحيط ٧/٢٣٠ . (٥) المنافقون /١٠ . (٦) معانيه ٥/١٧٨ .
(٧) عبس /٤ . (٨) في قوله تعالى : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ آية ٣ .
(٩) معانيه ٥/٢٨٣ . (١٠) البقرة /٤٢ .

(ولا تلبسوا) الجزم بالنهي ، وعلامة الجزم سقوط النون ، أصله (تلبسون) ، و(تكتموا) يصلح أن يكون جزما على معنى (ولا تكتموا الحق) ويصلح أن يكون نصبا ، وعلامة النصب أيضا سقوط النون ، أما إذا نصبت فعلى معنى الجواب بالواو ، ومذهب الخليل وسيبويه والأخفش وجماعة من البصريين أن جميع ما انتصب في هذا الباب فبإضمار (أن) كأنك قلت: لا يكن منكم إلباس الحق وكتمانه، كأنه قال : وأن تكتموه، ودل (تلبسوا) على (لبس) كما تقول : من كذب كان شرا له ، ودل ما في صدر كلامك على الكذب فحذفته " [1] .

وهو يشير إلى أن الواو في النصب عطفت مصدرا مقدرا على مصدر متوهم متصيد من الكلام السابق .

- قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ [2] ، وفيه يقول: " يجوز أن يكون موضع (وتدلوا) جزما ونصبا ، فأما الجزم فعلى النهي ، معطوف على (ولا تأكلوا) ، ويجوز أن يكون نصبا على ما تنصب الواو ، وهو الذي يسميه بعض النحويين [3] الصرف ، ونصبه بإضمار (أن) ، المعنى : لا تجمعوا بين الأكل بالباطل والإدلاء إلى الحكام " [4] .

- قوله تعالى : ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾[5] حيث قال : " ولو قيل : (وتكتموا الحق) لجاز على قولك : لم تجمعون هذا وذاك ؟ ولكن الذي في القرآن أجود في الإعراب " [6] .

- قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [7] ، وفيه يقول : " وقرأها الحسن (ويعلمِ الصابرين) بالكسر على العطف ، ومن قرأ (ويعلمَ الصابرين) فعلى النصب بالواو ، المعنى : ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين " [8] .

---

(١) معانيه ١/١٢٤ ، ١٢٥ . (٢) البقرة /١٨٨ .
(٣) هو الفراء كما في معانيه ١/١١٥ ، ومعنى الصرف أن ما بعد الواو مخالف لما قبلها ومصروف عنه من جهة أنه لم يقصد بالنهي ، وهذا الصرف هو الناصب له .
(٤) معاني الزجاج ١/٢٥٨ . (٥) آل عمران /٧١ . (٦) معانيه ١/٤٢٨ .
(٧) آل عمران /١٤٢ . (٨) معانيه ١/٤٧٢ .

- قوله تعالى : ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [1] ، وفيه يقول : " ويجوز (ويذرُك وآلهتك) ، فمن نصب (ويذرَك) رده على جواب الاستفهام بالواو ، المعنى : أيكون منك أن تذر موسى وأن يذرك ؟ ومن قال : (ويذرُك) جعله مستأنفا ، يكون المعنى : أتذر موسى وهو يذرك وآلهتك ، والأجود أن يكون معطوفا على (أتذر) فيكون : أتذر موسى وأيذرك موسى ... " [2] .

- قوله تعالى : ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] ، وفيه يقول: " أكثر القراء بالرفع في قوله: (ولا نكذب)، ويكون المعنى أنهم تمنوا الرد وضمنوا لأنهم لايكذبون ، المعنى : يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب بآيات ربنا رددنا أم لم نرد (ونكون من المؤمنين) أي قد عاينا وشاهدنا ما لا نكذب معه أبدا ، قال سيبويه[4] : مثله : دعني ولا أعود ، أي وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني ، ويجوز الرفع على وجه آخر على معنى: يا ليتنا نرد، ويا ليتنا لا نكذب بآيات ربنا ، كأنهم تمنوا الرد والتوفيق للتصديق ، (ونكون من المؤمنين) الرفع والنصب أيضا فيه جائزان ، فأما النصب فعلى: يا ليتنا نرد ، وتكون (يا ليتنا نرد ولا نكذب) على الجواب بالواو في التمني كما تقول: ليتك تصير إلينا ونكرمك، المعنى: ليت مصيرك يقع وإكرامنا، ويكون المعنى: ليت ردنا واقع وأن لا نكذب، أي إن رددنا لم نكذب " [5] .

رفع المضارع بعد فاء مسبوقة بطلب :

من أمثلته قوله تعالى : ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ...﴾[6]، وفي ذلك يقول الزجاج :" ليس (يتعلمون) بجواب لقوله (فلا تكفر) ، وقد قال أصحاب النحو في هذا قولين :

قال بعضهم : إن قوله (يتعلمون) عطف على قوله (يعلمون)[7] ، وهذا خطأ ؛ لأن قوله (منهما) دليل ههنا على أن التعلم من الملكين خاصة .

وقيل : (فيتعلمون) عطف على ما يوجبه معنى الكلام ، المعنى : (إنما نحن فتنة فلا تكفر) فلا تتعلم ولا تعمل بالسحر ، فيأبون فيتعلمون، واستغني عن ذكر (يعلمان) بما في الكلام من الدليل عليه " [8] .

(١) الأعراف /١٢٧ . (٢) معانيه ٣٦٧/٢ . (٣) الأنعام /٢٧ .
(٤) الكتاب ٤٤/٣ ، بمعناه لا بلفظه . (٥) معانيه ٢٣٩/٢ ، ٢٤٠ . (٦) البقرة /١٠٢ .
(٧) في قوله تعالى في الآية نفسها : ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ . (٨) معانيه ١٨٥/١.

الحكم إذا سقطت الفاء بعد الطلب
وقصد معنى الجزاء :

مذهب الزجاج في ذلك أن الفعل المضارع يجزم حينئذ جوابا لشرط مقدر ، وذلك هو المختار عند الجمهور ، ويتبين ذلك من الأمثلة الآتية :

- قال في قوله تعالى : ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ...﴾[1] : " قوله (نغفر لكم) جزم جواب الأمر ، المعنى : إن تقولوا ما أمرتم به نغفر لكم خطاياكم " [2] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ [3] : " (يخرج) مجزوم ، وفيه غير قول : قال بعض النحويين : المعنى : سله وقل له أخرج لنا يخرج لنا ، وقال في قوله تعالى : ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4] : المعنى : قل لهم قولوا التي هي أحسن يقولوا .

وقال قوم : معنى (يخرج لنا) معنى الدعاء ، كأنه قال : أخرج لنا ، وكذلك ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[5] ، المعنى : قل لعبادي أقيموا ، ولكنه صار قبله (ادع) و(قل) فجعل بمنزلة جواب الأمر ، وكلا القولين مذهب ، ولكنه على الجواب أجود ؛ لأن ما في القرآن من لفظ الأمر الذي ليس معه جازم مرفوع ، قال الله عز وجل : ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [6] ثم جاء بعد تمام الآية (يغفرْ لكم) ، المعنى : آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا يغفرَ لكم " [7] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [8] : " المعنى : قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى ، وجزم (تهتدوا) على الجواب للأمر، وإنما معنى الشرط قائم في الكلمة ، المعنى : إن تكونوا على هذه الملة تهتدوا ، فجزم (تهتدوا) على الحقيقة جواب الجزاء " [9] .

- وذكر في قوله تعالى : ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ [10] أن (أين) إن كانت استفهاما نحو : أين زيد ؟ فإن أجبته أجبت بالجزم ، تقول : أين بيتك أزرْك ، المعنى : إن أعرف بيتك أزرك " [11] .

---

(١) البقرة /٥٨ . (٢) معانيه ١٣٩/١ . (٣) البقرة /٦١ . (٤) الإسراء /٥٣ .
(٥) إبراهيم /٣١ . (٦) الصف /١١ . (٧) معانيه ١٤٢/١ . (٨) البقرة /١٣٥ .
(٩) معانيه ٢١٣/١ . (١٠) البقرة /١٤٨ . (١١) معانيه ٢٢٦/١ .

ـ وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [1] : " قوله : (فاذكروني) أمر ، وقوله : (أذكركم) جزاء (اذكروني) ، والمعنى : إن تذكروني أذكركم " [2] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [3] : " الجزم في (نقاتل في سبيل الله) الوجه على الجواب للمسألة التي في لفظ الأمر (ابعث لنا ملكا نقاتل) أي : إن تبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله " [4] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [5] : " قوله (أنظر) مجزوم جواب الأمر " [6] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ...﴾ [7] : " يصلح أن تكون (تطهرهم بها) نعتا للصدقة ، كأنه قال : خذ من أموالهم صدقة مطهرة ، والأجود أن يكون (تطهرهم) للنبي صلى الله عليه وسلم ، المعنى : خذ من أموالهم صدقة فإنك تطهرهم بها ، ويجوز (تطهرْهم) بالجزم على جواب الأمر ، المعنى : إن تأخذ من أموالهم صدقة تطهرْهم وتزكهم ، ولا يجوز في القراءة إلا بإثبات الياء في (تزكيهم) اتباعا للمصحف " [8] .

ـ وقال في قوله تعالى : ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [9] : " (يقيموا) جزم على جواب الأمر ، وفيه غير وجه ، أجودها أن يكون مبنيا لأنه في موضع الأمر ، وجائز أن يكون مجزوما بمعنى اللام إلا أنها أسقطت لأن الأمر قد دل على الغائب بـ(قل) ، تقول : قل لزيد لتضرب عمرا ، وإن شئت قلت : قل لزيد يضرب عمرا ، ولا يجوز : يضربْ زيد عمرا بالجزم حتى تقول : ليضرب ؛ لأن لام الغائب ليس ههنا منها عوض إذا حذفتها ، وفيها وجه ثالث على جواب الأمر على معنى : قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا يقيموا الصلاة ؛ لأنهم إذا آمنوا وصدقوا فإن تصديقهم بقبول أمر الله عز وجل " [10] .

(1) البقرة /152 . (2) معانيه 1/227 . (3) البقرة /246 . (4) معانيه 1/326 .
(5) الأعراف /143 . (6) معانيه 2/373 . (7) التوبة /103 . (8) معانيه 2/467 .
(9) إبراهيم /31 . (10) معانيه 3/162 ، 163 .

- وقال في قوله تعالى : ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [1] : " يقرأ - يعني (يرثني) - بالجزم على جواب الأمر [2] ، ومن رفع فعلى صفة الولي " [3] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾ [4] : " القراءة بالجزم على جواب الأمر ، ويجوز الرفع على معنى الحال كأنه قال : متلقفة على حال متوقعة ، ولم يقرأ بها " [5] .

قلت : الرفع في (تلقف) قراءة سبعية متواترة قرأ بها ابن عامر ، غير أنه يشدد القاف [6] ، ولعل قول الزجاج : (ولم يقرأ بها) يتجه إلى الرفع مع التخفيف .

- وقال في قوله تعالى : ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [7] : " من قرأ (يصدقني) بضم القاف فهو صفة ، ومن جزم (يصدقْني) فعلى جواب المسألة : أرسله يصدقني ، ومن رفع (يصدقني) فالمعنى : ردءاً مصدقا " [8] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ...﴾ إلى قوله : ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [9] : " هذا - يعني (يغفر لكم) جواب تؤمنون بالله وتجاهدون ؛ لأن معناه معنى الأمر ، المعنى : آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم يغفر لكم ، إن فعلتم ذلك يغفر لكم ، والدليل على ذلك قراءة عبد الله بن مسعود : (آمنوا بالله) ، وقد غلط بعض النحويين [10] فقال : هذا جواب (هل) ، وهذا غلط بين ، وليس إذا دلهم النبي صلى الله عليه وسلم على ما ينفعهم غفر الله لهم ، إنما يغفر الله لهم إذا آمنوا وجاهدوا، فإنما هو جواب (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون ...) يغفر لكم ، فأما جواب الاستفهام والمجزوم فكقولك : هل جئتني بشيء أعطك مثله ؟ المعنى : لو كنت جئتني أعطيتك ، وإن جئتني أعطيتك ، وكذلك : أين بيتك أزرك ، المعنى : إن أعرفه أزرك " [11] .

---

(1) مريم /٦ .
(2) في قوله تعالى في الآية قبلها : ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ .
(3) معانيه ٣/٣٢٠ .
(4) طه /٦٩ .
(5) معانيه ٣/٣٦٧ .
(6) انظر الحجة ٥/٢٣٥ .
(7) القصص /٣٤ .
(8) معانيه ٤/١٤٤ .
(9) الصف /١٠ : ١٢ .
(10) هو الفراء ، انظر معانيه ٣/١٥٤ .
(11) معانيه ٥/١٦٦ ، وانظر نحوه في معانيه ١/٢٢٦ .

قلت : وهذه الآية يمثل بها النحويون لما تقرر عندهم من أن الأمر إذا كان بغير صيغته الطلبية لم ينصب جوابه مع الفاء ، لكنه يجزم عند سقوط الفاء وقصد الجزاء كما قال ابن مالك :

والأمر إن كان بغير (افعل) فلا تنصب جوابه وجزمه اقبلا (١)

النصب بـ(أن) مضمرة جوازا :

أولا : بعد اللام التي ليست للجحود ، وهي لام (كي)

يقول الزجاج في معرض توجيهه للبسملة : " وأما لام (كي) في قولك : جئت لتقوم يا هذا ، فهي لام الإضافة التي في قولك : المال لزيد ، وإنما نصبت تقوم بإضمار (أن) أو (كي) التي في معنى (أن) ، فالمعنى : جئت لقيامك " (٢) .

وقال في قوله تعالى : ﴿سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ (٣) : " نصب (ليفسد) على إضمار (أن) ، المعنى : لأن يفسد فيها ، وعطف (ويهلك) على (يفسد) ، ويجوز أن يكون (ويهلكُ الحرث والنسل) على الاستئناف ، أي : وهو يهلك الحرث والنسل ، أي : يعتقد ذلك " (٤) .

وقال في قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ (٥) : " قال الكوفيون : معنى اللام معنى (أن) ، وأردت وأمرت تطلبان المستقبل ، لا يجوز : أردت أن قمت ، ولا : أمرت أن قمت ، ولم يقولوا : لم لا يجوز ذلك ، وهذا غلط أن تكون لام الجر تقوم مقام (أن) وتؤدي معناها ؛ لأن ما كان في معنى (أن) دخلت عليه اللام ، تقول : جئتك لكي تفعل كذا وكذا ... وكذلك اللام في قوله : (يريد الله ليبين لكم) كاللام في (كي) ، المعنى : إرادة الله للتبيين لكم ، أنشد أهل اللغة :

أردت لكيما لا ترى لي عثرة ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل (٦)

وأنشدنا محمد بن يزيد المبرد :

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود (٧)

(١) انظر الأشموني ٣/٣١١ . (٢) معانيه ١/٤٢ . (٣) البقرة/٢٠٥ .
(٤) معانيه ١/٢٧٧ . (٥) النساء/ ٢٦ .
(٦) البيت من الطويل ، في معاني الفراء ١/٢٦٢ .
(٧) من بحر الطويل ، لقيس بن سعد بن عبادة ، وهو في الكامل للمبرد ٢/٦٤٠ .

فأدخل هذه اللام على (كي)، ولو كانت بمعنى (أن) لم تدخل اللام عليها ، وكذلك: أردت لأن تقوم ، وأمرت لأن أكون مطيعا ... " [1] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[2] : " واللام دخلت لتبيين الإرادة، المعنى : إرادته ليطهركم ، قال الشاعر :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل [3] " [4]

وقال في قوله تعالى : ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ ...﴾ [5] : " قرئت بإسكان اللام وجزم الميم على مذهب الأمر ، وقرئت (وليحكم) بكسر اللام وفتح الميم على معنى : ولأن يحكم ، ويجوز كسر اللام مع الجزم (ولِيحكمْ أهل الإنجيل) ولكنه لم يقرأ به فيما علمت ، والأصل كان كسر اللام ولكن الكسرة حذفت استثقالا " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [7] : " وقرئت : (ولْيتمتعوا) بتسكين اللام ، والكسر أجود على معنى : كي يكفروا وكي يتمتعوا " [8] .

ثانيا : بعد (أو) والواو والفاء و(ثم)
إذا كان العطف بها على اسم خالص

تحدث الزجاج عن هذا الموضع في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [9] ، وقد أثبته بنصب (يرسل) و(يوحي) ثم قال : " وتقرأ : (أو يرسلُ رسولا - برفع (يرسل) - فيوحي) بإسكان الياء ... قال سيبويه [10] : سألت الخليل عن قوله : (أو يرسل رسولا) بالنصب فقال : (يرسل) محمول على (أن) سوى هذه التي في قوله : (أن يكلمه الله) ، قال : لأن ذلك غير وجه الكلام ؛ لأنه يصير المعنى : ما كان لبشر أن يرسل الله رسولا ، وذلك غير جائز ، وإنما (يرسل) محمول على معنى (وحي) ، المعنى : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بأن يوحي أو أن يرسل ، ويجوز الرفع في (يرسل) على معنى الحال ،

(1) معانيه ٢/٤٢ ، ٤٣ .
(2) المائدة /٦ .
(3) من بحر الطويل ، ينسب لكثير ، وقد تقدم .
(4) معانيه ٢/١٥٥ .
(5) المائدة /٤٧ .
(6) معانيه ٢/١٨٠ .
(7) العنكبوت /٦٦ .
(8) معانيه ٤/١٧٢ .
(9) الشورى /٥١ .
(10) الكتاب ٣/٤٩ .

ويكون المعنى : ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو مرسلا رسولا وذلك كلامه إياهم ، كما قال الشاعر :

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع (١)

ومثل قوله (أو يرسل) بالنصب قول الشاعر :

ولولا رجال من رزام أعزة وآل سبيع أو أسوءك علقما (٢)

والمعنى : أو أن أسوءك ، وقد يجوز أن ترفع (أو يرسل) على : أو هو يرسل ، وهذا قول الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه " (٣) .

حذف (أن) المصدرية ورفع المضارع بعد حذفها :

تحدث عن ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى :﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ﴾ (٤) فقال : " ورفع (لا تعبدون) بالتاء على ضربين : على أن يكون (لا) جواب القسم ؛ لأن أخذ الميثاق بمنزلة القسم ، والدليل على ذلك قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ (٥) فجاء جواب القسم باللام ، فكذلك هو بالنفي بـ(لا)، ويجوز أن يكون رفعه على إسقاط (أن) على معنى : أن لا تعبدوا، فلما سقطت (أن) رفعت ، وهذا مذهب الأخفش وغيره من النحويين " (٦) .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ (٧) : " رفع (لا تسفكون) على القسم ، وعلى حذف (أن) كما وصفنا في قوله (لا تعبدون) ، ومثل حذف (أن) قول طرفة :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي(٨)" (٩)

(١) البيت من الوافر لعمرو بن معديكرب ، وقد تقدم ، وهو من شواهد الكتاب ٥٥٠/٣ ، وانظره في شرح الكافية للرضي ١٩٦/٤ ، والخزانة ٢٥٢/٩ .

(٢) من بحر الطويل للحصين بن الحمام ، من شواهد الكتاب ٥٠/٣ ، وانظره في الخزانة ٣٢٤/٣ ، وابن يعيش ٥٠/٣ ، والأشموني المحقق ٢٠٢/٣ .

(٣) معانيه ٤٠٣/٤ . (٤) البقرة /٨٣ . (٥) آل عمران /١٨٧ .

(٦) معانيه ١٦٢/١ . (٧) البقرة /٨٤ .

(٨) من بحر الطويل ، من شواهد الكتاب ٩٩/٣ ، ١٠٠ ، وانظره في ابن يعيش ٧/٢ ، ٢٨/٤ ، ٥٢/٧ ، وشرح الكافية للرضي ٦٦/١ ، ٨٢/٤ ، والخزانة ١١٩/١ ، ٥٧٩/٨ .



الفصل التاسع والثلاثون

عوامل الجزم

أولا : ما يجزم فعلا واحدا :

(لا) الطلبية أو (الناهية) :

تقدمت أمثلة لجزمها المضارع في الفصل السابق وهو فصل إعراب الفعل ، ومن أمثلتها أيضا :

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [1] : " وتقرأ : (ولا تَسألُ) ، ورفع القراءتين جميعا من جهتين : إحداهما أن يكون (ولا تسأل) استئنافا ... ويجوز أن يكون الرفع له على الحال ... ويجوز أيضا : (ولا تسألْ عن أصحاب الجحيم) وقد قرئ به ، فيكون جزما بـ(لا)، وفيه قولان على ما توجبه اللغة : أن يكون أمره الله بترك المسألة ، ويجوز أن يكون النهي لفظا ويكون المعنى على تفخيم ما أعد لهم من العقاب ... " [2] .

وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ...﴾[3] :" قرئت على ضربين: (لا تضارُّ والدة) برفع الراء على معنى : لا تكلف نفس على الخبر الذي فيه معنى الأمر ، ومن قرأ:(لا تضارَّ والدة) بفتح الراء فالموضع موضع جزم على النهي، الأصل: لا تضارَرْ فأدغمت الراء الأولى في الثانية ، وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين، وهذا الاختيار في التضعيف إذا كان قبله فتح أو ألف ، الاختيار : عضَّ يا رجل ، وضارَّ زيدا يا رجل ، ويجوز (لا تضارِّ والدة) بالكسر ، ولا أعلم أحدا قرأ بها فلا تقرأن بها ، وإنما جاز الكسر لالتقاء الساكنين لأنه الأصل في تحريك أحد الساكنين "[4].

وقال في قوله تعالى : ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[5] : " وإعراب (لا يضركم من ضل) الأجود أن يكون رفعا ويكون على جهة الخبر، المعنى : ليس يضركم من ضل

(١) البقرة /١١٩ . (٢) معانيه ٢٠٠/١ . (٣) البقرة /٢٣٣ .
(٤) معانيه ٣١٣/١ . (٥) المائدة /١٠٥ .

إذا اهتديتم ، ويجوز أن يكون موضعه جزما ويكون الأصل : لا يضرركم ، إلا أن الراء الأولى أدغمت في الثانية فضمت الثانية لالتقاء الساكنين .

ويجوز في العربية على جهة النهي : لا يضرَكم بفتح الراء ، ولا يضرِكم بكسرها ، ولكن القراءة لا تخالف ، ولأن الضم أجود كان الموضع رفعا أو جزما ، وهذا النهي للفظ غائب يراد به المخاطبون ، إذا قلت : لا يضررك كفر الكافر فمعناه : لا تعدن أنت كفره ضررا ، كما أنك إذا قلت : لا أرينك ههنا فالنهي في اللفظ لنفسك ، ومعناه لمخاطبك ، معناه : لا تكونن ههنا " [١] .

وقال في قوله تعالى : ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [٢] : " ومن قرأ : (لا تخف) فهو نهي عن أن يخاف " [٣] .

جزم (لا) لفعل المتكلم :

تناوله الزجاج في مواضع منها :

قوله تعالى : ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [٤] ، وفيه يقول : " لفظ النهي واقع على الموت ، والمعنى واقع على الأمر بالإقامة على الإسلام ، المعنى : كونوا على الإسلام ، فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك ، وإنما جاز هذا لأنه ليس في الكلام لبس ؛ لأنه يعلم منه أنهم لا ينهون عما لا يفعلون ، ومثله في الكلام : لا أرينك ههنا ، فالنهي واقع في اللفظ على المتكلم ، والمعنى : لا تكونن ههنا فإن من كان ههنا رأيته ، ولكن الكلام قصد به إلى الإيجاز والاختصار إذ لم يكن فيه نقص معنى " [٥] .

وتكلم عن قوله تعالى :﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٦] في سورة البقرة بأوجز من هذا فقال:" إن قال قائل: كيف ينهاهم عن الموت وهم إنما يماتون ؟ فإنما وقع هذا على سعة الكلام وما تكثر استعماله العرب، نحو قولهم : لا أرينك ههنا ، فلفظ النهي إنما هو للمتكلم، وهو في الحقيقة للمكلم، المعنى: لا تكونن ههنا فإن من كان ههنا رأيته ، والمعنى في الآية : الزموا الإسلام فإذا أدرككم الموت صادفكم مسلمين "[٧].

---

(١) معانيه ٢/٢١٤ . (٢) طه /٧٧ . (٣) معانيه ٣/٣٦٩ . (٤) آل عمران /١٠٢ .
(٥) معانيه ١/٤٤٩ . (٦) الآية رقم ١٣٢ . (٧) معانيه ١/٢١٢ .

وقال في قوله تعالى : ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ [1] : " أمرت بالدخول ثم نهتهم أن يحطمهم سليمان فقال : (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) ، فلفظ النهي لسليمان ومعناه للنمل ، كما تقول : لا أرينك ههنا ، فلفظ النهي لنفسك ، ومعناه : لا تكونن ههنا فإني أراك " [2] .

اللام الطلبية أو لام الأمر :

تقدمت أمثلة لها في فصل إعراب الفعل ، وأول حديث للزجاج عنها جاء في توجيهه للبسملة حيث قال : " وأما قولك : (ليضرب زيد عمرا) فإنما كسرت اللام ليفرق بينها وبين لام التوكيد ، ولا يبالى بشبهها بلام الجر ؛ لأن لام الجر لا تقع في الأفعال ، وتقع لام التوكيد في الأفعال ، ألا ترى أنك لو قلت : (لَتضرب) وأنت تأمر لأشبه لام التوكيد إذا قلت : إنك لتضرب " [3] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ﴾ [4] : " اللام مسكنة وأصلها الكسر ، الأصل : ولِتكن منكم ، ولكن الكسرة حذفت لأن الواو صارت مع الكلمة كحرف واحد وألزمت الحذف ، وإن قرئت (ولِتكن) بالكسر فجيد على الأصل ، ولكن التخفيف أجود وأكثر في كلام العرب " [5] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾[6]: " فأما (وليأخذوا) فالقراءة على سكون اللام : (ولْيأخذوا) ، و(لِيأخذوا) هو الأصل بالكسر ، إلا أن الكسر استثقل فيحذف استخفافا ، وحكى الفراء [7] أن لام الأمر قد فتحها بعض العرب في قولك : (لِنجلس) فقالوا : (لَنَجْلِس) ففتحوا ، وهذا خطأ ، لا يجوز فتح لام الأمر لئلا تشبه لام التوكيد ، وقد حكى بعض البصريين فتح لام الجر نحو قولك : المال لزيد، تقول: المال لَزيد ، وهذه الحكاية في الشذوذ كالأولى ؛ لأن الإجماع والروايات الصحيحة كسر لام الجر ولام الأمر ، ولا يلتفت إلى الشذوذ خاصة إذا لم يروه النحويون القدماء الذين هم أصل الرواية ، وجميع من ذكرنا من الذين رووا هذا الشاذ عندنا صادقون في الرواية ، إلا أن الذي سمع منهم مخطئ " [8] .

---

(١) النمل /١٨ . (٢) معانيه ١١٢/٤ ، والمثبت هنا من النسخة المخطوطة .
(٣) معانيه ٤٣/١ . (٤) آل عمران /١٠٤ . (٥) معانيه ٤٥١/١ ، ٤٥٢ . (٦) النساء/١٠٢.
(٧) معاني الفراء ٢٨٥/١ . (٨) معانيه ٩٨/٢ .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ﴾ [1] : " قرئت بإسكان اللام وجزم الميم على مذهب الأمر ، وقرئت : (ولِيَحْكُمَ) بكسر اللام وفتح الميم على معنى : ولأن يحكم ، ويجوز كسر اللام مع الجزم (ولِيَحكمْ أهل الإنجيل) ولكنه لم يقرأ به فيما علمت ، والأصل كان كسر اللام ولكن الكسرة حذفت استثقالا " [2] .

وأجاز في قوله : ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [3] كسر اللام في (فليفرحوا) ، وعلل ذلك بأن اللام أصلها الكسر [4] .

هل تعمل لام الأمر محذوفة ؟

أجاز ذلك الزجاج في نحو : قل لزيد يضرب عمرا ، وقد تقدم حديثه ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ في الفصل السابق .

(لم)

سبق حديث الزجاج عنها في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ في فصل إعراب الفعل ، حيث ذكر أن (لم) أحدثت في الفعل المستقبل معنى المضي فجزمته .

وقال في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[5]: " جزم (ألم) ههنا كجزم (لم) ؛ لأن حرف الاستفهام لا يغير العامل عن عمله " [6] .

(لما)

تحدث عنها الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [7] فقال : " تأويل (لما) أنها جواب لقول القائل : قد فعل فلان، فجوابه : لما يفعل ، وإذا قال : فعل فجوابه : لم يفعل ، وإذا قال : لقد فعل فجوابه : ما يفعل ، ولو قال : والله هو يفعل ـ يريد ما يستقبل ـ فجوابه : لن يفعل ، ولا يفعل ، هذا مذهب النحويين " [8] .

وهذا التأويل الذي ذكره يشير إلى معنيين في (لما) ذكرهما النحاة ، الأول : أن

(1) المائدة /47 . (2) معانيه 180/2 . (3) يونس /58 . (4) معانيه 25/3 .
(5) البقرة /107 . (6) معانيه 191/1 . (7) آل عمران /142 . (8) معانيه 472/1 ، 473.

نفي منفيها مستمر إلى زمان التكلم ، والثاني : أن منفيها يتوقع ثبوته [1] ، ولهذا كانت مناسبة لنفي الفعل الذي يكون لدى السامع اعتقاد قوي بأنه حصل ، وهو ما أشار إليه الزجاج بقول القائل : قد فعل .

مجيء (لما) لغير الجزم :

ذكر ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ...﴾ [2] حيث قال : " (لما) يقع بها الشيء لوقوع غيره " [3] .

ثانيًا : ما يجزم فعلين :

(إن) واقتران (ما) بها :

تحدث الزجاج عن فائدة اقتران (إن) الشرطية بـ(ما) في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ [4] ، وفي ذلك يقول : " إعراب (إما) في هذا الموضع إعراب حروف الشرط والجزاء ، إلا أن الجزاء إذا جاء في الفعل معه النون الثقيلة أو الخفيفة لزمتها (ما) ، ومعنى لزومها إياها معنى التوكيد ، وكذلك معنى دخول النون في الشرط التوكيد ، والأبلغ فيما يؤمر به العباد التوكيد عليهم فيه ، وفتح ما قبل النون في قوله (يأتينكم) لسكون الياء وسكون النون الأولى " [5] .

الفرق بين معنى (إن) و(لو) :

تحدث الزجاج عن ذلك في توجيه قوله تعالى :﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [6] ، وفيه يقول : " زعم بعض النحويين أن (لئن) أجيب بجواب (لو) لأن الماضي وليها كما ولي (لو) فأجيب بجواب (لو) ودخلت كل واحدة منهما على أختها ، قال الله عز وجل : ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [7] فجرت مجرى : ولو أرسلنا ريحا ، وكذلك قال الأخفش بهذا القول ، قال سيبويه [8] وجميع أصحابه : إن معنى (لظلوا من بعده يكفرون) : ليظلن ، ومعنى (لئن) غير معنى (لو) في قول الجماعة ، وإن كان هؤلاء قالوا إن الجواب متفق فإنهم لا يدفعون أن معنى (لئن) ما يستقبل ، ومعنى (لو) ماض ، وحقيقة معنى (لو) أنها يمتنع بها الشيء

---

(1) انظر المغني ٢٧٨/١ ، ٢٧٩ . (2) البقرة /١٠١ . (3) معانيه ١٨٢/١ .
(4) البقرة /٣٨ . (5) معانيه ١١٧/١ . (6) البقرة /١٤٥ .
(7) الروم /٥١ . (8) الكتاب ١٠٨/٣ .

لامتناع غيره ، تقول : لو أتيتني لأكرمتك ، أي : لم تأتني فلم أكرمك ، فإنما امتنع إكرامي لامتناع إتيانك ، ومعنى (إن) و(لئن) أنه يقع الشيء فيهما لوقوع غيره في المستقبل ، تقول : إن تأتني أكرمك ، فالإكرام يقع بوقوع الإتيان ، فهذه حقيقة معناهما " [1] .

فتح همزة (إن) الشرطية :

تحدث الزجاج عن فتح همزتها وأنكره في توجيه قوله تعالى : ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾[2] فقال : " من كسر (إن) فالكلام على لفظ الجزاء ومعناه ، المعنى في (إن تضل) : إن تنس إحداهما تذكرها الذاكرة (فتذكر) رفع مع كسر (إن) لا غير ، ومن قرأ : (أن تضل ... فتذكرَ) ـ وهي قراءة أكثر الناس ـ فزعم بعض أهل اللغة فيها [3] أن الجزاء فيها مقدم أصله التأخير ، وقال : المعنى : استشهدوا امرأتين مكان الرجل كي تذكر الذامرة الناسية إن نسيت ، فلما تقدم الجزاء اتصل بأول الكلام وفتحت (أن) وصار جوابه مردودا عليه ، ومثله : إني ليعجبني أن يسأل السائل فيعطى ، قال : والمعنى : إنما يعجبه الإعطاء إن سأل السائل ، وزعم أن هذا قول بين ، ولست أعرف لم صار الجزاء إذا تقدم وهو في مكانه أو في غير مكانه وجب أن يفتح (أن) معه؟ وذكر سيبويه [4] والخليل وجميع النحويين الموثوق بعلمهم أن المعنى : استشهدوا امرأتين لأن تذكر إحداهما الأخرى ، قال سيبويه : فإن قال إنسان : لم جاز (أن تضل) وإنما أعد هذا للإذكار ؟ فالجواب أن الإذكار لما كان سببه الإضلال جاز أن يذكر (أن تضل) ؛ لأن الإضلال هو السبب الذي أوجب الإذكار ، قال : ومثله : أعددت هذا الجذع أن يميل الحائط فأدعمه ، وإنما أعددته للدعم لا للميل ، ولكن الميل ذكر لأنه سبب الدعم كما ذكر الإضلال لأنه سبب الإذكار ، فهذا هو البين إن شاء الله " [5] .

الفصل بين (إن) الشرطية والفعل الذي يليها :

تحدث الزجاج عن الفصل بينها وبين ما يليها من الفعل ، وذكر أنها أم حروف الجزم في توجيه قوله تعالى:﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾[6] فقال : " فأما التفرقة

---

(١) معانيه ١/٢٢٣ ، ٢٢٤ . (٢) البقرة/٢٨٢. (٣) هو الفراء،انظر معانيه١/١٨٤.
(٤) الكتاب٣/٥٣، بمعنى كلام سيبويه. (٥) معانيه١/٣٦٣، ٣٦٤. (٦) النساء /١٢٨ .

بين (إن) الجزاء والفعل الماضي فجيد ، ولكن إن وقعت التفرقة بين (إن) والفعل المستقبل فذلك قبيح ؛ لأن (إن) لا يفصل بينها وبين ما يجزم ، وذلك في الشعر جائز في (إن) وغيرها ، قال عدي بن زيد :

فمتى واغل يزرهم يحيو ° وتعطف عليه كأس الساقي [1]

فأما الماضي فـ(إن) غير عاملة في لفظه ، و(إن) أم حروف الجزم ، فجاز أن تفرق بينها وبين الفعل ، و(امرأة) ارتفعت بفعل مضمر يدل عليه ما بعد الاسم ، المعنى : إن خافت امرأة خافت ، فأما غير (إن) فالفصل يقبح فيه مع الماضي والمستقبل جميعا ، لو قلت: (متى زيد جاءني أكرمته) كان قبيحا ، ولو قلت : (إن الله أمكنني فعلت) كان حسنا جميلا " [2] .

وشبيه بهذا قوله في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾ [3] : " جاز مع (إن) تقديم الاسم قبل الفعل ؛ لأن (إن) لا تعمل في الماضي ، ولأنها أم الجزاء ، والنحويون يذهبون إلى أن معها فعلا مضمرا الذي ظهر يفسره ، والمعنى : إن هلك امرؤ هلك " [4] .

وجوب توكيد الفعل بالنون إذا وقع شرطا لـ(إما) :

تقدم من ذلك هنا حديثه في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ ، وقال في توجيه قوله تعالى : ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [5] : " هذه (إن) التي للجزاء ضمت إليها (ما)، والأصل في اللفظ (إن ما) مفصولة ، ولكنها مدغمة وكتبت على الإدغام، فإذا ضمت (إن) إلى (ما) لزم الفعل النون الثقيلة أو الخفيفة ، وجواب الجزاء في الفاء، أي في قوله : (فمن اتقى وأصلح) فإنما تلزم (ما) النون لأن (ما) تدخل مؤكدة فتلزمها النون كما تلزم اللام النون في القسم إذا قلت : والله لتفعلن ، فـ(ما) توكيد كما أن اللام توكيد فلزمت النون كما لزمت لام القسم " [6] .

وظاهر كلامه هنا أن توكيد فعل الشرط بعد (إما) واجب، لقوله :(لزم الفعل النون

(١) البيت من الخفيف ، وقد رواه سيبويه (٣/١١٣) : " فمتى واغل ينبهم ... " ، وروايته في الخزانة ٣/٤٦ كما رواه الزجاج .
(٢) معانيه ٢/١١٦ ، ١١٧ . (٣) النساء/ ١٧٦ . (٤) معانيه ٢/١٣٦ .
(٥) الأعراف/ ٣٥ . (٦) معانيه ٢/٣٣٤ .

الثقيلة أو الخفيفة)، وقد نظر بعض المحققين من المعاصرين في توجيهه لقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ واستدل به على أن الزجاج لا يوجب التوكيد المذكور ، وذكر أن نص الزجاج في توجيه تلك الآية هو الوحيد في معانيه ، والحق خلاف ما ذكره [(١)] .

ومن مواضع وجوب التوكيد ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ...﴾ [(٢)] حيث قال : " (إن) إذا دخلت عليها (ما) لتوكيد الشرط دخلت النون مؤكدة للفعل ، و(أو نتوفينك) عطف على (نرينك)،وجواب الجزاء(فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب)"[(٣)].

وكذا قوله في توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ [(٤)] : " دخلت (ما) توكيدا للشرط ، والنون الثقيلة في قوله (نذهبن) دخلت أيضا توكيدا ، وإذا دخلت (ما) دخلت معها النون كما تدخل مع لام القسم " [(٥)] .

من أحكام الاسم الذي يقع بعد (إن) :

ذكر الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾[(٦)] أن (إن) لا يرفع الاسم بعدها على الابتداء ، ولا يرفع بفعل مضمر يفسره فعل ظاهر مجزوم ، فهو يقول : " فأما الإعراب في (أحد) مع (إن) فالرفع بفعل مضمر الذي ظهر يفسره ، المعنى : وإن استجارك أحد ، ومن زعم أنه يرفع أحدا على الابتداء فخطأ ؛ لأن الجزاء لا يتخطى ما يرفع بالابتداء ويعمل فيما بعده ، فلو أظهرت المستقبل لقلت : إن أحد يقم أكرمه ، ولا يجوز : إن يقم أحد زيد يقم ، لا يجوز أن ترفع زيدا بفعل مضمر الذي ظهر يفسره ويجزم ، وإنما جاز في (إن) لأن (إن) يلزمها الفعل ، وجواب الجزاء يكون بالفعل وغيره ، ولا يجوز أن تضمر وتجزم بعد المبتدأ ؛ لأنك تقول ههنا: إن تأتني فزيد يقوم ، فالموضع موضع ابتداء ، وإنما يجوز الفصل في باب (إن) لأن (إن) أم الجزاء ، ولا تزول عنه إلى غيره ، فأما أخواتها فلا يجوز ذلك فيها إلا في الشعر ، قال عدي بن زيد :

فمتى واغل يزرهم يحيو ٭ وتعطف عليه كأس الساقي [(٧)] " [(٨)]

---

(١) انظر (من آراء الزجاج النحوية) للدكتور / شعبان صلاح ص١١٠ . (٢) الرعد /٤٠ .
(٣) معانيه ١٥٠/٣ . (٤) الزخرف /٤١ . (٥) معانيه ٤١٣/٤ . (٦) التوبة /٦ .
(٧) تقدم هذا البيت هنا. (٨) معانيه ٤٣١/٢ ، ٤٣٢ .

(مَن) وبعض أحكامها

تحدث الزجاج عن مراعاة لفظها ومعناها في توجيه قوله تعالى : ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾[1] فقال : " جاز أن يقال : (فلهم) لأن (مَن) لفظها لفظ الواحد ، وتقع على الواحد والاثنين والجمع والتأنيث والتذكير ، فيحمل الكلام على لفظها فيوحد ويذكر ، ويحمل على معناها فيثنى ويجمع ويؤنث، قال الشاعر :

تعال فإن عاهدتني لا تخونني   نكن مثل من - يا ذئب - يصطحبان [2]"[3]

وقال في قوله تعالى:﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا...﴾[4]:" التذكير على لفظ (من) ، ومن قرأ : (ومن يقنت) و(تعمل) بالتاء حمل الأول على اللفظ والثاني على المعنى ، ومن قرأهما جميعا بالتاء حمل على المعنى (ومن تقنت منكن لله ورسوله وتعمل) ، ومن قرأ الأولى بالتاء قبح أن يقرأ : (ويعمل) لأنه قد حمل على المعنى وأوضح الموصول أنه مؤنث ، فيقبح الحمل على اللفظ " [5] .

وذكر الجزم بها في قوله تعالى :﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [6] فقال : " (يؤت) جزم بـ(من) ، والجواب : (فقد أوتي خيرا كثيرا) " [7] .

وكذا في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ ...﴾ [8] حيث قال : " (يرتدد) جزم بالشرط ، والتضعيف يظهر مع الجزم لسكون الحرف الثاني ، وهو أكثر في اللغة ... " [9] .

وقوله تعالى : ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ [10] حيث قال : " موضع (يرتد) جزم ، والأصل كما قلنا (يرتدد) وأدغمت الدال الأولى في الثانية ، وحركت الثانية بالفتح لالتقاء الساكنين " [11] .

وذكر في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [12] أن الماضي معها يؤول إلى

---

(1) البقرة /٦٢ .   (2) من الطويل ، وقائله الفرزدق ، ديوانه ٣٢٩/٢ ، وروايته : * تعش فإن واثقتني ... * ، وهو من شواهد الكتاب ٤١٦/٢ والخصائص ٤٢٢/٢ ومنهج السالك ١٥٣/١ .
(3) معانيه ١٤٦/١ .   (4) الأحزاب /٣١ .   (5) معانيه ٤٧٢/٥ ، ٤٧٣ .   (6) البقرة /٢٦٩.
(7) معانيه ٣٥٢/١ .   (8) البقرة /٢١٧ .   (9) معانيه ٢٩٠/١ .   (10) المائدة /٥٤ .
(11) معانيه ١٨٢/٢ .   (12) البقرة /١٥٨ .

الاستقبال ، والأمر كذلك مع أدوات الشرط الأخرى ، فهو يقول :" في قوله عز وجل: (ومن تطوع خيرا) وجهان : إن شئت قلت : (ومن تطوع خيرا) على لفظ المضي ومعناه الاستقبال ؛ لأن الكلام شرط وجزاء ، فلفظ الماضي فيه يؤول إلى معنى الاستقبال ، ومن قرأ : (يطوع) فالأصل (يتطوع) فأدغمت التاء في الطاء ، ولست تدغم حرفا في حرف إلا قلبته إلى لفظ المدغم فيه " [١] .

وذكر في توجيه قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ﴾ [٢] موضع (من) فقال : " (من) في موضع الشرط يرتفع بالابتداءَ ، وخبرها (كان) ، وجواب الجزاء (فإن أجل الله لآت) " [٣] .

(ما) وحكمها الإعرابي

ذكر الزجاج أنها في الشرط اسم منصوب بفعل الشرط ، وهذا يستفاد من توجيهه لقوله تعالى : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [٤] ، فهو يقول : " وجزم (وما تفعلوا) بالشرط ، واسم الشرط (ما) ، والجواب : (فإن الله به عليم) ، وموضع (ما) نصب بقوله : (تفعلوا) " [٥] .

وقال في قوله تعالى : ﴿... لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [٦] : " (ما) ههنا على ضربين : يصلح أن تكون للشرط والجزاء وهو أجود الوجهين ؛ لأن الشرط يوجب أن كل ما وقع من أمر الرسل فهذه طريقته ، واللام دخلت في (ما) كما تدخل في (إن) التي للجزاء إذا كان في جواب القسم ، قال الله عز وجل : ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [٧] وقال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [٨] ، فاللام في (إن) دخلت مؤكدة موطئة للام القسم ، ولام القسم هي التي لليمين ؛ لأن قولك : والله لئن جئتني لأكرمنك ، إنما حلفك على فعلك إلا أن الشرط معلق به ، فلذلك دخلت اللام على الشرط ، فإذا كانت (ما) في معنى الجزاء فموضعها نصب بقوله: (لما آتيتكم) والجزاء قوله : (لتؤمنن به) ويجوز أن تكون ـ يعني (ما) ـ في معنى الذي ويكون موضعها رفعا ... فتكون (ما) رفعا بالابتداء ، ويكون خبر الابتداء (لتؤمنن) وحذفت الهاء في (لما آتيتكم) لطول الاسم ، ويجوز ـ وقد قرئ به ـ (لِما

---

(١) معانيه ١/٢٣٤، ١٣٥. (٢) العنكبوت /٥ . (٣) معانيه ٤/١٦٠، ١٦١. (٤) البقرة /٢١٥ .
(٥) معانيه ١/٢٨٨ . (٦) آل عمران/٨١. (٧) الإسراء /٨٦ . (٨) الإسراء /٨٨ .

آتيتكم) فتكون اللام المكسورة معلقة بقوله : (أخذ) ... وقرأ بعضهم : (لما آتيناكم من كتاب وحكمة) ، أي : لما آتيناكم الكتاب والحكمة أخذ الميثاق ، ويكون الكلام يؤول إلى الجزاء ، كما تقول : لما جئتني أكرمتك " [١] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [٢] : " وتأويل (ما) تأويل الشرط والجزاء ، وموضعها نصب بـ(تنفقوا) ، المعنى : وأي شيء تنفقوا فإن الله عليم به ، والفاء جواب الجزاء " [٣] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ [٤] : " موضع (يفعلوا) جزم بالشرط وهو (ما) ، والجواب (فلن يكفروه) " [٥] .

مراعاة لفظ (ما) ومعناها :

تحدث عن ذلك الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [٦] فقال : " (يفتح) في موضع جزم على معنى الشرط والجزاء ، وجواب الجزاء:(فلا ممسك لها)،ولو كان (فلا ممسك له) لجاز لأن (ما) في لفظ تذكير، لكنه لما جرى ذكر الرحمة كان (فلا ممسك لها) أحسن ، ألا ترى قوله : (وما يمسك فلا مرسل له من بعده)، ويجوز ـ ولا أعلم أحدا قرأ به ـ ما يفتحُ الله للناس من رحمة ... وما يمسكُ برفع (يفتح) ورفع (يمسك) ، ولا أعلم أحدا قرأ بها على معنى : الذي يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك له ، والذي يمسك فلا مرسل له من بعده " [٧] .

تردد (ما) بين الموصولية والشرطية :

تقدم من أمثلة ذلك هنا قوله تعالى : ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ وقوله : ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ...﴾ .

وقال الزجاج في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [٨] : " هي في مصحف أهل المدينة (بما كسبت) بغير فاء ، وكذلك يقرؤونها خلا أبا جعفر فإنه يثبت الفاء ، وهي في مصاحف أهل العراق بالفاء وكذلك قراءتهم وهي في العربية أجود ؛ لأن الفاء مجازاة جواب الشرط ، المعنى : ما يصيبكم من مصيبة فبما كسبت

---

(١) معانيه١/٤٣٦، ٤٣٧. (٢) آل عمران /٩٢ . (٣) معانيه ٤٤٣/١ . (٤) آل عمران/١١٥.
(٥) معانيه ٤٦٠/١ . (٦) فاطر /٢ . (٧) معانيه ٢٦٢/٤ . (٨) الشورى /٣٠ .

أيديكم ... فأما من قرأ : (وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم) فعلى أن (ما) في معنى (الذي) ، والمعنى : الذي وقع بما كسبت أيديكم ... "[1] .

(أين)

تحدث الزجاج عن الجزم بـ(أينما) في توجيه قوله تعالى : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ [2] فقال : " (أينما) تجزم ما بعدها ؛ لأنها إذا وصلت بـ(ما) جزمت ما بعدها ، وكان الكلام شرطا وكان الجواب جزما كالشرط " [3] .

قلت : وقول الزجاج (لأنها إذا وصلت بـ(ما) جزمت ما بعدها) إشارة إلى أن (أين) هي الجازمة وأن هذا الحكم لا يتغير عندما توصل بـ(ما) .

(أي)

تحدث عنها الزجاج في توجيه قوله تعالى:﴿ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ﴾[4] فقال : " (أي) في معنى الجزاء منصوبة بـ(قضيت) ، وجواب الجزاء (فلا عدوان) ، و(ما) زائدة مؤكدة ، والمعنى : أي الأجلين قضيت فلا عدوان علي " [5] .

(مهما)

تحدث عنها مبينا الخلاف حول أصلها ، وذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا ﴾ [6] فقال : " زعم بعض النحويين أن أصل (مهما) ما ما تأتنا به ، ولكن أبدل من الألف الأولى الهاء ليختلف اللفظ ، فـ(ما) الأولى هي (ما) الجزاء ، و(ما) الثانية هي التي تزاد تأكيدا للجزاء ، ودليل النحويين على ذلك أنه ليس شيء من حروف الجزاء إلا و(ما) تزاد فيه ، قال الله جل ثناؤه : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ ﴾ [7] كقولك : إن تثقفهم في الحرب فشردهم ، وقوله : ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ﴾ [8] أيضا ، وهذا في كتاب الله كثير ، وقالوا : جائز أن تكون (مه) بمعنى الكف كما تقول : (مه) أي اكفف ، وتكون (ما) الثانية للشرط والجزاء ، كأنهم قالوا ـ والله أعلم ـ : اكفف ما تأتينا به من آية ، والتفسير الأول هو الكلام، وعليه استعمال الناس ، وهذا ليس فيما فيه من التفسير شيء ؛ لأنه لا يخل اختلاف هذين التفسيرين

---

(1) معانيه ٤/٣٩٩ . (2) البقرة /١٤٨ . (3) معانيه ١/٢٢٦ . (4) القصص /٢٨ .
(5) معانيه ٤/١٤١، ١٤٢. (6) الأعراف /١٣٢ . (7) الأنفال /٥٧ . (8) الإسراء /٢٨ .

بمعنى الكلام " [١] .

قلت : وقد أورد الرضي في شرح الكافية [٢] القول الأخير من كلام الزجاج ورده قائلا : فيه بعد ؛ إذ لا معنى للكف مع معنى الشرط إلا على بعد ، وهو أن يقال في (مهما تفعل أفعل) إنه رد على كلام مقدر ، كأنه قال لك قائل : إنك لا تقدر على ما أفعل فقلت : مهما تفعل أفعل ، ثم قال الرضي : " ولو ثبت ما حكى الكوفيون عن العرب : (مهمن) بمعنى (من) كما في قوله :

أماوي مهمن يستمع في صديقه   أقاويل هذا الناس ماوي يندم [٣]

لكان مقويا لمذهب الزجاج " .

قلت : الواضح من كلام الزجاج أنه يحكي قولين في كون (مهما) مركبة ، وأنه يختار القول الأول لا الثاني ، وهذان القولان يقابلهما القول بأن (مهما) بسيطة ، واختار ذلك بعض المحققين كابن هشام [٤] .

أحكام فعل الشرط :

تقدم هنا في توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أن الماضي إذا وقع شرطا كان في تقدير المستقبل ، وفي توجيه قوله : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ ونحوه الحديث عن لحاق نون التوكيد لفعل الشرط ، وقد تحدث الزجاج عن مجيء (كان) فعلا للشرط في توجيه قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [٥] فقال : " فأما (كان) في باب حروف الجزاء ففيها قولان : قال محمد بن يزيد : جائز أن تكون لقوتها على معنى المضي ؛ لأنها في المضي عبارة عن كل فعل ماض ، فهذا هو قوتها ، وكذلك يتأول قوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [٦] ، وحقيقته ـ والله أعلم ـ من يعلم منه هذا ، فهي على باب سائر الأفعال ، إلا أن معنى (كان) إخبار عن الحال فيما مضى إذا قلت: (كان زيد عالما) فقد أنبأت أن حاله هذه فيما مضى من الدهر ، وإذا قلت : (سيكون عالما) فقد أنبأت أن حاله سيقع فيما يستقبل ، فإنما معنى (كان) و(يكون) العبارة عن الأفعال والأحوال " [٧].

---

(١) معانيه ٣٦٩/٢ .   (٢) ٢٥٣/٢ والمحقق ٩٢/٤ .
(٣) البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة في شرح المفصل لابن يعيش ٨/٤ ، وشرح الكافية للرضي ٩٢/٤ (المحقق) ، والخزانة ١٦/٩ .   (٤) المغني ٣٣١/١ ، وانظر حاشية الصبان على الأشموني ١٢/٤ .
(٥) هود /١٥ .   (٦) المائدة /١١٦ .   (٧) معانيه ٤٢/٣ ، ٤٣ .

قلت : والذي اختاره الزجاج هنا بتقدير (من يعلم منه هذا) هو الموافق لما ذهب إليه الجمهور الذين يرون أن فعل الشرط لا يكون ماضي المعنى ، وأنه يجب تأويله في الآية ونحوه بفعل مستقبل [1] ، وقد رأيت في المقتضب [2] ما يوافق مذهب الجمهور حيث قال المبرد :" وتقول : إن أتيتني فلك درهم ؛ لأن معناه : إن تأتني، ولو قلت : (إن أتيتني آتك) لصلح ، كما قال الله عز وجل : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾ ؛ لأن معناه : من يكن " .

أحكام جواب الشرط :

يقرر الزجاج أن جواب الشرط يقع فيه الماضي بمعنى المستقبل ، وقد جاء ذلك في توجيهه لقوله تعالى : ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [3]، وفي ذلك يقول : " معناه (فتظل) ؛ لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل، تقول : إن تأتني أكرمتك ، معناه : أكرمك ، وإن أتيتني أحسنت إليك وأجملت ، معناه : أحسن وأجمل " [4] .

جزم جواب الشرط :

تقدمت أمثلة كثيرة لذلك هنا ، ومن أمثلته أيضا :

- قال في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[5] : " (يهدِ قلبه) : يجعله مهتديا، وقرئت : (يهدَ قلبه) على تأويل هدأ قَلبه يهدأ إذا سكن. ، ويكون على طرح الهمزة، ويكون في الرفع (يهدا قلبه) غير مهموز ، وفي الجزم (ومن يؤمن بالله يهدَ قلبه) بطرح الألف للجزم " [6] .

وفي كلامه إشارة إلى أن الألف المنقلبة عن همزة إذا كانت لاما للفعل حذفت للجزم كما تحذف الألف الأصلية .

اقتران جواب الشرط بالفاء :

يلحظ هنا أن الزجاج قد يطلق على الفاء جواب الجزاء تجوزا ، فهو من باب تسمية الجزء باسم الكل ، ومن أمثلتها :

(١) انظر التصريح ٢٤٩/٢ ، وحاشية الصبان ١٦/٤ . (٢) ٥٩/٢ .
(٣) الشعراء /٤ . (٤) معانيه ٨٢/٤ .
(٥) التغابن /١١ . (٦) معانيه ١٨١/٥ .

- توجيه قوله تعالى : ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ﴾ [1] ، وفيه يقول : " الفاء جواب للجزاء ، أي : إذا ارتد أحد عن دينه - أي الذي هو الإيمان - فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه " [2] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللهُ مِنْهُ﴾ [3] ، وفيه يقول : " الفاء جواب الجزاء ، والمعنى - والله أعلم - ومن عاد مستحلا للصيد بعد أن حرمه الله فينتقم الله منه " [4] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [5] ، وفيه يقول : " ويجوز أن يكون (إنه) (فإنه) بكسرهما جميعا "، ثم يقول : " فأما كسرهما جميعا فعلى مذهب الحكاية، كأنه لما قال : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) قال : (إنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم) بالكسر ، وجعلت الفاء جوابا للجزاء ، وكسرت (إن) لأنها دخلت على ابتداء وخبر ، كأنك قلت : فهو غفور رحيم ، إلا أن الكلام بـ(إن) أوكد ... " [6] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾[7]: " والفاء الأجود فيها أن تكون في معنى الجزاء، وجائز كسر (إن) مع الفاء، وتكون جزاء لا غير..."[8].

- وقال في قوله تعالى : ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [9] : " الفاء دخلت على الجواب للجزاء كما تدخل في قولك : إن زرتني فأنا أخوك ، ودخلت الفاء على هؤلاء جواب (إن) " [10] .

وتقدم هنا من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ .

---

(1) المائدة/ ٥٤ . (2) معانيه ١٨٢/٢ . (3) المائدة/ ٩٥ .
(4) معانيه ٢٠٩/٢ . (5) الأنعام/ ٥٤ . (6) معانيه ٢٥٣/٢ ، ٢٥٤ .
(7) الحج/ ٤ . (8) معانيه ٤١١/٣ . (9) الأنبياء/ ٣٤ .
(10) معانيه ٣٩١/٣ .

أمثلة لمجيء الفاء بمعنى المجازاة
ولم يتقدمها شرط :

تقدم منها توجيه قوله تعالى : ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ في فصل الاشتغال .

وقال في قوله تعالى :﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾[1]: " اللفظ بـ(الله) منصوب بقولك : فاعبد، وهو إجماع في قول البصريين والكوفيين ، والفاء على معنى المجازاة ، المعنى : قد تبينت فاعبد الله " [2] .

وقال في قوله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [3] : " الفاء جواب الجزاء ، المعنى: قد بينا ما يدل على أن الله واحد فاعلم أنه لا إله إلا الله " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [5] : " دخلت الفاء على معنى جواب الجزاء، المعنى : قم فأنذر ، أي قم فكبر ربك " [6] .

نيابة (إذا) عن الفاء في ربط الجواب بالشرط :

قال الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ ...﴾ [7] : " (إذا لهم مكر) جواب للجزاء ، وهو كقوله : ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [8] ، المعنى : وإن تصبهم سيئة قنطوا ، وإذا أذقنا الناس رحمة مكروا ، فـ(إذا) تنوب عن جواب الشرط كما تنوب الفاء " [9] .

المعطوف على جواب الشرط :

تحدث عنه الزجاج في مواضع وأجاز فيه ثلاثة أوجه ، وفيما يلي بيان ذلك :

- قال في توجيه قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[10]: " الرفع في (يكفر) والجزم جائزان ، ويقرأ (ونكفر عنكم) بالنون والياء، وزعم سيبويه [11] أنه يختار الرفع في (ونكفر) ، قال : لأن ما بعد الفاء قد صار بمنزلته في غير الجزاء ، وأجاز الجزم على موضع (فهو خير لكم) لأن المعنى: يكن خيرا لكم، وذكر أن بعضهم قرأ : ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرْهُمْ﴾ [12]

---

(1) الزمر /٦٦ . (2) معانيه ٣٦١/٤ . (3) محمد /١٩ . (4) معانيه ١٢/٥ .
(5) المدثر /٣ . (6) معانيه ٢٤٥/٥ . (7) يونس /٢١ . (8) الروم /٣٦ .
(9) معانيه ١٢/٣ . (10) البقرة /٢٧١ . (11) الكتاب ٩٠/٣ ، ٩٢ . (12) الأعراف/١٨٦.

بجزم الراء ، والاختيار عنده الرفع في قوله : (ويذرهم) وفي (ونكفر) ، قال : " فأما النصب فضعيف جدا " ، ولا يجيز (ونكفرَ عنهم) إلا على جهة الاضطرار ، وزعم أنه نحو قول الشاعر :

سأترك منزلي لبني تميم   وألحق بالحجاز فأستريحا [١]

إلا أن النصب في الجزاء أقوى قليلا ؛ لأنه إنما يجب به الشيء بوجوب غيره ، فضارع الاستفهام وما أشبهه ، هذا قول جميع البصريين ، وهو بين واضح " [٢] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ [٣] : " يجوز الجزم والرفع في (يذرهم) ، فمن جزم عطف على موضع الفاء ، المعنى : من يضلل الله يذره في طغيانه عامها ، ومن قرأ : (ويذرهم) فهو رفع على الاستئناف " [٤] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ ...﴾ [٥] : " (يؤت) بغير ياء للجزم ، معطوف على (يضاعفها) " [٦] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾[٧] : " من قرأ : (ويجعلْ لك) بالجزم فهو أجود القراءتين على جواب الجزاء ، المعنى : إن يشأ يجعل لك جنات ويجعل لك قصورا ، ومن رفع فعلى الاستئناف ، والمعنى : سيجعل لك ، أي سيعطيك الله في الآخرة أكثر مما قالوا " [٨] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [٩] : " قرئت : (ويعلمُ الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) ، (ويعلمَ) ، والنصب على إضمار (أن) لأن قبلها جزاء [١٠] ، تقول : ما تصنع أصنع مثله وأكرمَك ، وإن شئت : (وأكرمْك) جزما " [١١] .

---

(١) من الوافر ، للمغيرة بن حبناء ، والشاهد فيه نصب (أستريح) بعد الفاء التي لم يتقدم عليها نفي ولا طلب، وهذا ضرورة، انظر الكتاب ٩٢/٣ ، والخزانة ٥٢٢/٨ ، والأشموني المحقق ٢١٤/٣.

(٢) معانيه ٣٥٥/١ ، ٣٥٦ . (٣) الأعراف/ ١٨٦ . (٤) معانيه ٣٩٣/٢ .

(٥) النساء/ ٤٠ . (٦) معانيه ٥٣/٢ . (٧) الفرقان/ ١٠ .

(٨) معانيه ٥٩/٤ . (٩) الشورى/ ٣٥ .

(١٠) في قوله تعالى : ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ ، الشورى/ ٣٣ . (١١) معانيه ٣٩٩/٤ ، ٤٠٠ .

حذف ما علم من شرط أو جواب :

ذكره الزجاج في مواضع ، منها :

- قوله تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ ...﴾[1]، وفيه يقول : " المعنى: إن استطعت هذا فافعل ، وليس في القرآن (فافعل) ؛ لأنه قد يحذف ما في الكلام دليل عليه ، ومثل ذلك قولك : إن رأيت أن تمضي معنا إلى فلان ، ولا تذكر (فافعل) " [2] .

- قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾[3] ، وفيه يقول: " جواب الشرط ههنا متروك، المعنى : إن كنت على بينة من ربي لا أتبع الضلال ، فترك الجواب لعلم المخاطبين بالمعنى " [4] .

- قوله تعالى: ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ﴾[5]، وفيه يقول: " (ما) في موضع رفع، المعنى : قلت : الأمر ما شاء الله ، ويجوز أن يكون في موضع نصب على جواب الشرط ويكون الجواب مضمرا ، ويكون التأويل : أي شيء شاء الله كان ، ويضمر الجواب كما أضمر جواب (لو) في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ...﴾ [6] ، المعنى : لكان هذا " [7] .

- قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [8] ، وفيه يقول : " هذا من لطيف العربية ، ومعناه معنى الشرط والجزاء، وألف الاستفهام ههنا بمعنى التوقيف، والألف الثانية في (أفأنت تنقذ من في النار) جاءت مؤكدة معادة لما طال الكلام ؛ لأنه لا يصلح في العربية أن تأتي بألف الاستفهام في الاسم وألف أخرى في الخبر ، والمعنى : أفمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذ من في النار ، ويكون ـ والله أعلم ـ على وجه آخر ، على أنه حذف وفي الكلام دليل على المحذوف على معنى : أفمن حق عليه كلمة العذاب تتخلص منه أو تنجو منه " [9] .

- قوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي ...﴾ [10] ، وفيه يقول : " هذا شرط جوابه متقدم، المعنى : إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا

---

(١) الأنعام /٣٥ . (٢) معانيه ٢/٢٤٤ . (٣) هود /٨٨ . (٤) معانيه ٣/٧٣ .
(٥) الكهف /٣٩ . (٦) الرعد /٣١ . (٧) معانيه ٣/٢٨٨ . (٨) الزمر /١٩ .
(٩) معانيه ٤/٣٤٩ ، ٣٥٠ . (١٠) الممتحنة /١ .

عدوي وعدوكم أولياء ، و(جهادا) و(ابتغاء) منصوبان لأنهما مفعول لهما " [1] .

قلت : قوله : " جوابه متقدم " يفهم منه أنه دليل الجواب المحذوف .

من أدوات الشرط غير الجازمة (إذا) :

تحدث الزجاج عن حذف جواب (إذا) في موضعين :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [2] ، وفي ذلك يقول : " اختلف الناس في الجواب لقوله : (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ...) فقال قوم : الواو مسقطة ، المعنى : إذا جاءوها فتحت أبوابها ، قال أبو إسحاق : وسمعت أبا العباس محمد بن يزيد يذكر أن الجواب محذوف ، والمعنى : حتى إذا جاءوها إلى آخر الآية سعدوا ، قال : والمعنى في الجواب : حتى إذا كانت هذه الأشياء صاروا إلى السعادة ، وقال قوم : حتى إذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها ، فالمعنى عندهم أن (جاءوها) محذوف ، وعلى معنى قول هؤلاء اجتمع المجيء مع الدخول في حال ، المعنى : حتى إذا جاءوها وقع مجيئهم مع فتح أبوابها .

قال أبو إسحاق : والقول عندي إن شاء الله أن المعنى : حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين دخلوها ، فالجواب : دخلوها ، وحذف لأن في الكلام دليلا عليه " [3] .

وقد نقل ابن الشجري [4] توجيه الزجاج لهذه الآية ثم قال : " أقول : إن حذف الأجوبة في هذه الأشياء أبلغ في المعنى ، ولو قدر في موضع (دخلوها) : (فازوا) لكان حسنا " .

الثاني : في توجيه قوله تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [5] حيث قال : " جواب (إذا) يدل عليه (فملاقيه) ، المعنى : إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله " [6] .

---

(١) معانيه ١٥٦/٥ .   (٢) الزمر /٧٣ .   (٣) معانيه ٣٦٣/٤ ، ٣٦٤ .
(٤) أمالي ابن الشجري ٣٥٧/١ .   (٥) الانشقاق /١ .   (٦) معانيه ٣٠٣/٥ .

احتمال (إذا) الشرطية والظرفية :

من مواضع ذلك قوله تعالى : ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [1] ، وفيه يقول الزجاج : " هذا جواب الملأ من قوم ثمود ، فأما (أنكم) الأولى فإنها منصوبة على معنى : أيعدكم بأنكم إذا متم ، وموضع (أن) الثانية عند قوم كموضع الأولى ، وإنما ذكرت توكيدا ، والمعنى على هذا القول : أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم ، فلما بعد ما بين (أن) الأولى والثانية بقوله : (إذا متم وكنتم ترابا وعظاما) أعيد ذكر (أن) كما قال : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [2]، والمعنى : فله نار جهنم ، هذا مذهب سيبويه [3] ، وفيها قولان آخران :

أحدهما : أن تكون (أن) الثانية وما عملت فيه في موضع رفع ، والمعنى : أيعدكم أنكم إخراجكم إذا متم ، فيكون (أنكم مخرجون) بمعنى (إخراجكم) ، كأنه قيل : أيعدكم إخراجكم وقت موتكم وبعد موتكم ؟ ويكون العامل في (إذا) إخراجكم ، على أن (إذا) ظرف ، فالمعنى : أنكم يكون إخراجكم إذا متم .

والوجه الثاني : أن تكون (إذا) العامل فيها (متم) ، فيكون المعنى : أنكم متى متم يكون إخراجكم ، فيكون خبر (أن) مضمرا .

والقولان الأولان جائزان جيدان " [4] .

(1) المؤمنون /35 .
(2) التوبة /63 .
(3) الكتاب 3/132 ، 133 .
(4) معانيه 4/11 ، 12 .

الفصل الأربعون

لو وأما ولولا

معنى (لو) وما تختص به :

تقدم في فصل الاشتغال أن (لو) يقع بها الشيء لوقوع غيره ، ولا يليها إلا الفعل، وإذا وليها الاسم عمل فيه فعل مضمر [١] .

وتقدم حديث الزجاج عن ذلك في الفصل السابق في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ ...﴾ [٢] .

كما تحدث عن حقيقتها ، واختصاصها بالأفعال ، ودخولها على (أن) وصلتها في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [٣] ، وفي ذلك يقول : " (لو) يمتنع بها الشيء لامتناع غيره ، تقول : لو جاءني زيد لجئته ، المعنى : إن مجيئي امتنع لامتناع مجيء زيد ، فحقها أن يليها الأفعال إلا أن (أنّ) المشددة تقع بعدها ؛ لأن (أن) في اللغة تنوب عن الاسم والخبر ، تقول : ظننت أنك عالم ، وهي كقولك : ظننتك عالما ، والمعنى : ظننت علمك ، فالمعنى في (أن) بعد (لو) أنها نابت عن الفعل والاسم كما نابت عن الاسم والخبر ، فالمعنى في قوله : (ولو أنا كتبنا عليهم) كالمعنى في : لو كتبنا عليهم ، وجائز أن يكون مضمرا الفعل مع (أن) مع وقوع [لو قبلها] [٤]، المعنى : ولو وقع وكتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم ..."[٥].

قلت : وظاهر كلامه أن (لو) تفيد امتناع الشرط والجواب جميعا ، وهذا أحد أقوال ثلاثة للنحويين [٦] ، وثانيها : أنها لا تفيد الامتناع بوجه ، وهو قول الشلوبين وابن هشام الخضراوي، وثالثها : أنها تقتضي امتناع شرطها دائما ولا تقتضي امتناع جوابها ،

---

(١) انظر ص   (٢) انظر ص   (٣) النساء /٦٦ .

(٤) في المعاني (قابلها) ، ولا معنى له .   (٥) معانيه ٢/ ٧١ .   (٦) انظر التصريح ٢/٢٥٧ .

ثم إن لم يكن لجوابها سبب غير ذلك الشرط لزم امتناعه وإلا لم يلزم ، والذي سار عليه الزجاج هو الصواب بالنظر لأصل (لو)، وهو بمعنى قول سيبويه [١] : " حرف لما كان سيقع لوقوع غيره " ، ومعناه كما حققه الدماميني أن (لو) تدل مطابقة على أن وقوع الثاني كان يحصل على تقدير وقوع الأول ، وتدل التزاما على امتناع وقوع الثاني لامتناع وقوع الأول ؛ لأن عدم اللازم يوجب عدم الملزوم [٢] ، وهذا المعنى المطابقي نص عليه الزجاج في توجيه قوله تعالى : ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ ، وتقدم ذكره في فصل الاشتغال [٣] .

اختصاص (لو) بالأفعال :

تقدم في توجيه الآية المذكورة هنا أن (لو) حقها أن يليها الأفعال ، وقد صرح بذلك الزجاج أيضا في توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [٤] ، وفيه يقول : " ويقرأ (والبحر) بالرفع ، فأما النصب فعطف على (ما) والمعنى : ولو أن ما في الأرض ، ولو أن البحر ، والرفع حسن على وجهين : أحدهما على معنى : والبحر هذه حاله ، ويجوز أن يكون معطوفا على موضع (أن) مع ما بعدها ؛ لأن معنى (لو أنما في الأرض ...) : لو وقع ما في الأرض ؛ لأن (لو) تطلب الأفعال ، فإذا جاءت (أن) لم تذكر معها الأفعال ؛ لأنها تذكر معها الأسماء والأفعال " [٥] .

دخول (لو) على (أن) وصلتها :

تقدم هنا أنه يسوغ وقوع (أنّ) المشددة بعد (لو) لكون (أن) في المعنى نائبة عن الفعل والاسم ، ومن أمثلة هذا الموضع أيضا :

- قال في قوله تعالى : ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [٦] : " موضع (أن) رفع ، المعنى : لو وقع لنا كرور لتبرأنا منهم " [٧] .
- وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ [٨] : " (أن) في موضع رفع، المعنى : لو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم أنفسهم مع استغفارهم لوجدوا الله توابا رحيما " [٩] .

---

(١) الكتاب ٢٢٤/٤ . (٢) انظر حاشية الصبان ٣٧/٤ . (٣) انظر ص
(٤) لقمان /٢٧ . (٥) معانيه ١٩٩/٤ ، ٢٠٠ . (٦) البقرة /١٦٧ .
(٧) معانيه ٢٤٠/١ . (٨) النساء /٦٤ . (٩) معانيه ٧٠/٢ .

وظاهر كلامه أنه يقدر فعلا تكون (أن) ومدخولها في تأويل مصدر فاعل له ، وهذا المذهب منقول عن الكوفيين ، ونسبه ابن هشام [1] إليهم وإلى المبرد والزجاج والزمخشري ، وقال في المغني [2] : ورجح بأن فيه بقاء (لو) على الاختصاص بالفعل، ويقابل هذا المذهب القول بأن (أنّ) في موضع رفع بالابتداء ، وهو مذهب سيبويه وجمهور البصريين .

جواب (لو) :

يقول الزجاج في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ﴾ [3] : " (مثوبة) في موضع جواب (لو)؛ لأنها تنبئ عن قولك : لأثيبوا " [4]، وظاهره أن (لو) قد تجاب بجملة اسمية مقرونة باللام ، وقد استشهد ابن هشام [5] وغيره بالآية على ذلك، وذكر في جملة (لمثوبة ...) قولين آخرين : الأول أنها مستأنفة ، والثاني أنها جواب لقسم مقدر ، و(لو) في هذين الوجهين للتمني ، فلا جواب لها .

حذف جواب لو :

من مواضع حذف جواب (لو) عند الزجاج :

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [6] ، وفيه يقول : " ... يجوز أن تكون (أن) ـ يعني في (أن القوة) ـ مكسورة مستأنفة فيكون جواب (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ...) لرأوا أمرا عظيما لا تبلغ صفته ؛ لأن جواب (لو) إنما يترك لعظم الموصوف ، نحو قوله عز وجل : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ...﴾ [7] ، المعنى : لكان هذا القرآن أبلغ من كل وصف ، وتكون (إن القوة لله جميعا) على الاستئناف ، يخبر بقوله : (إن القوة لله جميعا) ويكون الجواب المتروك غير معلق بـ(إن) ، ومن قرأ : (ولو ترى الذين ظلموا) فإن التاء خطاب للنبي يراد به الناس ، كما قال : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [8] ، فهو بمنزلة (ألم تعلموا) ، وكذلك (ولو ترى الذين ظلموا) بمنزلة (ولو ترون) ، وتكون (إن القوة لله جميعا) مستأنفة كما وصفنا ، ويكون الجواب ـ والله

(١) أوضح المسالك ٣/٢٠٥. (٢) المغني ١/٢٧٠. (٣) البقرة /١٠٣ . (٤) معانيه ١/١٨٧ .
(٥) انظر أوضح المسالك ٣/٢٠٦ ، و همع الهوامع ٢/٦٦ . (٦) البقرة /١٦٥ . (٧) الرعد /٣١ .
(٨) البقرة /١٠٧ .

أعلم - لرأيتم أمرا عظيما ، كما تقول : لو رأيت فلانا والسياط تأخذه ، فيستغنى عن الجواب ؛ لأن المعنى معلوم ... " [١] .

- توجيه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾[٢]، وفيه يقول:" جواب (لو) محذوف ، المعنى : ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت لرأيت عذابا عظيما " [٣] .

- توجيه قوله تعال : ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾ [٤] ، وفيه يقول : " جواب (لو) محذوف ، المعنى : لعلموا صدق الوعيد " [٥] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [٦] : " جواب (لو) محذوف والله أعلم، المعنى: لو كانوا يهتدون لما اتبعوهم ولما رأوا العذاب "[٧].

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ﴾ [٨] : " هذا متروك الجواب ، وخطاب النبي عليه السلام خطاب الخلق ، والدليل على ذلك قوله جل وعز: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [٩] ، فهو بمنزلة (ولو ترون) ، والجواب : لرأيتم ما يعتبر به غاية الاعتبار " [١٠] .

(أما) : (معناها ، وقوع الفاء في جوابها ، حذف جوابها)

تحدث الزجاج عن معناها ، وعن وقوع الفاء في جوابها في توجيه قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [١١] فقال : " والفاء دخلت في جواب (أما) في قوله : (فيعلمون) ؛ لأن (أما) تأتي بمعنى الشرط والجزاء ، كأنه إذا قال : أما زيد فقد آمن ، وأما عمرو فقد كفر ، فالمعنى : مهما يكن من شيء فقد آمن زيد ، ومهما يكن من شيء فقد كفر عمرو " [١٢] .

وتحدث عن حذف جوابها في موضعين :

الأول : في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ﴾ [١٣] حيث يقول :

---

(١) معانيه ٢٣٨/١ . (٢) الأنعام/ ٩٣ . (٣) معانيه ٢٧٢/٢ . (٤) الأنبياء/ ٣٩ .
(٥) معانيه ٣٩٢/٣ ، ٣٩٣ . (٦) القصص/ ٦٤ . (٧) معانيه ١٥١/٤ . (٨) السجدة/ ١٢ .
(٩) الطلاق/ ١ . (١٠) معانيه ٢٠٦/٤ . (١١) البقرة/ ٢٦ . (١٢) معانيه ١٠٥/١.
(١٣) آل عمران/ ١٠٦ .

" وجواب (أما) محذوف مع القول ، المعنى : فيقال لهم : أكفرتم بعد إيمانكم ، وحذف القول لأن في الكلام دليلا عليه ، وهذا كثير في القرآن ، كقوله عز وجل : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [1] ، المعنى : يقولون : سلام عليكم ، وكذلك قوله : ﴿... وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [2] ، المعنى : يقولان : ربنا تقبل منا " [3] .

الثاني : في قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [4] ، وفيه يقول : " جواب (أما) محذوف ؛ لأن في الكلام دليلا عليه ، المعنى : وأما الذين كفروا فيقال لهم : الم تكن آياتي تتلى عليكم ، ودلت الفاء في قوله : (أفلم) على الفاء المحذوفة في قولك : فيقال لهم " [5] .

(لولا) وقسماها :

وهي نوعان : إما دالة على التحضيض تختص بالجملة الفعلية ، وإما دالة على امتناع جوابها لوجود تاليها وتختص بالجملة الاسمية .

والزجاج يفسر القسم الأول بـ(هلا) ، ومن أمثلة ذلك :

- قال في قوله تعالى : ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ [6] : " (لولا) في معنى (هلاّ) ، المعنى : هلا يكلمنا الله أو تأتينا آية " [7] .

- وقال في قوله تعالى:﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[8]:" المعنى: هلا أخرتنا..."[9].

- وقال في قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [10] : " المعنى : فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا " [11] .

- وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [12] : " ومعنى (لولا) هلا ، وتأويل الكلام التوبيخ " [13] .

---

(١) الرعد/ ٢٣ ، ٢٤ . (٢) البقرة/ ١٢٨ . (٣) معانيه ١/ ٤٥٤ ، ٤٥٥ . (٤) الجاثية/ ٣١ .
(٥) معانيه ٤/ ٤٣٥ . (٦) البقرة/ ١١٨ . (٧) معانيه ١/ ١٩٩ . (٨) النساء/ ٧٧ .
(٩) معانيه ٢/ ٧٩ . (١٠) الأنعام/ ٤٣ . (١١) معانيه ٢/ ٢٤٨ . (١٢) الكهف/ ٣٩ .
(١٣) معانيه ٣/ ٢٨٨ .

وقد تحدث الزجاج عن القسم الثاني من (لولا) من جهة جوابه ذكرا وحذفا ، فقال في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (1) : " المعنى : لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما هم به ، وليس في الكلام نكير أن تقول : ضربتك لولا زيد ، ولا : هممت بك لولا زيد ، إنما الكلام : لولا زيد لهممت بك ، و(لولا) تجاب باللام ، فلو كان : (ولقد همت به ولهم بها لولا أن رأى برهان ربه) لكان يجوز على بعد " (2) .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ (3) : " ههنا جواب (لولا) متروك ، والمعنى ـ والله أعلم ـ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لنال الكاذب منكم لما ذكر عذاب عظيم ، ويدل عليه : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (4) " (5) .

(1) يوسف /٢٤ . (2) معانيه ١٠١/٣ . (3) النور /١٠ .
(4) النور /١٤ . (5) معانيه ٣٣/٤ .

الفصل الحادي والأربعون

العدد

حكم الثلاثة والعشرة وما بينهما :

تغليب التأنيث عند اجتماع الليالي والأيام :

مما يدخل في هذا الحكم ما جاء في حديث الزجاج عن توجيه قوله تعالى : ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [1] حيث يقول : " ومعنى قوله : (وعشرا) يدخل فيها الأيام ، زعم سيبويه [2] أنك إذا قلت : لخمس بقين فقد علم المخاطب أن الأيام داخلة في الليالي ، وزعم غيره أن لفظ التأنيث مغلب في هذا الباب ، وحكى الفراء[3]: صمنا عشرا من شهر رمضان ، فالصوم إنما يكون في الأيام ، ولكن التأنيث مغلب في الليالي لإجماع أهل اللغة [على] سرنا خمسا بين يوم وليلة ، أنشد سيبويه :

فطافت ثلاثا بين يوم وليلة يكون النكير أن تصيح وتجأرا [4]

قال سيبويه : هذا باب المؤنث الذي استعمل للتأنيث والتذكير والتأنيث أصله ، قال : تقول : عندي ثلاث بطات ذكور ، وثلاث من الإبل ذكور ، قال : لأنك تقول : هذه إبل، وكذلك : ثلاث من الغنم ذكور ، قال : فإن قلت : عندي ثلاثة ذكور من الإبل لم يكن إلا التذكير ؛ لأنك إنما ذكرت ذكورا ثم جئت تقول : من الإبل ، بعد أن مضى الكلام على التذكير ، وليس بين النحويين البصريين والكوفيين خلاف في الذي ذكرنا من باب تأنيث هذه الأشياء ، فإن قلت : عندي خمسة بين رجل وامرأة غلبت التذكير لا غير " [5] .

---

(١) البقرة /٢٣٤ . (٢) الكتاب ٥٦٢/٣ ، ٥٦٣ . (٣) معاني الفراء ١٥١/١ .

(٤) من الطويل، وقائله النابغة الجعدي، وانظره في الكتاب ٥٦٣/٣، وشرح الكافية للرضي ٣٨٢/٣، والخزانة ٤٠٧/٧ .

(٥) معانيه ٣١٦/١ .

ويجدر بي أن أنبه على أن الزجاج لم ينقل هنا نص سيبويه ، وإنما فهم معنى كلامه ثم عبر عنه ، وكلام سيبويه في هذه المسألة يشعر بأن الحكم فيها خاص لا يعمم ، فهو يقول : " وتقول : سار خمس عشرة من بين يوم وليلة ؛ لأنك ألقيت الاسم على الليالي ثم بنيت فقلت : من بين يوم وليلة ، ألا ترى أنك تقول : لخمس بقين أو خلون ، ويعلم المخاطب أن الأيام قد دخلت في الليالي ، فإذا ألقي الاسم على الليالي اكتفى بذلك عن ذكر الأيام " ، ثم يقول بعد ذلك : " وتقول : أعطاه خمسة عشر من بين عبد وجارية، لا يكون في هذا إلا هذا ... وقد يجوز في القياس: خمسة عشر من بين يوم وليلة ، وليس بحد كلام العرب " ، فتأنيثه لـ(خمسة) في قولهم : (من بين عبد وجارية) ومنعه التذكير يفيد أن التذكير في قولهم : (من بين يوم وليلة) إنما هو خاص بمسألة اليوم والليلة ، وقول الزجاج : " فإن قلت : عندي خمسة من بين رجل وامرأة غلبت التذكير لا غير " جرى فيه على خصوصية الحكم المذكور .

ومما يستأنس به في ذلك ما قاله في توجيه قوله تعالى : ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾[1]، وفيه يقول : " أما قوله : (وازدادوا تسعا) فلا يكون على معنى : وازدادوا تسع ليالٍ ولا تسع ساعات ؛ لأن العدد يعرف بتفسيره ، فإذا تقدم تفسيره استغني عنه بما تقدم عن إعادة ذكر التفسير ، تقول : عندي مائة درهم وخمسة ، فتكون الخمسة قد دل عليها ذكر الدرهم " [2] .

اعتبار الموصوف المنوي في باب العدد :

يقرر النحاة أن المعدود إذا كان صفة منويا موصوفها كان المعتبر في تذكير العدد وتأنيثه حال الموصوف المنوي لا حال الصفة ، والزجاج يشير إلى ذلك في حديثه عن قوله تعالى : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [3] فيقول : " القراءة : (فله عشر أمثالها) ، والمعنى : فله عشر حسنات أمثالها ، كما يجوز عندي : خمسة أثوابا ، ويجوز : (فله عشر مثلها) في غير القراءة ، فيكون المثل في لفظ الواحد وفي معنى الجميع ، كما قال : ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [4] ، ومن قال : (أمثالها) فهو كقوله : ﴿ثُمَّ لَا

---

(١) الكهف /٢٥ . (٢) معانيه ٣/٢٧٩ .
(٣) الأنعام /١٦٠ . (٤) النساء /١٤٠ .

يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [1] ، وإنما جاز المثل على التوجيه وأن يكون في معنى الجميع لأنه على قدر ما يشبه به ، تقول : مررت بقوم مثلكم ، وبقوم أمثالكم "[2] .

فقوله : " والمعنى : فله عشر حسنات أمثالها " قدر فيه الموصوف مؤنثا وهو (حسنات) ومفرد الحسنات حسنة ، فلهذا ذكر العدد وقيل : عشر ، ولو روعي حال الوصف وهو (أمثالها) لقيل : عشرة لأن مفرده وهو المثل مذكر [3] .

الأعداد المركبة :

تحدث الزجاج عن حركة شين (عشرة) المركب مع النيف فقال في توجيه قوله تعالى: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [4] : " أكثر القراء : (اثنتا عشْرة) بإسكان الشين ، ولغة أخرى : (اثنتا عشِرة) بكسر الشين ، وقد قرأ بعض القراء : (عشِرَة) على هذه اللغة ، وكلاهما جيد بالغ " [5] .

قلت : وإسكان الشين في (عشرة) عند التركيب لغة حكاها سيبويه [6] وذكر أنها لغة أهل الحجاز ، وكذلك حكى فيها الكسر ، وذكر أنها لغة بني تميم ، وقد جاءت القراءة بكسر الشين في غير المتواتر ، وقرأ بها مجاهد وطلحة وعيسى وغيرهم [7] .

وأشار إلى حذف التمييز مع النيف والعشرة في توجيه قوله تعالى : ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [8] ، وفيه يقول : " ويجوز (عشِرة) بكسر الشين ، المعنى : قطعناهم اثنتي عشرة فرقة ، و(أسباطا) من نعت (فرقة) كأنه قال : وجعلناهم أسباطا وفرقناهم أسباطا ، فيكون [9] (أسباطا) بدلا من (اثنتي عشرة) ، وهو الوجه ، وقوله : (أمما) من نعت (أسباطا) " [10] .

وتحدث عن حركة العين في (عشرة) المركبة مع النيف في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [11] ، وفيه يقول : " القراءة فتح العين وفتح جميع الحروف في (أحـد عشـر) ، وقد روي تسكين العين في القراءة (أحد عْشر كوكبا) قرأ بها بعض أهل

---

(1) محمد /38 . (2) معانيه 2/309 . (3) انظر التصريح 2/271 .
(4) البقرة /60 . (5) معانيه 1/141 . (6) الكتاب 3/557 .
(7) البحر 1/229 ، وتفسير القرطبي 2/274 . (8) الأعراف /160 .
(9) لعلها : أو يكون . (10) معانيه 2/382 ، 383 . (11) يوسف /10 .

العربية ، وهي غير منكرة ما كان قبل العين حرف متحرك ؛ لكثرة الحركات في (أحد عشر) ، فأما (اثنا عشر) فلا يجوز فيها الإسكان ، وقد رويت لغة أخرى : (أحْد عشر)، وهذه الرواية في الرداءة وترك الاستعمال بمنزلة (الحمدِ لله)[1] لا يلتفت إليها ، فأما التسكين في العين فقراءة كثيرة صحيحة ، ولكن سيبويه وجميع أصحابه لا يجيزون إلا فتح العين ، إلا أن قطربا قد روى إسكان العين ، ورواه الفراء أيضا ، وقد قرئ به ، فأما ما لا اختلاف فيه ففتح العين " [2] .

قلت : والقراءة بإسكان العين هنا تنسب إلى الحسن وأبي جعفر وطلحة بن سليمان [3] ، ويعلل الإسكان فيها بالفرار من توالي الحركات كما أشار إلى ذلك الزجاج [4] ، وللإيذان بشدة الامتزاج ، وجعل الاسمين اسما واحدا [5] .

حكم (اثني عشر) في الإعراب والبناء وغيرهما :

تعرض الزجاج في كتاب (ما ينصرف) للحديث عن هذا العدد المركب على سبيل الاستطراد فتحدث عن حكمه في الإعراب والبناء والإضافة والنسب فقال [6] : " وأما (اثنا عشر) فمعربة الوسط ، تقول : هذه اثنا عشر ، ورأيت اثني عشر ، فتبني (عشر) ولا تبني (اثنين) ؛ لأن البناء إنما يكون فيما إعرابه حركة .

وزعم الخليل [7] أن (عشر) بدل من النون ، وأنك إذا قلت : هذه أحدَ عشرَك لم يجز أن تقول : هذه اثنا عشرَكَ ، لا تضيف ؛ لأن (عشرَ) بدل من النون ، فلو أضفت لوجب أن تقول : اثنانِك ، فليس الاثنا عشر بالاثنين ، ولكنك إن سميت رجلا (اثني عشر) ثم أضفته قلت : هذا اثناك قد جاء ، تحذف (عشر) لأنه بمنزلة النون ، ولا لبس فيه .

وإن نسبت رجلا إلى (اثني عشر) التي للعدد لم يجز ، لا تقول : هذا ثوب اثنا عشريٌّ ، فإن سميت رجلا (اثنا عشر) ثم نسبت إليه قلت : هذا ثنويٌّ ، تحذف (عشر) .

---

(١) بكسر دال (الحمد) إتباعا لحركة اللام . (٢) معانيه ٣/٩٠ . (٣) البحر ٥/٢٧٩ .

(٤) وانظر الهمع ٢/١٥٠، والأشموني ٤/٦٧. (٥) انظر البحر ٥/٢٧٩، وروح المعاني ١٢/١٧٩.

(٦) ما ينصرف ص١١ . (٧) الكتاب ٣/٣٠٧ .

حكم (أحد عشر) ونظائره من جهة البناء :

تحدث عن ذلك الزجاج في كتاب ما ينصرف فقال [1] : " فأما (خمسة عشر) فهي في موضع الرفع والنصب والخفض مفتوحة الوسط والآخر ، تقول : هذه خمسةَ عشرَ ، ورأيت خمسةَ عشرَ ، ومررت بخمسةَ عشرَ، وكذلك من (أحد عشر) إلى (تسعة عشر)، قال الله جل وعز : ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[2]، وقال : ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [3] .

وكذلك إن أدخلت الألف واللام عليها أو أضفتها ، تقول : رأيت خمسةَ عشرَك ، وهذه خمسةَ عشرَك ، وهذه الخمسةَ عشرَ ، وزعم أن بعض العرب يقول : هذه خمسةَ عشرُك ، فيرفع الآخر لما أضاف .

قال سيبويه [4] : إنما بنيت لأنها تقع على كل شيء وأنهما اسمان جعلا اسما واحدا ، فشبهت بـ(هؤلاء) .

وحقيقة شرح هذ الباب : أن (خمسة عشر) أصلها (خمسةٌ وعشرةٌ) ، فحذفت الواو فصار في الاسم معنى الواو ، وهو معنى حرف ، وما كان في معنى الحروف فغير معرب، ففتح للفصل بين الاسمين اللذين يبنيان وهما اسم واحد وبين ما بني وهو اسم واحد وليس من شيئين .

العقود :

تحدث الزجاج عن كسر أول العقد (عشرين) فقال في توجيه قوله تعالى : ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ [5] : " لا يجوز إلا كسر العين ، وزعم أهل اللغة أن أول (عشرين) كسر كما كسر أول (اثنين) لأن (عشرين) من (عشرة) مثل (اثنين) من (واحد)، ودليلهم على ذلك فتح (ثلاثين) كفتح (ثلاثة) وكسرة (تسعين) ككسرة (تسعة) " [6] .

استعمال اسم فاعل من العدد :

تحدث الزجاج عن ذلك في توجيه قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [7] فقال : " معناه أنهم قالوا : الله أحد ثلاثة آلهة أو واحد من ثلاثة آلهة ،

(١) ما ينصرف ص١٠٥ . (٢) المدثر /٣٠ . (٣) يوسف /٤ .
(٤) الكتاب ٢٩٨/٣ ، ٢٩٩ . (٥) الأنفال /٦٥ . (٦) معانيه ٤٢٤/٢ .
(٧) المائدة /٧٣ .

ولا يجوز في (ثلاثة) إلا الجر ؛ لأن المعنى : أحد ثلاثة ، فإن قلت : زيد ثالث اثنين، أو رابع ثلاثة جاز الجر والنصب ، فأما النصب فعلى قولك : كان القوم ثلاثة فربعتهم ، وأنا رابعهم غدا أو رابع الثلاثة غدا ، ومن جر فعلى حذف التنوين ، كما قال عز وجل: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الكَعْبَةِ﴾ [1] " [2] .

قلت : والمعنى الذي ذكره أولا هو ما عبر عنه النحاة بقولهم : استعمال فاعل من العدد مع أصله الذي صيغ منه ليفيد أن الموصوف به بعض تلك العدة المعينة ، وحكمه وجوب إضافته إلى أصله كما يجب إضافة البعض إلى كله ، وهو مذهب الجمهور من البصريين والكوفيين [3] ، وأما نحو ثالث اثنين ورابع ثلاثة فيعبر عنه بأنه استعمال فاعل من العدد مع ما دون أصله الذي صيغ منه بمرتبة واحدة ليفيد معنى التصيير والتحويل ، وهذا لم يبين الزجاج معناه لكنه ذكر حكمه الإعرابي ، وقوله : " فأما النصب فعلى قولك : كان القوم ثلاثة فربعتهم ... " فيه إشارة إلى مسوغ إعماله وهو كونه ذا فعل صيغ هو من مصدره ، وهو الثلث والربع ونحوهما ، وقوله : " وأنا رابعهم غدا " فيه إشارة إلى اشتراطهم للإعمال كونه بمعنى الحال أو الاستقبال [4] .

---

(1) المائدة /٩٥ .

(2) معانيه ٢/١٩٦ .

(3) انظر التصريح ٢/٢٧٦ ، والأشموني ٤/٧٣ .

(4) انظر التصريح ٢/٢٧٦ ، ٢٧٧ .

الفصل الثاني والأربعون

كنايات العدد

(كم) (أصلها – موضعها – أحكامها) :

أول ما يرد في المعاني عن (كم) استطراد في توجيه قوله تعالى : ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [1] ، وفيه تحدث الزجاج عن (كم) رادا على الكسائي فيها حيث قالَ: " زعم الكسائي أن أصل (كم) : كما ، قال : وكنت أشتهي أن تكون مفتوحة لالتقاء الساكنين في قولهم : (كمِ المال) بالكسر، وهذا غلط من أبي الحسن، ولو كان كما يقول لكان : كمَ مالك كما أنك تقول : لمَ فعلت ، وليس هذا القول مما يعرج عليه " [2] .

وتحدث عن موضع (كم) وأنها لا يعمل فيها ما قبلها في الاستفهام في توجيه قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ [3] فقال : " موضع (كم) نصب بـ(أهلكنا) ، إلا أن هذا الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله " [4] .

وقال في قوله تعالى : ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ [5] : " (كم) في موضع نصب بـ(قصمنا) " [6] .

وقال في قوله تعالى : ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [7] : " (كم) في موضع نصب بقوله : (لبثتم) ، و(عدد سنين) منصوب بـ(كم) " [8] .

وقوله : " منصوب بـ(كم) " أراد به أنه تمييز لها ، فهو منصوب لأجل ذلك .

---

(١) آل عمران /٧٠ . (٢) معانيه ٤٢٨/١ . (٣) الأنعام /٦ .
(٤) معانيه ٢٢٩/٢ . (٥) الأنبياء /١١ . (٦) معانيه ٣٨٦/٣ .
(٧) المؤمنون /١١٢ . (٨) معانيه ٢٥/٤ .

وذكر أنها تلازم الابتداء والصدارة ، وأن ما قبلها لا يعمل فيها في توجيه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [1] فقال : " زعم بعض النحويين أن (كم) في موضع رفع بـ(يهد) ، فالمعنى عنده : أولم تبين لهم القرون التي أهلكنا من قبلهم ، وهذا عندنا - أعني عند البصريين - لا يجوز ، لا يعمل ما قبل (كم) في (كم) ، لا يجوز في قولك: كم رجل جاءني وأنت مخبر أن تقول : جاءني كم رجل ؛ لأن (كم) لا تزال عن الابتداء ، وكذلك جاز أن يفصل بينها وبين ما عملت فيه إذا نصبت بها في الخبر والاستفهام ، تقول في الخبر :

كم بجود مقرفا نال العلا ... ... [2]

ففصلت بين (كم) وبين قولك (مقرفا) بقولك (بجود) ، فيكون الفصل بين (كم) وما عملت فيه عوضا من تصرفها ، ألا ترى أنه لا يجوز : عشرون عندي درهما ، ويجوز في الخبر: كم عندي درهما جيدا ، وحقيقة هذا أن (كم) في موضع نصب بـ(أهلكنا)، وفاعل (يهد) ما دل عليه المعنى مما سلف من الكلام ، ويكون (كم) أيضا دليلا على الفاعل في (يهد) ، ويدل على هذا قراءة من قرأ : (أولم نهد ...) أي : أولم نبين لهم، ويجوز أيضا على (يهد) بالياء أن يكون الفعل لله عز وجل كقراءة من قرأ : (أولم نهد) " [3] .

قلت : اتفق القراء السبعة هنا على القراءة بالياء في (يهد) ، والخلاف بين العلماء في هذه القراءة يدور حول فاعل (يهدِ)،ومذهب الفراء[4] أن الفاعل هو (كم)، كأنك قلت : أولم تهدهم القرون الهالكة ، وهو المراد بقول الزجاج هنا : " زعم بعض النحويين " ، وقد نقل مكي [5] هذا القول عن الفراء ، واعترضه بنحو ما ذكره الزجاج ، وقال الألوسي [6] : لا يجوز أن تكون (كم) فاعلا لصدارتها ، كما نص على ذلك الزجاج حاكيا له عن البصريين .

---

(١) السجدة /٢٦ .

(٢) صدر بيت من المديد ينسب إلى أنس بن زنيم أو عبد الله بن كريز أو أبي الأسود ، وعجزه : * وكريما بخله قد وضعه * ، وقد رواه سيبويه (١٦٧/٢) بالرفع والنصب والجر في (مقرفا) و(كريما) ، ويروى بالجر وحده في شرح الكافية للرضي ٢٤٠/٣ ، والأشموني المحقق ٣٣٥/٣ ، وانظر ابن يعيش ١٣٢/٤ ، والخزانة ٤٧١/٦ .

(٣) معانيه ٢١٠/٤ ، ٢١١ . (٤) معاني الفراء ٣٣٣/٢ . (٥) المشكل ١٩/٢ .

(٦) روح المعاني ١٣٩/٢١ .

وذكر في قوله تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ [١] أن (كم) الخبرية تفيد الكثرة ، وفي ذلك يقول : " جاء (شفاعتهم) واللفظ واحد ، ولو قيل : (لا تغني شفاعته شيئا) لجاز ، ولكن المعنى معنى جماعة ؛ لأن (كم) سؤال عن عدد وإخبار بعدد كثير ؛ لأن (رب) للقلة ، و(كم) للكثرة " [٢] .

وفي كلامه هذا تصريح بأن (كم) تأتي للاستفهام والخبر .

(كأين) (معناها – لغاتها) :

تحدث عنها الزجاج في ثلاثة مواضع :

الأول : في توجيه قوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [٣] ، وفيه يقول : " تفسيرها : كم من نبي ، وفيها لغتان جيدتان بالغتان يقرأ بهما جميعا ، يقرأ : (وكأين) بتشديد، و(وكائن) وزن فاعل ، وأكثر ما جاء الشعر على هذه اللغة، قال جرير:

وكائن بالأباطح من صديق ... يراني لو أصبت هو المصابا [٤]

وقال الشاعر أيضا :

وكائن رددنا عنكم من مدجج ... يجيء أمام الألف يردى مقنعا [٥]

ومثل التشديد قوله :

كأين في المعاشر من أناس ... أخوهم فوقهم وهم كرام [٦] " [٧]

الثاني : في قوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ [٨] ، وفيه يقول : " معنى (وكأين من قرية) : عدد كبير من القرى ، ويجوز : وكأين بتشديد الياء ، ويجوز : وكائن من قرية ، وهو عند البصريين في معنى : كالعدد الكبير ، تقول : وكأين من رجل جاءني ، معناه كالعدد الكبير من الرجال " [٩] .

---

(١) النجم/ ٢٦ . (٢) معانيه ٥/٧٣ ، ٧٤ . (٣) آل عمران/ ١٤٦ .

(٤) من الوافر ، في ديوانه ص٢١ ، والخزانة ٥/٣٩٧ ، وابن يعيش ٤/١٣٥ ، وشرح التسهيل لابن مالك ٥/٣٩٧ .

(٥) من الطويل ، ومن شواهد الكتاب ٢/١٧٠ ، وينسب فيه لعمرو بن شأس ، والمدجج : اللابس سلاحه تاما ، و(يردى) : يمشي بتبختر ، (مقنعا) : مغطى بالسلاح كالبيضة والمغفر .

(٦) من بحر الوافر ، ولم أعثر له على قائل . (٧) معانيه ١/٤٧٥ ، ٤٧٦ .

(٨) الحج/ ٤٨ . (٩) معانيه ٣/٤٣١ ، ٤٣٢ .

الثالث : في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾[1] ، وفيه يقول : " المعنى: وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك " [2] .

خاتمة في لفظ (ذيت) :

يذكر النحويون في هذا الباب أيضا (كذا) التي هي كناية عن العدد في الغالب ، وعن غيره وهو الحديث ، ولم أجد لها نصوصا عند الزجاج ، لكنه تحدث في (ما ينصرف) عن (ذيت وذيت) وهما يستعملان كناية عن الحديث ، فتحدث عن بنائهما على سبيل الاستطراد قائلا [3] : " ومثل (هيهات) قولهم : كان من الأمر ذَيَّةَ وذَيَّةَ ، و(ذَيَّة) اسم مبهم ، أي كان من الأمر ذلك الذي تعلم ، فمعناها الإشارة إلى ما كان من الأمر .

قال [4] : وكان يجب أن يكون آخره موقوفا لأن قبله متحرك ، ولكنهما شيئان جعلا شيئا واحدا ، فألزما الفتح ليفصل بين ما جاء لمعنى وهو شيء واحد وبين ما جاء لمعنى وهو شيئان جعلا اسما واحدا ، ففتحت الهاء كما فتح ما قبلها ، وكانت الهاء في الوصل تاء ، فكانت يلزمها التغيير فلزمتها الحركة " .

ثم تحدث عن لغات العرب في استعمالهم فقال : " وفي (ذَيَّة) لغات : منهم من يقول : كان من الأمرِ ذيتَ وذيتَ ، ومنهم من يقول : ذَيتِ وذيتِ بكسر التاء ، ومنهم من يقول : ذيتُ وذيتُ .

فالأصل في التاء أن تكون ساكنة ؛ لأنه اسم مبهم لا حظ له في الإعراب ، ففتحت التاء فيه ، وفتحها الوجه لالتقاء الساكنين ، كما قلت : كيفَ وأينَ ففتحتَ لالتقاء الساكنين .

ومنهم من يكسر التاء لالتقاء الساكنين ، ولكن الفتح أجود ؛ لثقل الكسر مع الياء ، ومنهم من يضم ؛ لأن (ذَيَّة) إخبار بغاية الأمر ، فبنيت على الضم كما بنيت (حيثُ) .

فإن قال قائل : فهل يجوز في (أين) الفتح والكسر لالتقاء الساكنين ؟ قيل له : إنما تصرف الحركات في الشيء على قدر تصرفه في نفسه ، و(أين) لا تكون إلا على لفظ

(١) محمد /١٣ .
(٢) معانيه ٩/٥ .
(٣) ما ينصرف ص٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ .
(٤) الكتاب ٢٩٢/٣ .

واحد وجهة واحدة ، موضوعة أبدا في صدر الكلام ، و(ذَيت) كانت (ذَيَّة) مرة ثم صارت (ذَيْتَ) ، فصرفت بكثرة الحركات لكثرة تصرفها ، وتصرفها أنها تكون مرة بالهاء وتشديد الياء ، ومرة بالتاء وتخفيف الياء ، وتقع مبتدأة وغير مبتدأة " .

هذا ، وبالله التوفيق

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وتم الفراغ من جمعه وتبييضه يوم السبت العاشر من ربيع الأول سنة ١٤٢٧ هـ الموافق ٨ من أبريل ٢٠٠٦م .



المصادر والمراجع

١ـ الأصمعيات للأصمعي تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون ط دار المعارف ١٩٦٤م (ثانية) .

٢ـ الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط المكتبة العصرية لبنان ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٣ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣م .

٤ـ الإغفال لأبي علي الفارسي تحقيق د/ عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم ط المجمع الثقافي بأبي ظبي ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

٥ـ الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش تحقيق د/ عبد المجيد قطامش ط دمشق ١٤٠٣هـ .

٦ـ الأمالي الشجرية لابن الشجري ط دار المعرفة (بيروت) .

٧ـ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء العكبري ط عيسى الحلبي .

٨ـ الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري تحقيق محمد محيي الدين ط مطبعة السعادة ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .

٩ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام تحقيق عبد المتعال الصعيدي ط محمد علي صبيح ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .

١٠ـ البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ط مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨هـ .

١١ـ تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط دار العلم للملايين ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

١٢ـ التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري تحقيق علي محمد البجاوي ط عيسى الحلبي = إملاء ما من به الرحمن .

١٣ـ التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري ط دار إحياء الكتب العربية .

١٤ـ تقريب النفع في القراءات السبع لعلي محمد الضباع ط مصطفى الحلبي .

١٥ـ التكملة لأبي علي الفارسي تحقيق د/ كاظم بحر المرجان ط بغداد ١٩٨١م ـ ١٤٠هـ.
١٦ـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ط دار الكتب المصرية ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م .
١٧ـ جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد القرشي تحقيق علي محمد البجاوي ط دار نهضة مصر .
١٨ـ الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي .
١٩ـ حجة القراءات لابن زنجلة تحقيق سعيد الأفغاني ط مؤسسة الرسالة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .
٢٠ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي تحقيق عبد السلام هارون ط دار الكاتب العربي ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .
٢١ـ الخصائص لأبي الفتح بن جني تحقيق محمد علي النجار ط دار الهدى بيروت.
٢٢ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تحقيق د/أحمد الخراط ـ ط دار القلم دمشق .
٢٣ـ ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس شرح وتعليق محمد حسين ط المطبعة النموذجية .
٢٤ـ ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل ط دار المعارف .
٢٥ـ ديوان جرير ط دار صادر ودار بيروت ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .
٢٦ـ ديوان الحطيئة تحقيق نعمان أمين ط مصطفى الحلبي ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م .
٢٧ـ ديوان الحماسة لأبي تمام ط محمد علي صبيح .
٢٨ـ ديوان حاتم الطائي ط دار ومكتبة الهلال بيروت ١٩٨٤م .
٢٩ـ ديوان الخنساء ط دار الأندلس بيروت ١٩٨٣م .
٣٠ـ ديوان زهير بن أبي سلمى تحقيق وشرح كرم البستاني ط دار صادر ودار بيروت ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م .
٣١ـ ديوان الشماخ بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطي ط مطبعة السعادة ١٣٢٧هـ .
٣٢ـ ديوان العجاج رواية الأصمعي وشرحه ـ تحقيق عزة حسين ط مكتبة دار الشرق ـ بيروت .
٣٣ـ ديوان الفرزدق ـ ط دار صادر بيروت ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .

٣٤ـ ديوان الهذليين مصور من ط دار الكتب ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م .
٣٥ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألوسي ط دار الفكر بيروت ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٨م .
٣٦ـ زهر الآداب للحصري ط عيسى الحلبي بتحقيق علي محمد البجاوي .
٣٧ـ السبعة لابن مجاهد تحقيق د/ شوقي ضيف ط دار المعارف .
٣٨ـ شرح ألفية ابن مالك للأشموني بحاشية الصبان = منهج السالك .
٣٩ـ شرح التسهيل لابن مالك تحقيق عبد الرحمن السيد ط مطابع كل العرب ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .
٤٠ـ شرح شعر زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس ثعلب تحقيق د/ فخر الدين قباوة منشورات دار الآفاق الجديدة ط ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
٤١ـ شرح طيبة النشر لابن الجزري تحقيق علي محمد الضباع ط مصطفى الحلبي ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠م .
٤٢ـ شرح الكافية للرضي ط المطبعة العامرة الشرقية .
٤٣ـ شرح الكافية للرضي بتقديم د/ إميل يعقوب ط دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .
٤٤ـ شرح اللمع في النحو للواسطي الضرير (رسالة) بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٩٨م .
٤٥ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر ط دار المعارف ١٩٦٦م .
٤٦ـ شعر الأخطل صنعة السكري تحقيق د/ فخر الدين قباوة منشورات دار الآفاق الجديدة ١٩٧٩م .
٤٧ـ شعراء النصرانية جمع وتصحيح لويس شيخو ط الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٢٠م .
٤٨ـ الفتوحات الإلهية لسليمان بن عمر الجمل ط عيسى الحلبي .
٤٩ـ الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون ط دار القلم ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م .
٥٠ـ كتاب الشعر لأبي علي الفارسي تحقيق د/ محمد الطناحي ط مكتبة الخانجي ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م .
٥١ـ الكشاف للزمخشري ط مطبعة الاستقامة ثانية ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م .
٥٢ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب تحقيق محيي الدين رمضان

ط مطبعة خالد بن الوليد دمشق ١٣٩٤هـ ـ ١٩٦٤م .
٥٣ـ الكامل لأبي العباس المبرد تحقيق د/ محمد الدالي ط مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .
٥٤ـ لسان العرب لابن منظور ط بيروت ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م .
٥٥ـ ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج تحقيق هدى محمود قراعة ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م .
٥٦ـ المثلث لابن السيدالبطليوسي تحقيق صلاح الفرطوسي ط دار الرشيد بغداد ١٩٨١م.
٥٧ـ مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق محمد فؤاد سزكين ط مطبعة السعادة ١٩٥٤م .
٥٨ـ المحرر الوجيز لابن عطية تحقيق أحمد صادق الملاح ط مطابع الأهرام التجارية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م .
٥٩ـ مختارات الشعر الجاهلي شرح وترتيب عبد المتعال الصعيدي ط مطبعة الفجالة الجديدة (رابعة) ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م .
٦٠ـ المسائل الشيرازيات لأبي علي الفارسي تحقيق أ.د/ حسن هنداوي ط الكويت ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤م .
٦١ـ مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب تحقيق ياسين محمد السواس ط دمشق ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .
٦٢ـ معاني القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق د/ عبد الجليل شلبي ط عالم الكتب ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
٦٣ـ معاني القرآن للفراء تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٠م .
٦٤ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط مطبعة المدني .
٦٥ـ مغني اللبيب لابن هشام تحقيق مازن المبارك ومحمد حمد الله ط دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .
٦٦ـ مغني اللبيب بحاشية الأمير ط عيسى الحلبي .
٦٧ـ المقتضب للمبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٦٨هـ .

٦٨ـ المقرب لابن عصفور تحقيق أحمد الجواري وعبد الله الجبوري ط١٣٩١هـ ـ١٩٧١م.
٦٩ـ من آراء الزجاج النحوية للدكتور شعبان صلاح ط دار الثقافة العربية الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .
٧٠ـ المنصف شرح تصريف المازني لابن جني تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ط مصطفى الحلبي .
٧١ـ نتائج الفكر لأبي القاسم السهيلي تحقيق د/ محمد إبراهيم البنا الطبعة الأولى .
٧٢ـ النحو القرآني بين الزجاج وأبي علي الفارسي (رسالة) للمؤلف بمكتبة كلية اللغة العربية ـ ١٤٠٢هـ .
٧٣ـ همع الهوامع للسيوطي ط دار المعرفة بيروت لبنان .



فهرس الموضوعات

المؤلف في سطور

- الأستاذ الدكتور / عبد العظيم فتحي خليل إبراهيم الشاعر.
- من مواليد مدينة أسيوط عام ١٩٤٩م.
- تخرج من كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر بالقاهرة عام ١٩٧٣م بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف.
- حصل على الماجستير في اللغويات عام ١٩٧٦م بتقدير ممتاز.
- ثم على الدكتوراه عام ١٩٨٢م بمرتبة الشرف الأولى.
- عمل بالكلية معيدًا ، وترقى في سلك التدريس حتى درجة أستاذ.
- انتدب للعمل في عدة جامعات ، وأشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه ، وناقش العديد منها في مصر والسعودية.

أهم المؤلفات والبحوث :

- النيابة في عمل الفعل والموقع الإعرابي للاسم (ماجستير).
- النحو القرآني بين الزجاج وأبي علي الفارسي (دكتوراه).
- ضمير الفصل في العربية .. أحكام وشواهد.
- ما لا ينصرف وموانع الصرف بين جمهور النحويين والسهيلي.
- الممنوع من الصرف لعلة واحدة في القرآن الكريم.
- الأعلام الممنوعة من الصرف في القرآن الكريم.
- حقيقة "ليس" وأوجه استعمالها في اللغة العربية.
- أحكام "غير" وأوجه استعمالها في اللغة العربية.
- من أبواب الكتاب .. باب الأفعال التي تستعمل وتلغى .. دراسة وتحليل.
- التضمين وأثره في النحو العربي .. دراسة واستشهاد.
- تنبيهات وملاحظات على كتاب "ائتلاف النصرة ...".
- وقفة مع قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، صدر منه أربعة أجزاء.
- إعراب جزء قد سمع.